الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الخامس والعشرون

[سورة الحج، الآية: ٥٨]- [سورة النور، الآية: ٦١]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولى(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكترونى الآتى، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٥٨)} [الحج : ٥٨]

التفسير:

والذين خرجوا من ديارهم طلبًا لرضا الله، ونصرة لدينه، من قُتل منهم وهو يجاهد الكفار، ومن مات منهم مِن غير قتال، لَيرزقَنَّهم الله الجنة ونعيمها الذي لا ينقطع ولا يزول، وإن الله سبحانه وتعالى لهو خير الرازقين.

سبب نزول الآيتين:[٥٨-٥٩]:

قال مقاتل:" وذلك أن نفرا من المسلمين قالوا للنبي- ﷺ- نحن نقاتل المشركين فنقتل منهم ولا نستشهد، فما لنا شهادة، فأشركهم الله- عز وجل- جميعا في الجنة، فنزلت فيهم آيتان، فقال: {لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} [الحج : ٥٩].. "[١].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [الحج : ٥٨]، أي:" والذين خرجوا من ديارهم طلبًا لرضا الله، ونصرة لدينه"[٢].

قال الطبري: يقول:" والذين فارقوا أوطانهم وعشائرهم فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه"[٣].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عمن خرج مهاجرًا في سبيل الله ابتغاء مرضاته ، وطلبا لما عنده ، وترك الأوطان والأهلين والخِلان ، وفارق بلاده في الله ورسوله ، ونصرة لدين الله"[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا} [الحج : ٥٨]، أي:" قتلوا في الجهاد أو ماتوا على فرشهم"[٥].

قال ابن كثير:" { ثُمَّ قُتِلُوا } أي : في الجهاد { أَوْ مَاتُوا } أي : حتف أنفهم، أي : من غير قتال على فرشهم"[٦].

عن سلمان الفارسي: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات مرابطا أجرى الله عليه مثل ذلك الأجر، وأجرى عليه الرزق وأمن الفتانين، واقرءوا إن شئتم» :{والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا} إلى قوله: {حليم}"[٧].

عن سلامان بن عامر قال: "كان فضالة برودس أميرا على الأرباع، فخرج بجنازتي رجلين، أحدهما قتيل والآخر متوفى؛ فرأى ميل الناس مع جنازة القتيل إلى حفرته، فقال: أراكم أيها الناس تميلون مع القتيل وتفضلونه على أخيه المتوفى؟ فقالوا: هذا القتيل في سبيل الله. فقال فوالذي نفسي بيده ما أبالي من أي حفرتيهما بُعثت! اقرءوا قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا} ... إلى قوله: {وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ}"[٨].

وقرأ ابن عامر :« قتّلوا»، مشددة التاء[٩].

قوله تعالى:{لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا} [الحج : ٥٨]، أي:" ليعطينهم نعيماً خالداً لا ينقطع أبداً وهو نعيم الجنة"[١٠].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٤/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٣) تفسير الطبري:٦٧٣/١٨.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٥.
(٥) صفوة التفاسير:٢٧١/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٥.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٠١٠):ص٢٥٠٣/٨.
(٨) أخرجه الطبري:٦٧٤/١٨.
(٩) انظر: السبعة في القراءات:٤٣٩.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٧١/٢.

قال مقاتل:" يعني: كريما"[1].
قال الطبري: " يعني بـ«الرزق الحسن»: الثواب الجزيل"[2].
قال ابن كثير:" أي : ليُجْرِيَن عليهم من فضله ورزقه من الجنة ما تقر به أعينهم"[3].
قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [الحج : ٥٨]، أي:" وإنه تعالى خير من أعطى فإنه يرزق بغير حساب"[4].
قال الطبري: يقول: وإن الله لهو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم"[5].

القرآن
{لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ (٥٩)} [الحج : ٥٩]
التفسير:
ليُدخلنَّهم الله المُدْخل الذي يحبونه وهو الجنة. وإن الله لَعليم بمن يخرج في سبيله، ومن يخرج طلبًا للدنيا، حليم عمن عصاه، فلا يعاجلهم بالعقوبة.
قوله تعالى:{لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ} [الحج : ٥٩]، أي:" ليُدخلنَّهم الله المُدْخل الذي يحبونه وهو الجنة"[6].
قال السدي:" الجنة"[7].
قال الطبري:" وذلك المُدخل هو الجنة"[8].
قال الواحدي:" «المدخل»: يجوز أن يكون بمعنى المصدر وبمعنى المكان، فإذا كان بمعنى المصدر فالمراد به :إدخالا يكرمون به فيرضونه"[9].
قرأ نافع وحده: «مدخلا»، بفتح الميم، وقرأ الباقون: {مدخلا}، مرفوعة الميم"[10].
قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ} [الحج : ٥٩]، أي:" وإن الله لعليم بدرجات العاملين حليم عن عقابهم"[11].
قال الواحدي:" {لعليم} بنياتهم، {حليم} عن عقابهم"[12].
قال الطبري:"{لَعَلِيمٌ}، بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة أو عرض من عروض الدنيا، {حَلِيمٌ}، عن عصاة خلقه، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب"[13].
قال ابن كثير:" {لَعَلِيمٌ}، أي : بمن يهاجر ويجاهد في سبيله ، وبمن يستحق ذلك ، {حَلِيمٌ}، أي : يحلم ويصفح ويغفر لهم الذنوب ويكفرها عنهم بهجرتهم إليه ، وتوكلهم عليه. فأما من قتل في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر ، فإنه حي عند ربه يرزق ، كما قال تعالى : { وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } [آل عمران : ١٦٩]، والأحاديث في هذا كثيرة ، كما تقدم وأما من تُوُفي في سبيل الله من مهاجر أو غير مهاجر ، فقد تضمنت هذه الآية الكريمة مع الأحاديث الصحيحة إجراء الرزق عليه ، وعظيم إحسان الله إليه"[14].

---
(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٤/٣.
(٢) تفسير الطبري:٦٧٣/١٨.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٥.
(٤) صفوة التفاسير:٢٧١/٢.
(٥) تفسير الطبري:٦٧٣/١٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٢):ص٢٥٠٣/٨.
(٨) تفسير الطبري:٦٧٤/١٨.
(٩) التفسير الوسيط:٢٧٨/٣.
(١٠) انظر: السبعة في القراءات:٤٣٩-٤٤٠.
(١١) صفوة التفاسير:٢٧١/٢.
(١٢) التفسير الوسيط:٢٧٨/٣.
(١٣) تفسير الطبري:٦٧٤/١٨.
(١٤) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٥.

القرآن

{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٦٠)} [الحج : ٦٠]

التفسير:

ذلك الأمر الذي قصصنا عليك من إدخال المهاجرين الجنة، ومن اعتُدِي عليه وظُلم فقد أُذِن له أن يقابل الجاني بمثل فعلته، ولا حرج عليه، فإذا عاد الجاني إلى إيذائه وبغى، فإن الله ينصر المظلوم المعتدى عليه؛ إذ لا يجوز أن يُعْتَدى عليه بسبب انتصافه لنفسه. إن الله لعفوٌ غفور، يعفو عن المذنبين فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال مقاتل:" وذلك أن مشركي مكة لقوا المسلمين :لليلة بقيت من المحرم، فقال بعضهم لبعض: إن أصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم، فناشدهم المسلمون أن يقاتلوهم في الشهر الحرام، فأبى المشركون إلا القتال. فبغوا على المسلمين فقاتلوهم وحملوا عليهم وثبت المسلمون فنصر الله- عز وجل- المسلمين عليهم، فوقع في أنفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام، فأنزل الله- عز وجل:{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ}.."[1].

الثاني: أنها نزلت في قوم من المشركين، مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله ﷺ بمثله. حكاه القرطبي[2].

قوله تعالى:{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ} [الحج : ٦٠]، أي:" ذلك الأمر الذي قصصنا عليك من إدخال المهاجرين الجنة، ومن جازى الظالم بمثل ما ظلمه"[3].

قال مكي:أي:" الأمر ذلك وعن عاقب. وقيل: معناه: هذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ولهم مع ذلك القضاء على المشركين الذين بغوا عليهم، وآخرجوهم من ديارهم"[4].

قال السعدي: أي:" ذلك بأن من جني عليه وظلم، فإنه يجوز له مقابلة الجاني بمثل جنايته، فإن فعل ذلك، فليس عليه سبيل، وليس بملوم"[5].

قال الألوسي:" أي: من جازى الجاني مثل ما جني به عليه"[6].

قال الحسن:" بمعنى: قاتل المشركين كما قاتلوه"[7].

قال النحاس:" الأول ليس بعقوبة، فسمي الأول باسم الثاني لأنهما من جنس واحد على الازدواج كما يسمى الثاني باسم الأول"[8].

قال الزمخشري:" تسمية الابتداء بالجزاء لملابسته له من حيث أنه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض على النقيض للملابسة"[9].

قال يحيى:" يعني: بذلك مشركي العرب أنهم عوقبوا، فقتلهم الله بجحودهم النبي وظلمهم إياه وأصحابه، وبغيهم عليهم"[10].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٥/٣.
(٢) انظر: تفسير القرطبي:٩٠/١٢.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٩، وصفوة التفاسير:٢٧١/٢
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٢٣/٧.
(٥) تفسير السعدي:٥٤٣.
(٦) روح المعاني:١٨٠/٩.
(٧) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٧٨/٣.
(٨) معاني القرآن:٤٢٩/٤.
(٩) الكشاف:١٦٧/٣.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٦/١.

قال الطنطاوي:" العقاب: مأخوذ من التعاقب، وهو مجيء الشيء بعد غيره. والمراد به هنا: مجازاة الظالم بمثل ظلمه"(١).

قوله تعالى:{ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ} [الحج : ٦٠]، أي:" ثم اعتدى الظالم عليه ثانياً لينصرن الله ذلك المظلوم"(٢).

قال السعدي: أي:" فإن بغي عليه بعد هذا، فإن الله ينصره، لأنه مظلوم، فلا يجوز أن يبغي عليه، بسبب أنه استوفى حقه، وإذا كان المجازي غيره، بإساءته إذا ظلم بعد ذلك، نصره الله، فالذي بالأصل لم يعاقب أحدا إذا ظلم وجني عليه، فالنصر إليه أقرب"(٣).

قال يحيى:" النصر في الدنيا: الظهور على المشركين، والحجة عليهم في الآخرة كقوله: {إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد} [غافر: ٥١] يوم القيامة"(٤).

قال مقاتل:" هذا جزاء من عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه، لينصرنه الله"(٥).

قال الطبري:أي:" لهذا لهؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله، ثم قُتلوا أو ماتوا، ولهم مع ذلك أيضا أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم"(٦).

عن ابن جُرَيج: "{ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ} قال: هم المشركون بغَوْا على النبي صلى الله عليه وسلم، فوعده الله أن ينصره.. "(٧).

عن مقاتل في قوله: "{ذلك ومن عاقب}، الآية، قال: النبي ﷺ بعث سرية في ليلتين بقيتا من المحرم، فلقوا المشركين، فقال المشركون بعضهم لبعض: قاتلوا أصحاب محمد، فإنهم يحرمون القتال في الشهر الحرام، وأن أصحاب محمد ناشدوهم وذكروهم بالله إن يعرضوا لقتالهم، فإنهم لا يستحلون القتال في الشهر الحرام إلا من بادءهم وإن المشركين بدءوا وقاتلوهم فاستحل الصحابة قتالهم عند ذلك، فقاتلوهم ونصرهم الله عليهم"(٨).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج : ٦٠]، أي:" وإن الله يعفو عن المذنبين فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم"(٩).

قال الطبري:يقول:" إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحقّ، غفور لما فعل ببادئه بالظلم مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه"(١٠).

قال السعدي: " أي: يعفو عن المذنبين، فلا يعاجلهم بالعقوبة، ويغفر ذنوبهم فيزيلها، ويزيل آثارها عنهم، فالله هذا وصفه المستقر اللازم الذاتي، ومعاملته لعباده في جميع الأوقات بالعفو والمغفرة، فينبغي لكم أيها المظلومون المجني عليهم، أن تعفوا وتصفحوا وتغفروا ليعاملكم الله كما تعاملون عباده:{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى : ٤٠]"(١١).

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع؟ قلت: المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الإخلال بالعقاب، والعفو عن الجاني- على طريق التنزيه لا التحريم- ومندوب إليه، ومستوجب عند الله المدح إن آثر ما ندب إليه وملك سبيل التنزيه، فحين لم يؤثر ذلك وانتصر وعاقب، ولم ينظر في قوله تعالى :{فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى : ٤٠]، {وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [البقرة : ٢٣٧]، {وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ} [الشورى : ٤٣]،: فإن {اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ} [الحج : ٦٠]، أى: لا يلومه على ترك ما

---

(١) التفسير الوسيط:٣٣٣/٩.
(٢) صفوة التفاسير:٢٧١/٢.
(٣) تفسير السعدي:٥٤٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٦/١.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٥/٣.
(٦) تفسير الطبري:٦٧٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٦٧٤/١٨.
(٨) أخرده ابن ابي حاتم(١٤٠١٣):ص٢٥٠٣/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١٠) تفسير الطبري:٦٧٥/١٨.
(١١) تفسير السعدي:٥٤٣.

بعثه عليه، وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من إخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي عليه. ويجوز أن يضمن له النصر على الباغي، ويعرض مع ذلك بما كان أولى به من العفو، ويلوح به بذكر هاتين الصفتين. أو دل بذكر العفو والمغفرة على أنه قادر على العقوبة. لأنه لا يوصف بالعفو إلا القادر على ضده"[١].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٦١)} [الحج : ٦١]

التفسير:

ذلك الذي شرع لكم تلك الأحكام العادلة هو الحق، وهو القادر على ما يشاء، ومِن قدرته أنه يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، وأن الله سميع لكل صوت، بصير بكل فعل، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الحج : ٦١]، أي:" ذلك الذي شرع لكم تلك الأحكام العادلة هو الحق، وهو القادر على ما يشاء، ومِن قدرته أنه يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل"[٢].

قال الطبري:يقول:" هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي، لأني القادر على ما أشاء، فمن قُدرته أن الله يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار، فما نقص من هذا زاد في هذا، ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل، فما نقص من طول هذا زاد في طول هذا، وبالقُدرة التي تفعل ذلك ينصر محمدا ﷺ وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم"[٣].

قال الزمخشري:" {ذلك}، أى: ذلك النصر بسبب أنه قادر. ومن آيات قدرته البالغة أنه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل أو بسبب أنه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما يجرى فيهما على أيدى عباده من الخير والشر والبغي والإنصاف، وأنه سميع لما يقولون بصير بما يفعلون. فإن قلت: ما معنى إيلاج أحد الملوين في الآخر؟ قلت: تحصيل ظلمة هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس. وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها، كما يضيء السرب بالسراج ويظلم بفقده. وقيل: هو زيادته في أحدهما ما ينقص من الآخر من الساعات"[٤].
الساعات"[٤].

قال ابن كثير:" معنى إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل : إدخاله من هذا في هذا ، ومن هذا في هذا ، فتارة يطول الليل ويقصر النهار ، كما في الشتاء ، وتارة يطول النهار ويقصر الليل ، كما في الصيف"[٥].

قال يحيى:" هو آخذ كل واحد منهما من صاحبه"[٦].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج : ٦١]، أي:" وأن الله سميع لكل صوت، بصير بكل فعل، لا يخفى عليه شيء"[٧].

---

(١) الكشاف:١٦٧/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٣) تفسير الطبري:٦٧٥/١٨.
(٤) الكشاف:١٦٧/٣-١٦٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٤٩/٤.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٦/١.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٩.

قال الطبري: " يقول: وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول؛ لا يخفى عليه منه شيء، بصير بما يعملون، لا يغيب عنه منه شيء، كل ذلك معه بمرأى ومسمع، وهو الحافظ لكل ذلك، حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه"[1].

قال ابن كثير:" أي : سميع بأقوال عباده ، بصير بهم ، لا يخفى عليه منهم خافية في أحوالهم وحركاتهم وسكناتهم "[2].

القرآن

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٦٢)} [الحج : ٦٢]

التفسير:

ذلك بأن الله هو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأن ما يعبده المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو الباطل الذي لا ينفع ولا يضرُّ، وأن الله هو العليُّ على خلقه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، المتعالي عن الأشباه والأنداد، الكبير في ذاته وأسمائه فهو أكبر من كلِّ شيء.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ} [الحج : ٦٢]، أي:" ذلك بأن الله هو الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأن ما يعبده المشركون من دونه من الأصنام والأنداد هو الباطل الذي لا ينفع ولا يضرُّ"[3].

قال الطبري: يقول: " هذا الفعل الذي فعلت من إيلاجي الليل في النهار، وإيلاجي النهار في الليل، لأني أنا الحقّ الذي لا مثل لي ولا شريك ولا ندّ، وأن الذي يدعوه هؤلاء المشركون إلها من دونه هو الباطل الذي لا يقدر على صنعة شيء، بل هو المصنوع، يقول لهم تعالى ذكره: أفتتركون أيها الجهال عبادة من منه النفع وبيده الضر وهو القادر على كل شيء وكلّ شيء دونه، وتعبدون الباطل الذي لا تنفعكم عبادته"[4].

قال ابن كثير:" لما بين أنه المتصرف في الوجود ، الحاكم الذي لا معقب لحكمه ، قال : { ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ} أي : الإله الحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له ؛ لأنه ذو السلطان العظيم ، الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وكل شيء فقير إليه ، ذليل لديه ، { وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ } أي : من الأصنام والأنداد والأوثان ، وكل ما عبد من دونه تعالى فهو باطل ؛ لأنه لا يملك ضرًا ولا نفعًا"[5].

قال الزمخشري:" أى: ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والإحاطة بما يجرى فيهما وإدراك كل قول وفعل، بسبب أنه الله الحق الثابت إلهيته، وأن كل ما يدعى إلها دونه باطل الدعوة"[6].

قال يحيى:" «الحق»: اسم من أسماء الله"[7].

عن مجاهد[8]، وابن جريج[9]، قوله: "{وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ}، قال: الشيطان".

قال الحسن: "الأوثان"[10].

وقال قتادة: إبليس"[1].

---

(١) تفسير الطبري:٦٧٥/١٨.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٤٩/٤.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤) تفسير الطبري:٦٧٦/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٤٩/٤.
(٦) الكشاف:١٦٨/٣.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٦/١.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٤):ص٢٥٠٤/٨.
(٩) أخرجه الطبري:٦٧٦/١٨.
(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٦/١.

وقرئ:«ما تدعون»، بالتاء[2].

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج : ٦٢]، أي:" وأن الله هو العليُّ على خلقه ذاتًا وقدرًا وقهرًا، المتعالي عن الأشباه والأنداد، الكبير في ذاته وأسمائه فهو أكبر من كلِّ شيء"[3].

قال الطبري:" يعني بقوله: {العَلِي}: ذو العلو على كل شيء، هو فوق كل شيء وكل شيء دونه. {الكَبِيرُ}، يعني: العظيم، الذي كل شيء دونه ولا شيء أعظم منه"[4].

قال الزمخشري:" وأنه لا شيء أعلى منه شأنا وأكبر سلطانا"[5].

قال يحيى:" لا شيء أكبر منه"[6].

قال السمعاني:" أي: المتعالي المتعظم، ويقال: إن العلي هاهنا ينصرف إلى الدين أي: دينه يعلو الأديان، والكبير صفته تبارك وتعالى"[7].

قال ابن كثير:" فكل شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته ، لا إله إلا هو ، ولا رب سواه ؛ لأنه العظيم الذي لا أعظم منه ، العلي الذي لا أعلى منه ، الكبير الذي لا أكبر منه ، تعالى وتقدس وتنزه ، وعز وجل عما يقول الظالمون المعتدون علوا كبيرا"[8].

فوائد الآيات:[٥٨-٦٢]:

١- بيان فضل الهجرة في سبيل الله حتى إنها تعدل٣ الجهاد في سبيل الله.

٢- جواز المعاقبة بشرط المماثلة، والعفو أولى من المعاقبة.

٣- بيان مظاهر الربوبية من العلم والقدرة الموجبة لعبادة الله تعالى وحده وبطلان عبادة غيره.

٤- إثبات صفات الله تعالى: العلم والحلم والمغفرة والسمع والبصر والعفو والعلو على الخلق والعظمة الموجبة لعبادته وترك عبادة من سواه.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (٦٣)} [الحج : ٦٣]

التفسير:

ألم ترَ -أيها الرسول- أن الله أنزل من السماء مطرًا، فتصبح الأرض مخضرة بما ينبت فيها من النبات؟ إن الله لطيف بعباده باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، خبير بمصالحهم.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} [الحج : ٦٣]، أي:" ألم ترَ -أيها الرسول- أن الله أنزل من السماء مطرًا"[9].

قوله تعالى:{فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً} [الحج : ٦٣]، أي:" فتصبح الأرض مخضرة بما ينبت فيها من النبات؟"[10].

قال يحيى:" يعني: نباتها"[11].

قال الطبري:" بما ينبت فيها من النبات"[12].

---

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٨٦/١.
(٢) انظر: السبعة في القراءات:٤٤٠.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤) تفسير الطبري:٦٧٥/١٨.
(٥) الكشاف:١٦٨/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٦/١.
(٧) تفسير السمعاني:٤٥٢/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٤٩/٤.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١٠) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٦/١.
(١٢) تفسير الطبري:٦٧٦/١٨.

قال ابن كثير:" «الفاء» -هاهنا- للتعقيب ، وتعقيب كل شيء بحسبه ، كما قال:{ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا } [المؤمنون : ١٤] ، وقد ثبت في الصحيحين : "أن بين كل شيئين أربعين يوما" ومع هذا هو معقب بالفاء ، وهكذا هاهنا قال : { فَتُصْبِحُ الأرْضُ مُخْضَرَّةً }، أي : خضراء بعد يبسها ومُحُولها، وقد ذكر عن بعض أهل الحجاز : أنها تصبح عقب المطر خضراء ، فالله أعلم "[١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ} [الحج : ٦٣]، أي:" إن الله لطيف بعباده باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء، خبير بمصالحهم"[٢].

قال يحيى:" {لطيف} بخلقه فيما رزقهم، {خبير} بأعمالهم"[٣].

قال الطبري:" {لَطِيفٌ} باستخراج النبات من الأرض بذلك الماء وغير ذلك من ابتداع ما شاء أن يبتدعه، {خَبِيرٌ} بما يحدث عن ذلك النبت من الحب"[٤].

قال ابن كثير:" أي : عليم بما في أرجاء الأرض وأقطارها وأجزائها من الحب وإن صغر ، لا يخفى عليه خافية ، فيوصل إلى كل منه قسطه من الماء فينبته به ، كما قال لقمان : { يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ } [لقمان : ١٦] ، وقال : { أَلا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ } [النمل : ٢٥] ، وقال تعالى : { وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام : ٥٩] ، وقال { وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ } الآية [يونس : ٦١] ؛ ولهذا قال أمية بن أبي الصلت - أو : زيد بن عمرو بن نُفيل - في قصيدته [٥]:

وَقُولا لَه : مَن يُنْبِتُ الحبَّ في الثَّرَى... فَيُصبحَ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابيَا؟

ويُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّه في رُؤُوسه... فَفي ذَاك آيات لمَنْ كَانَ وَاعيا"[٦].

القرآن

{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (٦٤)} [الحج : ٦٤]

التفسير:

لله سبحانه وتعالى ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبودية، كلٌّ محتاج إلى تدبيره وإفضاله. وإن الله لهو الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، المحمود في كل حال.

قوله تعالى:{لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [الحج : ٦٤]، أي:" لله سبحانه وتعالى ما في السموات والأرض خلقًا وملكًا وعبودية، كلٌّ محتاج إلى تدبيره وإفضاله"[٧].

قال الطبري:" يقول: له مُلك ما في السموات وما في الأرض من شيء هم عبيده ومماليكه وخلقه، لا شريك له في ذلك، ولا في شيء منه"[٨].

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [الحج : ٦٤]، أي:" وإن الله لهو الغني الذي لا يحتاج إلى شيء، المحمود في كل حال"[٩].

قال مقاتل:" {الغني} من عبادة خلقه، {الحميد} عند خلقه في سلطانه "[١٠].

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٥٠/٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٦/١.
(٤) تفسير الطبري:٦٧٦/١٨.
(٥)انظر : السيرة النبوية لابن هشام :٢٢٨/١.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٥٠/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٨) تفسير الطبري:٦٧٧/١٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣.

قال يحيى:" {الغني} عن خلقه، {الحميد} المستحمد إلى خلقه، استوجب عليهم أن يحمدوه"[١].

قال الطبري:" وإن الله هو الغنيّ عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه، الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم"[٢].

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥)} [الحج : ٦٥]

التفسير:

ألم تر أن الله تعالى ذلَّل لكم ما في الأرض من الدواب والبهائم والزروع والثمار والجماد لركوبكم وطعامكم وكل منافعكم، كما ذلَّل لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره فتحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن، وهو الذي يمسك السماء فيحفظها؛ حتى لا تقع على الأرض فيهلك مَن عليها إلا بإذنه سبحانه بذلك؟ إن الله ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم ومن رحمته به ما سخره لهم من هذه الأشياء وغيرها؛ تفضلا منه عليهم.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ} [الحج : ٦٥]، أي:" ألم تر أن الله تعالى ذلَّل لكم ما في الأرض من الدواب والبهائم والزروع والثمار والجماد لركوبكم وطعامكم وكل منافعكم"[٣].

قال يحيى:" خلق لكم ما في الأرض"[٤].

قال الطبري:" يقول: ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من الدّوابّ والبهائم، فذلك كله لكم تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : من حيوان ، وجماد ، وزروع ، وثمار. كما قال : { وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ } [الجاثية : ١٣] أي : من إحسانه وفضله وامتنانه"[٦].

قوله تعالى:{وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ} [الحج : ٦٥]، أي:" ذلَّل لكم السفن تجري في البحر بقدرته وأمره فتحملكم مع أمتعتكم إلى حيث تشاؤون من البلاد والأماكن"[٧].

قال الطبري:" يقول: وسخر لكم السفن تجري في البحر بأمره، يعني بقُدرته، وتذليله إياها لكم كذلك"[٨].

قال ابن كثير:" أي : بتسخيره وتسييره ، أي : في البحر العَجَاج ، وتلاطم الأمواج ، تجري الفلك بأهلها بريح طيبة ، ورفق وتؤدة ، فيحملون فيها ما شاءوا من تجائر وبضائع ومنافع ، من بلد إلى بلد ، وقطر إلى قطر ، ويأتون بما عند أولئك إلى هؤلاء ، كما ذهبوا بما عند هؤلاء إلى أولئك ، مما يحتاجون إليه ، ويطلبونه ويريدونه"[٩].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٧/١.
(٢) تفسير الطبري:٦٧٧/١٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٧/١.
(٥) تفسير الطبري:٦٧٧/١٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٥٠/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٨) تفسير الطبري:٦٧٨/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٥٠/٥-٤٥١.

قوله تعالى:{وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج : ٦٥]، أي:" وهو الذي يمسك السماء فيحفظها؛ حتى لا تقع على الأرض فيهلك مَن عليها إلا بإذنه سبحانه بذلك؟"[١].

قال مقاتل:" وحبس عنهم السماء فلا تقع عليهم فيهلكوا"[٢].

قال يحيى:" يعني: لئلا تقع على الأرض"[٣].

قال الطبري:" يقول: ويمسك السماء بقدرته كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لو شاء لأذن للسماء فسقطت على الأرض ، فهلك من فيها ، ولكن من لطفه ورحمته وقدرته يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} [الحج : ٦٥]، أي:" إن الله ليرحم الناس رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم ومن رحمته به ما سخره لهم من هذه الأشياء وغيرها؛ تفضلا منه عليهم"[٦].

قال الطبري:" بمعنى: أنه بهم لذو رأفة ورحمة، فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك"[٧].

قال ابن كثير:" أي : مع ظلمهم ، كما قال في الآية الأخرى : { وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ } [الرعد : ٦]"[٨].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦)} [الحج : ٦٦]

التفسير:

وهو الله تعالى الذي أحياكم بأن أوجدكم من العدم، ثم يميتكم عند انقضاء أعماركم، ثم يحييكم بالبعث لمحاسبتكم على أعمالكم. إن الإنسان لَجحود لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ} [الحج : ٦٦]، أي:" وهو الله تعالى الذي أحياكم بأن أوجدكم من العدم"[٩].

قال يحيى:" من النطف"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: خلقكم ولم تكونوا شيئا"[١١].

قال ابن كثير:" أي : خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئًا يذكر ، فأوجدكم "[١٢].

قال الطبري:" يقول: والله الذي أنعم عليكم هذه النعم، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدثها فيكم، ولم تكونوا شيئا"[١٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ يُمِيتُكُمْ} [الحج : ٦٦]، أي:" ثم يميتكم عند انقضاء أعماركم"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٧/١.
(٤) تفسير الطبري:٦٧٨/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٥١/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٧) تفسير الطبري:٦٧٨/١٨.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٥١/٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٣٩.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٧/١.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٥١/٥.
(١٣) تفسير الطبري:٦٧٨/١٨.

قال مقاتل:" عند آجالكم"[2].
قال الطبري:" بعد حياتكم فيفنيكم عند مجيء آجالكم"[3].
قوله تعالى:{ثُمَّ يُحْيِيكُمْ} [الحج : ٦٦]، أي:" ثم يحييكم بالبعث لمحاسبتكم على أعمالكم"[4].
قال مقاتل:" بعد موتكم في الآخرة"[5].
قال الطبري:" بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة"[6].
قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة"[7].
قوله تعالى:{إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ} [الحج : ٦٦]، أي:" إن الإنسان لَجحود لما ظهر من الآيات الدالة على قدرة الله ووحدانيته"[8].
قال مقاتل:" لنعم الله- عز وجل- في حسن خلقه حين لا يوحده"[9].
قال ابن كثير:" أي : جحود "[10].
قال الطبري:" يقول: إن ابن آدم لجحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حُسن خلقه إياه، وتسخيره له ما سخر مما في الأرض والبرّ والبحر، وتركه إهلاكه بإمساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد، وتركه إفراده بالعبادة وإخلاص التوحيد له"[11].
عن الحسن قوله: "{إن الإنسان لكفور}، قال: بعد المصيبات، وينسى النعم"[12].
قال مجاهد:" كل شيء في القرآن: {إن الإنسان لكفور}، يعني: به الكفار"[13].
فوائد الآيات[٦٣-٦٦]:
١- تقرير التوحيد بذكر مقتضياته من القدرة والنعمة.
٢- إثبات صفات الله تعالى: اللطيف الخبير الغني الحميد الرؤوف الرحيم المحيي المميت.
٣- بيان إنعام الله وإفضاله على خلقه.
٤- مظاهر قدرة الله تعالى في إمساك السماء أن تقع على الأرض، وفي الإحياء والأماتة والبعث.
القرآن
{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧)} [الحج : ٦٧]
التفسير:
لكل أمة من الأمم الماضية جعلنا شريعة وعبادة أمرناهم بها، فهم عاملون بها، فلا ينازعنك -أيها الرسول- مشركو قريش في شريعتك، وما أمرك الله به في المناسك وأنواع العبادات كلها، وادع إلى توحيد ربك وإخلاص العبادة له واتباع أمره، إنك لعلى دين قويم، لا اعوجاج فيه.
سبب النزول:

(١) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣.
(٣) تفسير الطبري:٦٧٨/١٨.
(٤) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣.
(٦) تفسير الطبري:٦٧٨/١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٥١/٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٣٩.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٥١/٥.
(١١) تفسير الطبري:٦٧٨/١٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٥):ص٢٥٠٤/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٦):ص٢٥٠٤/٨.

قال مقاتل:" نزلت في بديل بن ورقاء الخزاعي وبشر بن سفيان الخزاعي ويزيد ابن الحليس من بني الحارث بن عبد مناف لقولهم للمسلمين، في الأنعام، ما قتلتم أنتم بأيديكم فهو حلال وما قتل الله فهو حرام، يعنون الميتة"[1].

قوله تعالى:{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} [الحج : ٦٧]، أي:" لكل أمة من الأمم الماضية جعلنا شريعة وعبادة أمرناهم بها، فهم عاملون بها"[2].

قال الطبري:" يقول: لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك، جعلنا مألفا يألفونه ومكانا يعتادونه لعبادتي فيه، وقضاء فرائضي، وعملا يلزمونه. وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه لخير أو شرّ؛ يقال: إن لفلان منسكا يعتاده: يراد مكانا يغشاه ويألفه لخير أو شر. وإنما سميت مناسك الحجّ بذلك، لتردّد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحجّ والعُمرة"[3].

عن أبي المليح قال: الأمة ما بين الأربعين إلى المائة فصاعدا"[4].

وفي قوله تعالى:{لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ} [الحج : ٦٧]، وجوه:

أحدها : أن «المنسك»: العيد ، قاله ابن عباس[5]، وبه قال ابن قتيبة[6].

الثاني : معناه: ذبح يذبحونه، ودم يهريقونه، قاله مجاهد[7]، وقتادة[8]، وعكرمة[9]، ومقاتل[10].
ومقاتل[10].

قال مجاهد:" إهراق دماء الهدي"[11].

قال قتادة:" ذبحا وحجا"[12].

وروي عن ابن عباس، قوله:"{هم ناسكوه}، يعني: هم ذابحوه"[13].

الثالث : أنها المواضع المعتادة لمناسك الحج والعمرة ، قاله الفراء[14].

الرابع : إنه مكة، لم يجعل الله لأمة قط منسكا غيرها. قاله زيد بم أسلم[15].

الخامس: المنسك الْمُتَعَبد والنسك العِبَادَة ومنه سمي العَابِدُ ناسكاً ، قاله الحسن[16].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: عني بذلك إراقة الدم أيام النحر بمِنى، لأن المناسك التي كان المشركون جادلوا فيها رسول الله ﷺ كانت إراقة الدم في هذه الأيام، على أنهم قد كانوا جادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام. غير أن تلك لم تكن مناسك، فأما التي هي مناسك فإنما هي هدايا أو ضحايا"[17].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣-١٣٧.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٠.
(٣) تفسير الطبري:٦٧٩/١٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٧):ص١٥٠٤/٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٦٧٩/١٨.
(٦) انظر: غريب القرآن:٢٩٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٦٧٩/١٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٦٧٩/١٨.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٧):ص٢٤٩٢/٨.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣.
(١١) أخرجه الطبري:٦٧٩/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٦٧٩/١٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٨):ص١٥٠٤/٨.
(١٤) انظر: معاني القرآن:٢٣٠/٢.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٩٢٨):ص٢٤٩٢/٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٣٩/٤.
(١٧) تفسير الطبري:٦٧٩/١٨.

قوله تعالى:{فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ} [الحج : ٦٧]، أي:" فلا ينازعنك -أيها الرسول- مشركو قريش في شريعتك، وما أمرك الله به في المناسك وأنواع العبادات كلها"(١).

قال ابن عباس:" يعني: في أمر الذبائح"(٢).

قال قتادة:" فلا تتحام لحمك"(٣).

قال مقاتل:" يعني: في أمر الذبائح، فإنك أولى بالأمر منهم «أى: من كفار خزاعة وغيرهم» "(٤).

قال يحيى:" أي: لا يحولنك المشركون عن هذا الدين الذي انت عليه، يقوله للنبي"(٥).

قال الطبري:يقول:" فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم: أتقولون ما قتلتم، ولا تأكلون الميتة التي قتلها الله؟ فأنك أولى بالحقّ منهم، لأنك محقّ وهم مبطلون"(٦).

قال الزجاج:" أي: لا يجادلنك فيه، ومعناه: لا تنازعهم، والدليل عنى أن المعنى لا يجادلنك ولا تجادلنهم قوله: {وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحج : ٦٨]، هذا قبل القتال.

قال الزجاج: فإن قال قائل: فهم قد جادلوه فلم قيل :{فلا ينازعنك في الأمر}، وهم قد نازعوه؟ فالمعنى أنه نهي له - ﷺ - عن منازعتهم كما يقول: لا يخاصمنك فلان في هذا أبدا، وهذا جائز في الفعل الذي لا يكون إلا من اثنين لأن المجادلة والمخاصمة لا تتم إلا باثنين، فإذا قلت لا يجادلنك فلان فهو بمنزلة لا تجادلنه، ولا يجوز هذا في قوله: لا يضربنك فلان، وأنت تريد لا تضربه"(٧).

قال الزمخشري:" هو نهى لرسول الله ﷺ، أى: لا تلتفت إلى قولهم ولا تمكنهم من أن ينازعوك. أو هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله ﷺ بالمنازعة في الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة. روى أن بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين وغيرهما قالوا للمسلمين: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله! يعنون الميتة "(٨).

وقرئ: «فلا ينزعنك»، أى: اثبت في دينك ثباتا لا يطمعون أن يجذبوك ليزيلوك عنه. والمراد: زيادة التثبيت للنبي ﷺ بما يهيج حميته ويلهب غضبه لله ولدينه(٩).

قوله تعالى:{وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ} [الحج : ٦٧]، أي:" وادع إلى توحيد ربك وإخلاص العبادة له واتباع أمره"(١٠).

قال مقاتل بن حيان:"يعني: إلى دين ربك"(١١).

قال مقاتل:" يعني: إلى معرفة ربك وهو التوحيد"(١٢).

قال يحيى:" أي: إلى الإخلاص له"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠١٨):ص١٥٠٤/٨.
(٣) أخرجه الطبري:٦٨٠/١٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣-١٣٧.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٧/١-٣٨٨.
(٦) تفسير الطبري:٦٨٠/١٨.
(٧) معاني القرآن:٤٣٧/٣.
(٨) الكشاف:١٦٩/٣.
(٩)انظر: الكشاف:١٦٩/٣ .
(١٠) التفسير الميسر:٣٤٠.
(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢١):ص٢٥٠٤/٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣-١٣٧.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٧/١-٣٨٨.

قال الطبري:يقول:" وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك وبعد التصديق بما جئْتهم به من عند الله، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان وتبرّءوا منها"[١].

عن جابر، عنه عليه السّلام قال: «أمرت أن أقاتل النّاس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا عصموا منّي دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابهم على الله»[٢].

قوله تعالى:{إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ} [الحج : ٦٧]، أي:" إنك لعلى دين قويم، لا اعوجاج فيه"[٣].

قال مقاتل بن حيان:" دين مستقيم"[٤].

قال مقاتل:" يعني: لعلى دين مستقيم"[٥].

قال الطبري:يقول:" إنك لعلى طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحقّ والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك، وهم الضلال على قصد السبيل، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم وعبادتهم الآلهة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : طريق واضح مستقيم موصل إلى المقصود"[٧].

القرآن

{وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨)} [الحج : ٦٨]

التفسير:

وإن أصرُّوا على مجادلتك بالباطل فيما تدعوهم إليه فلا تجادلهم، بل قل لهم: الله أعلم بما تعملونه من الكفر والتكذيب، فهم معاندون مكابرون.

قال مقاتل:" وإن جادلوك في أمر الذبائح يعني هؤلاء النفر {فقل الله أعلم بما تعملون} وبما نعمل، وذلك حين اختلفوا في أمر الذبائح"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن جادلك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك، فقل: الله أعلم بما تعملون ونعمل"[٩].

عن مجاهد: "{وَإِنْ جَادَلُوكَ}، قال: قول أهل الشرك: أما ما ذبح الله بيمينه {فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ}، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم"[١٠].

قال ابن كثير:" قوله:{اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ } تهديد شديد ، ووعيد أكيد ، كقوله:{هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الأحقاف : ٨]"[١١].

وفي حكم الآية قولان:

أحدهما: أنها نزلت قبل الأمر بالقتال ثم نسخت بآية السيف. ذكره هبة الله[١٢].

والثاني: أنها نزلت في حق المنافقين كانت تظهر منهم فلتات ثم يجادلون عليها فأمر أن يكل أمورهم إلى الله تعالى، فالآية على هذا محكمة. ذكره ابن الجوزي[١].

---

(١) تفسير الطبري:٦٨٠/١٨.

(٢)أخرجه أحمد في المسند ٣/ ٣٠٠، ومسلم في الصحيح (٢١)، والترمذي في السنن (٣٣٤١)، والنسائي في الكبرى (١١٦٧٠).

(٣) التفسير الميسر:٣٤٠.

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢١):ص٢٥٠٤/٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣-١٣٧.

(٦) تفسير الطبري:٦٨٠/١٨.

(٧) تفسير ابن كثير:٤٥١/٥.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣-١٣٧.

(٩) تفسير الطبري:٦٨٠/١٨.

(١٠) أخرجه الطبري:٦٨٠/١٨.

(١١) تفسير ابن كثير:٤٥٢/٥.

(١٢) في ناسخه:٦٦.

القرآن

{اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩)} [الحج : ٦٩]

التفسير:

الله تعالى يحكم بين المسلمين والكافرين يوم القيامة في أمر اختلافهم في الدين. وفي هذه الآية أدب حسن في الرد على مَن جادل تعنتًا واستكبارًا.

قال الطبري:" والله يقضي بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون، فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحقّ من المبطل"[٢].

قال مقاتل:" يعني: يقضي بينكم، نسختها آية السيف"[٣].

قال يحيى:" يقوله للمشركين، يعني: ما اختلف فيه المؤمنون والكافرون فيكون حكمه فيهم أن يدخل المؤمنين الجنة ويدخل الكافرين النار"[٤].

قال الثعلبي:أي:" فتعرفون حينئذ المحق من المبطل والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهذا أدب حسن علم الله سبحانه فيمن جادل على سبيل التعنت والمراء كفعل السفهاء أن لا يجادل ولا يناظر، ويدفع بهذا القول الذي علمه الله سبحانه لنبيه -عليه السلام-"[٥].

القرآن

{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠)} [الحج : ٧٠]

التفسير:

ألم تعلم -أيها الرسول- أن الله يعلم ما في السماء والأرض علماً كاملا قد أثبته في اللوح المحفوظ؟ إن ذلك العلم أمر سهل على الله، الذي لا يعجزه شيء.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الحج : ٧٠]، أي:" لقد علمت يا محمد أنَّ الله أحاط علمه بما في السماء والأرض فلا تخفى عليه أعمالهم"[٦].

قال يحيى:" أي: قد علمت أن الله يعلم ما في السموات والأرض"[٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كلّ ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته"[٨].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه ، وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض ، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ، وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها"[٩].

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} [الحج : ٧٠]، أي:" إن ذلك كله مسطر في اللوح المحفوظ"[١٠].

---

(١) انظر: نواسخ القرن:٥١١/٢.
(٢) تفسير الطبري:٦٨١/١٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٦/٣-١٣٧.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٨/١.
(٥) الكشف والبيان:٣٣/٧.
(٦) صفوة التفاسير:٢٧٣/٢.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٨/١.
(٨) تفسير الطبري:٦٨١/١٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٥٢/٥.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٧٣/٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن علمه بذلك في كتاب، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جلّ ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة"[١].

قال ابن كثير:" وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ"[٢].

عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ : "إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء"[٣].

وفي السنن ، من حديث جماعة من الصحابة ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب ، قال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن. فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة"[٤].

عن عبدة بن أبي لبابة، قال: "علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون، ثم كتبه، ثم قال لنبيه: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}"[٥].

يَسِيرٌ}"[٥].

عن أرطأة بن المنذر، قال: "سمعت ضمرة بن حبيب يقول: إن الله كان على عرشه على الماء، وخلق السموات والأرض بالحقّ، وخلق القلم فكتب به ما هو كائن من خلقه، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام، قبل أن يبدأ شيئا من الخلق"[٦].

عن ابن عباس، "أنه سأل كعب الأحبار عن «أمّ الكتاب»، فقال: علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتابا"[٧].

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج : ٧٠]، أي:" إن ذلك العلم أمر سهل على الله، الذي لا يعجزه شيء"[٨].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج : ٧٠]، وجهان:

أحدهما: معناه: إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير. قاله ابن جريج[٩].

الثاني: معناه: أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني هين. حكاه الطبري[١٠].

قال الطبري:" القول الثاني أولى بتأويل ذلك، وذلك أن قوله: {إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} ... إلى قوله: {إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ} أقرب وهو له مجاور، ومن قوله: {اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} متباعد مع دخول قوله: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأرْضِ} بينهما، فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح"[١١].

قال ابن عباس:" خلق الله اللوح المحفوظ لمسيرة مائة عام وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش: اكتب: قال: ما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة، فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة، فذلك قوله للنبي ﷺ : {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأرْضِ}، يعني: ما في السموات السبع والأرضين السبع، {إن ذلك} العلم {في

---

(١) تفسير الطبري:٦٨١/١٨.

(٢) تفسير ابن كثير:٤٥٢/٥.

(٣)صحيح مسلم برقم (٢٦٥٣) بلفظ "كتب الله مقادير الخلائق".

(٤)جاء من حديث عبادة بن الصامت : أخرجه أبو داود في السنن برقم (٤٧٠٠) والترمذي في السنن برقم (٣٣١٩) وقال الترمذي : "هذا حديث حسن غريب". وجاء من حديث ابن عباس : رواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٣٧٨).

(٥) أخرجه الطبري:٦٨١/١٨.

(٦) أخرجه الطبري:٦٨١/١٨.

(٧) أخرجه الطبري:٦٨١/١٨.

(٨) التفسير الميسر:٣٤٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٦٨٢/١٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦٨٢/١٨.

(١١)تفسير الطبري:٦٨٢/١٨.

كتاب}، يعني: في اللوح المحفوظ مكتوب قبل إن يخلق السموات والأرضين، {إن ذلك على الله يسير}، يعني: هين"(١).

قال ابن كثير:" وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها ، وقدرها وكتبها أيضًا ، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك ، على الوجه الذي يفعلونه ، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره ، وهذا يعصي باختياره ، وكتب ذلك عنده ، وأحاط بكل شيء علما ، وهو سهل عليه ، يسير لديه ؛ ولهذا قال تعالى : { إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ }"(٢).

القرآن

{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١)} [الحج : ٧١]

التفسير:

ويصر كفار قريش على الشرك بالله مع ظهور بطلان ما هم عليه، فهم يعبدون آلهة، لم يَنْزِل في كتاب مِن كتب الله برهان بأنها تصلح للعبادة، ولا علم لهم فيما اختلقوه، وافتروه على الله، وإنما هو أمر اتبعوا فيه آباءَهم بلا دليل. فإذا جاء وقت الحساب في الآخرة فليس للمشركين ناصر ينصرهم، أو يدفع عنهم العذاب.

قوله تعالى:{وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ} [الحج : ٧١]، أي:" ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل بجواز عبادته حجة وبرهانا من السماء فى كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله وما ليس لهم بجواز عبادته علم من ضرورة العقل، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم بغير حجة ولا برهان"(٣).

قال الطبري:يقول:" ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ما لم ينزل به جلّ ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله، بأنها آلهة تصلح عبادتها، فيعبدوها بأن الله أذن لهم في عبادتها، وما ليس لهم به علم أنها آلهة"(٤).

قال الزجاج:" أي: ما لم ينزل به حجة وما ليس لهم به علم"(٥).

قال الزمخشري:أي:" ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحى والسمع، ولا ألجأهم إليها علم ضروري، ولا حملهم عليها دليل عقلى"(٦).

قال يحيى:" {سلطانا}: حجة بعبادتهم، {وما ليس لهم به علم} أن الأوثان خلقت مع الله شيئا ولا رزقت معه شيئا"(٧).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن المشركين فيما جهلوا وكفروا ، وعبدوا من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ، يعني : حجة وبرهانا ، كقوله : { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } [المؤمنون : ١١٧]. ولهذا قال هاهنا : { مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ } أي : ولا علم لهم فيما اختلقوه وائتفكوه ، وإنما هو أمر تلقوه عن آبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا حجة ، وأصله مما سول لهم الشيطان وزينه لهم"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [الحج : ٧١]، أي:" وليس للظالمين من ينصرهم يوم القيامة فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد ذلك"(٩).

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٢):ص٢٥٠٤/٨-٢٥٠٦.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٥٢/٥.
(٣) تفسير المراغي:١٤٣/١٧.
(٤) تفسير الطبري:٦٨٣/١٨.
(٥) معاني القرآن:٤٣٦/٣.
(٦) الكشاف:١٧٠/٣.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٨/١.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٥٣/٥.
(٩) تفسير المراغي:١٤٣/١٧.

قال مقاتل:" يقول: وما للمشركين من مانع من العذاب"(١).

قال الطبري:" يقول: وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة، فينقذهم من عذاب الله ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم"(٢).

قال الزمخشري:أي:" وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من أحد ينصرهم ويصوب مذهبهم"(٣).

قال ابن كثير:" أي : من ناصر ينصرهم من الله ، فيما يحل بهم من العذاب والنكال"(٤).

والنكال"(٤).

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٢)} [الحج : ٧٢]

التفسير:

وإذا تتلى آيات القرآن الواضحة على هؤلاء المشركين ترى الكراهة ظاهرة على وجوههم، يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يدعونهم إلى الله تعالى، ويتلون عليهم آياته. قل لهم -أيها الرسول-: أفلا أخبركم بما هو أشد كراهة إليكم من سماع الحق ورؤية الداعين إليه؟ النار أعدَّها الله للكافرين في الآخرة، وبئس المكان الذي يصيرون إليه.

قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ} [الحج : ٧٢]، أي:" وإذا تتلى آيات القرآن الواضحة على هؤلاء المشركين"(٥).

قال الطبري: يقول: " وإذا تُتلى على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا، آيات القرآن واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه"(٦).

قال ابن كثير:" أي : وإذا ذكرت لهم آيات القرآن والحجج والدلائل الواضحات على توحيد الله ، وأنه لا إله إلا هو ، وأن رسله الكرام حق وصدق "(٧).

قوله تعالى:{ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ} [الحج : ٧٢]، أي:" ترى الكراهة ظاهرة على وجوهه المشركين"(٨).

قال الطبري: يقول: " تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من تغيرها، لسماعهم بالقرآن"(٩).

قال الزمخشري::" «المنكر»: الفظيع من التجهم والبسور(١٠)،أو الإنكار، كالمكرم بمعنى الإكرام"(١١).

قال القشيري:" لسماع الخطاب أثر في القلوب من الاستبشار والبهجة، أو الإنكار والوحشة، ثم ما تخامره السرائر يلوح على الأسرة فى الظاهر فكانت الآيات عند نزولها إذا

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٣٨/٣.
(٢) تفسير الطبري:٦٨٣/١٨.
(٣) الكشاف:١٧٠/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٥٣/٥.
(٥) التفسير الميسر:١٤٣/١٧.
(٦) تفسير الطبري:٦٨٣/١٨.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٥٣/٥.
(٨) التفسير الميسر:١٤٣/١٧.
(٩) تفسير الطبري:٦٨٣/١٨.
(١٠)قوله «التجهم والبسور» كل منهما: كلوح الوجه. أفاده الصحاح.
(١١) الكشاف:١٧٠/٣.

تليت على الكفار يلوح على رجوههم دخان ما تنطوى عليه قلوبهم من ظلمات التكذيب، فما كان يقع عليهم طرف إلا نبأ عن جحودهم، وعادت إلى القلوب النبوءة عن إقلاعهم"[١].

قوله تعالى:{يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا} [الحج : ٧٢]، أي:" يكادون يبطشون بالمؤمنين الذين يدعونهم إلى الله تعالى، ويتلون عليهم آياته"[٢].

قال الطبري: " يقول: يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي ﷺ، لشدّة تكرّههم أن يسمعوا القرآن ويتلى عليهم"[٣].

قال الواحدي: اي:" يكادون يبسطون إليهم أيديهم بالسوء"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يكادون يبادرون الذين يحتجون عليهم بالدلائل الصحيحة من القرآن ، ويبسطون إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء!"[٥].

قال الضحاك:" يقول: يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذا"[٦].

قال ابن عباس:" يقول: يقعون بمن ذكرهم"[٧].

قال مجاهد:" يكادون يقعون بهم"[٨].

عن ابن عباس، قوله: "{يَكَادُونَ يَسْطُونَ}، يقول: يبطشون"[٩]. وفي رواية:" يبطئون"[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{يَكَادُونَ يَسْطُونَ}، قال: يبطشون كفار قريش"[١١].

قوله تعالى:{قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكُمُ} [الحج : ٧٢]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: أفلا أخبركم بما هو أشد كراهة إليكم من سماع الحق ورؤية الداعين إليه؟"[١٢].

قال الطبري:" يقول: أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكرّهون قراءتهم القرآن عليكم"[١٣].

وقال يحيى:" يعني: بشر من قتل أنبيائهم"[١٤].

قوله تعالى:{النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الحج : ٧٢]، أي:" النار أعدَّها الله للكافرين في الآخرة"[١٥].

قال الطبري: يقول :"هي {النَّارُ}، وعدها الله الذين كفروا، وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: إن المشركين قالوا: والله إن محمدا وأصحابه لشرّ خلق الله! فقال الله لهم: قل أفأنبئكم أيها القائلون هذا القول بشر من محمد ﷺ، أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار"[١٦].

قال ابن كثير:" أي : النار وعذابها ونكالها أشد وأشق وأطم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا ، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تنالون منهم ، إن نلتم بزعمكم وإرادتكم "[١].

---

(١) لطائف الإشارات:٥٦١/٢.
(٢) التفسير الميسر:١٤٣/١٧.
(٣) تفسير الطبري:٦٨٣/١٨.
(٤) التفسير الوسيط:٢٨٠/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٥٣/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٦٨٤/١٨.
(٧) أخرجه الطبري:٦٨٣/١٨.
(٨) أخرجه الطبري:٦٨٤/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:٦٨٣/١٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٣):ص٢٥٠٥/٨.
(١١) أخرجه الطبري:٦٨٤/١٨.
(١٢) التفسير الميسر:١٤٣/١٧.
(١٣) تفسير الطبري:٦٨٤/١٨.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(١٥) التفسير الميسر:١٤٣/١٧.
(١٦) تفسير الطبري:٦٨٤/١٨.

وقال يحيى:" في تفسير الحسن: هي شر مما صنعوا بأنبيائهم، من قتلهم أنبياءهم أنهم يخلدون في النار أبدا"(٢).

قوله تعالى:{وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الحج : ٧٢]، أي:" وبئس النار موئلا ومقاما لهؤلاء المشركين بالله"(٣).

قال الطبري:" يقول: وبئس المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة"(٤).

قال ابن كثير:" أي : وبئس النار منزلا ومقيلا ومرجعا وموئلا ومقاما ، { إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا } [الفرقان : ٦٦]"(٥).

فوائد الآيات:[٦٧-٧٢]:

١- تقرير حقيقة وهي أن كل أمة من الأمم بعث الله فيها رسولاً وشرع لها عبادات تعبده بها.
٢- استحسان ترك الجدال في البدهيات والإعراض عن ما فيها.
٣- تقرير علم الله تعالى بكل خفي وجلي وصغير وكبير في السموات والأرض.
٤- تقرير عقيدة القضاء والقدر بتقرير الكتاب الحاوي لذلك وهو اللوح المحفوظ.
٥- بيان شدة بغض المشركين للموحدين إذا دعوهم إلى التوحيد وذكروهم بالآيات.
٦- مشروعية إغاظة الظالم بما يغيظه من القول الحق.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)} [الحج : ٧٣]

التفسير:

يا أيها الناس ضُرِب مثل فاستمعوا له وتدبروه: إن الأصنام والأنداد التي تعبدونها من دون الله لن تقدر مجتمعة على خَلْق ذبابة واحدة، فكيف بخلق ما هو أكبر؟ ولا تقدر أن تستخلص ما يسلبه الذباب منها، فهل بعد ذلك مِن عَجْز؟ فهما ضعيفان معًا: ضَعُفَ الطالب الذي هو المعبود من دون الله أن يستنقذ ما أخذه الذباب منه، وضَعُفَ المطلوب الذي هو الذباب، فكيف تُتَّخذ هذه الأصنام والأنداد آلهة، وهي بهذا الهوان؟

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ} [الحج : ٧٣]، أي:" يا أيها الناس ضُرِب مثل فاستمعوا له وتدبروه"(٦).

قال ابن كثير:" يقول تعالى منبها على حقارة الأصنام وسخافة عقول عابديها : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ } أي : لما يعبده الجاهلون بالله المشركون به ، { فَاسْتَمِعُوا لَهُ } أي : أنصتوا وتفهموا "(٧).

قال السعدي:" هذا خطاب للمؤمنين والكفار، المؤمنون يزدادون علما وبصيرة، والكافرون تقوم عليهم الحجة، {ضرب مثل فاستمعوا له}، أي: ألقوا إليه أسماعكم، وتفهموا ما احتوى عليه، ولا يصادف منكم قلوبا لاهية، وأسماعا معرضة، بل ألقوا إليه القلوب والأسماع"(٨).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٥٣/٥.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(٣) تفسير المراغي:١٤٤/١٧.
(٤) تفسير الطبري:٦٨٤/١٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٥٣/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٤١.
(٧) تفسير ابن كثير:٥٤٣/٥.
(٨) تفسير السعدي:٥٤٦.

قال البغوي:" معنى {ضرب}: جعل، كقولهم: ضرب السلطان البعث على الناس، وضرب الجزية على أهل الذمة، أي جعل ذلك عليهم. ومعنى الآية: جعل لي شبه، وشبه بي الأوثان، أي: جعل المشركون الأصنام شركائي فعبدوها ومعنى {فاستمعوا له} أي: فاستمعوا حالها وصفتها"(١).

قال الزمخشري:" فإن قلت: الذي جاء به ليس بمثل، فكيف سماه مثلا؟ قلت: قد سميت الصفة أو القصة الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب: مثلا، تشبيها لها ببعض الأمثال المسيرة، لكونها مستحسنة مستغربة عندهم"(٢).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ} [الحج : ٧٣]، أي:" إنَّ هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله لن تقدر على خلق ذبابة على ضعفها وإن اجتمعت على ذلك، فكيف يليق بالعاقل جعلها آلهة وعبادتها من دون الله"(٣).

قال السدي:" يعني: الصنم لا يخلق ذبابا"(٤).

قال الزجاج:" يعنى: الأصنام، وكل من دعي من دون الله إلها لا إله إلا الله وحده"(٥).

قال ابن كثير:" أي : لو اجتمع جميع ما تعبدون من الأصنام والأنداد على أن يقدروا على خلق ذباب واحد ما قدروا على ذلك"(٦).

قال القرطبي:" وخص الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله عز وجل على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يجوز أن يكونوا آلهة معبودين وأربابا مطاعين. وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان"(٧).

قال الزمخشري:" {لن} أخت «لا» في نفى المستقبل، إلا أن «لن» تنفيه نفيا مؤكدا، وتأكيده هاهنا الدلالة على أن خلق الذباب منهم مستحيل مناف لأحوالهم، كأنه قال: محال أن يخلقوا. فإن قلت: ما محل ولو اجتمعوا له؟ قلت: النصب على الحال، كأنه قال: مستحيل أن يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا لخلقه وتعاونهم عليه، وهذا من أبلغ ما أنزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم، والشهادة على أن الشيطان قد خزمهم بخزائمه(٨) حيث وصفوا بالإلهية- التي تقتضي الاقتدار على المقدورات كلها، والإحاطة بالمعلومات عن آخرها- صورا وتماثيل يستحيل منها أن تقدر على أقل ما خلقه وأذله وأصغره وأحقره، ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا"(٩).

عن أبي هريرة - رفع الحديث - قال : "ومن أظلم ممن خلق خلقا كخلقي ؟ فليخلقوا مثل خلقي ذَرّة ، أو ذبابة ، أو حَبَّة"(١٠).

قرأ يعقوب :«يدعون »بالياء، والباقون بالتاء(١١).

---

(١) تفسير البغوي:٤٠٠/٥.
(٢) الكشاف:١٧١/٣.
(٣) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٥):ص٢٥٠٥/٨.
(٥) معاني القرآن:٤٣٨/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٥٣/٥-٤٥٤.
(٧) تفسير القرطبي:٩٧/١٢.
(٨)قوله «إن الشيطان قد خزمهم بخزائمه» في الصحاح، خزمت البعير بالخزامة، وهي حلقة من شعر تجعل في وترة أنفه، يشد فيها الزمام.
(٩) الكشاف:١٧١/٣.
(١٠)المسند (٣٩١/٢).
وفي رواية :" ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ؟ فليخلقوا ذرة ، فليخلقوا شعيرة"". انظر: صحيح البخاري برقم (٥٩٥٣) وصحيح مسلم برقم (٢١١١)
(١١) انظر: تفسير البغوي:٤٠٠/٥.

قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ} [الحج : ٧٣]، أي:" لو اختطف الذباب وسلب شيئاً من الطيب الذي كانوا يضمخون به الأصنام لما استطاعت تلك الآلهة استرجاعه منه رغم ضعفه وحقارته"[١].

قال الطبري:" يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذبابُ شيئا مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه: يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه"[٢].

قال ابن كثير:" أي : هم عاجزون عن خلق ذباب واحد ، بل أبلغ من ذلك عاجزون عن مقاومته والانتصار منه ، لو سلبها شيئًا من الذي عليها من الطيب ، ثم أرادت أن تستنقذه منه لما قدرت على ذلك. هذا والذباب من أضعف مخلوقات الله وأحقرها"[٣].

قال السعدي:" وهذا غاية ما يصير من العجز"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ} [الحج : ٧٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها : إفساده لثمارهم وطعامهم حتى يسلبهم إياها . وهذا قول السدي[٥].

قال السدي:" يقول: يجعل للأصنام طعام، فيقع عليه الذباب، فيأكل منه فلا يستطيع إن يستنقذه منه"[٦].

والثاني : أَلَمُهُ في قرض أبدانهم ، فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله ودفع أذيته فكيف يكونون آلهة معبودين وأرباباً مُطَاعين وهذا من أقوى حجة وأوضح برهان. ذكره الماوردي[٧].

قال القرطبي:" قيل: {وإن يسلبهم الذباب شيئا}، راجع إلى ألمه في قرص أبدانهم حتى يسلبهم الصبر لهم والوقار معها"[٨].

الثالث: يعني: أن الذباب يقع على تلك الأوثان فتنقر أعينها ووجوهها، فيسلبها ما أخذ من وجوهها وأعينها. وهذا قول يحيى بن سلام[٩].

قال بحبى:" وسمعت بعضهم يقول: إنهم كانوا يطلونها بخلوق"[١٠].

قال ابن زيد:"هذا مثل ضربه الله لآلهتهم، وقرأ :{ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ}"[١١].

قال الزجاج:" أعلم الله - جل ثناؤه - أنه الخالق، ودل على وحدانيته بجميع ما خلق، ثم أعلم أن الذين عبدوا من دونه لا يقدرون على خلق واحد قليل ضعيف من خلقه، ولا على استنقاذ تافه حقير منه"[١٢].

قال الزمخشري:" وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء قدرتهم: أن هذا الخلق الأقل الأذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على أن يستخلصوه منه لم يقدروا"[١٣].

قوله تعالى:{ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ} [الحج : ٧٣]، أي:" ضعف العابد الذي يطلب الخير من الصنم، والمطلوب الذي هو الصنم، فكل منهما حقير ضعيف"[١٤].

عن ابن عباس، قوله:" {ضَعُفَ الطَّالِبُ}، قال: آلهتهم {والمَطْلُوبُ}: الذباب"[١].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.
(٢)تفسير الطبري:٦٨٥/١٨ .
(٣) تفسير ابن كثير:٤٥٤/٥.
(٤) تفسير السعدي:٥٤٦.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٠٢٥):ص٢٥٠٥/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٥):ص٢٥٠٥/٨.
(٧) انظر: النكت والعيون:٤٠/٤.
(٨) تفسير القرطبي:٩٧/١٢.
(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(١١) اخرجه الطبري:٦٨٦/١٨.
(١٢) معاني القرآن:٤٣٨/٣.
(١٣) الكشاف:١٧١/٣.
(١٤) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.

قال السعدي:" {ضعف الطالب} الذي هو المعبود من دون الله، {والمطلوب} الذي هو الذباب، فكل منهما ضعيف، وأضعف منهما، من يتعلق بهذا الضعيف، وينزله منزلة رب العالمين"[٢].

قال السدي:" ثم رجع إلى الناس وإلى الأصنام :{ضعف الطالب والمطلوب}، الذي يطلب إلى هذا الصنم، الذي لا يخلق ذبابا، ولا يستطيع إن يستنقذ ما سلب منه، وضعف المطلوب إليه الذي لا يخلق ذبابا ولا يستنقذ ما سلب منه"[٣].

قال يحيى:" الطالب هو الوثن والمطلوب الذباب"[٤].

قال الطبري: معناه:" وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب، وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: {ضَعُفَ الطَّالِبُ} من بني آدم إلى الصنم حاجته، {والمَطْلُوبُ} إليه الصنم أن يعطي سائله من بني آدم ما سأله، يقول: ضعف عن ذلك وعجز"[٥].

قال القرطبي:" قيل: الطالب الآلهة والمطلوب الذباب. وقيل بالعكس. وقيل: الطالب عابد الصنم والمطلوب الصنم، فالطالب يطلب إلى هذا الصنم بالتقرب إليه، والصنم المطلوب إليه"[٦].

قال الزمخشري:" قوله :{ضعف الطالب والمطلوب} كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف. ولو حققت وجدت الطالب أضعف وأضعف، لأن الذباب حيوان، وهو جماد، وهو غالب وذاك مغلوب"[٧].

وعن ابن عباس: «أنهم كانوا يطلونها بالزعفران ورءوسها بالعسل ويغلقون عليها الأبواب، فيدخل الذباب من الكوى فيأكله»"[٨].

القرآن

{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٧٤)} [الحج : ٧٤]

التفسير:

هؤلاء المشركون لم يعظِّموا الله حق تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء، وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالَب.

قال ابن عباس : "نزلت في يهود المدينة حين قالواْ استراح الله في يوم السبت"[٩].

قوله تعالى:{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الحج : ٧٤]، أي:" هؤلاء المشركون لم يعظِّموا الله حق تعظيمه، إذ جعلوا له شركاء"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكا في العبادة حق عظمته حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته"[١١].

قال ابن زيد:" حين يعبدون مع الله ما لا ينتصف من الذباب ولا يمتنع منه"[١٢].

---

(١) اخرجه الطبري:٦٨٥/١٨.
(٢) تفسير السعدي:٥٤٦.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٥):ص٢٥٠٥/٨.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(٥) تفسير الطبري:٦٨٥/١٨-٦٨٦.
(٦) تفسير القرطبي:٩٧/١٢.
(٧) الكشاف:١٧١/٣.
(٨) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف:١٧١/٣.
(٩) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٤٠/٤، والعز بم عبدالسلام في تفسيره:٣٦٥/٢.
(١٠) التفسير الميسر:٣٤١.
(١١) تفسير الطبري:٦٨٦/١٨.
(١٢) اخرجه الطبري:٦٨٦/١٨.

قال السعدي:" حيث سوى الفقير العاجز من جميع الوجوه، بالغني القوي من جميع الوجوه، سوى من لا يملك لنفسه، ولا لغيره نفعا ولا ضرا، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا، بمن هو النافع الضار، المعطي المانع، مالك الملك، والمتصرف فيه بجميع أنواع التصريف"(١).

وفي قوله تعالى:{مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الحج : ٧٤]، وجهان:

أحدهما : ما عظموه حق عظمته، قاله يحيى بن سلام(٢)، والفراء(٣)، والزجاج(٤).

قال يحيى:أي:" ما عظموا الله حق عظمته أن عبدوا الأوثان من دونه التي إن سلبها الذباب الضعيف لم تستطع أن تمتنع منه"(٥).

قال الفراء:" هو كما تَقُولُ فِي الكلام: ما عرفت لفلان قَدْره، أي :عظمته وقصَّر بِهِ صاحبه"(٦).

الثاني : ما عرفوا الله حق معرفته، ولا وصفوه مبلغ صفته. قاله أبو عبيدة(٧).

وقال ابن قتيبة:" أي: ما وصفوه حق صفته ولا عرفوه حق معرفته. يقال: قدرت الشيء وقدرته. وقدرت فيك كذا وكذا، وقدرته"(٨).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحج : ٧٤]، أي:" وهو القوي الذي خلق كل شيء، العزيز الذي لا يغالَب"(٩).

قال الطبري:" يقول: إن الله لقويّ على خلق ما يشاء من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره عزيز: يقول: منيع في مُلكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من مُلكه شيئا، وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب، ولا على الامتناع من الذباب، إذا استلبها شيئا ضعفا ومهانة"(١٠).

قال الزجاج:" ثم أعلم بعد ذكره ضعف قوة المعبودين قوته فقال: {إن الله لقوي عزيز}"(١١).

قال يحيى:" فبقوته وعزته ذل من دونه"(١٢).

قال السعدي:" أي: كامل القوة، كامل العزة، من كمال قوته وعزته، أن نواصي الخلق بيديه، وأنه لا يتحرك متحرك، ولا يسكن ساكن، إلا بإرادته ومشيئته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ومن كمال قوته، أنه يمسك السماوات والأرض أن تزولا ومن كمال قوته، أنه يبعث الخلق كلهم، أولهم وآخرهم، بصيحة واحدة، ومن كمال قوته، أنه أهلك الجبابرة والأمم العاتية، بشيء يسير، وسوط من عذابه"(١٣).

القرآن

{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (٧٥) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٧٦)} [الحج : ٧٥ - ٧٦]

التفسير:

---

(١) تفسير السعدي:٥٤٦.
(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(٣) انظر: معاني القرآن:٢٣٠/٢.
(٤) انظر: معاني القرآن:٤٣٨/٣.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(٦) معاني القرآن:٢٣٠/٢.
(٧) انظر: مجاز القرآن:٥٤/٢.
(٨) غريب القرآن:١٥٦.
(٩) التفسير الميسر:٣٤١.
(١٠) تفسير الطبري:٦٨٦/١٨.
(١١) معاني القرآن:٤٣٨/٣.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٨٩/١.
(١٣) تفسير السعدي:٥٤٦.

الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة رسلا إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلا لتبليغ رسالاته إلى الخلق، إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة مِن خلقه. وهو سبحانه يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم. وإلى الله وحده ترجع الأمور.

قوله تعالى:{اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ} [الحج : ٧٥]، أي:" الله سبحانه وتعالى يختار من الملائكة رسلا إلى أنبيائه، ويختار من الناس رسلا لتبليغ رسالاته إلى الخلق"[(١)].

قال الطبري: يقول:" الله يختار من الملائكة رسلا كجبرئيل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه، ومن شاء من عباده ومن الناس، كأنبيائه الذين أرسلهم إلى عباده من بني آدم"[(٢)].

قال السدي:" الذي يصطفي من الناس هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[(٣)].

قال الفراء:" اصطفى منهم جبريل وميكائيل وملك الموت وأشباههم. ويصطفى من الناس الأنبياء"[(٤)].

قال السمعاني:" أما من الملائكة فهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وغيرهم، وأما من الناس فهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، وغيرهم صلوات الله عليهم"[(٥)].

قال السعدي:" لما بين تعالى كماله وضعف الأصنام، وأنه المعبود حقا، بين حالة الرسل، وتميزهم عن الخلق بما تميزوا به من الفضائل فقال: {الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس} أي: يختار ويجتبي من الملائكة رسلا ومن الناس رسلا يكونون أزكى ذلك النوع، وأجمعه لصفات المجد، وأحقه بالاصطفاء، فالرسل لا يكونون إلا صفوة الخلق على الإطلاق"[(٦)].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [الحج : ٧٥]، أي:" إن الله سميع لأقوال عباده، بصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرسالة مِن خلقه"[(٧)].

قال الطبري: " يقول: إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد ﷺ، وما جاء به من عند ربه، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه"[(٨)].

قال السمعاني:أي:" سميع لأقوال العباد، بصير بهم"[(٩)].

قال السعدي:" الذي اختارهم واصطفاهم ليس جاهلا بحقائق الأشياء، أو يعلم شيئا دون شيء، وإنما المصطفى لهم، السميع، البصير، الذي قد أحاط علمه وسمعه وبصره بجميع الأشياء، فاختياره إياهم، عن علم منه، أنهم أهل لذلك، وأن الوحي يصلح فيهم كما قال تعالى: {اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَه} [الأنعام : ١٢٤]"[(١٠)].

قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ} [الحج : ٧٦]، أي:" وهو سبحانه يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم"[(١١)].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤١.
(٢) تفسير الطبري:٦٨٧/١٨.
(٣) اخجره ابن ابي حاتم(١٤٠٢٧):ص٢٥٠٥/٨.
(٤) معاني القرآن:٢٣٠/٢.
(٥) تفسير السمعاني:٤٥٦/٣.
(٦) تفسير السعدي:٥٤٦.
(٧) التفسير الميسر:٣٤١.
(٨) تفسير الطبري:٦٨٧/١٨.
(٩) تفسير السمعاني:٤٥٦/٣.
(١٠) تفسير السعدي:٥٤٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٤١.

قال الطبري: يقول: " الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله، من قبل أن يخلقهم، ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم"[(١)].

قال السمعاني:ويقال:" {ما بين أيديهم}: ما قدموا من العمل، {وما خلفهم}: ما أخروها فلم يعملوها"[(٢)].

قوله تعالى:{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [الحج : ٧٦]، أي:" وإلى الله وحده ترجع الأمور"[(٣)].

قال السمعاني:أي:" تصير الأمور"[(٤)].

قال الطبري: " يقول: إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا، وإليه تعود كما كان منه البدء"[(٥)].

قال السعدي:" أي: هو يرسل الرسل، يدعون الناس إلى الله، فمنهم المجيب، ومنهم الراد لدعوتهم، ومنهم العامل، ومنهم الناكل، فهذا وظيفة الرسل، وأما الجزاء على تلك الأعمال، فمصيرها إلى الله، فلا تعدم منه فضلا أو عدلا"[(٦)].

فوائد الآيات:[٧٣-٧٦]:

١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان.
٢- التنديد بالشرك وبطلانه وبيان سفه المشركين.
٣- ما قدر الله حق قدره من سوى به أحقر مخلوقاته وجعل له من عباده جزءاً وشبهاً ومثلاً.
٤- إثبات الرسالات للملائكة وللناس معاً.
٥- ذكر صفات الجلال والكمال لله تعالى المقتضية لربوبيته والموجبة لألوهيته وهي القوة والعزة، والسمع والبصر لكل شيء وبكل شيء والعلم بكل شيء.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٧٨)} [الحج : ٧٧ - ٧٨]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ اركعوا واسجدوا في صلاتكم، واعبدوا ربكم وحده لا شريك له، وافعلوا الخير؛ لتفلحوا، وجاهدوا أنفسكم، وقوموا قيامًا تامًّا بأمر الله، وادعوا الخلق إلى سبيله، وجاهدوا بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم، مخلصين فيه النية لله عز وجل، مسلمين له قلوبكم وجوارحكم، هو اصطفاكم لحمل هذا الدين، وقد منَّ عليكم بأن جعل شريعتكم سمحة، ليس فيها تضييق ولا تشديد في تكاليفها وأحكامها، كما كان في بعض الأمم قبلكم، هذه الملة السمحة هي ملة أبيكم إبراهيم، وقد سَمَّاكم الله المسلمين مِن قبلُ في الكتب المنزلة السابقة، وفي هذا القرآن، وقد اختصَّكم بهذا الاختيار ؛ ليكون خاتم الرسل محمد ﷺ شاهدًا عليكم بأنه بلَّغكم رسالة ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه، فعليكم أن تعرفوا لهذه النعمة قدرها، فتشكروها، وتحافظوا على معالم دين الله بأداء الصلاة بأركانها وشروطها، وإخراج الزكاة المفروضة، وأن تلجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى، وتتوكلوا عليه، فهو نِعْمَ المولى لمن تولاه، ونعم النصير لمن استنصره.

---

(١) تفسير الطبري:٦٨٧/١٨.
(٢) تفسير السمعاني:٤٥٦/٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٤١.
(٤) تفسير السمعاني:٤٥٦/٣.
(٥) تفسير الطبري:٦٨٧/١٨.
(٦) تفسير السعدي:٥٤٦.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج : ٧٧]، أي:" يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ"[١].

قال ابن عباس: "ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يا أيها الذين آمنوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"[٢].

قال خيثمة: "ما تقرؤون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا} فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"[٣].

قال ابن مسعود:" إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك فإنه خير يأمره أو شر ينهى عنه"[٤].

قوله تعالى:{ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} [الحج : ٧٧]، أي:" اركعوا واسجدوا في صلاتكم"[٥].

عن مجاهد، قوله: "{يا أيها الذين آمنوا اركعوا}، قال: إنما هي أدب وموعظة"[٦].

قال ابن الجوزي:" قال المفسرون: المراد: صلوا، لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود"[٧].

قوله تعالى:{وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ} [الحج : ٧٧]، أي:" واعبدوا ربكم وحده لا شريك له"[٨].

قال ابن الجوزي:" أي: وحدوه"[٩].

قوله تعالى:{وَافْعَلُوا الْخَيْرَ} [الحج : ٧٧]، أي:" افعلوا ما يقربكم من الله من أنواع الخيرات"[١٠].

قال ابن الجوزي:" يريد: أبواب المعروف"[١١].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : ٧٧]، أي:" لتفوزوا وتظفروا بنعيم الآخرة"[١٢].

قال ابن الجوزي:" أي: لكي تسعدوا وتبقوا في الجنة"[١٣].

قوله تعالى:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج : ٧٨]، أي:" جاهدوا بأموالكم وأنفسكم لإعلاء كلمة الله حقَّ الجهاد باستفراغ الوسع والطاقة"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : بأموالكم وألسنتكم وأنفسكم ، كما قال تعالى : { اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ } [آل عمران : ١٠٢]"[١٥].

قال ابن عباس:" لا تخافوا في الله لومة لائم"[١٦].

قال مقاتل بن حيان:" يعني: العمل إن يجتهدوا فيه"[١٧].

قال السدي: يطاع فلا يعصى"[١٨]

قال يحيى:" يعني: اعملوا لله حقَّ عمله"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤١.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٦):ص١٩٦/١.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٧):ص١٩٦/١.
(٥) التفسير الميسر:٣٤١.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٨):ص٢٥٠٥/٨.
(٧) زاد المسير:٢٥١/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٤١.
(٩) زاد المسير:٢٥١/٣.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.
(١١) زاد المسير:٢٥١/٣.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٧٤/٢.
(١٣) زاد المسير:٢٥١/٣.
(١٤) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.
(١٥) تفسير ابن كثير:٤٥٥/٥.
(١٦) اخرجه الطبري:٦٨٨/١٨.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣١):ص٢٥٠٦/٨.
(١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٢):ص٢٥٠٦/٨.

قال يحيى:" وهي مثل قوله: {اتقوا الله حق تقاته} [آل عمران: ١٠٢]، وهما منسوختان نسختهما الآية التي في التغابن: {فاتقوا الله ما استطعتم} [التغابن: ١٦]"[٢].

قال الحسن:" إن الرجل ليجاهد في الله حق جهاده وما ضرب بسيف"[٣].

وقال الضحاك:" جاهدوا عدو الله حتى يدخلوا في الإسلام"[٤].

قال القرطبي:" قيل: عنى به جهاد الكفار. وقيل: هو إشارة إلى امتثال جميع ما أمر الله به، والانتهاء عن كل ما نهى الله عنه، أي جاهدوا أنفسكم في طاعة الله وردوها عن الهوى، وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته، والظلمة في رد ظلمهم، والكافرين في رد كفرهم"[٥].

قال الطبري:" عُني به الجهاد في سبيل الله، لأن المعروف من الجهاد ذلك، وهو الأغلب على قول القائل: جاهدت في الله، وحقّ الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه "[٦].

قال السعدي:" الجهاد: بذل الوسع في حصول الغرض المطلوب، فالجهاد في الله حق جهاده، هو القيام التام بأمر الله، ودعوة الخلق إلى سبيله بكل طريق موصل إلى ذلك، من نصيحة وتعليم وقتال وأدب وزجر ووعظ، وغير ذلك"[٧].

وفي حكم قوله تعالى:{وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج : ٧٨]، قولان:

القول الأول: أنها منسوخة، لأن فعل ما فيه وفاء لحق الله لا يتصور من أحد، واختلف هؤلاء في ناسخها على قولين[٨]:

الأول: أنه قوله: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَها [البقرة: ٢٨٦].

والثاني: فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ [التغابن: ١٦].

القول الثاني: أنها محكمة. به قال النحاس[٩]، ومكي بن ابي طالب، وابن الجوزي[١٠].

قال ابن الجوزي:" لأن حق الجهاد الجد في المجاهدة وبذل الإمكان مع صحة القصد فعلى هذا هي محكمة، ويوضحه أن الله تعالى لم يأمر بما لا يتصور، فبان أن قوله: مَا اسْتَطَعْتُمْ تفسير لحق الجهاد فلا يصح نسخ، كما بينا في قوله تعالى في آل عمران: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقاتِهِ} [آل عمران: ١٠٢]"[١١].

قوله تعالى:{هُوَ اجْتَبَاكُمْ} [الحج : ٧٨]، أي:" هو اختاركم من بين الأمم لنصرة دينه، وخصكم بأكمل شرع وأكرم رسول"[١٢].

قال يحيى:" اصطفاكم، ويقال: اختاركم لدينه. وهو واحد"[١٣].

قال الطبري:" يقول: هو اختاركم لدينه، واصطفاكم لحرب أعدائه والجهاد في سبيله"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : يا هذه الأمة ، الله اصطفاكم واختاركم على سائر الأمم ، وفضلكم وشرفكم وخصكم بأكرم رسول ، وأكمل شرع"[١٥].

---

(١)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:٣٣٣.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٠/١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٠):ص٢٥٠٦/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٢٩):ص٢٥٠٥/٨.
(٥) تفسير القرطبي:٩٩/١٢.
(٦) تفسير الطبري:٦٨٨/١٨-٦٨٩.
(٧) تفسير السعدي:٥٤٦.
(٨) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٥١١/٢/٢-٥١٢.
(٩) انظر: الناسخ والمنسوخ:١٩٢.
(١٠) انظر: زاد المسير٥/ ٤٥٩،ومختصر عمدة الراسخ الورقة العاشرة.
(١١) نواسخ القرآن:٥١٢/٢.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٠/١.
(١٤) تفسير الطبري:٦٨٩/١٨.
(١٥) تفسير ابن كثير:٤٥٥/٥.

قال الزجاج:" معناه: اختاركم"[١].

قال السعدي:" أي: اختاركم -يا معشر المسلمين- من بين الناس، واختار لكم الدين، ورضيه لكم، واختار لكم أفضل الكتب وأفضل الرسل"[٢].

وقال ابن زيد:" هو هداكم"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج : ٧٨]، أي:" وما جعل عليكم في هذا الدين من ضيق ولا مشقة، ولا كلفكم مالا تطيقون بل هي الحنيفية السمحة"[٤].

قال الطبري:يقول:" وما جعل عليكم ربكم في الدين الذي تعبَّدكم به من ضيق، لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه، بل وسَّع عليكم، فجعل التوبة من بعض مخرجا، والكفَّارة من بعض، والقصاص من بعض، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين الإسلام مخرج"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ما كلفكم ما لا تطيقون ، وما ألزمكم بشيء فَشَقَ عليكم إلا جعل الله لكم فرجا ومخرجا ، فالصلاة - التي هي أكبر أركان الإسلام بعد الشهادتين - تجب في الحَضَر أربعًا وفي السفر تُقْصَر إلى ثِنْتَين ، وفي الخوف يصليها بعض الأئمة ركعة ، كما ورد به الحديث ، وتُصَلى رجالا وركبانا ، مستقبلي القبلة وغير مستقبليها. وكذا في النافلة في السفر إلى القبلة وغيرها ، والقيام فيها يسقط بعذر المرض ، فيصليها المريض جالسا ، فإن لم يستطع فعلى جنبه ، إلى غير ذلك من الرخص والتخفيفات ، في سائر الفرائض والواجبات ؛ ولهذا قال ، عليه السلام :«بُعِثْتُ بالحنِيفيَّة السَّمحة»[٦]. وقال لمعاذ وأبي موسى ، حين بعثهما أميرَين إلى اليمن : «بَشِّرا ولا تنفرا ، ويَسِّرا ولا تُعسّرَا»[٧]. والأحاديث في هذا كثيرة"[٨].

قال السعدي:" ويؤخذ من هذه الآية، قاعدة شرعية وهي أن «المشقة تجلب التيسير» و«الضرورات تبيح المحظورات»، فيدخل في ذلك من الأحكام الفرعية، شيء كثير معروف في كتب الأحكام"[٩].

عن عائشة، قالت: "سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية :{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}، قال: هُوَ الضيق"[١٠].

عن أبي خلدة، قال: "قال لي أبو العالية: أتدري ما الحرج؟ قلت: لا أدري، قال: الضيق، وقرأ هذه الآية: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ}"[١١].

قال الحسن[١٢]، وقتادة[١٣]، ويحي بن سلام[١٤]:" من ضيق".

قال الضحاك:" جعل الدين واسعا ولم يجعله ضيقا"[١٥].

قال ابن عباس:" إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربيّ، ثم دعا ابن عباس أعرابيا، فقال: ما الحَرَج؟ قال: الضيق. قال: صدقت"[١٦].

---

(١) معاني القرآن:٤٣٩/٣.
(٢) تفسير السعدي:٥٤٦.
(٣) أخرجه الطبري:٦٨٩/١٨.
(٤) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.
(٥)تفسير الطبري:٦٨٩/١٨ .
(٦)رواه أحمد في مسنده (٢٦٦/٥) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
(٧)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٠٣٨) ومسلم في صحيحه برقم (١٧٣٢).
(٨) تفسير ابن كثير:٤٥٥/٥-٤٥٦.
(٩) تفسير السعدي:٥٤٦.
(١٠) أخرجه الطبري:٦٨٩/١٨-٦٩٠.
(١١) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨.
(١٢) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨.
(١٣) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٠/١.
(١٥) أخرجه الطبري:٦٩١/١٨.
(١٦) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨.

وفي قوله تعالى:{وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج : ٧٨]، وجوه من التفسير[١]:
أحدها : أنه الخلاص من المعاصي بالتوبة.
الثاني : المخرج من الأيمان بالكفارة .
الثالث : أنه تقديم الأهلة وتأخيرها في الصوم والفطر والأضحى ، قاله ابن عباس[٢].
قال ابن عباس:" هذا في هلال شهر رمضان إذا شكّ فيه الناس، وفي الحجّ إذا شكوا في الهلال، وفي الفطر والأضحى إذا التبس عليهم وأشباهه"[٣].
الرابع : أنه رخص السفر من القصر والفطر .
الخامس : أنه عام لأنه ليس في دين الإسلام ما لا سبيل إلى الخلاص من المأثم فيه .
قال ابن عباس:" إنما ذلك سعة الإسلام ما جعل الله من التوبة والكفارات"[٤].
قال ابن عباس:" الإصر الذي كان على بني إسرائيل وضع، عنكم"[٥].
قال ابن عباس:"يقول: ما جعل عليكم في الإسلام من ضيق، هو واسع، وهو مثل قوله في الأنعام :{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا}، يقول: من أراد أن يضله يضيق عليه صدره حتى يجعل عليه الإسلام ضيقا، والإسلام واسع"[٦].
وقال مقاتل بن حيان:"يقول: لم يضيق الدين عليكم، ولكن جعله واسعا لمن دخله، وذلك أنه ليس مما فرض عليهم فيه، إلا ساق إليهم، عند الاضطرار رخصة، والرخصة في الدنيا فيها وسع عليهم رحمة منه، إذ فرض عليهم الصلاة في المقام اربع ركعات، وجعلها في السفر ركعتين، وعند الخوف من العدو ركعة، ثم جعل في وجهه رخصة أن يومئ إيماء إن لم يستطع السجود، في أي نحو كان وجهه، لمن تجاوز، عن السيئات منه والخطأ، وجعل في الوضوء والغسل رخصة، إذا لم يجدوا الماء إن يتيمموا الصعيد، وجعل الصيام على المقيم واجبا، ورخص فيه للمريض، والمسافر عدة من أيام أخر، فمن لم يطق فإطعام مسكين مكان كل يوم، وجعل في الحج رخصة، إن لم يجد زادا أو حملانا أو حبس دونه، وجعل في الجهاد رخصة، إن لم يجد حملانا أو نفقة، وجعل، عند الجهد والاضطرار من الجوع: إن رخص في الميتة والدم ولحم الخنزير قدر ما يرد نفسه، لا يموت جوعا، في أشباه هذا في القرآن، وسعه الله على هذه الأمة رخصة منه ساقها إليهم"[٧].
قوله تعالى:{مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} [الحج : ٧٨]، أي:" دينكم الذي لا حرج فيه هو دين ابراهيم فالزموه لأنه الدين القيم"[٨].
قال السدي:" دين أبيكم"[٩].
قال السعدي:" أي: هذه الملة المذكورة، والأوامر المزبورة، ملة أبيكم إبراهيم، التي ما زال عليها، فالزموها واستمسكوا بها"[١٠].
وفي قوله تعالى:{مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ} [الحج : ٧٨]، وجوه من التفسير:
أحدها : أنه وسع عليكم في الدين كما وسع ملة أبيكم إبراهيم. قاله الطبري[١١].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٤٢/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٦٩٠/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:٦٩٠/١٨-٦٩١.
(٤) تفسير القرىن من الجامع لابن وهب(٢٩):ص١٥/١.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٣):ص١٥٠٦/٨.
(٦) أخرجه الطبري:٦٩١/١٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٦):ص٢٥٠٦/٨-٢٥٠٧.
(٨) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٣٧):ص٢٥٠٧/٨.
(١٠) تفسير السعدي:٥٤٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٦٩١/١٨.

الثاني: والزموا ملة أبيكم إبراهيم. ذكره الطبري[١].
قال الأخفش:" نصب على الأمر"[٢].
قال ابن كثير:" يحتمل أنه منصوب على تقدير : الزموا ملة أبيكم إبراهيم"[٣].
الثالث : أن ملة إبراهيم وهي دينه لازمة لأمة محمد -ﷺ-، وداخلة في دينه[٤].
الرابع : أن علينا ولاية إبراهيم وليس يلزمنا أحكام دينه[٥].
قوله تعالى:{هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ} [الحج : ٧٨]، أي:" الله سماكم المسلمين في الكتب المتقدمة وفي هذا القرآن، ورضي لكم الإسلام دينا"[٦].
قال الطبري: يقول:" سماكم يا معشر من آمن بمحمد ﷺ المسلمين من قبل"[٧].
قال الزجاج:" المعنى: الله سماكم المسلمين من قبل أن ينزل القرآن"[٨].
قال السعدي:" أي: في الكتب السابقة، مذكورون ومشهورون"[٩].
وفي قوله تعالى:{هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ} [الحج : ٧٨]، وجهان:
أحدهما : أن الله سماكم المسلمين من قبل هذا القرآن وفي هذا القرآن ، قاله ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١]، وقتادة[١٢].
الثاني : أن إبراهيم سماكم المسلمين، لقوله تعالى: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ} [البقرة : ١٢٨]، وهذا قول ابن زيد[١٣].
قال ابن زيد:" لم يذكر الله بالإسلام والإيمان غير هذه الأمة، ذكرت بهما جميعا، ولم يسمع بأمة ذكرت بالإسلام والإيمان غيرها"[١٤].
قوله تعالى:{وَفِي هَذَا} [الحج : ٧٨]، أي:" وفي هذا القرآن سماكم المسلمين"[١٥].
قال ابن قتيبة:" يعني: القرآن"[١٦].
قال السعدي:" أي: هذا الكتاب، وهذا الشرع. أي: ما زال هذا الاسم لكم قديما وحديثا"[١٧].
قوله تعالى:{لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [الحج : ٧٨]، أي:" وقد اختصَّكم بهذا الاختيار؛ ليكون خاتم الرسل محمد ﷺ شاهدًا عليكم بأنه بلَّغكم رسالة ربه، وتكونوا شهداء على الأمم أن رسلهم قد بلَّغتهم بما أخبركم الله به في كتابه"[١٨].
قال ابن كثير:" أي : إنما جعلناكم هكذا أمة وسطا عُدولا خيارا ، مشهودا بعدالتكم عند جميع الأمم ، لتكونوا يوم القيامة { شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ}، لأن جميع الأمم معترفة يومئذ بسيادتها

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٦٩١/١٨.
(٢) معاني القرآن:٤٥٣/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٥٦/٥.
(٤) انظر: النكت والعيون:٤٢/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون:٤٢/٤.
(٦) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.
(٧) تفسير الطبري:٦٩١/١٨.
(٨) معاني القرآن:٤٤٠/٣.
(٩) تفسير السعدي:٥٤٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٦٩١/١٨.
(١١)انظر: تفسير الطبري:٦٩٢/١٨ .
(١٢)انظر: تفسير الطبري:٦٩١/١٨-٦٩٢ .
(١٣)انظر: تفسير الطبري:٦٩٢/١٨ .
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٤١):ص٢٥٠٧/٨.
(١٥) معاني القرآن للزجاج:٤٤٠/٣.
(١٦) غريب القرآن:٢٩٥.
(١٧) تفسير السعدي:٥٤٦.
(١٨) التفسير الميسر:٣٤١.

وفضلها على كل أمة سواها ؛ فلهذا تقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة ، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم ، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك"(١).

وفي قوله تعالى:{وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [الحج : ٧٨]، وجهان:

أحدهما : ليكون الرسول شهيداً عليكم في إبلاغ رسالة ربه إليكم ، وتكونوا شهداء على الناس تُبَلِغُونَهُم رسالة ربهم كما بلغتم إليهم ما بلغه الرسول إليكم. حكاه الماوردي(٢).

الثاني : ليكون الرسول شهيداً عليكم في إبلاغ رسالة ربه إليكم، وتكونوا شهداء على الناس بأن رُسُلَهُم قد بَلَّغُوهم. قاله قتادة(٣)، وابن قتيبة(٤).

عن قتادة أن كعبا قال: "إن الله تبارك وتعالى أعطى هذه الأمة ثلاثا لم يعطهن قبلهم إلا نبيا مرسلا: كان يبعث النبي فيقول: أنت شاهدي على أمتك، وإن الله جعلكم شهداء على الناس، ويبعث النبي فيقول: ادعني استجب لك وقال: {ادعوني أستجب لكم}، ويبعث النبي فيقول: ليس عليك في الدين من حرج، وقال: {وما جعل عليكم في الدين من حرج}"(٥).

قوله تعالى:{فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [الحج : ٧٨]، أي:" وإذْ قد اختاركم الله لهذه المرتبة الجليلة فاشكروا الله على نعمته بأداء الصلاة ودفع الزكاة"(٦).

قال الطبري:" يقول: فأدّوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : قابلوا هذه النعمة العظيمة بالقيام بشكرها ، وأدوا حق الله عليكم في أداء ما افترض ، وطاعة ما أوجب ، وترك ما حرم. ومن أهم ذلك إقامُ الصلاة وإيتاءُ الزكاة ، وهو الإحسان إلى خلق الله ، بما أوجب ، للفقير على الغني ، من إخراج جزء نزر من ماله في السَّنة للضعفاء والمحاويج "(٨).

قال الماتريدي:" فإذا أراد الصلاة المعروفة والزكاة المعروفة، ففي الأمر بإقامة الصلاة أمر لإصلاح ما بينهم وبين ربهم، وفي الزكاة إصلاح ما بينهم وبين الخلق"(٩).

قال الشوكاني:" ثم أمرهم بما هو أعظم الأركان الإسلامية فقال: {فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}، وتخصيص الخصلتين بالذكر لمزيد شرفهما"(١٠).

قوله تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ} [الحج : ٧٨]، أي:" والجؤوا إلى الله سبحانه وتعالى، وتوكلوا عليه"(١١).

قال الكلبي:أي: "بتوحيد الله"(١٢).

قال الحسن:" بدين الله، فهو اعتصامكم بالله"(١٣).

قال مقاتل:" يقول: وثقوا بالله"(١٤).

قال الربيع بن انس:" الاعتصام: هو الثقة بالله"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٥٧/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون:٤٣/٤.

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(١٩٥١):ص٤١١/٢.

(٤) انظر: غريب القرآن:٢٩٥.

(٥) اخرجه يحيى بن سلام عن قتادة في التفسير:٣٩١/١.

(٦) صفوة التفاسير:٢٧٥/٢.

(٧) تفسير الطبري:٦٩٤/١٨.

(٨) تفسير ابن كثير:٤٥٧/٥.

(٩) تأويلات أهل السنة:٤٤٩/٧.

(١٠) فتح القدير:٥٥٧/٣.

(١١) التفسير الميسر:٢٧٥/٢.[بتصرف]

(١٢)حكاه عنه يحيى ين سلام في التفسير:٣٩١/١.

(١٣)حكاه عنه يحيى ين سلام في التفسير:٣٩١/١.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٤٠/٣.

قال ابن عباس:" سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يسخط ويكره"[٢].
قال الطبري:" يقول: وثقوا بالله، وتوكلوا عليه في أموركم"[٣].
قال ابن كثير:" أي : اعتضدوا بالله، واستعينوا به ، وتوكلوا عليه ، وتَأَيَّدوا به"[٤].
قال الشوكاني:" أي: اجعلوه عصمة لكم مما تحذرون، والتجئوا إليه في جميع أموركم، ولا تطلبوا ذلك إلا منه"[٥].
قال السمعاني:: أي: "تمسكوا بدين الله، ويقال معناه: ادعوا الله، قول ثالث: أن الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة"[٦]، و«الاعتصام»: هو الامتناع بالشيء مما يخاف، فالاعتصام بالله: هو الامتناع بطاعته من كل ما يخاف عاجلا، وآجلا"[٧].
قال القشيري:" «الاعتصام بالله»: التبري من الحول والقوة، والنهوض بعبادة الله بالله لله. ويقال الاعتصام بالله التمسك بالكتاب والسنة. ويقال الاعتصام بالله حسن الاستقامة بدوام الاستعانة"[٨].
قوله تعالى:{هُوَ مَوْلَاكُمْ} [الحج : ٧٨]، أي:" فهو تعالى وليكم وناصركم وحافظكم"[٩].
قال يحيى:" وليكم"[١٠].
قال السمعاني:" أي: حافظكم"[١١].
قال القشيري:" سيدكم وناصركم والذي لا خلف عنه"[١٢].
قال الشوكاني:" أي: ناصركم ومتولي أموركم دقيقها وجليلها"[١٣].
قال الحسن: "هو مولى كل من تولاه بالطاعة"[١٤].
قوله تعالى:{فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الحج : ٧٨]، أي:" فهو تعالى نِعْمَ المولى لمن تولاه، ونعم النصير لمن استنصره"[١٥].
قال الماوردي:" أي: فنعم المولى حين لم يمنعكم الرزق لما عصيتموه ، ونعم النصير حين أعانكم لما أطعتموه"[١٦].
قال أبو الليث:" يعني: نعم الحافظ، ونعم المانع لكم برحمته"[١٧].
قال ابن كثير:" أي : حافظكم وناصركم ومُظفركُم على أعدائكم، نعم الولي ونعم الناصر من الأعداء "[١٨].
قال الشوكاني:" أي: لا مماثل له في الولاية لأموركم والنصرة على أعدائكم"[١٩].
قال يحيى:" وعدهم النصر على أعدائه المشركين"[١].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(٦١٦١):ص١٠٩٩/٤.
(٢) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٨٢/٣.
(٣) تفسير الطبري:٦٩٤/١٨.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٥٧/٥.
(٥) فتح القدير:٥٥٧/٣.
(٦) تفسير السمعاني:٤٥٩/٣-٤٦٠.
(٧) تفسير السمعاني:٤٩٥/١.
(٨) لطائف الإشارات:٥٦٦/٢.
(٩) بحر العلوم"تفسير السمرقندي":٤٧٢/٢.
(١٠) تفسير يحيى ين سلام:٣٩١/١.
(١١) تفسير السمعاني:٤٦٠/٣.
(١٢) لطائف الإشارات:٥٦٦/٢.
(١٣) فتح القدير:٥٥٧/٣.
(١٤) حكاه عنه الماتريدي في تاويلات أهل السنة:٤٤٩/٧.
(١٥) التفسير الميسر:٢٧٥/٢.
(١٦) النكت والعيون:٤٣/٤.
(١٧) بحر العلوم:٤٧٢/٢.
(١٨) تفسير ابن كثير:٤٥٧/٥.
(١٩) فتح القدير:٥٥٧/٣.

فوائد الآيتين:[٧٧-٧٨]:
١- فضيلة الصلاة وشرف العبادة وفعل الخير.
٢- مشروعية السجود عند تلاوة هذه الآية: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : ٧٧].
٣- فضل الجهاد في سبيل الله وهو جهاد الكفار، وان لا تأخذ المؤمن في الله لومة لائم.
٤- فضيلة هذه الأمة المسلمة.
٥- فرضية الصلاة، والزكاة، والتمسك بالشريعة.

«آخر تفسير سورة (الحج)، والحمد لله وحده»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة «المؤمنون»

سورة «المؤمنون»: هي السورة «الثالثة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الأنبياء»[٢]، وقيل: نزلت بعد سورة: «الطور» وقبل سورة: «تبارك الذي بيده الملك»[٣].

وعدد وآياتها مائة وسبع عشرة في عد الجمهور. وعدها أهل الكوفة مائة وثمان عشرة[٤]، وكلماتها: ألف ومائتان وأربعون. وحروفها: أربعة آلاف وثمانمائة وواحد[٥].

قال ابن عاشور:" فالجمهور عدوا: {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)} [المؤمنون : ١٠ - ١١] آية، وأهل الكوفة عدوا : {أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} [المؤمنون : ١٠] آية، وما بعدها آية أخرى"[٦].

ومجموع فواصل آياتها: «من»[٧].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة المؤمنون»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة المؤمنون»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.

وردت هذه التسمية في عهد الرسول-ﷺ-، كما روي:

- عن عبد الله بن السائب، قال: " حضرت رسول الله ﷺ يوم الفتح وصلى في قبل الكعبة، فخلع نعليه، فوضعهما عن يساره، ثم استفتح سورة المؤمنين، فلما جاء ذكر عيسى أو موسى أخذته سعلة فركع "[٨].
- عن ابن عباس:"نزلت بمكة سورة المؤمنين"[٩].

---

(١) تفسير يحيى ين سلام:٣٩١/١.
(٢) انظر: الكشاف:١٧٤/٣.
(٣) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨.
(٤) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨.
(٥)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.
(٦) التحرير والتنوير:٦/١٨.
(٧)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.
(٨) أخرجه احمد(١٥٣٩٧):ص١١٨/٢٤، ابن حبان (٢١٨٩)، النسائي في "المجتبى" ١٧٦/٢، وفي "الكبرى" (١٠٧٩) ، والفاكهي مختصرا في "أخبار مكة" (٢٩٠).
(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٨٢/٦، وعزاه غلى ابن مردويه.

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة المؤمنون» على اعتبارين[1]:

أحدهما: إضافة السورة إلى «المؤمنين»، لافتتاحها بالإخبار عنهم بأنهم أفلحوا.

الثاني: سميّت بذلك، على حكاية لفظ «المؤمنون» الواقع أولها في قوله تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١]، فجعل ذلك اللفظ تعريفا للسورة.

- **ثانيا:- اسمائها الإجتهادية:**

١- سورة«قد أفلح»:

سميت بسورة «قد افلح»، من باب تسمية السورة بأول جملة افتتحت بها"[2]، وقد وردت هذه التسمية عند بعض أهل العلم، منها:

- قال ابن القاسم: «أخرج لنا مالك مصحفا لجده فتحدثنا أنه كتبه على عهد عثمان بن عفان وغاشيته من كسوة الكعبة فوجدنا..» إلى أن قال: «وفي :"قد أفلح" كلها الثلاث لله»، أي: خلافا لقراءة: {سَيَقُولُونَ لِلهِ} [المؤمنون : ٨٥]"[3].
- قال أبو بكر النيسابوري: «قرأ حفص عن عاصم {قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [٤٠] وفي سورة:«قد أفلح» مثله. وقرأ الباقون {مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ} غير منون في السورتين»[4].
- قال **أبو أحمد السامري:«** ومن سورة: **"قد أفلح"** : {خَرْجًا } [المؤمنون : ٧٢]، يعني: جُعلا،بيئ بغير ألف بلغة حمير، وخراجا بلغة قريش**»[5].**

وكذا سماها بعض المفسرين، مثل الزمخشري[6]، والفخر الرازي[7]، وابن المختار الرازي[8]،وأبي الشامة[9]، والسمين الحلبي[10]، وابن عرفة[11].

٢- سورة«قد أفلح المؤمنون»:

وردت بسورة«قد أفلح المؤمنون»، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت بها.

روي عن عكرمة عن ابن عباس قال: "ما ابتلي أحد بهذا الدين فقال به كله إلا إبراهيم: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُن}[12]، قلت له: وما الكلمات التي ابتلي إبراهيم بهن فأتمهن؟ قال: الإسلام ثلاثون سهما منها عشر آيات في «براءة»: {التَّائِبُونَ الْعَابِدُون}[13] إلى آخر الآية. وعشر آيات في أول سورة: «قد أفلح المؤمنون»، {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}[14]، وعشر آيات في «الأحزاب»: {إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَات}[15]، إلى آخر الآية. فأتمهن كلهن، فكتب له براءة، قال الله: {وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}[16]"[17].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير:٥/١٨.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٦١٥/٥. وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية وابن عساكر. وسيأتي في فضائل السورة. إن شاء الله.

(٣) التحرير والتنوير:٥/١٨.

(٤) المبسوط في القراءات العشر(٥):ص٢٣٩ .

(٥) اللغات في القرآن:٣٨.

(٦) انظر: الكشاف:٢٠٧/٣.

(٧) انظر: مفاتيح الغيب: ٣٠٠/٢٣.

(٨) انظر: كتاب حجج القرآن:١٢.

(٩) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني:١٤٤.

(١٠) انظر: الدر المصون:٣٢٤/٦.

(١١) انظر: تفسير ابن عرفة:٧٦٤/٢.

(١٢)[البقرة : ١٢٤].

(١٣)[التوبة : ١١٢].

(١٤)[المعارج : ١].

(١٥)[الأحزاب : ٣٥].

(١٦)[النجم : ٣٧].

(١٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٦):ص٢٢٠/١.

وقد وردت هذه التسمية عند بعض العلماء، مثل: الواحدي[١]، والفخر الرازي[٢]، والسخاوي[٣]، وأبي الشامة[٤]، والقرطبي[٥]، وأبو حيان[٦]، وابن كثير[٧]، وغيرهم.

٣- سورة«الفلاح»:

جاء في "التحرير" تسميتها بسورة: « الفلاح»، وذلك دون نسبتها إلى قائل.

قال ابن عاشور:" ويسمونها أيضا: سورة «الفلاح»"[٨].

كما وردت هذه التسمية عند الشنقيطي[٩]، والشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم[١٠].

وهذه التسميات تبقى إجتهادية، ولم تثبت عن رسول الله-ﷺ-. والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. وهذا قول ابن عباس[١١]، ومقاتل[١٢]، ويحيى بن سلام[١٣]، والسمرقندي[١٤]، وابن ابي زمنين[١٥]، والثعلبي[١٦]، ومكي بن أبي طالب[١٧]، والواحدي[١٨]، والسمعاني[١٩]، والبغوي[٢٠]، والزمخشري[٢١]، وغيرهم.

قال ابن الجوزي والقرطبي:" سورة المؤمنين مكية في قول الجميع"[٢٢].

قال الفيروزآبادي: "السورة مكّيّة إِجماعا"[٢٣].

الثاني: أنها مكية، إلا قوله:{حَتَّى إِذا أَخَذْنا مُتْرَفِيهِمْ} [المؤمنون: ٦٤] إلى قوله سبحانه: {مُبْلِسُونَ} [المؤمنون: ٧٧]. ذكره في الإتقان[٢٤].

قال الألوسي:" واستشكل الحكم على ما عداه بكونه مكيا لما فيه من ذكر الزكاة وهي إنما فرضت بالمدينة، وأجيب بأنه بعد تسليم أن ما ذكر فيه يدل على فرضيتها يقال: إن الزكاة كانت واجبة بمكة والمفروض بالمدينة ذات النصب"[٢٥].

- **مناسبة سورة«المؤمنون» مع سورة «الحج»:**

تظهر مناسبة هذه السورة لما قبلها من النواحي الآتية:

---

(١) انظر: اسباب النزول:٣٢١.
(٢) انظر: مفاتيح الغيب: ٦٦٢/٢٧.
(٣)انظر: جمال القرآء:١٠٨/١ .
(٤) انظر: إبراز المعاني من حرز الأماني:٥١٣.
(٥) انظر: تفسير القرطبي:٢٩١/١٨.
(٦) انظر: البحر المحيط:٢٧٦/١٠.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير:٣٠/١، ٢٨٥، ٢٤١/٨، ٢٤٢.
(٨) التحرير والتنوير:٥/١٨.
(٩) انظر: أضواء البيان:١٨٣/٢.
(١٠) انظر: تفسير القرآن الكريم، (٥/١٤٩، ١٥)[دروس صوتية].
(١١) اورده السيوطي في الدر المنثور:٨٢/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥١/٣.
(١٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٩٢/١.
(١٤) انظر: بحر العلوم:٤٧٣/٢.
(١٥) اظر: تفسير الن ابي زمنين:١٩٣/٣.
(١٦) انظر: الكشف والبيان:٣٧/٧.
(١٧) انظر: الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٤١/٧.
(١٨) انظر: التفسير الوسيط:٢٨٣/٣.
(١٩) انظر: تفسير السمعاني:٣٦٧/٣.
(٢٠) انظر: تفسير البغوي:٤٠٥/٥.
(٢١) انظر: الكشاف:١٧٤/٣.
(٢٢) انظر: زاد المسير:٢٥٤/٣، وتفسير القرطبي:١٠٢/١٢
(٢٣) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٢٩.
(٢٤) انظر: الإتقان في علوم القرىن:٦١/١.
(٢٥) روح المعاني:٢٠٥/٩.

١- ختمت سورة الحج بجملة من الأوامر الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، منها قوله تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الحج : ٧٧]، وهو مجمل فصل في فاتحة هذه السورة، فذكر تعالى خصال الخير التي من فعلها فقد أفلح، فقال: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١]، الآيات العشر.

٢- ذكر في أول سورة الحج قوله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ } [الحج : ٥] الآية، لإثبات البعث والنشور، ثم زاد هنا بيانا ضافيا في قوله: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣)} [المؤمنون : ١٢ - ١٣] الآيات. فما أجمل أو أوجز هناك، فصل وأطنب هنا.

٣- في كل من السورتين أدلة على وجود الخالق ووحدانيته.

٤- في السورتين أيضا ذكرت قصص بعض الأنبياء المتقدمين للعبرة والعظة، في كل زمن وعصر ولكل فرد وجيل(١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن هذه السورة تدور آيها حول محور تحقيق الوحدانية وإبطال الشرك ونقض قواعده، والتنويه بالإيمان وشرائعه، وذلك كما مبين أدناه:

١- البشارة للمؤمنين بالفلاح العظيم على ما تحلوا به من أصول الفضائل الروحية والعلمية التي بها تزكية النفس واستقامة السلوك.

٢- وصف خلق الإنسان أصله ونسله الدال على تفرد الله تعالى بالإلهية لتفرده بخلق الإنسان ونشأته ليبتدئ الناظر بالاعتبار في تكوين ذاته ثم بعدمه بعد الحياة، ودلالة ذلك الخلق على إثبات البعث بعد الممات وأن الله لم يخلق الخلق سدى ولعبا.

٣- الاعتبار بخلق السماوات ودلالته على حكمة الله تعالى.

٤- الاعتبار والامتنان بمصنوعات الله تعالى التي أصلها الماء الذي به حياة ما في هذا العالم من الحيوان والنبات وما في ذلك من دقائق الصنع، وما في الأنعام من المنافع ومنها الحمل، ومن تسخير المنافع للناس وما أوتيه الإنسان من آلات الفكر والنظر، كما ورد ذكر الحمل على الفلك فكان منه تخلص إلى بعثة نوح وحدث الطوفان.

٥- التذكير ببعثة الرسل للهدى والإرشاد إلى التوحيد والعمل الصالح، وما تلقاها به أقوامهم من الإعراض والطعن والتفرق، وما كان من عقاب المكذبين، وتلك أمثال لموعظة المعرضين عن دعوة محمد ﷺ.

٦- بيان قصص الأنبياءِ مع أممهم، وقد جاءَ فيها أن هذه الأمم لم تشكر نعم ربها بتوحيده وعبادتها، بل أشركت معه غيره من مخلوقاته، فبعث إليها رسله ليهدوهم سواء السبيل، فكذبوهم فعاقبهم الله بعذاب الاستئصال، ونجَّى منه عباده المؤمنين.

وذكرت السورة من أنباء المهلكين: قوم نوح أغرقهم الله بالطوفان، وقوم صالح أهلكهم الله بالصيحة، وفرعون وجنوده، كفروا بموسى وهرون فأغرقهم في اليم، وعقبت قصة فرعون معهما ببيان أن الله تعالى جعل ابن مريم وأمه آية، لأنه ولد منها دون أَب، وأنه تعالى آواهما إلى ربوة ذات قرار ومعين، وسيأتي بيان ذلك في الشرح.

٧- إن من شريعة الرسل وأممهم أن يأكلوا من الطيبات، ويتركوا ما حرمه الله عليهم، وأن جميع الأُمم أمة وديانة واحدة هي توحيد الله، وأصول الشرائع والأحكام - وإن اختلفت في الفروع -وأنه يجب على الناس جميعا أن يتقوه دون سواه، ولكن الناس تقطعوا دينهم وابتدعوا في دين الله ما ليس منه، وقد توعدهم الله بالعقاب على هذا التفرق في الدين الحق.

---

(١) انظر: تفسير المراغي:٣/١٨، والتفسير المنير للزحيلي:٦/١٨.

٨- مدح المؤمنين الذين يخشون ربهم ولا يشركون به، ويسبقون إلى الخيرات، وذكرت أنه تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، وإن هؤلاء المترفين الكافرين سيؤخذون بالعذاب فيجأرون مستغيثين ولا مغيث لهم ولا ناصر، لأن آياته تعالى كانت تتلى عليهم فكانوا يستكبرون ولا يؤمنون.

٩- بينت السورة أنه لو اتبع الحق أهواءَ الناس لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وأنه تعالى بعث محمدا بالقرآن إلى قريش، ومع أنه شرف لهم أعرضوا عنه، في حين أن النبي - ﷺ - لا يسألهم على تبليغ الرساله أجرًا، أن يريد إلا الإصلاح، وبينت أنه تعالى عاقبهم عقابا غير شديد في الدنيا على كفرهم، ولكنهم لم يستكينوا لربهم وما يتضرعرن، وأنه إذا فتح عليهم بابا ذا عذاب شديد فسيُبلسون ويتحيرون، وقد ذكرتهم بنعم السمع والبصر والفؤاد، وأنهم سوف يحشرون إليه بعد الموت، وبدلًا من الإيمان كفروا بالبعث وقالوا: {إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِين} [المؤمنون : ٨٣].

ثم ذكرت أن الله أمر النبي - ﷺ - أن يُجرى معهم حوارا: لمن الأرض ومن فيها؟ مَنْ رب السموات السبع ورب العرش العظم؟ مَنْ بيده ملكوت السموات والأرض وهو يُجِيرُ ولا يُجَار عليه؟ وبينت أنهم سيقولون في كل ذلك: لله، ولكنهم لا يتذكرون ولا يتعظون، بل يُصِرّون على الإشراك، وذكرت أن الموت إذا جاءَهم فسيندمون على تقصيرهم، فيطلبون الرجوع إلى الحياة الدنيا ليعملوا صالحا، وأنه لا سبيل إلى إجابة ملتمسهم

١٠- بينت السورة أحوال الناس يوم القيامة، فمن ثقلت موازينه بالعمل الصالح فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه بسبب العمل السيء والكفر، فهم {فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣) تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}[المؤمنون : ١-٣-١٠٤]، وبينت أنهم يعترفون ويقولون: {رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧)} [المؤمنون : ١١٠٧]، وأنه تعالى يجيبهم بقوله: {قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}[المؤمنون :١٠٨-١١١].

١١- بيان أنه تعالى لم يخلق عباده عبثا، وأنهم سيرجعون إليه للحساب والجزاء، وبينت أن مَن يدعو مع الله إلها آخر فحسابه عنيف عند ربه، قال تعالى: {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦) وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)} [المؤمنون : ١١٥ - ١١٧].

١٢- ختمت السورة بأمر النبيء ﷺ أن يغض عن سوء معاملتهم ويدفعها بالتي هي أحسن، ويسأل المغفرة للمؤمنين، وذلك هو الفلاح الذي ابتدئت به السورة[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن عمر بن الخطاب قال: " كان إذا نزل على رسول الله - ﷺ - الوحى يسمع عند وجهه كدوى النحل، فمكثنا ساعة، فاستقبل القبلة، ورفع يديه فقال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وارضنا، ثم قال: لقد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ علينا: {قد أفلح المؤمنون} حتى ختم العشر"[٢].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير:٦/١٨-٧، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث:١٢٦٣/٦-١٢٦٥

(٢)أخرجه أحمد (٣٤/١، رقم ٢٢٣) ، والترمذى (٣٢٦/٥، رقم ٣١٧٣) ، والنسائى فى الكبرى (٤٥٠/١، رقم ١٤٣٩) ، والعقيلى (٤٦٠/٤، ترجمة ٢٠٩٢) ، والحاكم (٤٢٥/٢، رقم ٣٤٧٩) وقال: صحيح الإسناد. والضياء (٣٤١/١، رقم ٢٣٤) وقال: إسناده ضعيف.

- عن ابيّ بن كعب، عن رسول الله-ﷺ-:«من قرأ سورة المؤمنين بشرته الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت»[١].
- عن أنس قال:" قال رسول الله - ﷺ -: خلق الله جنة عدن وغرس أشجارها بيده وقال لها: تكلمي، فقالت: {قد أفلح المؤمنون}"[٢].
- وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى حاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وغرس غرسها بيده فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فقال لها: طوبى لك منزل الملوك»[٣].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن
{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١)} [المؤمنون : ١]
التفسير:
قد فاز المصدِّقون بالله وبرسوله العاملون بشرعه.

وأخرجه أيضا: عبد بن حميد (ص ٣٤، رقم ١٥) ، والبزار (٤٢٧/١، رقم ٣٠١).
ومداره على يونس بن سليم، وهو مجهول، فالإسناد ضعيف، وصوب الترمذي كونه من مرسل الزهري، وأنه الصحيح. ومع ذلك صححه الحاكم! لكن تعقبه الذهبي بقوله: سئل عبد الرزاق عن شيخه يونس هذا فقال: لا أظنه شيء، وقال الذهبي في «الميزان» في ترجمة يونس: حدث عنه عبد الرزاق، ولم يعتمده في الرواية. وأعله العقيلي به، وقال: لا يتابع عليه، ولا يعرف إلا به. وقال النسائي: هذا حديث منكر. انظر «أحكام القرآن» ١٥٢٢.

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٣٧/٧، والواحدي في التفسير الوسيط(٦٤٢):ص٢٨٣/٣، وذكره المستغفري في فضائل القرآن(١١٩٠):ص٧٨٠/٢، والزمخشري في الكشاف:٢٠٧/٣. والحديث موضوع.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٨٢/٦، وعزاه إلى ابن عدي والحاكم والبيهقي في الأسماء والصفات. وقال:" وأخرج الطبراني في السنة وابن مردويه من حديث ابن عباس مثله".

(٣)ضعيف. أخرجه البزار ٣٥٠٨ وأبو نعيم في «حلية الأولياء» ٦/ ٢٠٤ وفي «صفة الجنة» ١/ ١٣٧/ ١٤٠ والبيهقي في «البعث» ٢٣٦ من حديث أبي سعيد وضعفه البزار بقوله: لا نعلم رفعه إلا عدي بن الفضل، وليس هو بالحافظ، وكذا ضعفه البيهقي. وجاء في «الميزان» : عدي بن الفضل، قال ابن معين وأبو حاتم: متروك الحديث، وقال يحيى: لا يكتب حديثه، وقال غير واحد: ضعيف اه. فالرجل ضعيف جدا. وله شاهد: أخرجه الحاكم ٢/ ٣٩٢ والبيهقي في «الصفات» ٢/ ٤٧ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٧ من حديث أنس، وإسناده ضعيف لضعف علي بن عاصم الواسطي. وذكره الذهبي في «الميزان» بهذا الحديث وحديث آخر، وقال: هذان باطلان اه. والحديث صححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: بل ضعيف اه. وله شاهد من حديث ابن عباس، أخرجه الطبراني في ١١٤٣٩ وفي «الأوسط» ٤٧٦ وأبو نعيم في «صفة الجنة» ١٦.
وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» ٥٤٦٨: رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد.
وتبعه على ذلك الهيثمي في «المجمع» ١٨٦٣٩، وأما ابن كثير- رحمه الله- فأعله بضعف رواية بقية عن الحجازيين والمعروف أن إسماعيل بن عياش هو الذي بهذه الصفة، وإنما علة الحديث هي أن بقية مدلس، وقد عنعن، قال أحمد: توهمت أن بقية، لا يحدث المناكير إلا عن المجاهيل، فإذا هو يحدث المناكير عن المشاهير.
وللحديث علة أخرى ابن جريج أيضا مدلس، وقد عنعن، لكن الحمل فيه على بقية أولى. والله أعلم.
تنبيه: وقع في الأوسط تصريح بقية بالتحديث، وهو خطأ من شيخ الطبراني أو من هشام بن خالد فإنه كان يجعل ما رواه بقية ب «عن» «حدثنا» توهما، راجع ذلك في الميزان، وانظر «تفسير ابن كثير» ٣/ ٢٩٩ والشوكاني ١٦٨٩.

سبب النزول:

عن عبد الرحمن بن عبد القاري، قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: "كان إذا أنزل الوحي على رسول الله ﷺ يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل، فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه قال: اللهم زدنا ولا تنقصنا، وأكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وأرضنا وارض عنا، ثم قال: لقد أنزلت علينا عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، إلى عشر آيات "(١).

قال الطبري:يعني: " قد أدرك الذين صدّقوا الله ورسوله محمدًا ﷺ، وأقرّوا بما جاءهم به من عند الله، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات، الخلود في جنَّات ربهم وفازوا بطلبتهم لديه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : قد فازوا وسُعِدُوا وحَصَلوا على الفلاح ، وهم المؤمنون المتصفون بهذه الأوصاف"(٣).

قال مقاتل:" يعني سعد المصدقين بتوحيد الله- عز وجل-"(٤).

قال يحيى:" قد سعد المؤمنون، والسعداء أهل الجنة"(٥).

قال ابن عباس:" قد فاز المؤمنون وسعدوا يوم القيامة"(٦).

عن قتادة، قال كعب: "لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة: خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها: تكلمي! فقالت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ}، لما علمت فيها من الكرامة"(٧).

القرآن

{الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)} [المؤمنون : ٢]

التفسير:

الذين من صفاتهم أنهم في صلاتهم خاشعون، تَفْرُغُ لها قلوبهم، وتسكن جوارحهم.

سبب النزول:

عن أبي هريرة، :"أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزل: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ}"(٨).

---

(١)إسناده ضعيف: يونس بن سليم: قال أبو حاتم: قال أحمد بن حنبل: سألت عبد الرزاق عنه فقال: أظنه لا شيء، وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن يحيى بن معين: ما أعرفه يروي عنه غير عبد الرزاق، وقال النسائي: لا أعرفه وذكره ابن حبان في الثقات [تهذيب الكمال ج ٣/ ١٥٦٧ مخطوط] والحديث أخرجه الترمذي في التفسير (٣١٧٣) .

والنسائي في الصلاة في (الكبرى) ونقل عنه المزي في تحفة الأشراف قوله: هذا منكر (انظر تحفة الأشراف رقم ١٠٥٩٣) .

وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٥) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه في موضع آخر (٢/ ٣٩٢) وقال الذهبي: سئل عبد الرزاق عن شيخه فقال: لا أظنه شيء، وأخرجه البيهقي في الدلائل (٥/ ٥٥) مختصرا.

وأخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند وفي تصحيحه نظر والله أعلم، وزاد السيوطي نسبته (٥/ ٢) لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر والعقيلي والضياء في المختارة.

(٢) تفسير الطبري:٦٩٤/١٨.

(٣) تفسير ابن كثير:٤٦١/٥.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.

(٥) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٢/١.

(٦) مسائل نافع بن الازرق((٢٢) ف ل ح [أفلح]):ص٥٠.

(٧) اخرجه الطبري:٦٩٤/١٨.

(٨)أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين لولا خلاف فيه على محمد فقد قيل عنه مرسلا ولم يخرجاه.

وقال الذهبي: الصحيح مرسل. أ. هـ.

وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣) لابن مردويه والحاكم.

وقال محمد بن سيرين:" كان أصحاب رسول الله ﷺ يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء، حتى نزلت: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ} فقالوا: بعد ذلك برءوسهم هكذا"[١].

قال مقاتل:" يقول: متواضعون، يعني: إذا صلى لم يعرف من عن يمينه ومن عن شماله"[٢].

قال الطبري:يقول: " الذين هم في صَلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون، وخشوعهم فيها تذللهم لله فيها بطاعته، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها"[٣].

عن أبي عبيدة أن عبد الله بن مسعود :"كان إذا قام في الصلاة خفض فيها بصره، ويديه وصوته"[٤].

وفي المراد بالخشوع في الصلاة خمسة أقوال:

أحدها: أنه النظر إلى موضع السجود.

عن أبي هريرة، :"أن رسول الله ﷺ كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء، فنزل: {الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ}"[٥]. وإلى هذا المعنى ذهب مسلم بن يسار[٦]، وقتادة[٧].

الثاني: أنه ترك الالتفات في الصلاة، وأن تلين كنفك للرجل المسلم، قاله علي بن أبي طالب[٨].

الثالث: أنه السكون في الصلاة، قاله مجاهد[٩]، وإبراهيم[١٠]، والزهري[١١].

وقال مجاهد: "كان أهل العلم يكرهون إذا قام الرجل في صلاته أن يعبث بشيء من هكذا يديه، أو يلتفت، أو يهتم بشيء من أمر الدنيا"[١٢].

الرابع: خاضعون ، وهو قول ابن عيسى[١٣].

الخامس: أنه الخوف، قاله الحسن[١٤].

وقال ابن عباس:" خائفون ساكنون"[١٥].

قال الحسن:" الخشوع: الخوف الثابت في القلب"[١٦].

قال الحسن:" كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك البصر وخفضوا به الجناح"[١٧].

قال الزجاج:" أصل الخشوع في اللغة: الخضوع والتواضع، ودليل ذلك قوله: {وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا} [طه : ١٠٨]"[١٨].

قال الطبري:" الخشوع: التذلل والخضوع، ولم يكن الله تعالى ذكره دل على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر، فكان معلوما أن معنى مراده من ذلك العموم،

---

(١) أخرجه الطبري:٨/١٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(٣) تفسير الطبري:٦٩٤/١٨.
(٤) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٣/١.
(٥) سبق تخريجه في سبب نزول الآية
.
(٦) انظر: زاد المسير:٢٥٦/٣.
(٧) انظر: زاد المسير:٢٥٦/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٩/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٨/١٩، وأخرجه عنه ايضا يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٢/١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٩/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٨/١٩.
(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٢/١.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٤٥/٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٩/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:٩/١٩.
(١٦) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٢/١.
(١٧) أخرجه الطبري:٨/١٩-٩.
(١٨) معاني القرآن:٦/٤.

وتأويل الكلام على ذلك أنه: والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته، وإذا تذلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه، وشغله بفرضه وتركه ما أمر بتركه فيها"[١].

قال ابن كثير:" «الخشوع» في الصلاة إنما يحصل بمن فَرَّغ قلبه لها ، واشتغل بها عما عداها ، وآثرها على غيرها ، وحينئذ تكون راحة له وقُرَّة عين ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :«حُبِّبَ إليَّ الطِّيب والنساء ، وجعلت قرة عيني في الصلاة»[٢]"[٣].

عن سالم ابن أبي الجعد ، أن محمد بن الحنفية قال : "دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار ، فحَضَرت الصلاة ، فقال : يا جارية ، ائتني بوَضُوء لعلي أصلي فأستريح. فرآنا أنكرنا عليه ذلك، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "قم يا بلال ، فأرحنا بالصلاة"[٤].

القرآن

{وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣)} [المؤمنون : ٣]

التفسير:

والذين هم تاركون لكل ما لا خير فيه من الأقوال والأفعال.

قال الطبري: يقول:" والذين هم عن الباطل وما يكرهه الله من خلقه معرضون"[٥].

قال ابن كثير:" أي : عن الباطل ، وهو يشمل : الشرك - كما قاله بعضهم - والمعاصي - كما قاله آخرون - وما لا فائدة فيه من الأقوال والأفعال ، كما قال تعالى : { وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا } [الفرقان : ٧٢]"[٦].

قال السعدي:" وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه -إلا في الخير- كان مالكا لأمره، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين وصاه بوصايا قال: "«ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟ " قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسان نفسه وقال: «كف عليك هذا»"[٧]، فالمؤمنون من صفاتهم الحميدة، كف ألسنتهم عن اللغو والمحرمات"[٨].

وفي معنى «اللغو» هنا، أقوال:

أحدها : أن اللغو الباطل ، قاله ابن عباس[٩]، والسدي[١٠].

الثاني : أنه الكذب، حكاه يحيى بن سلام[١١].

الثالث : أنه الشرك بالله. رواه عطاء عن ابن عباس[١٢].

الرابع : أنه الحلف ، قاله الكلبي[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٩/١٩.

(٢)المسند (١٢٨/٣) وسنن النسائي (٦١١٧).

(٣) تفسير ابن كثير:٤٦١/٥.

(٤)المسند (٣٧١/٥).

(٥) تفسير الطبري:٩/١٩-١٠.

(٦) تفسير ابن كثير:٤٦٢/٥.

(٧)أخرجه الطيالسى (ص ٧٦، رقم ٥٦٠) ، وأحمد (٢٣١/٥، رقم ٢٢٠٦٩) ، والترمذى (١١/٥، رقم ٢٦١٦) ، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٣١٤/٢، رقم ٣٩٧٣) ، والحاكم (٤٤٧/٢، رقم ٣٥٤٨) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (١٣/٤، رقم ٤٢٢٥) ، والطبرانى (١٤٣/٢٠، رقم ٢٩٢).

(٨) تفسير السعدي:٥٤٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري:١٠/١٩.

(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٣/١.

(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١، وحكاه الماوردي عن ابن عباس، انظر: النكت والعيون:٤٦/٤.

(١٢) انظر: التفسير الوسيط للواحدي:٢٨٤/٣.

(١٣) انظر: النكت والعيون:٤٦/٤.

الخامس : أنه الشتم لأن كفار مكة كانوا يشتمون المسلمين فهو عن الإجابة ، قاله مقاتل[١].

قال مقاتل:" يعني اللغو: الشتم والأذى إذا سمعوه من كفار مكة لإسلامهم، وفيهم نزلت {مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا} [الفرقان : ٧٢]، يعني: معرضين عنه"[٢].

قال السمعاني:" وهذا قول حسن؛ لأن الله تعالى قال: {وإذا مروا باللغو مروا كراما} أي: إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه"[٣].

السادس : أنها المعاصي كلها ، قاله الحسن[٤].

قال الزجاج:" اللغو: كل لعب وهزل، وكل معصية فمطرحة ملغاة، وهم الذين قد شغلهم الجد فيما أمرهم الله به عن اللغو"[٥].

قال ابن قتيبة:" {اللغو}: باطل الكلام والمزاح"[٦].

قال السعدي:" هو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة"[٧].

القرآن

{وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤)} [المؤمنون : ٤]

التفسير:

والذين هم مُطَهِّرون لنفوسهم وأموالهم بأداء زكاة أموالهم على اختلاف أجناسها.

قال يحيى:" يؤدون الزكاة المفروضة"[٨].

قال الطبري: يقول:"والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدّون"[٩].

قال السعدي:" أي: مؤدون لزكاة أموالهم، على اختلاف أجناس الأموال، مزكين لأنفسهم من أدناس الأخلاق ومساوئ الأعمال التي تزكو النفس بتركها وتجنبها، فأحسنوا في عبادة الخالق، في الخشوع في الصلاة، وأحسنوا إلى خلقه بأداء الزكاة"[١٠].

قال الزجاج:" معنى :{فاعلون}، مؤتون"[١١].

وذكر الأزهري في تفسير الآية، قولان[١٢]:

أحدهما: معناه: الذين هم للعمل الصالح عاملون.

الثاني: أن «الزكاة»،: زكاة الأموال، والمعنى: الذين هم للزكاة مؤتون.

قال ابن كثير:" الأكثرون على أن المراد بالزكاة –هاهنا- زكاة الأموال، مع أن هذه الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة في سنة اثنتين من الهجرة. والظاهر أن التي فرضت بالمدينة إنما هي ذات النُّصَب والمقادير الخاصة ، وإلا فالظاهر أن أصل الزكاة كان واجبًا بمكة ، كما قال تعالى في سورة الأنعام ، وهي مكية : { وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ } [الأنعام : ١٤١]. وقد يحتمل أن يكون المراد بالزكاة هاهنا : زكاة النفس من الشرك والدنس ، كقوله : { قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا } [الشمس : ٩ ، ١٠] ، وكقوله : { وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ. الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } [فصلت : ٦ ، ٧] ، على أحد القولين في تفسيرها.

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(٣) تفسير السمعاني:٤٦٣/٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٠/١٩.
(٥) معاني القرآن:٦/٤.
(٦) غريب القرآن:٢٩٦.
(٧) تفسير السعدي:٥٤٧.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١.
(٩) تفسير الطبري:١٠/١٩.
(١٠) تفسير السعدي:٥٤٧.
(١١) معاني القرآن:٦/٤.
(١٢) انظر: تفسير الإمام الشافعي:١٠٩٦/٣. الزاهر باب (زكاة الفطر).

وقد يحتمل أن يكون كلا الأمرين مرادا ، وهو زكاة النفوس وزكاة الأموال ؛ فإنه من جملة زكاة النفوس ، والمؤمن الكامل هو الذي يتعاطى هذا وهذا ، والله أعلم"(١).

القرآن

{وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥)} [المؤمنون : ٥]

التفسير:

والذين هم لفروجهم حافظون مما حرَّم الله من الزنى واللواط وكل الفواحش.

قال يحيى:" من الزنا"(٢).

قال الزجاج:" أي: حفظون فروجهم عن المعاصي"(٣).

قال ابن كثير:"والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام ، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه من زنا أو لواط "(٤).

قال القشيري:" ابتغاء نسل يقوم بحق الله، ويقال ذلك إذا كان مقصوده التعفف والتصاون عن مخالفات الإثم"(٥).

القرآن

{إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦)} [المؤمنون : ٦]

التفسير:

إلا على زوجاتهم أو ما ملكت أيمانهم من الإماء، فلا لوم عليهم ولا حرج في جماعهن والاستمتاع بهن؛ لأن الله تعالى أحلَّهن.

قوله تعالى:{إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} [المؤمنون : ٦]، أي:" هم حافظون لفروجهم في جميع الأحوال إلا من زوجاتهم وإمائهم المملوكات"(٦).

قال ابن عباس:" يقول: رضي الله لهم إتيانهم أزواجهم، وما ملكت أيمانهم"(٧).

قال ابن كثير:أي:" ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم ، وما ملكت أيمانهم من السراري"(٨).

قال الزجاج:" فإنهم لا يلامون على ما أحل لهم من تزوج أربع، ومن ملك اليمين، والمعنى أنهم يلامون على ما سوى أزواجهم وملك أيمانهم"(٩).

قال يحيى:" إن شاء تزوج واحدة، وإن شاء تزوج اثنتين، وإن شاء ثلاثا، وإن شاء أربعا، لا يحل له ما فوق ذلك، يطأ بملك يمينه كم شاء"(١٠).

قال الشافعي:" فأطلق الله - عز وجل - ما ملكت الأيمان فلم يحد فيهم حدا ينتهي إليه، فللرجل أن يتسرى كم شاء، ولا اختلاف علمته بين أحد في هذا، وانتهى ما أحل الله بالنكاح إلى أربع"(١١).

قوله تعالى:{فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ} [المؤمنون : ٦]، أي:" فإنهم غير مؤاخذين"(١٢).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٦٢/٥.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١.
(٣) معاني القرآن:٦/٤.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٦٢/٥.
(٥) لطائف الإشارات:٥٦٨/٢.
(٦) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٧) أخرجه الطبري:١١/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٦٢/٥.
(٩) معاني القرآن:٦/٤.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١.
(١١) تفسير الإمام الشافعي:١٠٩٩/٣.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.

قال يحيى:" في أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، لا لوم عليهم في ذلك، أي لا إثم عليهم"[١].

قال ابن كثير:" ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج "[٢].

قال الطبري:" يقول: فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجه، وملك يمينه، وحفظه عن غيره من الخلق، فإنه غير مُوَبَّخٍ على ذلك، ولا مذمومٍ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه"[٣].

القرآن

{فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧)} [المؤمنون : ٧]

التفسير:

فمن طلب التمتع بغير زوجته أو أمَتِه فهو من المجاوزين الحلال إلى الحرام، وقد عرَّض نفسه لعقاب الله وسخطه.

قوله تعالى:{فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ} [المؤمنون : ٧]، أي:" فمن طلب غير الزوجات والمملوكات"[٤].

قال مقاتل:" يقول: فمن ابتغى الفواحش بعد الحلال"[٥].

قال يحيى:" وراء أزواجه أو ما ملكت يمينه"[٦].

قال ابن كثير:" أي : غير الأزواج والإماء"[٧].

قال الطبري:" يقول: فمن التمس لفرجه مَنكَحًا سوى زوجته، وملك يمينه"[٨].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ} [المؤمنون : ٧]، أي:"فأولئك هم المعتدون المجاوزون الحدَّ في البغي والفساد"[٩].

قال مقاتل:" فهو معتد"[١٠].

قال ابن كثير:" أي: المعتدون"[١١].

قال الطبري:" يقول: فهم العادون حدود الله، المجاوزون ما أحل الله لهم إلى ما حَرّم عليهم"[١٢].

قال يحيى:" الزناة، تعدوا الحلال إلى الحرام"[١٣].

عن ابن زيد، قوله: "{فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}، قال: الذين يتعدّون الحلال إلى الحرام"[١٤].

قال ابو عبدالرحمن:" من زنى فهو عاد"[١٥].

قال ابن عباس:" نهاهم الله نهيا شديدا، فقال: {فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ}، فسمى الزاني من العادين"[١٦].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٦٢/٥.
(٣) تفسير الطبري:١٠/١٩.
(٤) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٦٢/٥.
(٨)تفسير الطبري:١١/١٩ .
(٩) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(١١) تفسير ابن كثير:٤٦٢/٥.
(١٢) تفسير الطبري:١١/١٩.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١.
(١٤) أخرجه الطبري:١١/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:١١/١٩.
(١٦) اخرجه الطبري:١١/١٩.

القرآن
{وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨)} [المؤمنون : ٨]
التفسير:
والذين هم حافظون لكل ما اؤتمنوا عليه، موفُّون بكل عهودهم.
قال مقاتل:" يقول: يحافظون على أداء الأمانة ووفاء العهد"(١).
قال يحيى:" يؤدون الأمانة ويوفون بالعهد"(٢).
قال الطبري:يقول:" {وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ} التي ائتمنوا عليها {وَعَهْدِهِمْ} وهو عقودهم التي عاقدوا الناس {رَاعُونَ}، يقول: حافظون لا يضيعون، ولكنهم يوفون بذلك كله"(٣).
قال الزجاج:" أي: يرعون العهد والأمانة ويحافظون عليها. وكل محافظ على شيء فهو مراع له. والإمام راع لرعيته"(٤).
قال ابن كثير:" أي : إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، بل يؤدونها إلى أهلها ، وإذا عاهدوا أو عاقدوا أوفوا بذلك ، لا كصفات المنافقين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ : «آية المنافق ثلاث : إذا حَدَّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان»(٥)"(٦).
وقال سهل بن عبدالله:" باطنها أمانة النفس، لأنها سر الله عند عباده، يسارهم بمعلومه فيها خواطرا وهمما، ويسارونه بالافتقار واللجأ إليه، فإذا سكن القلب إلى ما خطر عليه من وسوسة العبد وبأدنى شيء ظهر إلى الصدر، ومن الصدر إلى الجسد، فيكون قد خان في أمانة الله، وعهده والإيمان"(٧).
وقرأ ذلك ابن كثير: «لأمانَتِهِم»، على الواحدة(٨).

القرآن
{وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩)} [المؤمنون : ٩]
التفسير:
والذين هم يداومون على أداء صلاتهم في أوقاتها على هيئتها المشروعة، الواردة عن النبي ﷺ.
قال مسلم بن صبيح:" أقام الصلاة لوقتها"(٩).
قال مسروق:" على ميقاتها"(١٠).
قال مقاتل:" على المواقيت"(١١).
قال الطبري:" يقول: والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون، فلا يضيعونها ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها"(١٢).
وروي عن إبراهيم: "{عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ}، قال: دائمون، قال: يعني بها المكتوبة"(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٣/١.
(٣) تفسير الطبري:١١/١٩.
(٤) معاني القرآن:٢٢٣/٥.
(٥)رواه البخاري (٢٦٨٢، ٢٧٤٩) ، ومسلم (الإيمان / ١٠٧، ١٠٨).
(٦) تفسير ابن كثير:٤٦٣/٥.
(٧) تفسير التستري:١٧٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١١/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:١٢/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:١٢/١٩.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(١٢) تفسير الطبري:١١/١٩-١٢.

قال ابن كثير:" أي : يواظبون عليها في مواقيتها.. وقد افتتح الله ذكر هذه الصفات الحميدة بالصلاة ، واختتمها بالصلاة ، فدل على أفضليتها"[٢].

كما قال رسول الله ﷺ : «استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»[٣].

قال ابن مسعود :«سألت النبي ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أيّ العمل أحب إلى الله ؟ قال : "الصلاة على وقتها". قلت : ثم أيّ ؟ قال : "بِرُّ الوالدين". قلت : ثم أي ؟ قال: "الجهاد في سبيل الله»[٤].

القرآن

{أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠)} [المؤمنون : ١٠]

التفسير:

هؤلاء المؤمنون هم الوارثون الجنة.

قال الطبري:" يقول: هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة"[٥].

قال ابن كثير:" فالمؤمنون يرثون منازل الكفار ؛ لأنهم كلهم خلقوا لعبادة الله تعالى، فلما قام هؤلاء المؤمنون بما وجب عليهم من العبادة ، وترَكَ أولئك ما أمِرُوا به مما خُلقوا له - أحرزَ هؤلاء نصيب أولئك لو كانوا أطاعوا ربهم عز وجل ، بل أبلغ من هذا أيضًا ، وهو ما ثبت في صحيح مسلم ، عن أبي بُردَةَ ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : "يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال ، فيغفرها الله لهم ، ويضَعُها على اليهود والنصارى»[٦].

وفي لفظ له : قال رسول الله ﷺ : «إذا كان يوم القيامة دَفَعَ الله لكل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا ، فيقال: هذا فَكَاكُكَ من النار". فاستحلف عُمر بن عبد العزيز أبا بُردَةَ بالله الذي لا إله إلا هو ، ثلاث مرات ، أن أباه حَدَّثه عن رسول الله ﷺ ، قال : فحلف له»[٧]"[٨].

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : "قال رسول الله ﷺ : "ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ومنزل في النار ، فإن مات فدخل النار وَرِثَ أهل الجنة منزله ، فذلك قوله : { أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ }"[٩].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري:١٢/١٩.

(٢) تفسير ابن كثير:٤٦٣/٥-٤٦٤.

(٣)جاء من حديث ثوبان : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٧) من طريق سفيان عن منصور عن ابن أبي الجعد عنه به وفيه انقطاع. ومن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٨) من طريق المعتمر عن ليث عن مجاهد عنه به ، وليث بن أبي سليم ضعيف. ومن حديث أبي أمامة : رواه ابن ماجه في السنن برقم (٢٧٩) من طريق إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عنه به ، وضعفه البوصيري في الزوائد.

(٤)صحيح البخاري برقم (٥٩٧٠) وصحيح مسلم برقم (٨٥)، ورواه الحاكم في المستدرك (١٨٨/١)، وقال: "فقد صحت هذه اللفظة باتفاق الثقتين بندار بن بشار ، والحسن بن مكرم على روايتهما عن عثمان بن عمرو ، وهو صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٥) تفسير الطبري:١١/١٩-١٢.

(٦)) صحيح مسلم برقم (٢٧٦٧).

(٧)صحيح مسلم برقم (٢٧٦٧).

(٨) تفسيرا بن كثير:٤٦٤/٥-٤٦٥.

(٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٦٤/٥، ورواه ابن ماجه في السنن برقم (٤٣٤١) عن أبي بكر بن أبي شيبة وأحمد بن سنان ، كلاهما عن أبي معاوية به. وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٧/٣) : "هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين".

{الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)} [المؤمنون : ١١]

التفسير:

الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً، هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ} [المؤمنون : ١١]، أي:" الذين يرثون أعلى منازل الجنة وأوسطها، وهي أفضلها منزلاً"(١).

وفي تفسير:«الْفِرْدَوْسِ»، أقوال:

أحدها : أن «الفردوس»: أفضل الجنة وأوسطها، قاله قتادة(٢).

قال قتادة:" الفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها"(٣).

وعن أبي أمامة الباهلي، قال: " الفردوس: هي سرة الجنة "(٤).

الثاني : أن «الفردوس»: ربوة الجنة العليا التي هي أوسطها وأحسنها. رواه سمرة بن جندب مرفوعا(٥).

عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: " الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين مسيرة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة، والفردوس من فوقها، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس"(٦).

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : "إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس ، فإنه أعلى الجنة وأوسط الجنة ، ومنه تفجر أنهار الجنة ، وفوقه عرش الرحمن"(٧).

عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال " إن في الجنة مئة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلى الجنة وأوسطها، وفوقها عرش الرحمن، ومنها تفجر أنهار الجنه، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس"(٨).

وقال كعب:" ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس، وفيها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر"(٩).

الثالث : أنه «البستان» باللغة الرومية ، قاله مجاهد(١٠).

وقال مقاتل:" يعنى البستان عليه الحيطان، بالرومية"(١١).

الرابع : أنه «البستان» الذي يجمع كل ما يكون في البساتين، قاله الزجاج(١٢).

الخامس : أنه «البستان» الذي فيه الأعناب ، قاله كعب(١٣).

قال ابن كثير:" وقال بعض السلف : لا يسمى البستان فردوسًا إلا إذا كان فيه عنب ، فالله أعلم"(١٤).

قوله تعالى:{هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [المؤمنون : ١١]، أي:" هم فيها خالدون، لا ينقطع نعيمهم ولا يزول"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٢.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٣٠/١٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٣٠/١٨.
(٤) تفسير مجاهد:٤٥١.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٠٠٦):ص٢٣٩٣/٧.
(٦) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.
(٧)البخاري في صحيحه برقم (٢٧٩٠) ، (٧٤٢٣).
(٨) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.
(٩) أخرجه الطبري:١٣١/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(١٢) انظر: معاني القرآن:٣١٥/٣.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٣١/١٨.
(١٤) تفسير ابن كثير:٤٦٥/٥.

قال مقاتل:" يعنى: فى الجنة لا يموتون"[٢].
قال الطبري:" يقول: هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون، يعني ماكثون فيها أبدًا، لا يتحوّلون عنها"[٣].
فوائد الآيات:[١-١١]:
١- وجوب الخشوع في الصلاة.
٢- تحريم نكاح المتعة لأن المتمتع منها ليست زوجة لأنها لا ترث ولا تورث بخلاف الزوجة فإنها لها الربع والثمن، ولزوجها النصف والربع، لأن نكاح المتعة هو النكاح إلى أجل معين قد يكون شهراً أو أكثر أو أقل.
٣- تحريم العادة السرية وهي نكاح اليد وسحاق المرأة لأن ذلك ليس بنكاح زوجة ولا جارية مملوكة.
٤- وجوب أداء الزكاة ووجوب حفظ الأمانات ووجوب الوفاء بالعهود ووجوب المحافظة على الصلوات.
٥- تقرير حكم التوارث بين أهل الجنة وأهل النار فأهل الجنة يرثون منازل أهل النار وأهل النار يرثون منازل أهل الجنة اللهم اجعلنا من الوارثين الذين يرثون الفردوس.
القرآن
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (١٢)} [المؤمنون : ١٢]
التفسير:
ولقد خلقنا آدم من طين مأخوذ من جميع الأرض.
قال الزجاج:" يعني: ولد آدم"[٤].
وفي تفسير الآية قولان:
أحدهما : آدم استل من طين، وهذا قول قتادة[٥].
قال قتادة:" استلّ آدم من طين، وخُلقت ذرّيته من ماء مهين"[٦].
قال يحيى:" السلالة : النطفة تنسل من الرجل، وكان بدء ذلك من طين، خلق الله آدم من طين، ثم جعل نسله بعد من سلالة من ماء مهين، ضعيف، يعني: النطفة"[٧].
قال الطبري:" السلالة: هي المستلة من كلّ تربة، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض"[٨].
قال الماوردي:" وقيل : لانه اسْتُلَ من قِبَل ربه"[٩].
الثاني : أن المعني به: كل إنسان، لأنه يرجع إلى آدم الذي خلق من سلالة من طين ، قاله ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١].
عن ابن عباس: "{مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ}، قال: صفوة الماء"[١٢].
قال مجاهد:" من منيّ آدم"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٢/٣.
(٣) تفسير الطبري:١٤/١٩.
(٤) معاني القرآن:٨/٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٤/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٤/١٩.
(٧) تفسير يحيى بن سليمان:٣٩٤/١.
(٨) تفسير الطبري:١٤/١٩.
(٩) انظر: النكت والعيون:٤٨/٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٤/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٤/١٩-١٥.
(١٢) أخرجه الطبري:١٤/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:١٤/١٩-١٥.

وقال عكرمة: "هو الماء يسل من الظهر سلا"(١).
قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم، وهي صفة مائه، وآدم هو الطين؛ لأنه خُلق منه، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية؛ لدلالة قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} على أن ذلك كذلك؛ لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين إلا بعد خلقه في صلب الفحل، ومن بعد تحوّله من صلبه صار في قرار مكين؛ والعرب تسمي ولد الرجل ونطفته: سليله وسلالته. لأنهما مسلولان منه، ومن السُّلالة قول بعضهم(٢):
حَمَلَتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنفرًا ... سُلالَةَ فَرجٍ كان غيرَ حَصِين
وقول الآخر(٣):
وَهَلْ كُنْتُ إلا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً ... سُلالَةَ أفْراسٍ تجَلَلها بَغْلُ
فمن قال: سلالة جمعها سلالات، وربما جمعوها سلائل، وليس بالكثير. لأن السلائل جمع للسليل، ومنه قول بعضهم(٤):
إذا أُنْتِجَتْ مِنْها المَهارَى تَشابَهَتْ ... عَلى القَوْد إلا بالأنُوفِ سَلائلُه
وقول الراجز(٥):
يَقْذِفْنَ فِي أسْلابِها بالسَّلائِل"(٦).
قال مقاتل:" "السلالة: إذا عصر الطين انسل الطين والماء من بين أصابعه"(٧). وحكي عن الكلبي نحوه(٨).
قال السمعاتي:" قال أهل اللغة: السلالة صفوة الماء المسلول من الصلب، وقوله: {من طين} الطين ها هنا هو آدم، وعليه الأكثرون، والمراد من الإنسان ولده"(٩).
قال الزجاج الـ"«سلالة»: القليل فيما ينسل. وكل مبنى على فعالة، يراد به القليل، فمن ذلك الفضالة والنخالة والقلامة. فعلى هذا قياسه "(١٠).
قال الزمخشري:" السلالة: الخلاصة، لأنها تسل من بين الكدر، و «فعالة» بناء للقلة كالقلامة والقمامة"(١١).

---

(١) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٨٥/٣.
(٢)البيت لحسان بن ثابت (اللسان: سلل).
(٣)البيت لهند بنت النعمان (اللسان: سلل) . وروايته: "وما هند إلا مهرة"..
(٤) البيت من شواهد الطبري في التفسير:١٥/١٩، ولم اقف عليه.
(٥)كذا ورد هذا الشطر في الأصول محرفًا وحسبه المؤلف من الرجز، ويلوح لي أن هذا جزء من بيت للنابغة الذبياني نسخه بعض النساخ في بعض الكتب، ولم يفطن له المؤلف. وبيت النابغة من البحر الطويل، وهو من قصيدة له يصف الخيل في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الغساني ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، قال فيها: وَقَدْ خِفْتُ حتى مَا تَزِيدُ مَخَافَتِي ... عَلى وَعِلٍ فِي ذِي المَطَارَةِ عَاقِلِ
مَخَافَةَ عَمْرٍو أَنْ تَكُونَ جِيَادُهُ ... يُقَدْنَ إِلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَنَاعِلِ
إِذَا اسْتَعْجَلُوهَا عَنْ سَجِيَّةِ مَشْيِهَا ... تَتَلَّعُ فِي أَعْنَاقِهَا بِالجَحَافِلِ
وَيَقْذِفْنَ بِالأَوْلادِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ ... تَشَحَّطُ فِي أَسْلائِهَا كَالْوَصَائِلِ
وهذا البيت الأخير هو محل الشاهد في بحثنا وليس فيه شاهد للمؤلف على السلائل جمع السلالة، لأنها لم تذكر في البيت ولا في القصيدة كلها. وأصل تشحط: تتشحط، أي تضطرب يريد أولاد الخيل. والسلى: الجلدة التي يكون فيها الولد من الإنسان أو الحيوان إذا ولد. الوصائل الثياب الحمر المخططة. والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم، وانظر البيت في (اللسان: شحط) وفي المخصص. لابن سيده (١: ١٧) ومختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفى السقا (طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٢١١).
(٦) تفسير الطبري:١٥/١٩-١٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٣/٣.
(٨) انظر: النكت والعيون:٤٨/٤.
(٩) تفسير السمعاني:٤٦٦/٣.
(١٠) معاني القرآن:٨/٤.
(١١) الكشاف:١٧٨/٣.

قال الواحدي:" السلالة: ما يسل من الشيء، أي ينزع ويستخرج، يقال للنطفة سلالة، وللولد سليل، والمراد بالإنسان ولد آدم، وهو اسم الجنس يقع على الجميع، وقوله:{من طين}، يعني: طين آدم، و«السلالة»: إنما تولدت من طين خلق آدم"[1].

القرآن

{ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣)} [المؤمنون : ١٣]

التفسير:

ثم خلقنا بنيه متناسلين مِن نطفة: هي مني الرجال تخرج من أصلابهم، فتستقر متمكنة في أرحام النساء.

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً} [المؤمنون : ١٣]، أي:" ثم جعلنا ذرية آدم وبنيه منيّاً ينطف من أصلاب الرجال"[2].

قال مقاتل:" يعنى: ذرية آدم"[3].

قال ابن كثير:" هذا الضمير عائد على جنس الإنسان"[4].

قال ابن عطية:" «النطفة»: تقع في اللغة على قليل الماء وعلى كثيره، وهي هنا لمني ابن آدم"[5].

قوله تعالى:{فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} [المؤمنون : ١٣]، أي:" في مستقر متمكن هو الرحم"[6].

قال مقاتل:" يعني: الرحم، تمكن النطفة في الرحم"[7].

قال السمعاني:" أي: في مكان استقر فيه"[8].

قال ابن كثير:" يعني : الرحمُ مُعَد لذلك مهيأ له"[9].

قال الواحدي:" يعني: الرحم، مكن فيه الماء بأن هيئ لاستقراره فيه إلى بلوغ أمده الذي جعل له"[10].

قال الزمخشري:" القرار: المستقر، والمراد الرحم. وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها، كقولك. طريق سائر. أو بمكانتها في نفسها، لأنها مكنت بحيث هي وأحرزت"[11].

قال ابن عطية:" «القرار المكين» من المرأة هو موضع الولد، و «المكين» المتمكن فكأن القرار هو المتمكن في الرحم"[12].

القرآن

{ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)} [المؤمنون : ١٤]

التفسير:

---

(١) التفسير الوسيط:٢٨٥/٣.
(٢) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٣/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥.
(٥) المحرر الوجيز:١٣٨/٤.
(٦) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٣/٣.
(٨) تفسير السمعاني:٤٦٦/٣.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥.
(١٠) التفسير الوسيط:٢٨٥/٣.
(١١) الكشاف:١٧٨/٣.
(١٢) المحرر الوجيز:١٣٨/٤.

ثم خلقنا النطفة علقة أي: دمًا أحمر، فخلقنا العلقة بعد أربعين يومًا مضغة أي: قطعة لحم قَدْر ما يُمْضغ، فخلقنا المضغة اللينة عظامًا، فكسونا العظام لحمًا، ثم أنشأناه خلقًا آخر بنفخ الروح فيه، فتبارك الله، الذي أحسن كل شيء خلقه.

قوله تعالى:{ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً} [المؤمنون : ١٤]، أي:" ثم صيَّرنا هذه النطفة - وهي الماء الدافق - دماً جامداً يشبه العلقة"[١].

قال مقاتل:" يقول: تحول الماء فصار دما"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ثم صَيَّرنا النطفة ، وهي الماء الدافق الذي يخرج من صلب الرجل - وهو ظهره - وترائب المرأة - وهي عظام صدرها ما بين الترقوة إلى الثندوة - فصارت علقة حمراء على شكل العلقة مستطيلة "[٣].

قال ابن عطية:" العلقة: الدم الغريض"[٤].

قوله تعالى:{فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً} [المؤمنون : ١٤]، أي:" فجعلنا ذلك الدم الجامد قطعة لحم لا شكل فيها ولا تخطيط"[٥].

قال مقاتل:" يعني: فتحول الدم فصار لحما مثل المضغة"[٦].

قال ابن كثير:"{ مُضْغَةً}: هي قطعة كالبَضعة من اللحم ، لا شكل فيها ولا تخطيط "[٧].
"[٧].

قال ابن عطية:" المضغة: بضعة اللحم قدر ما يمضغ"[٨].

قرأ الجمهور: {عظاما}، في الموضعين، وقرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر «عظما» بالإفراد في الموضعين، وقرأ السلمي وقتادة والأعرج والأعمش بالإفراد أولا وبالجمع في الثاني، وقرأ مجاهد وأبو رجاء وإبراهيم بن أبي بكير بعكس ذلك[٩].

قوله تعالى:{فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا} [المؤمنون : ١٤]، أي:" فصيَّرنا قطعة اللحم عظاماً صلبة لتكون عموداً للبدن"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما"[١١].

قال ابن كثير:" يعني : شكلناها ذات رأس ويدين ورجلين بعظامها وعصبها وعروقها"[١٢].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "كل جسد ابن آدم يبلى إلا عَجْبُ الذَّنَب ، منه خلق ومنه يركب"[١٣].

وفي قراءة ابن مسعود، «ثم جعلنا المضغة عظاما وعصبا فكسوناه لحما»[١٤].

قوله تعالى:{فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا} [المؤمنون : ١٤]، أي:" فسترنا تلك العظام باللحم وجعلناه كالكسوة لها"[١٥].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٣/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥.
(٤) المحرر الوجيز:١٣٨/٤.
(٥) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٣/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥.
(٨) المحرر الوجيز:١٣٨/٤.
(٩) انظر: المحرر الوجيز:١٣٨/٤.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(١١) تفسير الطبري:١٦/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥.
(١٣)صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥) وصحيح مسلم برقم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(١٤) انظر: المحرر الوجيز:١٣٨/٤.
(١٥) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.

قال الطبري:" يقول: فألبسنا العظام لحما"[١].
قال ابن كثير:" أي : وجعلنا على ذلك ما يستره ويشده ويقويه "[٢].
قوله تعالى:{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون : ١٤]، أي:" ثم بعد تلك الأطوار نفخنا فيه الروح فصيرناه خلقاً آخر في أحسن تقويم"[٣].
قال الطبري:" يقول: ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر"[٤].
قال ابن كثير:" أي : ثم نفخنا فيه الروح ، فتحرك وصار { خَلْقًا آخَرَ } ذا سمع وبصر وإدراك وحركة واضطراب"[٥].
قال الزمخشري:" أى: خلقا مباينا للخلق الأول مباينة ما أبعدها، حيث جعله حيوانا وكان جمادا، وناطقا وكان أبكم، وسميعا وكان أصم، وبصيرا وكان أكمه، وأودع باطنه وظاهره- بل كل عضو من أعضائه وكل جزء من أجزائه- عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف ولا تبلغ بشرح الشارح: وقد احتج به أبو حنيفة فيمن غصب بيضة فأفرخت عنده قال: يضمن البيضة ولا يرد الفرخ، لأنه خلق آخر سوى البيضة"[٦].
عن علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، قال : "إذا أتمت النطفة أربعة أشهر ، بُعِث إليها مَلك فنفخ فيها الروح في الظلمات الثلاث ، فذلك قوله : { ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ } يعني : نفخنا فيه الروح"[٧].
وفي قوله تعالى:{ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون : ١٤]، وجوه:
أحدها : يعني: بنفخ الروح فيه ، وهذا قول ابن عباس[٨]، والحسن[٩]، والشعبي[١٠]، ومجاهد[١١]، ومجاهد[١١]، وعكرمة[١٢]، والضحاك[١٣]، وأبي العالية[١٤]، وابن زيد[١٥]، والكلبي[١٦].
قال ابن قتيبة:" أي: خلقناه بنفخ الروح فيه خلقا آخر"[١٧].
وقال الكلبي: "الروح وهو في بطن أمه"[١٨].
الثاني : بنبات الشعر، قاله قتادة[١٩].
الثالث : بسنه وشعره. ذكره الضحاك[٢٠].
الرابع: أنه ذكر وأنثى ، رواه عمرو عن الحسن[٢١].
الخامس : حين استوى به شبابه ، وهذا قول مجاهد[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٦/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥.
(٣) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٤) تفسير الطبري:١٧/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥.
(٦) الكشاف:١٧٨/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٦٦/٥-٤٦٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٣٩٥/١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٩-١٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون:٤٨/٤.
(١٧) غريب القرآن:٢٩٦.
(١٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٥/١.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩، وتفسير يحيى بن سلام:٣٩٤/١.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩.
(٢١) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٩٥/١، والنكت والعيون:٤٨/٤.

السادس : أنه بالعقل والتمييز. أفاده الماوردي(٢).
وقال ابن عباس:" خرج من بطن أمه بعد ما خلق، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل، ثم كان من خلقه أن دل على ثدي أمه، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجليه إلى أن قعد، إلى أن حبا، إلى أن قام على رجليه، إلى أن مشى، إلى أن فطم، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام، إلى أن بلغ الحلم، إلى أن بلغ أن يتقلب في البلاد"(٣).
قال ابن عطية:" وهذا التخصيص كله لا وجه له وإنما هو عام في هذا وغيره من وجوه من النطق والإدراك وحسن المحاولة هو بها آخر، وأول رتبة من كونه آخر هي نفخ الروح فيه، والطرف الآخر من كونه آخر تحصيله المعقولات"(٤).
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك نفخ الروح فيه، وذلك أنه بنفخ الروح فيه يتحول خلقا آخر إنسانا، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم وبنفخ الروح فيه، يتحول عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية، كما تحول أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا، وخلقا آخر غير الطين الذي خلق منه"(٥).
قوله تعالى:{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون : ١٤]، أي:" فتعالى الله في قدرته وحكمته أحسن الصانعين صنعاً"(٦).
قال الزمخشري:" أى: أحسن المقدرين تقديرا، فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه"(٧).
قال يحيى:" قال: {فتبارك الله}، وهو من باب البركة كقوله: {فتعالى الله} [المؤمنون: ١١٦]، قوله: {أحسن الخالقين}إن العباد قد يخلقون، يشبهون بخلق الله، ولا يستطيعون أن ينفخوا فيه الروح"(٨).
عن عبد الله بن مسعود، قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " إن أشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون "(٩).
روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: " المصورون يعذبون يوم القيامة ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم "(١٠).
وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها نفساً، فتعذبه في جهنم "(١١).
وعن عائشة أيضاً، عن النبي - ﷺ - قال: " أشدّ الناس عذاباً الذين يضاهون بخلق الله"(١٢).
وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: " قال عزّ وجلّ: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة "(١٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٨/١٩.
(٢) انظر: النكت والعيون:٤٨/٤.
(٣) أخرجه الطبري:١٨/١٩.
(٤) المحرر الوجيز:١٣٨/٤.
(٥) تفسير الطبري:١٨/١٩.
(٦) صفوة التفاسير:٢٧٨/٢.
(٧) الكشاف:١٧٨/٣.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٥/١.
(٩)صحيح البخاري: ٥٩٥٠، وصحيح مسلم: ٢١٠٩.
(١٠) اخرجه البخاري: النكاح (٥١٨١) ، ومسلم: اللباس والزينة (٢١٠٧) ، وأحمد (٢٤٦/٦) ، ومالك: الجامع (١٨٠٣).
(١١)صحيح مسلم: ٢١١٠. ورواه البخاري بألفاظ مقاربة: ٢٢٢٥، ٥٩٦٣.
(١٢)صحيح البخاري: ٥٩٥٤. وصحيح مسلم: ٢١٠٧ .
(١٣)صحيح البخاري: ٥٩٥٣، وصحيح مسلم: ٢١١١. واللفظ لمسلم.

وفي قوله تعالى:{فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} [المؤمنون : ١٤]، وجهان من التفسير:
أحدهما: معناه فتبارك الله أحسن الصانعين. وهذا قول مجاهد[١].

قال مجاهد:" يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين"[٢].

الثاني: إنه إخبار من الله تعالى بأنه يخلق أحسن مما كان يخلق عيسى ابن مريم. وهذا قول ابن جريج[٣].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد؛ لأن العرب تسمي كل صانع خالقا، ومنه قول زهير[٤]:

ولأنت تفري ما خلقت وبع ... ض القوم يخلق ثم لا يفري"[٥].

عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- قال: "وافقت ربي في أربع: قلت: يا رسول الله لو صلينا خلف المقام فأنزل الله : {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة : ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله لو ضربت على نسائك الحجاب فإنه يدخل عليهن البر والفاجر، فأنزل الله: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب : ٥٣]، ونزلت هذه الآية: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ} [المؤمنون : ١٢] - إلى قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ} [المؤمنون : ١٤]، فلما نزلت قلت أنا: تبارك الله أحسن الخالقين، فنزلت {فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِين} [المؤمنون : ١٤]، ودخلت على أزواج النبي - ﷺ - فقلت لهن: لتنتهين أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن فنزلت هذه الآية: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنّ} [التحريم : ٥]"[٦].

عن زيد بن ثابت الأنصاري قال : "أملى عليَّ رسولُ الله هذه الآية : { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ } إلى قوله : { خَلْقًا آخَرَ } ، فقال معاذ : { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ } ، فضحك رسول الله ﷺ. فقال له معاذ : مم ضحكت يا رسول الله ؟ قال : "بها ختمت { فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }"[٧].

القرآن

{ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥)} [المؤمنون : ١٥]

التفسير:

ثم إنكم أيها البشر بعد أطوار الحياة وانقضاء الأعمار لَميتون.

قال الطبري:" ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصييرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا، مبعوثون من التراب خلقا جديدا، كما بدأناكم أول مرة"[٨].

قال مكي:" أي: ثم إنكم يا بني آدم بعد إنشاء الله لكم خلقاً آخر تموتون تصيرون رفاتاً"[٩].

قال ابن كثير:" يعني : بعد هذه النشأة الأولى من العدم تَصيرون إلى الموت"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٩.
(٤)البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح رجلا (اللسان: خلق).
(٥) .تفسير الطبري:١٩/١٩
(٦)أخرجه الطيالسى (ص ٩، رقم ٤١) ، وابن عساكر :١١٣/٤٤.
(٧) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥، وورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٣٦٧) "مجمع البحرين" عن أبي زرعة عن آدم بن إياس به وجابر الجعفي ضعيف.
قال ابن كثير:" جابر بن يزيد الجُعْفِي ضعيف جدًّا ، وفي خبره هذا نَكَارة شَديدة ، وذلك أن هذه السورة مكية ، وزيد بن ثابت إنما كتب الوحي بالمدينة ، وكذلك (٢) إسلام معاذ بن جبل إنما كان بالمدينة أيضًا ، فالله أعلم". تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥
(٨) .تفسير الطبري:١٩/١٩
(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٥٢/٧.

قال يحيى:" بعدما ينفخ فيه الروح. {لميتون} إذا جاء أجله"(٢).
قال الواحدي:" بعد ما ذكر من تمام الخلق، لميتون عند آجالكم"(٣).
قرأ ابن أبى عبلة وابن محيصن: «لمائتون»(٤).
قال الزمخشري:"والفرق بين الميت والمائت: أن الميت كالحي صفة ثابتة. وأما المائت، فيدل على الحدوث. تقول: زيد مائت الآن، ومائت غدا، كقولك يموت"(٥).
قال السمعاني:" قال بعضهم: «الميت» و«الميّت»، واحد، وقال بعضهم: «الميت» هو الذي قد مات، و«الميّت»: هو الذي يموت في المستقبل، ومثله المائت، وهذا كما قالوا: سيد وسائد هو الذي يسود في المستقبل"(٦).

القرآن
{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)} [المؤمنون : ١٦]
التفسير:
ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبْعثون يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء.
قال مكي:" أي: ثم إنكم بعد موتكم وتصييركم رفاتاً تبعثون فتحيون للحساب والجزاء في القيامة"(٧).
قال ابن كثير:" يعني : النشأة الآخرة ، { ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ } [العنكبوت : ٢٠] يعني : يوم المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد ، فيحاسب الخلائق ، ويوفي كل عامل عمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر "(٨).
قال السمعاني:" البعث: هو الإطلاق فكأنهم حبسوا مدة ثم أطلقوا"(٩).
قال ابن عطية:" {تبعثون}: معناه: من قبوركم أحياء، وهذا خبر بالبعث والنشور"(١٠).
قال القشيري:" يوم القيامة يوم خوف به العالم حتى لو قيل للقيامة: ممن تخافين؟ لقالت من القيامة، وفى القيامة ترى الناس سكارى حيارى لا يعرفون أحوالهم ولا يتحققون بما تؤول إليه أمورهم، إلى أن يتبين لكل واحد أمره خيره وشره: فيثقل بالخيرات ميزانه، أو يخف عن الطاعات أو يخلو ديوانه. وما بين الموت والقيامة: فإما راحات متصلة، أو آلام وآفات غير منفصلة"(١١).
قال الزمخشري:" جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة، والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه: دليلين أيضا على اقتدار عظيم بعد الإنشاء والاختراع. فإن قلت: فإذا لا حياة إلا حياة الإنشاء وحياة البعث. قلت: ليس في ذكر الحياتين نفى الثالثة وهي حياة القبر، كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على أن الثلث ليس عندك. وأيضا فالغرض ذكر هذه الأجناس الثلاثة: الإنشاء والإماتة والإعادة، والمطوى ذكرها من جنس الإعادة"(١٢).
فوائد الآيات:[١٢-١٦]:
١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته.

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٦/١.
(٣) التفسير الوسيط:٢٨٦/٣.
(٤) انظر: الكشاف:١٧٩/٣.
(٥)الكشاف:١٧٩/٣.
(٦) تفسير المسعاني:٤٦٨/٣.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٥٢/٧.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥.
(٩) تفسير المسعاني:٤٦٨/٣.
(١٠) المحرر الوجيز:١٣٩/٤.
(١١) لطائف الإشارات:٥٧٢/٢.
(١٢)الكشاف:١٧٩/٣.

٢- بيان خلق الإنسان والأطوار التي يمر بها.
٣- بيان مآل الإنسان بعد خلقه.
٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي أنكرها الملاحدة والمشركون.

القرآن
{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ (١٧)} [المؤمنون : ١٧]
التفسير:
ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض، وما كنا عن الخلق غافلين، فلا نُغْفِلُ مخلوقًا، ولا ننساه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ} [المؤمنون : ١٧]، أي:" ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات بعضها فوق بعض"[١].

قال الفراء:" يعني: السموات كل سماء طريقة"[٢].

قال الزجاج:" يعنى به: سبع سموات، فكل واحدة طريقة"[٣].

قال الطبري:يقول:" ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهن فوق بعض، والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة، لأن بعضهن فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة"[٤].

قال ابن زيد:" الطرائق: السموات"[٥].

قال سهل بن عبدالله:" يعني: الحجب السبعة التي تحجبه عن ربه عز وجل. فالحجاب الأول عقله، والثاني علمه، والثالث قلبه، والرابع خشيته، والخامس نفسه، والسادس إرادته، والسابع مشيئته. فالعقل باشتغاله بتدبير الدنيا، والعلم بمباهاته مع الأقران، والقلب بالغفلة، والخشية بإغفالها عن موارد الأمور عليها، والنفس لأنها مأوى كل بلية، والإرادة إرادة الدنيا والإعراض عن الآخرة، والمشيئة بملازمة الذنوب"[٦].

وفي تسمية السماء :«طرائق»، ثلاثة وجوه:
أحدها : لأن كل طبقة على طريقة من الصنعة والهيئة.
الثاني : لأن كل طبقة منها طريق الملائكة ، قاله ابن عيسى[٧].
الثالث : لأنها طباق بعضها فوق بعض ، ومنه أخذ طراق الفحل إذا أطبق عليها ما يمسكها ، قاله ابن شجرة[٨]، والطبري[٩].

قال الماوردي:" فيكون على الوجه الأول مأخوذاً من التطرق ، وعلى الوجه الثاني مأخوذاً من التطارق"[١٠].

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى خَلْق الإنسان ، عطف بذكر خلق السموات السبع ، وكثيرًا ما يذكر تعالى خلق السموات والأرض مع خلق الإنسان ، كما قال تعالى : { لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } [غافر : ٥٧]. وهكذا في أول { الم } السجدة ، التي

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٢.
(٢) معاني القرىن:٢٣٢/٢.
(٣) معاني القرآن:٩/٤.
(٤) تفسير الطبري:٢٠/١٩.
(٥) اخرجه الطبري:٢٠/١٩.
(٦) تفسير التستري:١١٠.
(٧) انظر: النكت والعيون:٤٩/٤.
(٨) انظر: النكت والعيون:٤٩/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٠/١٩.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٤٩/٤.

كان رسول الله ﷺ يقرأ بها في صبيحة يوم الجمعة ، في أولها خَلْقُ السموات والأرض ، ثم بيان خلق الإنسان من سلالة من طين ، وفيها أمر المعاد والجزاء ، وغير ذلك من المقاصد"(١).

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ} [المؤمنون : ١٧]، أي:" وما كنا عن الخلق غافلين، فلا نُغْفِلُ مخلوقًا، ولا ننساه"(٢).

قال الفراء:" يقول: كنا له حافظين"(٣).

قال الطبري:" يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم، عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فتهلكهم"(٤).

قال الزجاج:" أي لم نكن لنغفل عن حفظهن، كما قال: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا} [الأنبياء : ٣٢].وجائز أن يكون {وما كنا عن الخلق غافلين}، أي: إنا لحفظنا إياهم خلقنا هذا الخلق"(٥).

قال ابن كثير:" أي : ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير. وهو - سبحانه - لا يَحجبُ عنه سماء سماء ، ولا أرض أرضًا ، ولا جبل إلا يعلم ما في وَعْره ، ولا بحر إلا يعلم ما في قَعْره ، يعلم عدد ما في الجبال والتلال والرمال ، والبحار والقفار والأشجار ، { وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام : ٥٩]"(٦).

٥٩]"(٦).

القرآن

{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ (١٨)} [المؤمنون : ١٨]

التفسير:

وأنزلنا من السماء ماء بقدر حاجة الخلائق، وجعلنا الأرض مستقرًا لهذا الماء، وإنا على ذَهاب بالماء المستقر لَقادرون.

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ} [المؤمنون : ١٨]، أي:" وأنزلنا من السماء ماء بقدر حاجة الخلائق"(٧).

قال ابن جريج:" ماء هو من السماء"(٨).

قال الكلبي: "يعني: الأنهار، والعيون، والركي، يعني: الآبار"(٩).

قال ابن كثير:" {بِقَدَرٍ}، أي : بحسب الحاجة ، لا كثيرًا فيفسد الأرض والعمران ، ولا قليلا فلا يكفي الزروع والثمار ، بل بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به ، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دِمْنتها إنزال المطر عليها ، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى ، كما في أرض مصر ، ويقال لها : "الأرض الجرُز" ، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها ، فيأتي الماء يحمل طينًا

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٢.
(٣) معاني القرىن:٢٣٢/٢.
(٤) تفسير الطبري:٢٠/١٩.
(٥) معاني القرآن:٩/٤.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٦٩/٥-٤٧٠.
(٧) التفسيرالميسر:٣٤٣.
(٨) أخرجه الطبري:٢٠/١٩.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٣٩٦/١.

أحمر ، فيسقي أرض مصر ، ويقر الطين على أرضهم ليزدرعوا فيه ، لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال ، فسبحان اللطيف الخبير الرحيم الغفور "(١).

قال الزجاج:" يروى أن أربعة أنهار من الجنة، دجلة والفرات وسيحان وجيحان"(٢).

قوله تعالى:{فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ} [المؤمنون : ١٨]، أي:" وجعلنا الأرض مستقرًا لهذا الماء"(٣).

قال الزجاج:" جعلناه ثابتا فيها لا يزول"(٤).

قال ابن كثير:" أي : جعلنا الماء إذا نزل من السحاب يخلد في الأرض ، وجعلنا في الأرض قابليَّة له ، تشربه ويتغذى به ما فيها من الحب والنوى"(٥).

قوله تعالى:{وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ} [المؤمنون : ١٨]، أي:" وإنا على ذَهاب بالماء المستقر لَقادرون"(٦).

قال الطبري:" وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به، فتهلكوا أيها الناس عطشا، وتخرب أرضوكم، فلا تنبت زرعا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لو شئنا ألا تمطر لفعلنا ، ولو شئنا لصرفناه عنكم إلى السباخ والبراري والبحار والقفار لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه أجاجًا لا ينتفع به لشُرب ولا لسقي لفعلنا ، ولو شئنا لجعلناه لا ينزل في الأرض ، بل ينجَرّ على وجهها لفعلنا. ولو شئنا لجعلناه إذا نزل فيها يغور إلى مَدَى لا تصلون إليه ولا تنتفعون به لفعلنا. ولكن بلطفه ورحمته ينزل عليكم الماء من السحاب عذبًا فراتًا زلالا فيسكنه في الأرض ويَسْلُكُه ينابيع في الأرض ، فيفتح العيون والأنهار ، فيسقي به الزروع والثمار ، وتشربون منه ودوابكم وأنعامكم ، وتغتسلون منه وتتطهرون وتتنظفون ، فله الحمد والمنة "(٨).

القرآن

{فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (١٩)} [المؤمنون : ١٩]

التفسير:

فأنشأنا بهذا الماء لكم بساتين النخيل والأعناب، لكم فيها فواكه كثيرة الأنواع والأشكال، ومنها تأكلون.

قوله تعالى:{فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} [المؤمنون : ١٩]، أي:" فأخرجنا لكم بذلك الماء حدائق وبساتين فيها النخيل والأعناب"(٩).

قال الطبري:" يقول: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء بساتين من نخيل وأعناب"(١٠).

قال ابن كثير:"يعني : فأخرجنا لكم بما أنزلنا من الماء { جَنَّاتٍ } أي : بساتين وحدائق ذات بهجة ، أي : ذات منظر حسن { مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ } أي : فيها نخيل وأعناب. وهذا ما كان

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٧٠/٥.
(٢) معاني القرآن:١٠/٤.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٤) معاني القرآن:١٠/٤.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٧٠/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٧) تفسير الطبري:٢٠/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٧٠/٥-٤٧١.
(٩) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(١٠) تفسير الطبري:٢٠/١٩.

يألف أهل الحجاز ، ولا فرق بين الشيء وبين نظيره ، وكذلك في حق كل أهل إقليم ، عندهم من الثمار من نعمة الله عليهم ما يَعْجِزُون عن القيام بشكره"[١].

قوله تعالى:{لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ} [المؤمنون : ١٩]، أي:" لكم في هذه البساتين أنواع الفواكه والثمار تتفكهون بها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : من جميع الثمار ، كما قال : { يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ } [النحل : ١١]"[٣].

قوله تعالى:{وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [المؤمنون : ١٩]، أي:" ومن ثمر الجنات تأكلون صيفاً وشتاءً كالرطب والعنب والتمر والزبيب"[٤].

قال الطبري:" يقول: ومن الفواكه تأكلون"[٥].

قال ابن كثير:" معطوف على شيء مقدر ، تقديره : تنظرون إلى حسنه ونضجه ، ومنه تأكلون "[٦].

قال الصابوني:" وإنما خصَّ النخيل والأعناب بالذكر لكثرة منافعهما فإنهما يقومان مقام الطعام، ومقام الإدام، ومقام الفواكه رطباً ويابساً وهما أكثر فواكه العرب"[٧].

القرآن

{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ (٢٠)} [المؤمنون : ٢٠]

التفسير:

وأنشأنا لكم به شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل طور «سيناء» ، يعصر منها الزيت، فيدَّهن ويؤتدم به.

قوله تعالى:{وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ} [المؤمنون : ٢٠]، أي:" وممَّا أنشأنا لكم بالماء أيضاً شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل الطور"[٨].

قال الطبري:" وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من جبل ينبت الأشجار، ويعني بها: شجرة الزيتون"[٩].

قال الفراء:" هى شجرة الزيتون"[١٠].

قال ابن كثير:" يعني : الزيتونة. والطور : هو الجبل. وقال بعضهم : إنما يسمى طورا إذا كان فيه شجر ، فإن عَرِي عنها سمي جَبَلا لا طورًا ، والله أعلم. وطور سيناء : هو طور سينين ، وهو الجبل الذي كَلَّم الله عليه موسى بن عمران ، عليه السلام ، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون"[١١].

وفي:«طور سيناء» ستة وجوه من التفسير:

أحدها : أن سيناء البركة، فكأنه قال: جبل البركة ، قاله ابن عباس[١٢]، ومجاهد[١٣].

قال ابن عباس:" هو جبل بالشام مبارك"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٧١/٥.
(٢) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٧١/٥.
(٤) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٥) تفسير الطبري:٢٠/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٧١/٥.
(٧) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٨) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٩) تفسير الطبري:٢١/١٩.
(١٠) معاني القرىن:٢٣٢/٢.
(١١) تفسير ابن كثير:٤٧١/٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢١/١٩.

الثاني : أنه الحسن المنظر ، قاله قتادة [٢]، والضحاك[٣].

قال الضحاك:" الطور: الجبل بالنبطية، وسيناء، حسنة بالنبطية"[٤].

الثالث : أنه الكثير الشجر ، وابن عيسى[٥]، حكاه معمر[٦].

الرابع : أنه اسم الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، قاله ابن عباس[٧]، وابن زيد[٨]، وابو عبيدة[٩].

وقال ابن زيد:" هو جبل الطور الذي بالشام، جبل ببيت المقدس، قال: ممدود، هو بين مصر وبين أيلة"[١٠].

الخامس : أن«سيناء»: حجارة. حكاه الزجاج[١١].

السادس : أنه المرتفع مأخوذ من النساء ، وهو الارتفاع. حكاه الماوردي[١٢].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن سيناء اسم أضيف إليه الطور يعرف به، كما قيل: جبلا طيئ، فأضيفا إلى طيئ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال: معناه: جبل مبارك، أو كما قال من قال: معناه حسن، لكان الطور منونا، وكان قوله سيناء من نعته، على أن سيناء بمعنى: مبارك وحسن، غير معروف في كلام العرب، فيجعل ذلك من نعت الجبل، ولكن القول في ذلك إن شاء الله كما قال ابن عباس، من أنه جبل عرف بذلك، وأنه الحبل الذي نودي منه موسى ﷺ، وهو مع ذلك مبارك، لا أن معنى سيناء: معنى مبارك"[١٣].

ويقرأ :«من طور سيناء»، بفتح السين، وبكسر السين[١٤].

قوله تعالى:{تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ} [المؤمنون : ٢٠]، أي:" يعصر منها الزيت"[١٥].

قال الطبري:يقول:" تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن"[١٦].

عن مجاهد: "{تنبت بالدهن}، قال: بثمره"[١٧].

قال ابن عباس:" يقول: هو الزيت يوكل، ويدهن به"[١٨].

قوله تعالى:{وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ} [المؤمنون : ٢٠]، أي:" وإدام للآكلين"[١٩].

قال الفراء:" الآكلون يصطبغون بالزيت"[٢٠].

قال ابن كثير:" أي : فيها ما ينتفع به من الدهن والاصطباغ"[٢١].

قال الطبري:" يقول: تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين، يصطبغ بالزيت الذين يأكلونه"[٢٢].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٢/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٢٢/١٩.
(٥) انظر: النكت والعيون:٥٠/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٢/١٩.
(٩) انظر: مجاز القرآن:٥٧/٢.
(١٠) أخرجه الطبري:٢٢/١٩.
(١١) انظر: معاني القرآن:١٠/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٥٠/٤.
(١٣) تفسيرا لطبري:٢٢/١٩.
(١٤) انظر: معاني القرآن للزجاجد:١٠/٤.
(١٥) التفسير الميسر:٣٤٣.
(١٦) تفسير الطبري:٢٤/١٩.
(١٧) أخرجه الطبري:٢٤/١٩.
(١٨) أخرجه الطبري:٢٤/١٩.
(١٩) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٢٠) معاني القرىن:٢٣٢/٢.
(٢١) تفسير ابن كثير:٤٧١/٥.
(٢٢) تفسير الطبري:٢٤/١٩.

قال ابن زيد:" هذا الزيتون صبغ للآكلين، يأتدمون به، ويصطبغون به"[1].
قال الزمخشري:" الصبغ: الغمس للائتدام. وقيل: هي أوّل شجرة نبتت بعد الطوفان، ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله :{يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ}"[2].
وقال محمد بن درستويه :"أن «الدهن» -هنا-: المطر اللين"[3].
قال الصابوني:" سمي صبغاً لأنه يلون الخبز إذا غُمس فيه، جمع الله في هذه الشجرة بين الأُدم والدهن، وفي الحديث: «كلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرةٍ مباركة»[4]"[5].
عن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "ائتدموا بالزيت وادهنوا به ، فإنه يخرج من شجرة مباركة"[6].
الصَّعْب بن حكيم بن شريك بن نملة ، عن أبيه عن جده ، قال : ضِفْت عمرَ بن الخطاب ليلة عاشوراء ، فأطعمني من رأس بعير بارد ، وأطعمنا زيتًا ، وقال : هذا الزيت المبارك الذي قال الله لنبيه ﷺ"[7].

القرآن
{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٢١)} [المؤمنون : ٢١]
التفسير:
وإن لكم -أيها الناس- في الإبل والبقر والغنم لَعبرة تعتبرون بخلقها، نسقيكم مما في بطونها من اللبن، ولكم فيها منافع أخرى كثيرة كالصوف والجلود، ونحوهما، ومنها تأكلون.
قوله تعالى:{وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً} [المؤمنون : ٢١]، أي:" وإن لكم -أيها الناس- في الإبل والبقر والغنم لَعبرة تعتبرون بخلقها"[8].
قال الطبري:" تعتبرون بها، فتعرفون بها أيادي الله عندكم، وقدرته على ما يشاء، وأنه الذي لا يمتنع عليه شيء أراده ولا يعجزه شيء شاءه"[9].
قال الزمخشري:" القصد بـ«الأنعام» إلى الإبل، لأنها هي المحمول عليها في العادة"[10].
قوله تعالى:{نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا} [المؤمنون : ٢١]، أي:" نسقيكم مما في بطونها من اللبن"[11].
قال يحيى:" يعني: اللبن"[12].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٤/١٩.
(٢) الكشاف:١٨١/٣.
(٣) انظر: النكت والعيون:٥٠/٤.
(٤)حديث عمر: أخرجه الترمذى (٢٨٥/٤، رقم ١٨٥١) ، والحاكم (١٣٥/٤، رقم ٧١٤٢) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين.
حديث أبى أسيد: أخرجه أحمد (٤٩٧/٣، رقم ١٦٠٩٧) ، والترمذى (٢٨٥/٤، رقم ١٨٥٢) ، وقال: غريب. والطبرانى (٢٦٩/١٩، رقم ٥٩٧) ، والحاكم (٤٣٢/٢، رقم ٣٥٠٤) ، وقال: صحيح الإسناد وله شاهد آخر بإسناد صحيح. والبيهقى فى شعب الإيمان (٩٩/٥، رقم ٥٩٣٨).
حديث أسيد أو أبى أسيد: أخرجه ابن قانع (٤٢/١) .
(٥) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٦)المنتخب لعبد بن حميد برقم (١٣) وسنن الترمذي برقم (١٨٥١) وسنن ابن ماجه برقم (٣٣١٩).
(٧)المعجم الكبير (٧٤/١) والصعب بن حكيم لا يعرف كما قال الذهبي.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٩) تفسير الطبري:٢٤/١٩.
(١٠) الكشاف:١٨١/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٣.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٧/١.

قال الطبري:" من اللبن الخارج من بين الفرث والدم"[(١)].
وقرئ: «تسقيكم»، بتاء مفتوحة، أي: تسقيكم الأنعام[(٢)].
قوله تعالى:{وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ} [المؤمنون : ٢١]، أي:" ولكم فيها منافع أخرى كثيرة كالصوف والجلود، ونحوهما"[(٣)].
قال يحيى:" في ألبانها، وظهورها، وكل ما ينتفع به منها"[(٤)].
قال الطبري:" وذلك كالإبل التي يحمل عليها، ويركب ظهرها، ويشرب درها"[(٥)].
قوله تعالى:{وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ} [المؤمنون : ٢١]، أي:" وتأكلون لحومها كذلك"[(٦)].
قال يحيى:" يعني: لحومها"[(٧)].
قال الطبري:" يعني: من لحومها تأكلون"[(٨)].
قال ابن كثير في الآية:" يذكر تعالى ما جعل لخلقه في الأنعام من المنافع ، وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرْث ودم ، ويأكلون من حملانها ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها ، ويركبون ظهورها ويحملونها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم ، كما قال تعالى : { وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ } [النحل : ٧] ، وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ. وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ. وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ } [يس : ٧١ - ٧٣]"[(٩)].

القرآن

{وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ (٢٢)} [المؤمنون : ٢٢]

التفسير:

وعلى الإبل والسفن في البر والبحر تُحْمَلون.
قال يحيى:" أي: وعلى الإبل.{وعلى الفلك}: السفن، {تحملون}. وقد يقال إنها سفن البر"[(١٠)].
قال الطبري:" يقول: وعلى الأنعام، وعلى السفن تحملون على هذه في البر، وعلى هذه في البحر"[(١١)].
قال مكي:" أي على الإبل. وما شابهها من الأنعام في البر، وعلى السفن في البحر تحملون"[(١٢)].
قال البغوي:" أي: على الإبل في البر، وعلى الفلك في البحر"[(١٣)].
قال الزمخشري:" قرن «الأنعام»-التي هي الإبل- بالفلك- التي هي السفائن- لأنها سفائن البرّ. قال ذو الرمة[(١٤)]:

---

(١) تفسير الطبري:٢٤/١٩.
(٢) انظر: الكشاف:١٨١/٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٧/١.
(٥) تفسير الطبري:٢٤/١٩.
(٦) صفوة التفاسير:٢٧٩/٢.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٧/١.
(٨) تفسير الطبري:٢٤/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٧٢/٥.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٧/١.
(١١) تفسير الطبري:٢٤/١٩.
(١٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٦٤٧٠/١٠.
(١٣) تفسير البغوي:٤١٥/٥.
(١٤) البيت له في أساس البلاغة:٤٠٤٦٠/١، وصدره: طروقاً وجلب الرحل مشدودة به.

سفينة بَرٍّ تحْت خدِّي زمَامُها
يريد: صيدحه"(١).

فوائد الآيات:[١٧-٢٢]:

١- بيان قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات طرائق وعدم غفلته عن سائر خلقه فسار كل شيء لما خلق له فثبت الكون وانتظمت الحياة.

٢- بيان افضال الله تعالى في إنزال الماء بقدر وإسكانه في الأرض وعدم إذهابه مما يوجب الشكر لله تعالى على عباده.

٣- بيان منافع الزيت حيث هو للدهن والائتدام والاستصباح.

٤- فضل الله على العباد في خلق الأنعام والسفن للانتفاع بالأنعام في جوانب كثيرة منها، وفي السفن للركوب عليها وحمل السلع والبضائع من إقليم إلى إقليم.

٥- وجوب شكر الله تعالى على إنعامه وذلك بالإيمان به وعبادته وتوحيده فيها.

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٢٣)} [المؤمنون : ٢٣]

التفسير:

ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، بدعوة التوحيد فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، أفلا تخشون عذابه؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} [المؤمنون : ٢٣]، أي:" ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه، بدعوة التوحيد"(٢).

قال الطبري:أي:" داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا، والبراءة من كل معبود سوانا"(٣).

قوله تعالى:{فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [المؤمنون : ٢٣]، أي:" فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"(٤).

قال الطبري:" يقول: قال لهم: ذلوا يا قوم لله بالطاعة، ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره"(٥).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن نوح ، عليه السلام ، حين بعثه إلى قومه ، لينذرهم عذاب الله وبأسه الشديد ، وانتقامه ممن أشرك به وخالف أمره وكذب رسله "(٦).

قوله تعالى:{أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٢٣]، أي:" أفلا تخشون عذابه؟"(٧).

قال الطبري:" يقول: أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم"(٨).

قال ابن كثير:" أي : ألا تخافون من الله في إشراككم به ؟!"(٩).

قال الزمخشري:أي:" أفلا تخافون أن ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم، وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم، ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في شيء"(١٠).

---

(١) الكشاف:١٨١/٣-١٨٢. صيدحة: أي: ناقته؛ لأنّ اسمها كان صيدح قال:
رأيت الناس ينتجعون غيثاً... فقلت لصيدح انتجعي بلالا
(٢) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٣) تفسير الطبري:٢٥/١٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٥) تفسير الطبري:٢٥/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٧٢/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٥/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٧٢/٥.
(١٠) الكشاف:١٨٢/٣-١٨٣.

القرآن

{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ (٢٥)} [المؤمنون : ٢٤ - ٢٥]

التفسير:

فكذَّبه أشراف قومه، وقالوا لعامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميَّز عنكم بشيء، ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلا عليكم، ولو شاء الله أن يرسل إلينا رسولا لأرسله من الملائكة، ما سمعنا بمثل هذا فيمَن سبقنا من آباء وأجداد. وما نوح إلا رجل به مَسٌّ من الجنون، فانتظروا حتى يُفيق، فيترك دعوته، أو يموت، فتستريحوا منه.

قوله تعالى:{فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [المؤمنون : ٢٤]، أي:" فقال أشراف قومه ورؤساؤهم الممعنون في الكفر والضلال لعامتهم: إنه إنسان مثلكم لا يتميَّز عنكم بشيء"[١].

قال الطبري: يقول:" فقالت جماعة أشراف قوم نوح، الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوه لقومهم: ما نوح أيها القوم إلا بشر مثلكم، إنما هو إنسان مثلكم وكبعضكم"[٢].

قال يحيى:" يقوله بعضهم لبعض"[٣].

قال ابن كثير:" الملأ - وهم السادة والأكابر منهم"[٤].

قوله تعالى:{يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ} [المؤمنون : ٢٤]، أي:" ولا يريد بقوله إلا رئاسة وفضلا عليكم"[٥].

قال الزمخشري:" أن يطلب الفضل عليكم ويرأسكم، كقوله تعالى: {وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ} [يونس : ٧٨]"[٦].

قال يحيى:" بالرسالة وما له عليكم من فضل"[٧].

قال الطبري: " يقول: يريد أن يصير له الفضل عليكم، فيكون متبوعا وأنتم له تبع"[٨].

قال ابن كثير:" يعنون : يترفع عليكم ويتعاظم بدعوى النبوة، وهو بشر مثلكم. فكيف أوحي إليه دونكم؟"[٩].

قوله تعالى:{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً} [المؤمنون : ٢٤]، أي:" لو أراد ال له أن يبعث رسولاً لبعث ملكاً"[١٠].

قال الطبري: " يقول: ولو شاء الله أن لا نعبد شيئا سواه؛ لأنزل ملائكة، يقول: لأرسل بالدعاء إلى ما يدعوكم إليه نوح ملائكة تؤدي إليكم رسالته"[١١].

قال ابن كثير:" أي : لو أراد أن يبعث نبيًّا ، لبعث مَلَكًا من عنده ولم يكن بشرًا!"[١٢].

قال يحيى:" ولو أنزل ملائكة لآمنا"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٢) تفسير الطبري:٢٥/١٩.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٨/١.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٧٢/٥.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٦) الكشاف:١٨٣/٣.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٨/١.
(٨) تفسير الطبري:٢٥/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٧٢/٥.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٨١/٢.
(١١) تفسير الطبري:٢٥/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٧٢/٥.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٨/١.

قوله تعالى:{مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٢٤]، أي:" ما سمعنا بمثل هذاكللام في الأمم الماضية، والدهور الخالية"(١).

قال يحيى:" أن رجلا ادعى النبوة"(٢).

قال الطبري: يقول: " {ما سمعنا بهذا} الذي يدعونا إليه نوح، من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية، وهي آباؤهم الأولون"(٣).

قال ابن كثير:" أي : ببعثة البشر في آبائنا الأولين. يعنون بهذا أسلافهم وأجدادهم والأمم الماضية "(٤).

قال الزمخشري: قوله:"{بِهذا} إشارة إلى نوح عليه السلام، أو إلى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله، أى: ما سمعنا بمثل هذا الكلام، أو بمثل هذا الذي يدعى وهو بشر أنه رسول الله. وما أعجب شأن الضلال لم يرضوا للنبوّة ببشر وقد رضوا للإلهية بحجر: وقولهم: {ما سَمِعْنا بِهذا} يدل على أنهم وآباؤهم كانوا في فترة متطاولة. أو تكذبوا في ذلك لانهماكهم في الغى، وتشمرهم لأن يدفعوا الحق بما أمكنهم وبما عنّ لهم، من غير تمييز منهم بين صدق وكذب. ألا تراهم: كيف جننوه وقد علموا أنه أرجح الناس عقلا وأوزنهم قول"(٥).

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ} [المؤمنون : ٢٥]، أي:" ما هو إلا رجلٌ به جنون"(٦).

قال يحيى:" جنون"(٧).

قال الطبري: أي:" ما نوح إلا رجل به جنون"(٨).

قال ابن كثير:" أي : مجنون فيما يزعمه ، من أن الله أرسله إليكم ، واختصه من بينكم بالوحي "(٩).

قال الزمخشري:" أى: به جنّ يخبلونه"(١٠).

قوله تعالى:{فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ} [المؤمنون : ٢٥]، أي:" فانتظروا واصبروا عليه مدة حتى يموت"(١١).

قال الطبري:" يقول: فتلبثوا به، وتنظروا به حتى حين، يقول: إلى وقت ما، ولم يعنوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم ما، أو إلى وقت ما"(١٢).

قال مقاتل:" يعنون: الموت"(١٣).

قال يحيى:" قال بعضهم: حتى يموت، وقال بعضهم: حتى يستبين جنونه"(١٤).

قال الزمخشري:" أى احتملوه واصبروا عليه إلى زمان، حتى ينجلي أمره عن عاقبة، فإن أفاق من جنونه وإلا قتلتموه"(١٥).

---

(١) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٨/١.
(٣) تفسير الطبري:٢٥/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٧٢/٥.
(٥) الكشاف:١٨٣/٣.
(٦) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٨/١.
(٨) تفسير الطبري:٢٦/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٧٣/٥.
(١٠) الكشاف:١٨٣/٣.
(١١) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٢٦/١٩.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٥/٣.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٨/١.
(١٥) الكشاف:١٨٣/٣.

قال ابن كثير:" أي : انتظروا به ريب المنون ، واصبروا عليه مدة حتى تستريحوا منه"[1].

القرآن

{قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٢٦)} [المؤمنون : ٢٦]

التفسير:

قال نوح: رب انصرني على قومي؛ بسبب تكذيبهم إياي فيما بلَّغتهم من رسالتك.

قال مقاتل:" يقول: انصرني بتحقيق قولي في العذاب بأنه نازل بهم في الدنيا"[2].

قال الطبري:" يقول: قال نوح داعيا ربه، مستنصرا به على قومه؛ لما طال أمره وأمرهم، وتمادوا في غيهم: {رب انصرني} على قومي {بما كذبون}، يعني: بتكذيبهم إياي، فيما بلغتهم من رسالتك، ودعوتهم إليه من توحيدك"[3].

قال السمعاني:" يعني: أهلكهم نصرة لي جزاء تكذيبهم"[4].

قال البغوي:" أي: أعني بإهلاكهم لتكذيبهم إياي"[5].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن نوح ، عليه السلام ، أنه دعا ربه يستنصره على قومه ، كما قال تعالى مخبرا عنه في الآية الأخرى : { فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ } [القمر : ١٠] ، وقال هاهنا : {قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ }"[6].

قال الزمخشري:" كأنه قال: أهلكهم بسبب تكذيبهم إياى، أو انصرني بدل ما كذبوني، كما تقول: هذا بذاك، أى بدل ذاك ومكانه. والمعنى: أبدلنى من غمّ تكذيبهم، سلوة النصرة عليهم"[7].

فوائد الآيات:[٢٣-٢٦]:

١- إثبات النبوة المحمدية بذكر أخبار الغيب التي لا تعلم إلاّ من طريق الوحي.

٢- تقرير التوحيد بذكر دعوة الرسل أقوامهم إليه.

٣- بيان سنة من سنن البشر وهي أن دعوة الحق أول من يردها الكبراء من أهل الكفر.

٤- بيان كيف يرد الظالمون دعوة الحق بإتهام الدعاة بما هم براء منه كالجنون وغيره من الاتهامات كالعمالة لفلان والتملق لفلان.

القرآن

{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٢٧)} [المؤمنون : ٢٧]

التفسير:

فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا، فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق، وبدأ الطوفان، فنبع الماء بقوة من التنور -وهو المكان الذي يخبز فيه- علامة على مجيء العذاب، فأدخِلْ في السفينة من كل الأحياء ذكرًا وأنثى؛ ليبقى النسل، وأدخل أهلك إلا مَنِ استحق العذاب لكفره كزوجتك وابنك، ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة.

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٧٣/٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٥/٣.

(٣) تفسير الطبري:٢٦/١٩.

(٤) تفسير السمعاني:٤٧١/٣.

(٥) تفسير البغوي:٤١٥/٥.

(٦) تفسير ابن كثير:٤٧٣/٥.

(٧) الكشاف:١٨٣/٣.

قوله تعالى:{فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" فأوحينا إليه أن اصنع السفينة بمرأى منا وبأمرنا لك ومعونتنا، وأنت في حفظنا وكلاءتنا"(١).

قال الطبري:" يقول: فقلنا له حين استنصرنا على كفرة قومه: اصنع الفلك، وهي السفينة؛ بأعيننا، يقول: بمرأى منا، ومنظر، ووحينا، يقول: وبتعليمنا إياك صنعتها"(٢).

قال الزمخشري:" {بِأَعْيُنِنا} بحفظنا وكلاءتنا، كأن معه من الله حفاظا يكلئونه بعيونهم، لئلا يتعرض له ولا يفسد عليه مفسد عمله. ومنه قولهم: عليه من الله عين كالئة، {وَوَحْيِنا}، أى: نأمرك كيف تصنع ونعلمك، روى أنه أوحى إليه أن يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر"(٣).

قال سليمان القراسي: "عمل نوح السفينة في أربع مائة سنة، وأنبت الساج أربعين سنة، حتى كان طوله أربع مائة ذراع، والذراع إلى المنكب"(٤).

عن زيد بن أسلم :"أن نوحا عليه السلام مكث يغرس الشجر ويقطعها وييبسها، ثم مائة يعملها"(٥).

عن كعب الأحبار :"أنه قال لما استنفذ الله من في الأصلاب والأرحام من المؤمنين والكافرين أوحى إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فاصنع الفلك، قال: يا رب ما أنا بنجار، قال: بلى فإن ذلك بعيني خذ القادوم فجعلت يده لا تخطئ فجعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي قد صار نجارا فعملها أربعين سنة"(٦).

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" فإذا جاء أمرنا بعذاب قومك بالغرق"(٧).

قال الطبري:" يقول: فإذا جاء قضاؤنا في قومك، بعذابهم وهلاكهم"(٨).

قوله تعالى:{وَفَارَ التَّنُّورُ} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" ونبع الماء بقوة من التنور"(٩).

قال مطرف بن عبد الله بن الشخير :"كانت علامة بينه وبين ربه إذا رأيت التنور يفور بالماء فـ {احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ}"(١٠).

قال الضحاك:" كان آية لنوح، إذا خرج منه الماء فقد أتى الناس الهلاك والغرق"(١١).

عن ابن عباس قوله: "{وفار التنور}، قال: نبع"(١٢).

وفي تفسير قوله تعالى:{وَفَارَ التَّنُّورُ} [المؤمنون : ٢٧]، وجوه:

أحدها : أن المراد: وجه الأرض، قاله ابن عباس(١٣)، وعكرمة(١٤).

قال ابن عباس:"العرب تسمي وجه الأرض تنور الأرض"(١٥).

الثاني : أن «التنور»: العين التي بالجزيرة «عين وردة»، رواه عكرمة عن ابن عباس(١٦).

وروي عن ابن عباس في قوله:"{ وفار التنور}، قال: بالهند"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٢) تفسير الطبري:٢٦/١٩.
(٣) الكشاف:١٨٣/٣.
(٤) أخرجه الطبري(١٨١٤٢):ص٣١٧/١٥.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٦):ص٢٠٢٦/٦.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٧):ص٢٠٢٦/٦.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٦/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٤٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥٣):ص٢٠٢٨/٦.
(١١) اخرجه الطبري(١٨١٦٣):ص٣٢١/١٥.
(١٢) اخرجه الطبري(١٨١٦٤):ص٣٢١/١٥.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٨):ص٢٠٢٨/٦.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم٢٠٢٩/٦. قال ابن أبي حاتم:" وروي، عن عكرمة، أنه قال وجه الأرض".
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٥٨):ص٢٠٢٨/٦.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٩):ص٢٠٢٩/٦.

الثالث : أنه مسجد بالكوفة من قبل أبواب كندة ، قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٢]، ومحمد بن علي[٣]، وحذيفة[٤]، والشعبي[٥]، ومجاهد[٦].

وعن الشعبي: "أنه كان يحلف بالله، ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة"[٧].

الرابع : أن «التنور» ما زاد على وجه الأرض فأشرف منها ، قاله قتادة[٨].

الخامس : أنه التنور الذي يخبز فيه، قيل له : إذا رأيت الماء يفور منه فاركب أنت ومن معك ، قاله مجاهد[٩]، ومقاتل[١٠]، والفراء[١١].

قال الفراء:" هو تنور الخابر: إذا فار الماء من أحر مكان في دارك فهي آية العذاب فأسر بأهلك"[١٢].

قال مقاتل:" وكان في الشام بعين وردة"[١٣].

قال الحسن:" كان تنورا من حجارة كان لحواء حتى صار إلى نوح. قال: فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك"[١٤].

قال القرطبي:"وكان فوران الماء منه علما لنوح، ودليلا على هلاك قومه. قال الشاعر وهو أمية[١٥]:

فار تنورهم وجاش بماء ... صار فوق الجبال حتى علاها"[١٦].

قال مجاهد:" نبع الماء في التنور، فعلمت به امرأته فأخبرته قال، وكان ذلك في ناحية الكوفة"[١٧].

وروي عن ابن عباس قوله: "{وفار التنور}، قال: إذا رأيت تنور أهلك يخرج منه الماء فإنه هلاك قومك"[١٨].

قال عطاء:" بلغني أن نوحا عليه السلام قال لجاريته: إذا فار تنورك ماء فأخبريني قال عطاء: بلغني أنها لما فرغت من آخر خبزها فار التنور فذهبت إلى سيدها فأخبرته فركب هو ومن معه في أعلى السفينة وفتح الله السماء بماء منهمر وفجر الأرض عيونا"[١٩].

السادس : أن التنور هو تنوير الصبح، من قولهم : نور الصبح تنويراً ، وهو مروي عن علي - رضي الله عنه-[٢٠].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦١):ص٢٠٢٩/٦.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٦):ص٢٠٢٨/٦.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٠٢٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٧) اخرجه الطبري(١٨١٦١):ص٣٢١/١٥.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٦٠):ص٢٠٢٩/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري(١٨١٥٦)-(١٨١٦٠):ص٣٢٠/١٥، وحكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٣٤٨/٣.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٥/٣.
(١١) انظر: معاني القرآن:١٤/٢.
(١٢) معاني القرآن:١٤/٢.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٥/٣.
(١٤) أخرجه الطبري(١٨١٥٥):٣٢٠/١٥.
(١٥) البيت غير منسوب في النكت والعيون:٤٧٢/٢، وتفسير القرطبي:٣٤/٩ .
(١٦) تفسير القرطبي:٣٤/٩.
(١٧) أخرجه الطبري(١٨١٦٠):٣٢٠/١٥.
(١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٢):ص٢٠٢٩/٦.
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٣):ص٢٠٢٩/٦.
(٢٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٠٨٥٧):ص٢٠٢٨/٦، والتفسير من سنن سعيد بن منصور(١٠٨٨):ص٣٤٥/٥.[سنده ضعيف]

قال أبو بكر الانباري: "والقول الذي يذهب إليه: هو أن التنور تنور الخبز؛ لأن الحمل على الظاهر الذي هو حقيقة أولى من العمل على المجاز، والتمثيل"(١).

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله: {التنور} ، قول من قال: «هو التنور الذي يخبز فيه»، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وكلام الله لا يوجه إلا إلى الأغلب الأشهر من معانيه عند العرب، إلا أن تقوم حجة على شيء منه بخلاف ذلك فيسلم لها. وذلك أنه جل ثناؤه إنما خاطبهم بما خاطبهم به، لإفهامهم معنى ما خاطبهم به"(٢).

قال ابن كثير:" وهذا قول جمهور السلف وعلماء الخلف"(٣).

قوله تعالى:{فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" فأدخِلْ في السفينة من كل الأحياء ذكرًا وأنثى؛ ليبقى النسل"(٤).

قال مجاهد:" ذكر وأنثى من كل صنف"(٥).

قال ابن عباس:" يقول لنوح: اجعل في السفينة من كل زوجين اثنين"(٦).

قال ابن عباس، قال " كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلا، منهم أهلوهم وأنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوما"(٧).

قال مبارك: "سمعت بكرا يقول: لما حمل نوح الأسد في السفينة اشتهى اللحم فزاد مخافة أهل السفينة، فشكوا ذلك إلى نوح، فدعا عليه فألقيت عليه الحمى فمر به نوح"(٨).

قال مسلم بن يسار: "أمر نوح عليه السلام أن يحمل معه من كل زوجين اثنين وملك معه، فجعل يقبض زوجا زوجا وبقي العنب، فجاء إبليس فقال: هذا كله لي، فنظر نوح إلى الملك، فقال: إنه شريكك فأحسن شركته، فقال: لي النصف وله النصف، قال إبليس: هذا كله لي، فنظر إلى الملك، فقال: إنه شريكك فأحسن شركته، قال: نعم، لي الثلث وله الثلثان، قال أخفت وأنت بحساب أنك تأكله عنبا وتأكله ذبيبا وتشربه عصيرا ثلاثة أيام، قال: مسلم: فكانوا يرون أنه إذا شربه كذلك فليس للشيطان فيه نصيب"(٩).

قوله تعالى:{وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" واحمل أهلك أيضاً إلاّ من سبق عليه القول بالهلاك ممن لم يؤمن كزوجته وابنه"(١٠).

قوله تعالى:{وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} [المؤمنون : ٢٧]، أي:" ولا تسألني نجاة قومك الظالمين، فإنهم مغرقون لا محالة"(١١).

قال يحيى:" أي: ولا تراجعني"(١٢).

قال الطبري:" يقول: ولا تسألني في الذين كفروا بالله أن أنجيهم، فإني قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم"(١٣).

قال الزجاج:" المعنى: لا تخاطبني في إمهال الذين كفروا إنهم مغرقون"(١٤).

---

(١) نقلا عن التفسير البسيط للواحدي:١١/٤١٥-٤١٦.
(٢) تفسير الطبري:٣٢١/١٥.
(٣) تفسير ابن كثير:٢٧٨/٤.
(٤) التفسير الميسر:٣٤٣.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٧):ص٢٠٣٠/٦.
(٦) اخرجه الطبري:٢٧/١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٥):ص٢٠٣٠/٦.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٧٠):ص٢٠٣٠/٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٦٨):ص٢٠٣٠/٦.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٣.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٩/١.
(١٣) تفسير الطبري:٢٧/١٩.
(١٤) معاني القرآن:٥٠/٣.

قال مقاتل:" يقول ولا تراجعني في الذين أشركوا، يقول الله: ولا تراجعني في ابنك كنعان، فإنه من الذين ظلموا"[١].

قال ابن إسحاق:" فلما شكا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل واستنصر عليهم أوحى الله إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا {ولا تخاطبني في الذين ظلموا}، أي: بعد اليوم، {إنهم مغرقون}"[٢].

قال قتادة:" نهى الله عز وجل نوحا عليه السلام أن يراجعه في أحد"[٣].

القرآن

{فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٢٨)} [المؤمنون : ٢٨]

التفسير:

فإذا علوت السفينة مستقرًا عليها أنت ومن معك آمنين من الغرق، فقل: الحمد لله الذي نجَّانا من القوم الكافرين.

قوله تعالى:{فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ} [المؤمنون : ٢٨]، أي:" فإذا علوت السفينة مستقرًا عليها أنت ومن معك آمنين من الغرق"[٤].

قال أبو عبيدة:معناه:" إذا علوت على السفينة"[٥].

قال ابن قتيبة:" أي: استقررت في الفلك"[٦].

قال الطبري: يقول:" فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك، ممن حملته معك من أهلك، راكبا فيها عاليا فوقها"[٧].

قال السمعاني:" أي: استقررت وجلست، وقد يكون الاستواء بمعنى الارتفاع، قال الخليل: دخلنا على أبي ربيعة الأعرابي، فقال لنا: استووا، أي: ارتفعوا"[٨].

قال يحيى:" كان معه امرأته وثلاث هكذا بنين له: سام، وحام، ويافث، ونساؤهم. فجميع من كان في السفينة ثمانية"[٩].

قوله تعالى:{فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون : ٢٨]، أي:" فقل: الحمد لله الذي نجَّانا من القوم الكافرين"[١٠].

قال الطبري: يقول:" يعني: من المشركين"[١١].

وفي بعض الأخبار عن النبي-ﷺ- أنه قال:« إن مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك»[١٢].

القرآن

{وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ (٢٩)} [المؤمنون : ٢٩]

التفسير:

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٦/٣.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٤):ص٢٠٢٦/٦.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٨٤٥):ص٢٠٢٦/٦.
(٤) التفسيرالميسر:٣٤٤.
(٥) مجاز القرآن:٥٧/٢.
(٦) غريب القرآن:٢٧٧.
(٧) تفسير الطبري:٢٧/١٩.
(٨) تفسير السمعاني:٤٧٢/٣.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٣٩٩/١.
(١٠) التفسيرالميسر:٣٤٤.
(١١) تفسير الطبري:٢٧/١٩.
(١٢)أخرجه الحاكم (١٦٣/٣، رقم ٤٧٢٠). من حديث أبي ذر-رضي الله عنه-.

وقل: رب يسِّر لي النزول المبارك الآمن، وأنت خير المنزلين.

قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا} [المؤمنون : ٢٩]، أي:" أنزلني إنزالاً مباركاً يحفظني من كل سوء"[١].

قال مجاهد:" يقول الرب عز وجل لنوح عليه السلام حين نزل من السفينة"[٢].

قال الطبري: يقول:" وقل إذا سلمك الله، وأخرجك من الفلك، فنزلت عنها: {رب أنزلني منزلا} من الأرض{مباركا}"[٣].

قال مقاتل:" يعنى بالبركة: أنهم توالدوا وكثروا"[٤].

قال السمعاني:" البركة بعد النزول هو كثرة النسل من أولاده الثلاثة، والبركة قبل النزول هو النجاة"[٥].

قوله تعالى:{وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ} [المؤمنون : ٢٩]، أي:" وأنت يا رب خير المنزلين لأوليائك والحافظين لعبادك"[٦].

قال الطبري: يقول:" {وأنت خير} من أنزل عباده المنازل"[٧].

قال ابن زيد:" هبطوا والله عنهم راض هبطوا بسلام من الله كانوا أهل رحمته من أهل ذلك الدهر"[٨].

قال قتادة:" هبط إلى الأرض يوم عاشوراء وصام نوح ومن معه من المغرب إلى المغرب"[٩].

وفي بعض أخبار النبي: «من نزل منزلا فقال: رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين، كان ضمانا على الله أن يحفظه من كل شيء يهوله، وإن توفي في ذلك المنزل دخل الجنة»[١٠].

القرآن

{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (٣٠)} [المؤمنون : ٣٠]

التفسير:

إن في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لَدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله، وإن كنا لمختبرين الأمم بإرسال الرسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم.

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ} [المؤمنون : ٣٠]، أي:" إن في إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين لَدلالات واضحات على صدق رسل الله فيما جاؤوا به من الله"[١١].

قال يحيى:{لَمُبْتَلِينَ}" بالدين، يعني: ما أرسل به الرسل من عبادته. وهو تفسير الحسن"[١٢].

قال الطبري: " من أمر قوم نوح وغرقهم {لآيات} لمن بعدهم"[١٣].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(٢) تفسير مجاهد:٤٨٥.
(٣) تفسير الطبري:٢٧/١٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٥/٣-١٥٦.
(٥) تفسير السمعاني:٤٧٢/٣.
(٦) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٧/١٩.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٤):ص٢٠٤٠/٦.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٩٣٣):ص٢٠٤٠/٦.
(١٠) ذكره ابن فارس، نقلا عن تفسير السمعاني:٤٧٢/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٤.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٠/١.
(١٣) تفسير الطبري:٢٨/١٩.

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ} [المؤمنون : ٣٠]، أي:" وإن كنا لمختبرين الأمم بإرسال الرسل إليهم قبل وقوع العقوبة بهم"[١].

قال الواحدي:أي:" وما كنا إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح ، ووعظه وتذكيره"[٢].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وكنا مختبريهم بتذكيرنا إياهم بآياتنا، لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم"[٣].

قال يحيى:{لَمُبْتَلِينَ}" بالدين، يعني: ما أرسل به الرسل من عبادته. وهو تفسير الحسن"[٤].

فوائد الآيات:[٢٧-٣٠]:

١- إثبات الوحي الإلهي وتقرير النبوة المحمدية.

٢- تقرير حادثة الطوفان المعروفة لدى المؤرخين.

٣- بيان عاقبة الظلم وأنه هلاك الظالمين.

٤- سنية قول بسم الله والحمد لله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون عند ركوب الدابة أو السفينة ونحوها كالسيارة والطيارة.

٥- استحباب الدعاء وسؤال الله تعالى ما العبد في حاجة إليه من خير الدنيا.

٦- بيان سر ذكر قصة نوح وهو ما فيها من العظات والعبر.

القرآن

{ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١)} [المؤمنون : ٣١]

التفسير:

ثم أنشأنا من بعد قوم نوح جيلا آخر هم قوم عاد.

قال الطبري: يقول:" ثم أحدثنا من بعد مهلك قوم نوح، قرنا آخرين، فأوجدناهم"[٥].

قال مكي:" أي: ثم أحدثنا من بعد إهلاك قوم نوح قوماً آخرين"[٦].

قال السمعاني:" أي: قوما آخرين"[٧].

قال البغوي:" من بعد إهلاكهم، {قرنا آخرين}"[٨].

قال الواحدي:" يعني: عادا قوم هود"[٩].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه أنشأ بعد قوم نوح قرنًا آخرين قيل : المراد بهم عاد ، فإنهم كانوا مستخلفين بعدهم. وقيل : المراد بهؤلاء ثمود ؛ لقوله : { فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ}"[١٠].

قال الزمخشري:" {قَرْناً آخَرِينَ}، هم عاد قوم هود: عن ابن عباس رضى الله عنهما. وتشهد له حكاية الله تعالى قول هود: {وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ}، ومجيء قصة هود على أثر قصة نوح في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء"[١١].

قال السعدي: " الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام، لأن هذه القصة تشبه قصتهم"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٢) التفسير الوسيط:٢٨٩/٣.
(٣) تفسير الطبري:٢٨/١٩.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٠/١.
(٥) تفسير الطبري:٢٨/١٩.
(٦) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٦١/٧.
(٧) تفسير السمعاني:٤٧٣/٣.
(٨) تفسير البغوي:٤١٦/٥.
(٩) التفسير الوسيط:٢٨٩/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٧٤/٥.
(١١) الكشاف:١٨٥/٣.
(١٢) تفسير السعدي:٥٥١.

القرآن
{فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٣٢)} [المؤمنون : ٣٢]

التفسير:

فأرسلنا فيهم رسولا منهم هو هود عليه السلام، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ليس لكم معبود بحق غيره، أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره؟

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ} [المؤمنون : ٣٢]، أي:" فأرسلنا فيهم رسولا منهم هو هود عليه السلام"[١].

قال الطبري: " داعيا لهم"[٢].

قال مكي:" أي: فأرسلنا فيهم رسولاً منهم أن يدعوهم إلى الإيمان"[٣].

قال السمعاني:" في التفسير: أن القرن هم قوم هود، وهم عاد، والرسول هو هود، ويقال: قوم صالح وصالح، والأول أصح وأظهر"[٤].

قال القرطبي:" يعني هودا، لأنه ما كانت أمة أنشئت في إثر قوم نوح إلا عاد. وقيل: هم قوم ثمود{فأرسلنا فيهم رسولا} يعني: صالحا. قالوا: والدليل عليه قوله تعالى آخر الآية:{فأخذتهم الصيحة} [المؤمنون: ٤١]، نظيرها:{وأخذ الذين ظلموا الصيحة} [هود: ٦٧].

قلت-القرطبي-: وممن أخذ بالصيحة أيضا أصحاب مدين قوم شعيب، فلا يبعد أن يكونوا هم، والله أعلم"[٥].

قال القرطبي-:" {منهم}، أي: من عشيرتهم، يعرفون مولده ومنشؤه ليكون سكونهم إلى قوله أكثر"[٦].

قال السعدي: {منهم}، أي:" من جنسهم، يعرفون نسبه وحسبه وصدقه، ليكون ذلك أسرع لانقيادهم، إذا كان منهم، وأبعد عن اشمئزازهم، فدعا إلى ما دعت إليه الرسل أممهم"[٧].

قوله تعالى:{أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [المؤمنون : ٣٢]، أي:" ، فقال لهم: اعبدوا الله وحده ليس لكم معبود بحق غيره"[٨].

قال الطبري: " أطيعوه دون الآلهة والأصنام، فإن العبادة لا تنبغي إلا له، ما لكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه"[٩].

قال السعدي:" فكلهم اتفقوا على هذه الدعوة، وهي أول دعوة يدعون بها أممهم، الأمر بعبادة الله، والإخبار أنه المستحق لذلك، والنهي عن عبادة ما سواه، والإخبار ببطلان ذلك وفساده"[١٠].

قوله تعالى:{أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٣٢]، أي:" أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره؟"[١١].

قال الطبري: " أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم شيئا دونه، وهو الإله الذي لا إله لكم سواه"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٢) تفسير الطبري:٢٨/١٩.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٦٢/٧.
(٤) تفسير السمعاني:٤٧٣/٣. ونقله البغوي بتمامه:٤١٦/٥.
(٥) تفسير القرطبي:١٢١/١٢.
(٦) تفسير القرطبي:١٢١/١٢.
(٧) تفسير السعدي:٥٥١.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٩) تفسير الطبري:٢٨/١٩.
(١٠) تفسير السعدي:٥٥١.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٤.

قال مكي:" أي: أفلا تخافون عقاب الله بعبادتكم الأصنام من دون الله"[٢].

القرآن

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (٣٣)} [المؤمنون : ٣٣]

التفسير:

وقال الأشراف والوجهاء من قومه الذين كفروا بالله، وأنكروا الحياة الآخرة، وأطغاهم ما أُنعم به عليهم في الدنيا من ترف العيش: ما هذا الذي يدعوكم إلى توحيد الله تعالى إلا بشر مثلكم يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ} [المؤمنون : ٣٣]، أي:" وقال الأشراف والوجهاء من قومه الذين كفروا بالله، وأنكروا الحياة الآخرة"[٣].

قال مكي:" أي: قال أشراف قومه المكذبون، الكفار بالبعث، يعني قوم هود عليه السلام"[٤].

قال الطبري: يقول:" وقالت الأشراف من قوم الرسول الذي أرسلنا بعد نوح، وعنى بالرسول في هذا الموضع: صالحا، وبقومه: ثمود"[٥].

قوله تعالى:{وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [المؤمنون : ٣٣]، أي:" وأطغاهم ما أُنعم به عليهم في الدنيا من ترف العيش"[٦].

قال الطبري: يقول:" يقول: ونعمناهم في حياتهم الدنيا بما وسعنا عليهم من المعاش، وبسطنا لهم من الرزق، حتى بطروا وعتوا على ربهم، وكفروا، ومنه قول الراجز[٧]:

وقد أراني بالديار مترفا"[٨].

قال مكي:" أي: ونعمناهم في الدنيا بسعة الرزق حتى بطروا وعتوا، فكفروا وكذبوا الرسل"[٩].

قال السمعاني:" أي: وأغنياهم في الحياة الدنيا، ويقال: وسعنا عليهم المعيشة في الحياة الدنيا حتى أترفوا، والإتراف هو التنعم بملاذ العيش"[١٠].

قال القرطبي-:"أي: وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا وصاروا يؤتون بالترفة"[١١].

قوله تعالى:{مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ} [المؤمنون : ٣٣]، أي:" قالوا لأتباعهم مضلين لهم: ما هذا الذي يزعم أنه رسول إلا إنسان مثلكم"[١٢].

قال السعدي:" أي: من جنسكم"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٢٨/١٩.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٦٢/٧.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٦٢/٧.
(٥) تفسير الطبري:٢٨/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٧)البيت للعجاج (أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكري ص ١٩) قال في شرحه له: وقد أراني أي قد كنت أرني. والمترف من الترف، وهو النعيم والرفه. وفي (اللسان: ترف) : والمترف: المتنعم المتوسع في ملاذ الدنيا وشهوتها. ورجل مترف، ومترف كمعظم: موسع عليه. وترف الرجل وأترفه: دلله وملكه. وقوله تعالى {إلا قال مترفوها} : أي أولوا الترف وأراد رؤساءها وقادة الشر منها.
(٨) تفسير الطبري:١٩/٢-٢٩..
(٩) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٦٢/٧.
(١٠) تفسير السمعاني:٤٧٤/٣.
(١١) تفسير القرطبي:١٢١/١٢.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٨٢/٢.
(١٣) تفسير السعدي:٥٥١.

قال الطبري:" يقول: قالوا: بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا، وخصه بالرسالة دوننا، وهو إنسان مثلنا"(١).
قوله تعالى:{يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ} [المؤمنون : ٣٣]، أي:" يأكل من جنس طعامكم، ويشرب من جنس شرابكم"(٢).
قال الطبري: يقول:" يأكل مما نأكل منه من الطعام، ويشرب مما نشرب، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته"(٣).
قال القرطبي-:"أي: فلا فضل له عليكم لأنه محتاج إلى الطعام والشراب كأنتم"(٤).
قال السعدي:" فما الذي يفضله عليكم؟ فهلا كان ملكا لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب"(٥).

القرآن
{وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٣٤)} [المؤمنون : ٣٤]
التفسير:
ولئن اتبعتم فردًا مثلكم إنكم إذًا لخاسرون بترككم آلهتكم واتباعكم إياه.
قوله تعالى:{وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ} [المؤمنون : ٣٤]، أي:" ولئن اتبعتم فردًا مثلكم"(٦).
قال الطبري: أي:" فاتبعتموه، وقبلتم ما يقول وصدقتمو"(٧).
قال البيضاوي:أي:" فيما يأمركم به"(٨).
قال السعدي:" أي: إن تبعتموه وجعلتموه لكم رئيسا، وهو مثلكم"(٩).
قال السمعاني:" {بشرا مثلكم}، أي: من لحم ودم مثلكم"(١٠).
قوله تعالى:{إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ} [المؤمنون : ٣٤]، أي:" إنكم إذًا لخاسرون بترككم آلهتكم واتباعكم إياه"(١١).
قال الطبري: أي:" إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة في الدنيا، باتباعكم إياه"(١٢).
قال السمعاني:" أي: المغبونون، ويقال: تاركون طريقة العقلاء، فتكونون بمنزلة من خسر عقله"(١٣).
قال القرطبي-:" يريد لمغبونون بترككم آلهتكم واتباعكم إياه من غير فضيلة له عليكم"(١٤).
قال النسفي:" {لخاسرون} بالانقياد لمثلكم ومن حمقهم أنهم أبوا اتباع مثلهم وعبدوا أعجز منهم"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٢٩/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٣) تفسير الطبري:٢٩/١٩.
(٤) تفسير القرطبي:١٢١/١٢.
(٥) تفسير السعدي:٥٥١.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٧) تفسير الطبري:٢٩/١٩.
(٨) تفسير البيضاوي:٨٧/٤.
(٩) تفسير السعدي:٥٥١.
(١٠) تفسير السمعاني:٤٧٤/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٤.
(١٢) تفسير الطبري:٢٩/١٩.
(١٣) تفسير السمعاني:٤٧٤/٣.
(١٤) تفسير القرطبي:١٢١/١٢-١٢٢.

قال البيضاوي:" حيث أذللتم أنفسكم، و«إذا» جزاء للشرط وجواب للذين قاولوهم من قومه"[٢].

قال السعدي:" إنكم لمسلوبو العقل، نادمون على ما فعلتم. وهذا من العجب، فإن الخسارة والندامة حقيقة لمن لم يتابعه ولم ينقد له. والجهل والسفه العظيم لمن تكبر عن الانقياد لبشر، خصه الله بوحيه، وفضله برسالته، وابتلي بعبادة الشجر والحجر. وهذا نظير قولهم: {فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ(٢٤) أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ} [القمر : ٢٤-٢٥] [القمر : ٢٤]"[٣].

القرآن

{أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ (٣٥)} [المؤمنون : ٣٥]

التفسير:

كيف تُصَدِّقون ما يَعِدُكم به من أنكم إذا متُّم، وصرتم ترابًا وعظامًا مفتتة، تُخْرَجون من قبوركم أحياء؟

قال الطبري: " قالوا لهم: أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم ترابا في قبوركم، وعظاما قد ذهبت لحوم أجسادكم، وبقيت عظامها - أنكم مخرجون من قبوركم أحياء، كما كنتم قبل مماتكم؟"[٤].

قال السمعاني:" تحصيل المعنى: أيعدكم أنكم إذا متم وقبرتم ثم خرجتم من قبوركم"[٥].

قال ابن كثير:" أنكروا المعاد الجثماني"[٦].

وفي قراءة ابن مسعود: «أيعدكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخروجون»[٧].

القرآن

{هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦)} [المؤمنون : ٣٦]

التفسير:

بعيد حقًا ما توعدون به أيها القوم من أنكم بعد موتكم تُخْرَجون أحياء من قبوركم.

قال الطبري:" هذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: هيهات هيهات: أي بعيد ما توعدون أيه القوم، من أنكم بعد موتكم ومصيركم ترابا وعظاما مخرجون أحياء من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن"[٨].

قال ابن كثير:" أي : بعيد بعيد ذلك"[٩].

قال مقاتل:" يقول: هذا حديث قد درس فلا يذكر"[١٠].

قال الفراء:" معنى: «هيهات» بعيد، كأنه قال: بعيد {لما توعدون}"[١١].

عن ابن عباس، قوله: "{هيهات هيهات}، يقول: بعيد بعيد"[١٢].

قال قتادة:" يعني: البعث"[١].

---

(١) تفسير النسفي:٤٦٨/٢.
(٢) تفسير البيضاوي:٨٧/٤.
(٣) تفسير السعدي:٥٥١.
(٤) تفسير الطبري:٢٩/١٩.
(٥) تفسير السمعاني:٤٧٤/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٧٤/٥.
(٧) انظر: تفسير السمعاني:٤٧٤/٣.
(٨) تفسير الطبري:٣٠/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٧٤/٥.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٦/٣.
(١١) معاني القرآن:٢٣٥/٢.
(١٢) أخرجه الطبري:٣٠/١٩.

قال قتادة:" تباعد البعث في أنفس القوم، أي: لا يبعثون"[٢].
قال الكلبي: "يقولون: بعيد بعيد ما وعدكم ليوم البعث"[٣].
قال الواحدي:" استبعد أعداء الله إخراجهم ونشرهم لما كانت العدة به بعد الموت إغفالا منهم للتفكير في قوله: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة} [يس: ٧٩]"[٤].
قال السعدي:" فلما أنكروا رسالته وردوها، أنكروا ما جاء به من البعث بعد الموت، والمجازاة على الأعمال فقالوا: {أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون}، أي: بعيد بعيد ما يعدكم به من البعث بعد أن تمزقتم وكنتم ترابا وعظاما فنظروا نظرا قاصرا ورأوا هذا بالنسبة إلى قدرهم غير ممكن فقاسوا قدرة الخالق بقدرهم تعالى الله فأنكروا قدرته على إحياء الموتى وعجزوه غاية التعجيز ونسوا خلقهم أول مرة وأن الذي أنشأهم من العدم فإعادته لهم بعد البلى أهون عليه وكلاهما هين لديه فلم لا ينكرون أول خلقهم ويكابرون المحسوسات ويقولون إننا لم نزل موجودين حتى يسلم لهم إنكارهم للبعث وينتقلوا معهم إلى الاحتجاج على إثبات وجود الخالق العظيم؟
وهنا دليل آخر وهو أن الذي أحيا الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير وثم دليل آخر وهو ما أجاب به المنكرين للبعث في قوله: {بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ(٢)أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ} [ق : ٢-٣]، فقال في جوابهم {قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ} [ق : ٤] أي: في البلى {وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ} [ق : ٤] "[٥].
وقرأ ذلك أبو جعفر: «هيهات هيهات»، بكسر التاء فيهما[٦].

القرآن
{إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧)} [المؤمنون : ٣٧]
التفسير:
ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء، وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى.
قوله تعالى:{إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا} [المؤمنون : ٣٧]، أي:" ما حياتنا إلا في هذه الدنيا، يموت الآباء منا ويحيا الأبناء"[٧].
قال يحيى:" أي: نموت ونولد"[٨].
قال السعدي:" أي: يموت أناس ويحيا أناس"[٩].
قال الطبري:" يقول: ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها، تموت الأحياء منا فلا تحيا، ويحدث آخرون منا فيولدون أحياء"[١٠].
قال الزمخشري:" أي: يموت بعض ويولد بعض، ينقرض قرن ويأتي قرن آخر"[١١].
قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} [المؤمنون : ٣٧]، أي:" وما نحن بمخرجين أحياء مرة أخرى"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري:٣٠/١٩.
(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٠/١.
(٣) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٨٩/٣.
(٤) التفسير الوسيط:٢٨٩/٣.
(٥) تفسير السعدي:٥٥١.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٣١/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٠/١.
(٩) تفسير السعدي:٥٥١.
(١٠) تفسير الطبري:٣١/١٩.
(١١) الكشاف:١٨٧/٣.
(١٢) التفسير الميسر:٣٤٤.

قال الطبري:" يقول: قالوا: وما نحن بمبعوثين بعد الممات"[١].
قال ابن زيد:" يقول ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث، يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء، يقولون: إنما الناس كالزرع يحصد هذا، وينبت هذا، يقولون: يموت هؤلاء، ويأتي آخرون"[٢].
فوائد الآيات:[٣١-٣٨]:
١- بيان سنة الله تعالى في إرسال الرسل، وما تبتدىء به دعوتهم وهو لا إله إلاّ الله.
٢- أهل الكفر لا يصدر عنهم إلا ما هو شر وباطل لفساد قلوبهم.
٣- الترب سِبب كثيراً من المفاسد والشرور، ولهذا يجب أن يُحْذَرْ بالاقتصاد.
٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء وإثباتها وهي ما ينكره الملاحدة هروباً من الاستقامة.
٥- تُكأة عامة المشركين وهي كيف يكون الرسول رجلاً من البشر، دفعاً للحق وعدم قبوله.
القرآن
{إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨)} [المؤمنون : ٣٨]
التفسير:
وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذبًا، ولسنا بمصدقين ما قاله لنا.
قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [المؤمنون : ٣٨]، أي:" وما هذا الداعي لكم إلى الإيمان إلا رجل اختلق على الله كذبًا"[٣].
قال يحيى:" يزعم أن الله أرسله"[٤].
قال الطبري:" قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله: {ما لكم من إله غيره}، وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون"[٥].
قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ} [المؤمنون : ٣٨]، أي:" ولسنا بمصدقين ما قاله لنا"[٦].
قال يحيى:" أي: بمصدقين"[٧].
قال الطبري:" يقول: وما نحن له بمصدقين فيما يقول: إنه لا إله لنا غير الله، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات"[٨].

القرآن
{قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩)} [المؤمنون : ٣٩]
التفسير:
فدعا رسولهم ربه قائلا رب انصرني عليهم بسبب تكذيبهم لي.
قال الطبري:" يقول: قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله، ومن تصديقهم إياه بقولهم: {وما نحن له بمؤمنين} رب انصرني على هؤلاء بما كذبون يقول: بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحق، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه، وتكذيبهم له"[٩].
قال البيضاوي: أي:" انصرني عليهم وانتقم لي منهم، بسبب تكذيبهم إياي"[١].

---

(١) تفسير الطبري:٣١/١٩.
(٢) اخرجه الطبري:٣١/١٩-٣٢.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٠/١.
(٥) تفسي الطبري:٣٢/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٤.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٠١/١.
(٨) تفسي الطبري:٣٢/١٩.
(٩) تفسي الطبري:٣٢/١٩.

قال الواحدي:{بِمَا كَذَّبُونِ}، أي:" بتكذيبهم إياي"[٢].
قال ابن كثير:" أي : استفتح عليهم الرسول واستنصَرَ ربَّه عليهم"[٣].

القرآن

{قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠)} [المؤمنون : ٤٠]

التفسير:

وقال الله مجيبًا لدعوته: عمَّا قليل ليصبحُنَّ نادمين، أي: بعد زمن قريب سيصير هؤلاء المكذبون نادمين.

قال الطبري:" فقال الله له مجيبا في مسألته إياه ما سأله: عن قليل يا صالح ليصبحن مكذبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين، وذلك حين تنزل بهم فتنتنا فلا ينفعهم الندم"[٤].

قال الزجاج:" معناه : عن قليل، و {ما}، زائدة بمعنى التوكيد، كأن معناه: عن قليل ليصبحن نادمين حقا"[٥].

قال البيضاوي:أي:" عن زمان قليل ليصبحن نادمين على التكذيب إذا عاينوا العذاب، و«ما» صلة لتوكيد معنى القلة، أو نكرة موصوفة"[٦].

قال الواحدي:"{نَادِمِينَ}، "على الكفر والتكذيب"[٧].

القرآن

{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١)} [المؤمنون : ٤١]

التفسير:

ولم يلبثوا أن جاءتهم صيحة شديدة مع ريح، أهلكهم الله بها، فماتوا جميعًا، وأصبحوا كغثاء السيل الذي يطفو على الماء، فهلاكًا لهؤلاء الظالمين وبُعْدًا لهم من رحمة الله، فليحذر السامعون أن يكذبوا رسولهم، فيحل بهم ما حل بسابقيهم.

قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ} [المؤمنون : ٤١]، أي:" فأخذتهم صيحة العذاب المدمر عدلاً من الله لا ظلماً"[٨].

قال الحسن:" الصيحة: العذاب"[٩].

قال الطبري:" فانتقمنا منهم، فأرسلنا عليهم الصيحة، فأخذتهم بالحق، وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه بكفرهم به، وتكذيبهم رسوله"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: صيحة جبريل- عليه السلام- فصاح صيحة واحدة فماتوا أجمعين فلم يبق منهم أحد"[١١].

قال السمعاني:" في القصة: أن جبريل - عليه السلام - صاح بهم صيحة فتصدعت قلوبهم، ويقال: إن المراد من الصيحة الهلاك. قال امرؤ القيس[١٢]:

فدع عنك نهيا صيح في حجراته ... ولكن حديث ما حديث الرواحل

---

(١) تفسير البيضاوي:٤/٨٧.
(٢) الوجيز:٧٤٧.
(٣) تفسير ابن كثير:٥/٤٧٤.
(٤) تفسي الطبري:١٩/٣٢.
(٥) معاني القرىن:٤/١٣.
(٦) تفسير البيضاوي:٤/٨٨.
(٧) التفسير الوسيط:٣/٢٩٠.
(٨) صفوة التفاسير:٢/٢٨٣.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤٠١.
(١٠) تفسي الطبري:١٩/٣٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٥٧.
(١٢)ديوانه" ص ١٣٥، و"اللسان" ٤/ ٢٠٣٩ (سقط)، و"الدر المصون" ٥/ ٤٦١، وفي "الديوان" (دع) بدل فدع، والنهب: الغارة والسلب، وحجراته: نواحيه، والرواحل: النوق.

وتمثل بهذا البيت علي رضي الله عنه في بعض حروبه"[١].

قال الواحدي:" قوله: {بالحق}، أي: باستحقاقهم العذاب بكفرهم"[٢].

قال البيضاوي:" {بالحق}: بالوجه الثابت الذي لا دافع له، أو بالعدل من الله كقولك فلان يقضي بالحق. أو بالوعد الصدق، واستدل به على أن القرن قوم صالح"[٣].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً} [المؤمنون : ٤١]، أي:" وأصبحوا كغثاء السيل الذي يطفو على الماء"[٤].

قال الطبري:" يقول: فصيرناهم بمنزلة الغثاء، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه، كما لا ينتفع به في شيء فإنما هذا مثل، والمعنى: فأهلكناهم فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه"[٥].

قال ابو عبيدة:" وهو ما أشبه الزبد وما ارتفع على السيل وما أشبه ذلك مما لا ينتفع به فى شيء"[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: هلكى كالغثاء، وهو ما علا السيل من الزبد والقمش[٧]، لأنه يذهب ويتفرق"[٨].

قال الزجاج:" الغثاء: الهالك والبالي من ورق الشجر الذي إذا جرى السيل رأيته مخالطا زبده"[٩].

قال ابن عباس:" يقول: جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر"[١٠].

قال قتادة: "هو الشيء البالي"[١١].

قال مجاهد:" كالرميم الهامد، الذي يحتمل السيل"[١٢].

قال ابن زيد:" هذا مثل ضربه الله"[١٣].

قوله تعالى:{فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون : ٤١]، أي:" فهلاكًا لهؤلاء الظالمين وبُعْدًا لهم من رحمة الله"[١٤].

قال الطبري:" يقول: فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم؛ إذ كفروا بربهم، وعصوا رسله، وظلموا أنفسهم"[١٥].

قال مجاهد:" أولئك ثمود"[١٦].

القرآن

{ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)} [المؤمنون : ٤٢]

التفسير:

---

(١) تفسير السمعاني:٤٧٥/٣.

(٢) التفسير الوسيط:٢٩٠/٣.

(٣) تفسير البيضاوي:٨٨/٤.

(٤) التفسير الميسر:٣٤٤.

(٥) تفسي الطبري:٣٢/١٩.

(٦) مجاز القرآن:٥٩/٢.

(٧)القمش: الرديء من كل شيء، وما كان على وجه الأرض من فتات الأشياء. ويقال لرذالة الناس: قماش، كما كما في اللسان ٢٢٩/٨.

(٨) غريب القرآن:٢٩٧.

(٩) معاني القرىن:١٣/٤.

(١٠) أخرجه الطبري:٣٣/١٩-٣٤.

(١١) أخرجه الطبري:٣٣/١٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٣٣/١٩.

(١٣) أخرجه الطبري:٣٣/١٩.

(١٤) التفسير الميسر:٣٤٤.

(١٥) تفسير الطبري:٣٣/١٩.

(١٦) أخرجه الطبري:٣٣/١٩.

ثم أنشأنا من بعد هؤلاء المكذبين أممًا وخلائق آخرين كأقوام: لوط وشعيب وأيوب ويونس صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.
قال الطبري:يقول:" ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين"(١).
قال يحيى:" من بعد الهالكين"(٢).
قال السمعاني:" أي: قوما آخرين"(٣).
قال البيضاوي:" هي قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم"(٤).

القرآن
{مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٤٣)} [المؤمنون : ٤٣]
التفسير:
ما تتقدم أي أمة من هذه الأمم المكذبة الوقت المحدد لهلاكها، ولا تتأخر عنه.
قال يحيى:" {ما تسبق من أمة أجلها}،يعني: الوقت الذي يهلكها فيه، {وما يستأخرون} عن الوقت ساعة ولا يستقدمون من قبل الوقت"(٥).
قال السمعاني:" {ما تسبق من أمة أجلها} أي: وقت هلاكهم. {وما يستأخرون}، أي: يتأخرون عن وقت هلاكها"(٦).
قال البيضاوي:" {ما تسبق من أمة أجلها} الوقت الذي حد لهلاكها، و«من» مزيدة للاستغراق. {وما يستأخرون} الأجل"(٧).
قال الطبري:" يقول: ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها، ولا يستأخر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها، والوقت الذي وقتنا لفنائها، ولكنها تهلك لمجيئه. وهذا وعيد من الله لمشركي قوم نبينا محمد ﷺ، وإعلام منه لهم أن تأخيره في آجالهم، مع كفرهم به وتكذيبهم رسوله، ليبلغوا الأجل الذي أجل لهم، فيحل بهم نقمته، كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة"(٨).

القرآن
{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (٤٤)} [المؤمنون : ٤٤]
التفسير:
ثم أرسلنا رسلنا إلى تلك الأمم يتبع بعضهم بعضًا، كلما دعا رسول أمته كذبوه، فأتبعنا بعضهم بعضًا بالهلاك والدمار، ولم يَبْقَ إلا أخبار هلاكهم، وجعلناها أحاديث لمن بعدهم، يتخذونها عبرة، فهلاكًا وسُحْقًا لقوم لا يصدقون الرسل ولا يطيعونهم.
قوله تعالى:{ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى} [المؤمنون : ٤٤]، أي:" ثم أرسلنا رسلنا إلى تلك الأمم يتبع بعضهم بعضًا"(٩).
قال الطبري: يقول:" {ثم أرسلنا} إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود {رسلنا تترى}، يعني: يتبع بعضها بعضا، وبعضها في أثر بعض، وهي من المواترة"(١).

---

(١) تفسير الطبري:٣٣/١٩.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٠١/١.
(٣) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(٤) تفسير البيضاوي:٨٨/٤.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤٠١/١.
(٦) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(٧) تفسير البيضاوي:٨٨/٤.
(٨) تفسير الطبري:٣٣/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٤٥.

قال السمعاني:" المعنى: متواترين بعضهم على إثر بعض، ويقال: بين كل نبيين قطعة من الزمان"[٢].

قال ابن عباس:" يقول: يتبع بعضها بعضا"[٣].

عن مجاهد :"{تترى}، قال: اتباع بعضها بعضا"[٤].

وقرء: «تترا»، بالتنوين[٥].

قوله تعالى:{كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ} [المؤمنون : ٤٤]، أي:" كلما دعا رسول أمته كذبوه"[٦].

قال الطبري:" يقول: كلما جاء أمة من تلك الأمم، التي أنشأناها بعد ثمود، رسولها الذي نرسله إليهم، كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا"[٧].

قال السمعاني:" أي: جحدوه وأنكروه"[٨].

قوله تعالى:{فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا} [المؤمنون : ٤٤]، أي:" فأتبعنا بعضهم بعضًا بالهلاك والدمار"[٩].

قال السمعاني:" أي: في الهلاك"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض"[١١].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} [المؤمنون : ٤٤]، أي:" وجعلناها أحاديث لمن بعدهم، يتخذونها عبرة"[١٢].

قال مقاتل:" لمن بعدهم من الناس يتحدثون بأمرهم وشأنهم"[١٣].

قال الطبري:يعني:" مثلا يتحدث بهم في الناس"[١٤].

قال ابو عبيدة:" أي: يتمثّل بهم في الشر، ولا يقال في الخير: جعلته حديثا"[١٥].

قال ابن قتيبة:" أخبارا وعبرا"[١٦].

قال الصابوني:أي:" أخباراً تُروى وأحاديث تُذكر، يتحدث الناس بما جرى عليهم تعجباً وتسلية"[١٧].

قال السمعاني:" أي: سمرا وقصصا، قال بعضهم شعرا[١٨]:

فكن حديثا حسنا ذكره ... فإنما الناس أحاديث"[١٩].

---

(١) تفسير الطبري:٣٤/١٩.
(٢) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(٣) اخرجه الطبري:٣٤/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٣٤/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٣٤/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٧) تفسير الطبري:٣٥/١٩.
(٨) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(٩) التفسير الميسر:٣٤٥.
(١٠) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(١١) تفسير الطبري:٣٥/١٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣٤٥.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥٧/٣.
(١٤) تفسير الطبري:٣٥/١٩.
(١٥) مجاز القرآن:٥٩/٢.
(١٦) غريب القرآن:٢٩٧.
(١٧) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.
(١٨) الشعر لابن دريد، انظر: العقد الفريد:١٩٤/١، وحماسة الخالديين:٦٨/١، وجمهرة الامثال:٣٥٢/١، وبهجة المجالس وأنس المجالس:١٦٧، وغيرها.
(١٩) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.

قوله تعالى:{فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ٤٤]، أي:" فهلاكًا وسُحْقًا لقوم لا يصدقون الرسل ولا يطيعونهم"(١).

قال الطبري:" يقول: فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون برسوله"(٢).

فوائد الآيات:[٣٩-٤٤]:

١- استجابة الله دعوة المظلومين من عباده لاسيما إن كانوا عباداً صالحين.

٢- الآجال للأفراد أو الأمم لا تتقدم ولا تتأخر سنة من سنن الله تعالى في خلقه.

٣- تقرير حقيقة تاريخية علمية وهي أن الأمم السابقة كلها هلكت بتكذيبها وكفرها ولم ينج منها عند نزول العذاب بها إلاّ المؤمنون مع رسولهم.

٤- كرامة هذه الأمة المحمدية أن الله تعالى لا يهلكها هلاكاً عاماً بل تبقى بقاء الحياة تقوم بها الحجة لله تعالى على الأمم والشعوب المعاصرة لها طيلة الحياة.

القرآن

{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤٥) إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ (٤٦)} [المؤمنون : ٤٥ - ٤٦]

التفسير:

ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا التسع وهي: العصا واليد والجراد والقُمَّل والضفادع والدم والطوفان والسنون ونقص من الثمرات، حجةً بيِّنة تقهر القلوب فتنقاد لها قلوب المؤمنين، وتقوم الحجة على المعاندين، أرسلناهما إلى فرعون حاكم «مصر» وأشراف قومه، فاستكبروا عن الإيمان بموسى وأخيه، وكانوا قومًا متطاولين على الناس قاهرين لهم بالظلم.

قوله تعالى:{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا} [المؤمنون : ٤٥]، أي:" ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بحججنا"(٣).

قال الطبري:يقول:" ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية -موسى وأخاه هارون- إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بحججنا"(٤).

قال مقاتل:" بآياتنا: اليد والعصا"(٥).

قوله تعالى:{وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ} [المؤمنون : ٤٥]، أي:" وحجة واضحة ملزمة للخصم"(٦).

قال مقاتل ويحيى بن سلام:" يعني: حجة بينة"(٧).

قال السمعاني:" أي: بحجة بينة، وهي الآيات التسع"(٨).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما المراد بالسلطان المبين؟ قلت: يجوز أن تراد العصا، لأنها كانت أمّ آيات موسى وأولاها، وقد تعلقت بها معجزات شتى: من انقلابها حية، وتلقفها ما أفكته السحرة، وانفلاق البحر، وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها، وكونها حارسا، وشمعة، وشجرة خضراء مثمرة، ودلوا ورشاء. جعلت كأنها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل، فلذلك عطفت عليها كقوله تعالى: {وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ}، ويجوز أن تراد الآيات أنفسها، أى: هي آيات وحجة بينة"(٩).

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٢) تفسير الطبري:٣٥/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٣٥/١٩، والتفسير الميسر:٣٤٥.
(٤) تفسير الطبري:٣٥/١٩.[بتصرف]
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٧/٣-١٥٨.
(٦) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣، وتفسير يحيى بن سلام:٤٠١/١.
(٨) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(٩) الكشاف:١٨٨/٣-١٨٩.

قوله تعالى:{إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [المؤمنون : ٤٦]، أي:" أرسلناهما إلى فرعون الطاغية وأشراف قومه المتكبرين"[١].

قال يحيى:" {وملئه}، يعني: قومه"[٢].

قال مقاتل:" {وَمَلَئِهِ}، يعني: الأشراف، اسم فرعون قيطوس"[٣].

قوله تعالى:{فَاسْتَكْبَرُوا} [المؤمنون : ٤٦]، أي:" فاستكبروا عن الإيمان بالله وعبادته"[٤].

قال مقاتل:" يعني: فتكبروا عن الإيمان بالله- عز وجل-"[٥].

قال يحيى:" عن عبادة الله"[٦].

قال الطبري:" عن اتباع حججنا، والإيمان بما جاءهم به من عند الله"[٧].

قال القاسمي:" أي عن الانقياد وإرسال بني إسرائيل مع موسى لأرض كنعان، وتحريرهم من تلك العبودية لهم"[٨].

قال السمعاني:" الاستكبار: طلب التكبر"[٩].

قوله تعالى:{وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ} [المؤمنون : ٤٦]، أي:" وكانوا قومًا متكبرين متمردين، قاهرين لغيرهم بالظلم"[١٠].

قال مقاتل:" يعني: متكبرين عن توحيد الله"[١١].

قال يحيى:" مشركين"[١٢].

قال الطبري:" يقول: وكانوا قوما عالين على أهل ناحيتهم، ومن في بلادهم من بنى إسرائيل وغيرهم بالظلم، قاهرين لهم"[١٣].

قال السمعاني:" أي: طالبين للعلو بغير الحق، ويقال: {عالين} قاهرين (لمن) تحتهم بالظلم"[١٤].

قال الزمخشري:" متكبرين أو متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم"[١٥].

قال القاسمي:" أي: متمردين"[١٦].

القرآن

{فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧)} [المؤمنون : ٤٧]

التفسير:

فقالوا: أنصدِّق فَرْدَيْن مثلنا، وقومهما من بني إسرائيل تحت إمرتنا مطيعون متذللون لنا؟

---

(١) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٠١/١.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٧/٣.
(٤) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(٧) تفسير الطبري:٣٥/١٩.[بتصرف]
(٨) محاسن التأويل:٢٩٠/٧.
(٩) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(١٣) تفسير الطبري:٣٥/١٩.
(١٤) تفسير السمعاني:٤٧٦/٣.
(١٥) الكشاف:١٨٩/٣.
(١٦) محاسن التأويل:٢٩٠/٧.

قوله تعالى:{فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا} [المؤمنون : ٤٧]، أي:" أنصدق رجلين مثلنا ونتَّبعهما؟"(١).

قال يحيى:" أي: أنصدق بشرين مثلنا، فلو كانا ملكين لآمنا بهما. يعنون موسى وهارون"(٢).

قال الطبري:" فقال فرعون وملؤه: {أنؤمن لبشرين مثلنا} فنتبعهما"(٣).

قال ابن زيد:" قال فرعون: {أنؤمن لبشرين مثلنا} .. الآية، نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع ذلك، وذلك حين أتوهم بالرسالة، وقرأ: {وتكون لكما الكبرياء في الأرض}، قال: العلو في الأرض"(٤).

قوله تعالى:{وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ} [المؤمنون : ٤٧]، أي:" والحال أن قوم موسى وهارون منقادون لنا كالخدم والعبيد؟"(٥).

قال يحيى:" يعنون بني إسرائيل، وكانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، ووضعوا عليهم الجزية. وليس يعني: أنهم يعبدوننا"(٦).

قال أبو عبيدة:" أي: داينون مطيعون، وكل من دان الملك فهو عابد له، ومنه سمى أهل الخيرة: العبّاد"(٧).

قال الطبري:" يعنون: أنهم لهم مطيعون متذللون، يأتمرون لأمرهم، ويدينون لهم، والعرب تسمي كل من دان لملك: عابدا له. ومن ذلك قيل لأهل الحيرة: العباد؛ لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم"(٨).

قال البيضاوي:" يعني: بني إسرائيل. {لنا} خادمون منقادون كالعباد"(٩).

قال الزمخشري:" يعنى: بنى إسرائيل، كأنهم يعبدوننا خضوعا وتذللا. أو لأنه كان يدعى الإلهية فادعى للناس العبادة، وأن طاعتهم له عبادة على الحقيقة"(١٠).

القرآن

{فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ (٤٨)} [المؤمنون : ٤٨]

التفسير:

فكذبوهما فيما جاءا به، فكانوا من المهلكين بالغرق في البحر.

قوله تعالى:{فَكَذَّبُوهُمَا} [المؤمنون : ٤٨]، أي:" فكذبوهما فيما جاءا به"(١١).

قال الطبري:" يقول: فكذب فرعون وملؤه موسى وهارون"(١٢).

قوله تعالى:{فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} [المؤمنون : ٤٨]، أي:" فكانوا من المهلكين بالغرق في البحر"(١٣).

قال مقاتل:" بالغرق"(١٤).

---

(١) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(٣) تفسير الطبري:٣٥/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٣٦/١٩.
(٥) صفوة التفاسير:٢٨٣/٢.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(٧) مجاز القرآن:٥٩/٢.
(٨) تفسير الطبري:٣٥/١٩-٣٦.
(٩) تفسير البيضاوي:٨٩/٤.
(١٠) الكشاف:١٨٩/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٥.
(١٢) تفسير الطبري:٣٦/١٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٤٥.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.

قال يحيى:" فأهلكهم الله بالغرق"[١].
قال البيضاوي:" بالغرق في بحر قلزم"[٢].
قال الطبري:" فكانوا ممن أهلكهم الله كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها"[٣].

القرآن
{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٤٩)} [المؤمنون : ٤٩]
التفسير:
ولقد آتينا موسى التوراة؛ ليهتدي بها قومه إلى الحق.
قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} [المؤمنون : ٤٩]، أي:" ولقد آتينا موسى التوراة"[٤].
قال بحبى:"التوراة"[٥].
قال الواحدي:أي:" التوراة جملة واحدة"[٦].
عن زياد بن أبي مريم، قوله:"{آتينا}، قال: أعطينا"[٧].
قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ} [المؤمنون : ٤٩]، أي:" ليهتدي بها قومه إلى الحق"[٨].
قال بحبى:" لكي يهتدوا"[٩].
قال الطبري:يقول:" ليهتدي بها قومه من بني إسرائيل، ويعملوا بما فيها"[١٠].
قال الواحدي:" لكي يهتدوا به من الضلالة"[١١].
قال البيضاوي:" يهتدون إلى المعارف والأحكام"[١٢].
قال مقاتل:" يعني: بني إسرائيل، لأن التوراة نزلت بعد هلاك فرعون وقومه"[١٣].

القرآن
{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ (٥٠)} [المؤمنون : ٥٠]
التفسير:
وجعلنا عيسى بن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا؛ إذ خلقناه من غير أب، وجعلنا لهما مأوى في مكان مرتفع من الأرض، مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جار ظاهر للعيون.
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً} [المؤمنون : ٥٠]، أي:" وجعلنا عيسى بن مريم وأمه علامة دالة على قدرتنا؛ إذ خلقناه من غير أب"[١٤].
قال الطبري:" يقول: وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب"[١٥].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(٢) تفسير البيضاوي:٨٩/٤.
(٣) تفسير الطبري:٣٦/١٩.
(٤) تفسير الطبري:٣٦/١٩.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(٦) التفسير الوسيط:٢٩١/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٩):ص١٦٨/١.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(١٠) تفسير الطبري:٣٦/١٩.
(١١) التفسير الوسيط:٢٩١/٣.
(١٢) تفسير البيضاوي:٨٩/٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.
(١٤) التفسير الميسر:٣٤٥.
(١٥) تفسير الطبري:٣٦/١٩.

قال ابن قتيبة:{ آية}، "أي: علما ودليلا"[١].

قال مقاتل:" يعني: عبرة لبني إسرائيل، لأن مريم حملت من غير بشر وخلق ابنها من غير أب"[٢].

قال قتادة:" ولدته من غير أب هو له"[٣].

قال الفراء:" لم يقل: آيتين، لأن شأنهما واحد"[٤].

قوله تعالى:{وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ} [المؤمنون : ٥٠]، أي:" وجعلنا لهما مأوى في مكان مرتفع من الأرض"[٥].

قال أبو عبيدة:" معناه: ضممنا، و{ربوة} -يضمّ أولها ويكسر- وهى النّجوة من الأرض ومنها قولهم: فلان فى ربوة من قومه، أي: عزّ وشرف وعدد"[٦].

قال الطبري:" يقول: وضممناهما وصيرناهما إلى إلى مكان مرتفع من الأرض على ما حوله"[٧].

قال الفراء:" الربوة: ما ارتفع من الأرض"[٨].

قال ابن قتيبة:" الارتفاع. وكل شيء ارتفع أو زاد، فقد ربا، ومنه: الربا في البيع"[٩].

قال الزجاج:" «الربوة»،عند أهل اللغة: المكان المرتفع"[١٠].

قال ابن عباس:" «الربوة»: المستوية"[١١]. وروي عن مجاهد مثله[١٢].

وقال مجاهد:" بقعة في مكان مرتفع يقر فيه الماء"[١٣].

وفي مكان بـ«الربوة» هنا، أربعة أقوال:

أحدها : هي الرملة في فلسطين، قاله أبو هريرة[١٤].

عن بشر بن رافع، قال: حدثني ابن عم لأبي هريرة، يقال له: أبو عبد الله، قال: "قال لنا أبو هريرة: الزموا هذه الرملة من فلسطين، فإنها الربوة التي قال الله: {وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين}"[١٥].

قال كريب:"ما أدري ما حدثنا مرة البهزي، أنه سمع رسول الله ﷺ، وذكر أن الربوة: هي الرملة"[١٦].

الثاني : دمشق ، قاله الحسن[١٧]، وسعيد بن المسيب[١٨].

وقال مقاتل:" يعني: الغوطة من أرض الشام بدمشق"[١٩].

---

(١) غريب القرآن:٢٩٧.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.
(٣) أخرجه الطبري:٣٦/١٩.
(٤) معاني القرآن:٤١٩/٢.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٦) مجاز القرآن:٥٩/٢.
(٧) تفسير الطبري:٣٦/١٩.
(٨) معاني القرآن:٢٣٦/٣.
(٩) غريب القرآن:٢٩٧.
(١٠) معاني القرىن:١٤/٤.
(١١) أخرجه الطبري:٣٨/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٣٨/١٩.
(١٣) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٢/١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٣٧/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:٣٧/١٩.
(١٦) أخرجه الطبري:٣٧/١٩.
(١٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٢/١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٣٧/١٩، وتفسير سفيان الثوري(٦٩٦: ٤: ٧):ص٢١٦، وتفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٠):ص٢٢/١.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.

الثالث : مصر ، سعيد بن المسيب أيضا[١].
الرابع : بيت المقدس . قاله قتادة[٢].
قال قتادة:"كان كعب يقول: بيت المقدس أقرب إلى السماء بثمانية عشر ميلا"[٣].
قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك: أنها مكان مرتفع ذو استواء، وماء ظاهر، وليس كذلك صفة الرملة؛ لأن الرملة لا ماء بها معين، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومعين"[٤].
قوله تعالى:{ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ} [المؤمنون : ٥٠]، أي:" مستوٍ للاستقرار عليه، فيه خصوبة وماء جار ظاهر للعيون"[٥].
قال الفراء:"{ذَاتِ قَرَارٍ}: منبسطة، {وَمَعِينٍ}: الماء الظاهر والجاري"[٦].
قال ابو عبيدة:{ذاتِ قَرارٍ وَمَعِينٍ}" أي: تلك الربوة لها ساحة وسعة أسفل منها، وذات {معين} أي: ماء جار طاهر بينهم"[٧].
قال الطبري:يقول:" من صفة الربوة التي آوينا إليها مريم وابنها عيسى، أنها أرض منبسطة وساحة، وذات ماء ظاهر، لغير الباطن، جار"[٨].
قال الرازي:" «القرار»: المستقر من كل أرض مستوية مبسوطة، و«المعين»: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض. فنبه سبحانه على كمال نعمه عليها بهذا اللفظ على اختصاره"[٩].
وفي قوله تعالى:{ذَاتِ قَرَارٍ} [المؤمنون : ٥٠]، وجوه:
أحدها : ذات استواء ، قاله سعيد بن جبير[١٠]، ومقاتل[١١].
الثاني : ذات ثمار ، قاله قتادة[١٢].
قال الطبري:" وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى: {ذات قرار} وإن لم يكن أراد بقوله: إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار لما فيها من الثمار، ومن أجل ذلك، يستقر فيها ساكنوها، فلا وجه له نعرفه"[١٣].
الثالث : ذات معيشة تقرهم ، قاله الحسن[١٤].
الرابع : ذات منازل تستقرون فيها ، قاله يحيى بن سلام[١٥].
قال ابن قتيبة:" يستقر بها للعمارة"[١٦].
قال الزجاج:" أي: ذات مستقر"[١٧].
وفي قوله تعالى:{وَمَعِينٍ} [المؤمنون : ٥٠]، وجهان:

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٩/٣٨.
(٤) تفسير الطبري:١٩/٣٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٦) معاني القرآن:٣/٢٣٦.
(٧) مجاز القرآن:٢/٥٩.
(٨) تفسير الطبري:١٩/٣٨.
(٩) مفاتيح الغيب:٢٣/٢٨٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٩.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٥٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٣٩.
(١٣) تفسير الطبري:١٩/٣٩.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٤/٥٦.
(١٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:١/٤٠٢.
(١٦) غريب القرآن:٢٩٧.
(١٧)معاني القرآن:٤/١٥ .

أحدهما : أنه الماء الجاري ، قاله ابن عباس[١]، وقتادة[٢]، ومقاتل[٣]، والزجاج[٤].
قال ابن عباس:" المعين: الماء الجاري، وهو النهر الذي قال الله: {قد جعل ربك تحتك سريا}"[٥].
وقال مجاهد:" المعين: الماء"[٦].
قال يحيى:" المعين: الماء الذي أصله من العيون، الظاهر الجاري"[٧].
وقال الكلبي: "المعين، الجاري وغير الجاري، إذا نالته الدلاء"[٨].
الثاني : أنه الماء الطاهر ، قاله سعيد بن جبير[٩]، وعكرمة[١٠]، والضحاك[١١]، وابن قتيبة[١٢]، ومنه قول جرير[١٣]:
إن الذين غروا بلبك غادروا ... وشلاً[١٤] بعينك ما يزال معينا
أي: ظاهراً.
وفي اشتقاق «المعين»، ثلاثة وجوه[١٥]:
أحدها : أنه مفعول من : العيون. قاله الفراء[١٦]، وابن قتيبة[١٧]، والزجاج[١٨].
الثاني : أنه مشتق من: المعونة. ذكره الطبري[١٩].
الثالث : أنه فعيل، من: الماعون، ذكره الفراء[٢٠]، والطبري[٢١]، ومنه قول عبيد بن الأبرص[٢٢]:

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٣/١.
(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.
(٤) انظر: معاني القرآن:١٥/٤ .
(٥) اخرجه الطبري:٣٩/١٩.
(٦) اخرجه الطبري:٣٩/١٩.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٢/١.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٢/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٢/١.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(١٢)انظر: غريب القرآن:٢٩٧ .
(١٣)البيت في ديوانه ط بيروت ص ٤٣٨ من قصيدة يهجو الاخطل،و طبقات فحول الشعراء:٤١١/٢، والرسائل الادبية:١٧٨، وتاريخ بغداد ٧ / ٤٤٤.
ويروى هذا البيت مع بيت آخر للمعلوط السعدي:
غيّضن من عبراتهنّ وقلن لى ... ماذا لقيت من الهوى ولقينا
قال في الأغاني:١٥/٦٥-٦٦:" البيتان للمعلوط وأن جريرا سرقهما منه وأدخلهما فى شعره».
قال الشريف: «وتروى هذه الأبيات للمعلوط السعدى».
والبيت الثانى فى ثلاثة أبيات للمعلوط بن بدل السعدى فى حماسة أبى تمام ٣١٨/٣- ٣١٩.
(١٤)الوشل، يفتح الشين، من الدمع يكون القليل والكثير. والبيت فى اللسان ١٤: ٢٥١ والأغانى ٧: ٥٩ ولفظه عندهما «ما يزال» كما هنا. وفى س ف «لا يزال» وهى توافق روايات الأغانى.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(١٦) انظر: معاني القرآن:٢٣٦/٣.
(١٧) انظر: غريب القرآن:٢٩٧.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(٢٠) انظر: معاني القرآن:٢٣٦/٣.
(٢١) انظر: تفسير الطبري:٣٩/١٩.
(٢٢)من معلقته. وقبله فى وصف دمعه:
عيناك دمعاهما سروب ... كأن شأنيهما شعيب

واهية أو معين ممعن ... أو هضبة دونها لهوب

قال الفراء: يجوز" أن تجعله: فعيلا، من «الماعون»، ويكون أصله: المعن. و«المعن»: الاستقامة"[١].

قال الزجاج:" وهذا بعيد لأن «المعن» في اللغة الشيء: القليل، و«الماعون» هو الزكاة، وهو فاعول من «المعن»، وإنما سميت الزكاة بالشيء القليل، لأنه يؤخذ من المال ربع عشره، فهو قليل من كثير. قال الراعي[٢]:

قوم على التنزيل لما يمنعوا. . . ماعونهم ويبدلوا التنزيلا"[٣].

فوائد الآيات:[٤٥-٥٠]:

١- تقرير نبوة كل من موسى وأخيه هارون عليهما السلام.

٢- التنديد بالاستكبار، وأنه علة مانعة من قبول الحق.

٣- مظاهر قدرة الله وعلمه ورحمته في إرسال الرسل بالآيات وفي إهلاك المكذبين.

٤- آية ولادة عيسى من غير أب مقررة قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وبعث الناس من قبورهم للحساب والجزاء.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١)} [المؤمنون : ٥١]

التفسير:

يا أيها الرسل كلوا من طيب الرزق الحلال، واعملوا الأعمال الصالحة، إني بما تعملون عليم، لا يخفى عليَّ شيء من أعمالكم.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ} [المؤمنون : ٥١]، أي:" قلنا يا أيها الرسل"[٤].

قال مقاتل:" يعني: محمدا- ﷺ-"[٥].

قال ابن قتيبة:" خوطب به النبي، صلى الله عليه؛ وحده على مذهب العرب في مخاطبة الواحد خطاب الجمع"[٦].

قال الفراء:" أراد النبي، فجمع كما يقال في الكلام للرجل الواحد: أيها القوم كفوا عنا أذاكم. ومثله : {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} [آل عمران : ١٧٣]، {الناس}: واحد، معروف كان رجلا من أشجع يقال له: نعيم ابن مسعود"[٧].

وقال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وقلنا لعيسى: يا أيها الرسل"[٨].

وسروب: جار.. والشأن: مجرى الدمع. والشعيب: القربة المنشقة، فقوله: «واهية» وصف «شعيب» واللهوب جمع لهب وهو مهواة ما بين الجبلين. يشبه مجارى دمعه بقربة واهية منشقة أو ماء حار أو ماء هضبة عالية ودونها مهاو ومهابط.

والبيت من شواهد معاني القرىن للفراء:٢/٢٣٧، وتفسير الطبري:١٩/٣٩، واللسان: "معن".

(١) معاني القران:٢/٢٣٧.

(٢)ورد البيت في: "تهذيب اللغة" ٣/ ١٧ (ويبدلوا تبديلا) بدلًا من (ويضيعوا تهليلا)، و"لسان العرب" ١٣/ ٤١٠ برواية (على التنزيل) بدلًا من (على الإسلام) و (يبدلوا التنزيلا) بدلًا من (يضيعوا التهليلا)، و"جامع البيان" ٣٠/ ٣١٤ برواية (التنزيلا)، و"الكشف والبيان" ١٣/ ١٦٣ أبرواية (التهليلا)، و"النكت والعيون" ٦/ ٣٥٣ (التهليلا) وبمثل رواية التهليلا جاء في: "تفسير الطبري:٢٤/٦٣٥، و"البحر المحيط" ٨/ ٥١٨، و"روح المعاني" ٣٠/ ٢٤٢.

(٣) معاني القران:٤/١٥.

(٤) صفوة التفاسير:٢/٢٨٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٥٨.

(٦) غريب القرآن:٢٩٧، وانظر: تأويل مشكل القرآن:١٧٣.

(٧) معاني القرآن:٢/٢٣٧.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٤٠.

قوله تعالى:{كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ} [المؤمنون : ٥١]، أي:" كلوا من طيب الرزق الحلال"[١].

قال مقاتل:" الحلال من الرزق"[٢].

قال سهل بن عبدالله:" يعني: كلوا من الحلال قواما مع حفظ الأدب. والقوام ما يمسك به النفس، ويحفظ فيه القلب والأدب فيه شكر المنعم، وأدنى الشكر أن لا تعصيه بنعمة"[٣].

قال الطبري:أي:" من الحلال الذي طيبه الله لكم دون الحرام"[٤].

عن عمرو بن شرحبيل: "{ياأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا}، قال: كان عيسى ابن مريم يأكل من غزل أمه"[٥].

عن الضحاك، في قوله: {كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ}، قال: "أمرهم ألا يأكلوا إلا حلالا طيبا"[٦].

وقال الحسن: أما والله ما عنى به أصفركم ولا أحمركم، ولا حلوكم ولا حامضكم، ولكنه قال انتهوا إلى الحلال منه"[٧].

وفي الصحيح : "ما من نبي إلا رعى الغنم". قالوا : وأنت يا رسول الله ؟ قال : "نعم ، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" [٨].

وفي الصحيح : "أن داود ، عليه السلام ، كان يأكل من كسب يده[٩].

وفي الصحيحين : "إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب القيام إلى الله قيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه وينام سُدسَه ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا ، ولا يَفر إذا لاقى"[١٠].

عن ضَمْرَة بن حبيب ، "أن أم عبد الله ، أخت شداد بن أوس بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره وهو صائم ، وذلك في أول النهار وشدة الحر ، فرد إليها رسولها : أنَّى كانت لك الشاة ؟ فقالت : اشتريتها من مالي ، فشرب منه ، فلما كان الغد أتته أم عبد الله أخت شداد فقالت : يا رسول الله ، بعثتُ إليك بلبن مَرثيةً لك من طول النهار وشدة الحر ، فرددت إليَّ الرسول فيه ؟. فقال لها : «بذلك أمرت الرسل ، ألا تأكل إلا طيبا ، ولا تعمل إلا صالحا»"[١١].

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "يا أيها الناس ، إنَّ الله طَيِّبٌ لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال : { يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ }. وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ } [البقرة : ١٧٢]. ثم ذكر الرجل يطيل السفر أَشْعَثَ أَغْبَرَ ، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذِّي بالحرام ، يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يا رب ، فأنَّى يستجاب لذلك"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.
(٣) تفسير التستري:١١٠.
(٤) تفسير الطبري:٤٠/١٩.
(٥) اخرجه الطبري:٤٠/١٩.
(٦) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٩١/٣.
(٧) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٢٩١/٣.
(٨)صحيح البخاري برقم (٢٢٦٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٩)صحيح البخاري برقم (٢٠٧٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(١٠)صحيح البخاري برقم (١١٣١) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.
(١١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٧٨/٥، ورواه الحاكم في المستدرك (١٢٥/٤) من طريق المعافي بن عمران عن أبي بكر بن أبي مريم به نحوه ، وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" وتعقبه الذهبي : "قلت : وابن أبي مريم واه".
(١٢)صحيح مسلم برقم (١٠١٥) وسنن الترمذي برقم (٢٩٨٩) والمسند (١٥٩/٦).

قوله تعالى:{وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [المؤمنون : ٥١]، أي:" واعملوا الأعمال الصالحة"(١).

قال الواحدي:" أي: بما أمركم الله به، وأطيعوه في أمره ونهيه"(٢).

قوله تعالى:{إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون : ٥١]، أي:" إني بما تعملون عليم، لا يخفى عليَّ شيء من أعمالكم"(٣).

قال الطبري:" يقول: إني بأعمالكم ذو علم، لا يخفى علي منها شيء، وأنا مجازيكم بجميعها، وموفيكم أجوركم وثوابكم عليها، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا"(٤).

قال الواحدي:" لا يخفى علي شيء من أعمالكم"(٥).

قال ابن كثير في تفسير الآية:" يأمر تعالى عباده المرسلين ، عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، بالأكل من الحلال ، والقيام بالصالح من الأعمال ، فدل هذا على أن الحلال عَون على العمل الصالح ، فقام الأنبياء ، عليهم السلام ، بهذا أتم القيام. وجمعوا بين كل خير ، قولا وعملا ودلالة ونصحًا ، فجزاهم الله عن العباد خيرًا"(٦).

قال المراغي في تفسير الآية:" أمر الله كل نبى فى زمانه بأن يأكل من المال الحلال مالذ وطاب، وأن يعمل صالح الأعمال، ليكون ذلك كفاء ما أنعم به عليه من النعم الظاهرة والباطنة. وهذا الأمر وإن كان موجها إلى الأنبياء فإن أممهم تبع لهم، وكأنه يقول لنا: أيها المسلمون فى جميع الأقطار، كلوا من الطيبات أي من الحلال الصافي القوام- الحلال ما لا يعصى الله فيه، والصافي ما لا ينسى الله فيه، والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل- واعملوا صالح الأعمال"(٧).

قال اهل العلم:" الخطاب في الآية عام للرسل -عليهم السلام- وأتباعهم، وفي الآية دليل على أن أكل الحلال عون على العمل الصالح، وأن عاقبة الحرام وخيمة، ومنها رد الدعاء"(٨).

القرآن

{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)} [المؤمنون : ٥٢]

التفسير:

وإنَّ دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد وهو الإسلام، وأنا ربكم فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب زواجري.

قوله تعالى:{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} [المؤمنون : ٥٢]، أي:" وإنَّ دينكم -يا معشر الأنبياء- دين واحد وهو الإسلام"(٩).

قال الطبري:يقول" وقلنا: وإن هذه أمتكم أمة واحدة"(١٠).

قال ابن قتيبة والزجاج:" أي: دينكم دين واحد، وهو الإسلام"(١١).

قال السمعاني:" أي: دينكم دين واحد، وقيل: شريعتكم شريعة واحدة، ويقال: أمرتكم بما أمرت به من قبلكم من الأنبياء والمرسلين، فأمركم واحد"(١٢).

وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث فُضيل بن مرزوق.

(١) التفسير الميسر:٣٤٥.

(٢) التفسير الوسيط:٢٩٢/٣.

(٣) التفسير الميسر:٣٤٥.

(٤) تفسير الطبري:٤٠/١٩.

(٥) التفسير الوسيط:٢٩٢/٣.

(٦) تفسير ابن كثير:٤٧٧/٥.

(٧) تفسير المراغي:٢٩/١٨.

(٨) التفسير الميسر:٣٤٥.

(٩) التفسير الميسر:٣٤٥.

(١٠) تفسير الطبري:٤١/١٩.

(١١)غريب القرآن:٢٩٨، ومعاني القرآن:١٥/٤.

(١٢) تفسير السمعاني:٤٧٨/٣.

قال القرطبي:" المعنى: هذا الذي تقدم ذكره هو دينكم وملتكم فالتزموه. والأمة هنا الدين"[١].

قال ابن كثير:أي:" دينكم - يا معشر الأنبياء - دين واحد ، وملة واحدة ، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له"[٢].

قال السعدي:" أي: جماعتكم -يا معشر الرسل- جماعة {واحدة} متفقة على دين واحد"[٣].

قال مقاتل:" يقول: هذه ملتكم التي أنتم عليها- يعني: ملة الإسلام- ملة واحدة، عليها كانت الأنبياء- عليهم السلام- والمؤمنون الذين نجوا من العذاب، الذين ذكرهم الله- عز وجل- في هذه السورة"[٤].

عن ابن جريج، قوله: "{وإن هذه أمتكم أمة واحدة}، قال: الملة والدين"[٥].

قرئ:«وإن هذه» بكسر«إن»، على القطع، وبفتحها وتشديد النون[٦].

قوله تعالى:{وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون : ٥٢]، أي:" وأنا ربكم فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب زواجري"[٧].

قال الطبري:" يقول: وأنا مولاكم فاتقون بطاعتي تأمنوا عقابي"[٨].

قال السعدي:" {فاتقون} بامتثال أوامري، واجتناب زواجري"[٩].

قال السمعاني:" أي: فاحذروني"[١٠].

القرآن

{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٥٣)} [المؤمنون : ٥٣]

التفسير:

فتفرَّق الأتباع في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أديانًا بعدما أُمروا بالاجتماع، كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل.

قوله تعالى:{فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا} [المؤمنون : ٥٣]، أي:" فتفرَّق الأتباع في الدين إلى أحزاب وشيع، جعلوا دينهم أديانًا بعدما أُمروا بالاجتماع"[١١].

قال الطبري: المعنى:" فتفرقوا أمرهم بينهم قطعا كزبر الحديد، فصار بعضهم يهودا، وبعضهم نصارى"[١٢].

قال السمعاني:" أي: تفرقوا هودا ونصارى وصابئين ومجوسا. {زبرا} أي: قطعا"[١٣].

قال القرطبي:" أي: افترقوا، يعني الأمم، أي: جعلوا دينهم أديانا بعد ما أمروا بالاجتماع"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : الأمم الذين بُعث إليهم الأنبياء"[١].

---

(١) تفسير القرطبي:١٢٩/١٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٧٩/٥.
(٣) تفسير السعدي:٥٥٣.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٨/٣.
(٥) اخرجه الطبري:٤١/١٩.
(٦) انظر: تفسير القرطبي:١٢٩/١٢.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٨) تفسير الطبري:٤١/١٩.
(٩) تفسير السعدي:٥٥٣.
(١٠) تفسير السمعاني:٤٧٨/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٥.
(١٢) تفسير الطبري:٤٢/١٩.
(١٣) تفسير السمعاني:٤٧٨/٣.
(١٤) تفسير القرطبي:١٢٩/١٢.

قال ابن قتيبة:"أي: اختلفوا في دينهم، {زبرا} بفتح الباء جمع زبرة، وهي القطعة. ومن قرأ {زبرا} فإنه جمع :زبور، أي: كتبا"[٢].

عن قتادة :"{زبرا}، قال: كتبا"[٣].

وقال ابن زيد:" هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب"[٤].

عن مجاهد: "{بينهم زبرا}، قال: كتب الله فرقوها قطعا"[٥]، وفي رواية:" كتب الله فرقوها قطعا"[٦].

قال السمعاني:" معناه: آمنوا بالبعض، وكفروا بالبعض، وحرفوا البعض، ولم يحرفوا البعض"[٧].

قوله تعالى:{كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} [المؤمنون : ٥٣]، أي:" كل حزب معجب برأيه زاعم أنه على الحق وغيره على الباطل"[٨].

قال الطبري: " يقول: كل فريق من تلك الأمم، بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب، فرحون معجبون به، لا يرون أن الحق سواه"[٩].

قال السمعاني:" يعني: أن كل فريق مسرورون بما عندهم: فأهل الإيمان مسرورون بالإيمان وبمتابعة النبي، والكفار مسرورون بكفرهم وبمخالفة النبي"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : يفرحون بما هم فيه من الضلال ؛ لأنهم يحسبون أنهم مهتدون"[١١].

قال السعدي:" أي: بما عندهم من العلم والدين {فرحون} يزعمون أنهم المحقون، وغيرهم على غير الحق، مع أن المحق منهم، من كان على طريق الرسل، من أكل الطيبات، والعمل الصالح، وما عداهم فإنهم مبطلون"[١٢].

وقال ابن زيد:" كل معجبون برأيهم، ليس أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم"[١٣].

عن مجاهد: "{كل حزب}، قطعة أهل الكتاب"[١٤].

قال مجاهد:" هؤلاء هم أهل الكتاب"[١٥].

قال أهل العلم:" وفي هذا تحذير من التحزب والتفرق في الدين"[١٦].

القرآن

{فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ (٥٤)} [المؤمنون : ٥٤]

التفسير:

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٧٩/٥.
(٢)غريب القرآن:٢٩٨ .
(٣) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(٧) تفسير السمعاني:٤٧٨/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٥.
(٩) تفسير الطبري:٤٢/١٩.
(١٠) تفسير السمعاني:٤٧٩/٣.
(١١) تفسير ابن كثير:٤٧٩/٥.
(١٢) تفسير السعدي:٥٥٣.
(١٣) أخرجه الطبري:٤٢/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:٤٣/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:٤٣/١٩.
(١٦) التفسير الميسر:٣٤٥.

فاتركهم - أيها الرسول - في ضلالتهم وجهلهم بالحق إلى أن ينزل العذاب بهم.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا، في ضلالتهم وغيهم إلى أجل سيأتيهم عند مجيئه عذابي"(١).

قال الزجاج:" معناه: في عمايتهم وحيرتهم، إلى حين يأتيهم ما وعدوا به من العذاب"(٢). العذاب"(٢).

قال السمعاني:" أي: في ضلالتهم، وقيل: في عمايتهم. وقوله: {حتى حين} معناه: إلى أن يموتوا، والآية للتهديد"(٣).

قال ابن كثير:"أي: في غيهم وضلالهم إلى حين حينهم وهلاكهم ، كما قال تعالى:{فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا } [الطارق : ١٧]، وقال تعالى:{ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [الحجر : ٣]"(٤).\

قال السعدي:" أي: في وسط جهلهم بالحق، ودعواهم أنهم هم المحقون. {حتى حين} أي: إلى أن ينزل العذاب بهم، فإنهم لا ينفع فيهم وعظ، ولا يفيدهم زجر، وكيف يفيد من يزعم أنه على الحق، ويطمع في دعوة غيره إلى ما هو عليه؟"(٥).

عن مجاهد: "{فذرهم في غمرتهم حتى حين}، قال: في ضلالهم"(٦).

قال الفراء:" في جهالتهم"(٧).

قال ابن زيد:" الغمرة: الغمر"(٨).

القرآن

{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٦)} [المؤمنون : ٥٥ - ٥٦]

التفسير:

أيظن هؤلاء الكفار أن ما نمدُّهم به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيلُ خيرٍ لهم يستحقونه؟ إنما نعجل لهم الخير فتنة لهم واستدراجًا، ولكنهم لا يُحِسُّون بذلك.

قوله تعالى:{أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (٥٥) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ} [المؤمنون : ٥٥-٥٦]، أي:" أيظن هؤلاء الكفار أن ما نمدُّهم به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيلُ خيرٍ لهم يستحقونه؟"(٩).

قال الطبري: يقول: " أيحسب هؤلاء الأحزاب الذين فرقوا دينهم زبرا، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين، نسابق لهم في خيرات الآخرة، ونبادر لهم فيها؟"(١٠).

قال الزجاج:" أيحسبون أن إمداد الله لهم بالمال والبنين مجازاة لهم"(١١).

قال السمعاني:" معناه: أيحسبون أن الذي نجعله مددا لهم من المال والبنين، نعجل لهم في الخيرات، ونقدمها ثوابا لهم رضا بأعمالهم؟"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٤٣/١٩.
(٢) معاني القرىن:١٦/٤.
(٣) تفسير السمعاني:٤٧٨/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٧٩/٥.
(٥) تفسير السعدي:٥٥٣.
(٦)أخرجه الطبري:٤٣/١٩ .
(٧) معاني القرىن:٢٣٨/٢.
(٨)أخرجه الطبري:٤٣/١٩ .
(٩) التفسير الميسر:٣٤٥.
(١٠) تفسير الطبري:٤٣/١٩.
(١١) معاني القرىن:١٦/٤.
(١٢) تفسير السمعاني:٤٧٨/٣.

قال ابن كثير:" يعني : أيظن هؤلاء المغرورون أن ما نعطيهم من الأموال والأولاد لكرامتهم علينا ومعزتهم عندنا ؟!"(١).

قال ابن قتيبة:" {نسارع لهم في الخيرات}، أي: نسرع. يقال: سارعت إلى حاجتك وأسرعت"(٢).

عن مجاهد، قوله :"{أنما نمدهم}، قال: نعطيهم، {نسارع لهم}، قال: نزيدهم في الخير، نملي لهم، قال: هذا لقريش"(٣).

قال السعدي:" أي: أيظنون أن زيادتنا إياهم بالأموال والأولاد، دليل على أنهم من أهل الخير والسعادة، وأن لهم خير الدنيا والآخرة؟ وهذا مقدم لهم، ليس الأمر كذلك"(٤).

قوله تعالى:{بَلْ لَا يَشْعُرُونَ} [المؤمنون : ٥٦]، أي:" كلاًّ ليس الأمر كما يظنون بل هو فتنة لهم واستدراجً، ولكنهم لا يُحِسُّون بذلك"(٥).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره تكذيبا لهم: ما ذلك كذلك، بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدهم به من ذلك إنما هو إملاء واستدراج لهم"(٦).

قال الزجاج:" وإنما هو استدراج من الله لهم"(٧).

قال السمعاني:" وحقيقة المعنى أن: ليس الأمر على ما يظنون أن المال والبنين خير لهم، بل هو استدراج لهم، ومكر بهم"(٨).

قال السعدي:" أنما نملي لهم ونمهلهم ونمدهم بالنعم، ليزدادوا إثما، وليتوفر عقابهم في الآخرة، وليغتبطوا بما أوتوا {حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة}"(٩).

قال ابن كثير:" كلا ليس الأمر كما يزعمون في قولهم : { نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ } [سبأ : ٣٥] ، لقد أخطؤوا في ذلك وخاب رجاؤهم ، بل إنما نفعل بهم ذلك استدراجًا وإنظارًا وإملاء ؛ ولهذا قال : { بَل لا يَشْعُرُونَ } ، كما قال تعالى : { فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة : ٥٥] ، وقال تعالى : { إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا } [آل عمران : ١٧٨] ، وقال تعالى : { فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ } [القلم : ٤٤ ، ٤٥] ، وقال : { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا } [المدثر : ١١ - ١٦] وقال تعالى : { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ } [سبأ : ٣٧] والآيات في هذا كثيرة"(١٠).

وقرأ عبد الرحمن بن أبي بكرة: «يسارع لهم في الخيرات»، والمعنى: يسارع لهم إمدادنا إياهم بالمال والبنين في الخيرات(١١).

فوائد الآيات:[٥١-٥٦]:

١- وجوب الأكل من الحلال، ووجوب الشكر بالطاعة لله ورسوله.

٢- الإسلام دين البشرية جمعاء ولا يحل الاختلاف فيه بل يجب التمسك به وترك ما سواه.

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٧٩/٥.
(٢)غريب القرآن:٢٩٨ .
(٣) أخرجه الطبري:٤٤/١٩.
(٤) تفسير السعدي:٥٥٣.
(٥) انظر: صفوة التفاسير:٢٨٥/٢، والتفسير الميسر:٣٤٥.
(٦) تفسير الطبري:٤٣/١٩.
(٧) معاني القرءن:١٦/٤.
(٨) تفسير السمعاني:٤٧٨/٣.
(٩) تفسير السعدي:٥٥٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٧٩/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٤٤/١٩.

٣- حرمة الاختلاف في الدين وأنه سبب الكوارث والفتن والمحن.
٤- إذا انحرفت الأمة عن دين الله، ثم رزقت المال وسعة العيش كان ذلك استدراجاً لها، ولم يكن إكراماً من الله لها دالاً على رضى ربها عنها بل ما هو إلاّ فتنة ليس غير.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (٥٧)} [المؤمنون : ٥٧]

التفسير:

إنَّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون وَجِلون مما خوَّفهم الله تعالى به.

قال البيضاوي:" من خوف عذابه حذرون"[١].

قال مقاتل:" يعني: من عذابه"[٢].

قال يحيى:" خائفون"[٣].

قال الطبري:يقول:" إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته جادون في طلب مرضاته"[٤].

قال ابن كثير:" أي : هم مع إحسانهم وإيمانهم وعملهم الصالح ، مشفقون من الله خائفون منه ، وجلون من مكره بهم ، كما قال الحسن البصري : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنًا "[٥].

قال القرطبي:" لما فرغ من ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المؤمنين المسارعين في الخيرات ووعدهم، وذكر ذلك بأبلغ صفاتهم. و{مشفقون}: خائفون وجلون مما خوفهم الله تعالى"[٦].

القرآن

{وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨)} [المؤمنون : ٥٨]

التفسير:

والذين هم يصدِّقون بآيات الله في القرآن، ويعملون بها.

قال مقاتل:" يعني: هم يصدقون بالقرآن أنه من الله- عز وجل-"[٧].

قال الطبري:" يقول: والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون"[٨].

قال البيضاوي:أي: الآيات "المنصوبة والمنزلة. يؤمنون بتصديق مدلولها"[٩].

قال مكي:" أي بكتابه يصدقون"[١٠].

قال ابن عباس:"يصدقون بالقرآن أنه من عند الله"[١١].

قال ابن كثير:" أي : يؤمنون بآياته الكونية والشرعية ، كقوله تعالى إخبارًا عن مريم ، عليها السلام : { وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ } [التحريم : ١٢] ، أي : أيقنت أن ما كان فإنما هو عن قدر الله وقضائه ، وما شرعه الله فهو إن كان أمرًا فمما يحبه ويرضاه ، وإن كان نهيًا فهو مما يكرهه ويأباه ، وإن كان خيرًا فهو حق"[١٢].

---

(١) تفسير البيضاوي:٩٠/٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٩/٣.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٥/١.
(٤) تفسير الطبري:٤٤/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.
(٦) تفسير القرطبي:١٣٢/١٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٩/٣.
(٨) تفسير الطبري:٤٤/١٩.
(٩) تفسير البيضاوي:٩٠/٤.
(١٠) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٧٧/٧.
(١١) حكاه عنه الواحدي في التفسير الوسيط:٨/١٦.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.

القرآن

{وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩)} [المؤمنون : ٥٩]

التفسير:

والذين هم يخلصون العبادة لله وحده، ولا يشركون به غيره.

قال الطبري:" يقول: والذين يخلصون لربهم عبادتهم، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن، ولا لصنم، ولا يراءون بها أحدا من خلقه، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة دون كل شيء سواه"(١).

قال مكي:" أي: يخلصون عبادتهم لربهم، لا يشركون به فيها أحدا"(٢).

قال الواحدي:أي:" لا يعبدون معه غيره"(٣).

قال ابن كثير:" أي : لا يعبدون معه غيره ، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا الله أحدًا صمدًا ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وأنه لا نظير له ولا كفء له "(٤).

قال القشيري:" يذرون جلى الشرك وخفيه والشرك الخفى ملاحظة الخلق فى أوان الطاعات، والاستبشار بمدح الخلق وقبولهم، والانكسار والذبول عند انقطاع رؤية الخلق. ويقال: الشرك الخفى إحالة النادر من الحالات- فى المسار والمضار- على الأسباب كقول القائل. «لولا دعاء أبيك لهلكت» و «لولا همة فلان لما أفلحت» ... وأمثال هذا قال الله تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} [يوسف : ١٠٦]. وكذلك توهم حصول الشفاء من شرب الدواء. فاذا أيقن العبد بسره ألا شىء من الحدثان، ولم يتوهم ذلك، وأيقن ألا شىء إلا من التقدير فعند ذلك يبقى عن الشرك"(٥).

القرآن

{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)} [المؤمنون : ٦٠]

التفسير:

والذين يجتهدون في أعمال الخير والبر، وقلوبهم خائفة ألا تُقبل أعمالهم، وألا تنجيهم من عذاب ربهم إذا رجعوا إليه للحساب.

قال الطبري:" يقول: والذين يعطون أهل سهمان الصدقة ما فرض الله لهم في أموالهم. {ما آتوا}، يعني: ما أعطوهم إياه من صدقة، ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها، {وَقُلُوبُهُمْ} خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله، فهم خائفون من المرجع إلى الله "(٦).

قال ابن كثير:" أي : يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم ، لخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بشروط الإعطاء. وهذا من باب الإشفاق والاحتياط "(٧).

عن ابن عمر: "{يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة}، قال: الزكاة"(٨).

قال عكرمة:"يعطون ما أعطوا. {وقلوبهم وجلة}، يقول: خائفة"(٩).

---

(١) تفسير الطبري:٤٤/١٩.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٤٩٧٧/٧.

(٣) التفسير الوسيط:٢٩٣/٣.

(٤) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.

(٥) لطائف الإشارات:٥٧٨/٢. يتضح بأن القشيري لا ينكر الأسباب ولكن يعنى على من يتوهم أن من الحدثان الحدثان شيئا

(٦) تفسير الطبري:٤٥/١٩.

(٧) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.

(٨) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.

(٩) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.

عن الضحاك :"{يؤتون ما آتوا}، ينفقون ما أنفقوا"(١).

قال ابن عباس: "{يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة}،، قال: المؤمن ينفق ماله ويتصدق، وقلبه وجل أنه إلى ربه راجع"(٢).

قال ابن عباس:" يعطون ما أعطوا؛ فرقا من الله ووجلا من الله"(٣).

قال ابن عباس:" يقول: يعملون خائفين"(٤).

قال سعيد بن جبير:" يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت، وهي من المبشرات"(٥).

قال قتادة:" يعطون ما أعطوا ويعملون ما عملوا من خير، وقلوبهم وجلة خائفة"(٦).

عن مجاهد: "{وقلوبهم وجلة}، قال: المؤمن ينفق ماله وقلبه وجل"(٧).

قال مجاهد:" يعملون ما عملوا من الخير وهم يخافون ألا يقبل منهم"(٨).

قال ابن زيد:" يعطون ما أعطوا وينفقون ما أنفقوا ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة؛ اتقاء لسخط الله والنار"(٩).

قال الحسن:" كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم"(١٠).

قال الحسن: "إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا، ثم تلا الحسن: {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون إلى وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون} وقال المنافق: إنما أوتيته على علم عندي"(١١).

عن أبي هريرة، قال: قالت عائشة: "يا رسول الله {والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة}، هو الذي يذنب الذنب وهو وجل منه؟ فقال: لا ولكن من يصوم ويصلي ويتصدق وهو وجل"(١٢).

وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} [المؤمنون : ٦٠]، قراءتان:

إحدهما: قراءة الجمهور: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}، والمعنى: يعطون العطاء وهم خائفون ألا يتقبل منهم.

الثانية: «والذين يأتون ما أتوا وقلوبهم وجلة»، أي : يفعلون ما يفعلون وهم خائفون ، وروي هذا مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قرأ كذلك.

عن أبي خلف مولى بني جُمَح : أنه دخل مع عُبَيد بن عُمَيْر على عائشة ، رضي الله عنها ، فقالت : مرحبًا بأبي عاصم ، ما يمنعك أن تزورنا - أو : تُلِمّ بنا ؟ - فقال : أخشى أن أمُلَّك. فقالت : ما كنت لتفعل ؟ قال : جئت لأسأل عن آية في كتاب الله عز وجل ، كيف كان رسول الله ﷺ يقرؤها ؟ قالت : أيَّة آية ؟ فقال : { الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا } أو { الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا } ؟ فقالت : أيتهما أحب إليك ؟ فقلت : والذي نفسي بيده ، لإحداهما أحب إلي من الدنيا جميعًا-

(١) أخرجه الطبري:٤٦/١٩.
(٢) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٤٦/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٤٦/١٩.
(٥) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.
(٦) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.
(٧) اخرجه الطبري:٤٥/١٩.
(٨) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٦/١.
(٩)أخرجه الطبري:٤٦/١٩ .
(١٠) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٦/١، والطبري:٤٥/١٩.
(١١) أخرجه الطبري:٤٥/١٩.
(١٢) اخرجه الطبري:٤٦/١٩.

أو : الدنيا وما فيها - قالت : وما هي ؟ فقلت : { الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا أَتَوْا } فقالت : أشهد أن رسول الله ﷺ كذلك كان يقرؤها ، وكذلك أنزلت ، ولكن الهجاء حرف"[١].

قال ابن كثير:" المعنى على القراءة الأولى - وهي قراءة الجمهور : السبعة وغيرهم - أظهر ؛ لأنه قال : { أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ } ، فجعلهم من السابقين. ولو كان المعنى على القراءة الأخرى لأوشك ألا يكونوا من السابقين ، بل من المقتصدين أو المقصرين ، والله تعالى أعلم"[٢].

القرآن

{أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)} [المؤمنون : ٦١]

التفسير:

أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح، وهم إلى الخيرات سابقون.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} [المؤمنون : ٦١]، أي:" أولئك المجتهدون في الطاعة، دأبهم المسارعة إلى كل عمل صالح"[٣].

قال الطبري: يقول:" هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم، يبادرون في الأعمال الصالحة، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته"[٤].

قال ابن زيد: " الخيرات: المخافة والوجل والإيمان، والكف عن الشرك بالله، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات"[٥].

قوله تعالى:{وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون : ٦١]، أي:" وهم إلى الخيرات سابقون"[٦].

قال الطبري: معناه: أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} [المؤمنون : ٦١]، وجوه:

أحدها : سبقت لهم السعادة. قاله ابن عباس[٨].

قال الطبري:" فذلك سبوقهم الخيرات التي يعملونها"[٩].

الثاني : وهم إلى فعل الخيرات سابقون . قاله يحيى بن سلام[١٠]، ومقاتل[١١]، والفراء[١٢].

قال مقاتل:" الخيرات التي يسارعون إليها"[١٣].

الثالث : من أجلها سابقون. قاله الاخفش[١٤].

قال الزجاج:" يجوز: {وهم لها سابقون}، أي: من أجل اكتسابها، كما تقول: أنا أكرم فلانا لك، أي من أجلك"[١٥].

---

(١) المسند:٩٥/٦.
قال ابن كثير:٤٨١/٥:" إسماعيل بن مسلم المكي ، وهو ضعيف".
(٢) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٤) تفسير الطبري:٤٧/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٤٧/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٧) تفسير الطبري:٤٧/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٤٧/١٩.
(٩) تفسير الطبري:٤٧/١٩.
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٠٦/١.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٠/٣.
(١٢) انظر معاني القرآن:٢٣٨/٢.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٠/٣.
(١٤) انظر: معاني القرآن:٤٥٤/٢.
(١٥)معاني القرآن:١٧/٤ .

الرابع: معناه: وهم لمن تقدمهم من الأمم سابقون ، قاله الكلبي(١).
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي قاله ابن عباس، من أنه سبقت لهم من الله السعادة قبل مسارعتهم في الخيرات، ولما سبق لهم من ذلك سارعوا فيها؛ لأن ذلك أظهر معنييه، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك، إلى تحويل معنى "اللام" التي في قوله: {لها سابقون} إلى غير معناها الأغلب عليها"(٢).

القرآن

{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٦٢)} [المؤمنون : ٦٢]

التفسير:

ولا نكلف عبدًا من عبادنا إلا بما يسعه العمل به، وأعمالهم مسطورة عندنا في كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة ينطق بالحق عليهم، ولا يُظْلم أحد منهم.
قوله تعالى:{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [المؤمنون : ٦٢]، أي:" ولا نكلف عبدًا من عبادنا إلا بما يسعه العمل به"(٣).
قال يحيى:" إلا طاقتها"(٤).
قال مقاتل:" يقول: لا نكلف نفسا من العمل إلا ما أطاقت"(٥).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ولا نكلف نفسا إلا ما يسعها ويصلح لها من العبادة؛ ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع"(٦).
قال النسفي:" يعني: أن الذي وصف به الصالحون غير خارج عن حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وهو رد على من جوز تكليف ما لا يطاق"(٧).
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن عدله في شرعه على عباده في الدنيا : أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها ، أي : إلا ما تطيق حمله والقيام به"(٨).
قال الزمخشري:" يعنى: أن هذا الذي وصف به الصالحين غير خارج من حدّ الوسع والطاقة، أو أراد: إن الله لا يكلف إلا الوسع، فإن لم يبلغ المكلف أن يكون على صفة هؤلاء السابقين بعد أن يستفرغ وسعه ويبذل طاقته فلا عليه"(٩).
قال القرطبي: "قوله تعالى:{وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا}: ناسخ لجميع ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق"(١٠).
قوله تعالى:{وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ} [المؤمنون : ٦٢]، أي:" وعندنا صحائف أعمال العباد التي سطر فيها ما عملوا من خير أو شر نجازيهم في الآخرة عليها"(١١).
قال ابن كثير:" يعني : كتاب الأعمال"(١٢).

---

(١) انظر: النكت والعيون:٥٩/٤.
(٢) تفسير الطبري:٤٨/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٧/١.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٠/٣.
(٦) تفسير الطبري:٤٨/١٩.
(٧) تفسيرالنسفي:٤٧٣/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.
(٩) الكشاف:١٩٣/٣.
(١٠) تفسير القرطبي:١٣٤/١٢.
(١١) صفوة التفاسير:٢٨٦/٢.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.

قال الطبري:" يقول: وعندنا كتاب أعمال الخلق بما عملوا من خير وشر،{ينطق بالحق}، يقول: يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا، لا زيادة عليه ولا نقصان، ونحن موفو جميعهم أجورهم، المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته"(١).

قال الزمخشري: يعنى: "كل ما كلفه عباده وما عملوه من الأعمال فغير ضائع عنده، بل هو مثبت لديه في كتاب، يريد اللوح، أو صحيفة الأعمال ناطق بالحق لا يقرءون منه يوم القيامة إلا ما هو صدق وعدل، لا زيادة فيه ولا نقصان، أو المعنى: ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد"(٢).

قال القرطبي:" أظهر ما قيل فيه: أنه أراد كتاب إحصاء الأعمال الذي ترفعه الملائكة، وأضافه إلى نفسه لأن الملائكة كتبت فيه أعمال العباد بأمره، فهو ينطق بالحق. وفي هذا تهديد وتأييس من الحيف والظلم. ولفظ النطق يجوز في الكتاب، والمراد أن النبيين تنطق بما فيه. والله أعلم. وقيل: عنى اللوح المحفوظ، وقد أثبت فيه كل شي، فهم لا يجاوزون ذلك. وقيل: الإشارة بقوله: {ولدينا كتاب}: القرآن، فالله أعلم، وكل محتمل والأول أظهر"(٣).

أخرج يحيى بن سلام بسنده عن ابن عباس قال: "أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب. قال: رب ما أكتب قال: ما هو كائن. قال: فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة. قال: فأعمال العباد تعرض كل يوم اثنين وخميس، فيجدونه على ما في الكتاب.

قال يحيى: وسمعت بعضهم يزيد فيه: تلا ابن عباس هذه الآية: {هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون} [الجاثية: ٢٩] ثم قال: ألستم قوما عربا؟ هل تكون النسخة إلا من كتاب؟"(٤).

قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [المؤمنون : ٦٢]، أي:" لا يظلمون من أعمالهم شيئاً بنقص الثواب أو زيادة العقاب"(٥).

قال الطبري:" يقول: وهم لا يظلمون، بأن يزاد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله فيعاقب على غير جرمه، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه فينقص عما له من الثواب"(٦).

قال النسفي:" ولا يظلم منهم أحد بزيارة عقاب أو نقصان ثواب أو بتكليف مالا وسع له به"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لا يبخسون من الخير شيئا ، وأما السيئات فيعفو ويصفح عن كثير منها لعباده المؤمنين "(٨).

قال الزمخشري:" لا نظلم أحدا من حقه ولا نحطه دون درجته"(٩).

فوائد الآيات:[٥٧-٦٢]:

١- فضيلة الخشية والإيمان والتوحيد والتواضع والمراقبة لله تعالى.
٢- بشرى الله تعالى لأهل الإيمان والتقوى.
٣- تقرير قاعدة رفع الحرج في الدين.
٤- تقرير كتابة أعمال العباد وإحصاء أعمالهم ومجازاتهم العادلة.

القرآن

---

(١) تفسير الطبري:٤٨/١٩.
(٢) الكشاف:١٩٣/٣.
(٣) تفسير القرطبي:١٣٤/١٢.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٧/١.
(٥) صفوة التفاسير:٢٨٦/٢.
(٦) تفسير الطبري:٤٨/١٩.
(٧) تفسيرالنسفي:٤٧٣/٢.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٨١/٥.
(٩) الكشاف:١٩٣/٣.

{بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ (٦٣)} [المؤمنون : ٦٣]

التفسير:

لكن قلوب الكفار في ضلال غامر عن هذا القرآن وما فيه، ولهم مع شركهم أعمال سيئة، يُمْهلهم الله ليعملوها، فينالوا غضب الله وعقابه.

قوله تعالى:{بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا} [المؤمنون : ٦٣]، أي:" لكن قلوب الكفار في ضلال غامر عن هذا القرآن وما فيه"[١].

قال ابن قتيبة:" أي: في غطاء وغفلة"[٢].

قال السمعاني:" أي: في غطاء، يقال: فلان غمره الماء، أي: غطاه"[٣].

قال مجاهد:" في عمى من هذا القرآن"[٤].

قال ابن كثير:" أي : غفلة وضلالة { مِنْ هَذَا } أي : القرآن الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ"[٥].

قال الطبري: يقول:" ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين، بخير نسوقه بذلك إليهم والرضا منا عنهم، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن. وعنى بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج"[٦].

قال الزجاج:" يجوز أن يكون «هذا» إشارة إلى ما وصف من أعمال البر في قوله: {إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون}، إلى قوله: {يسارعون في الخيرات}، أي: قلوب هؤلاء في عماية من هذا، ويجوز أن يكون «هذا» إشارة إلى «الكتاب»، المعنى: بل قلوبهم في غمرة من الكتاب الذي ينطق بالحق. وأعمالهم محصاة فيه"[٧].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} [المؤمنون : ٦٣]، أي:" ولهم مع شركهم أعمال سيئة، يُمْهلهم الله ليعملوها، فينالوا غضب الله وعقابه"[٨].

قال الطبري: يقول: "ولهؤلاء الكفار أعمال لا يرضاها الله من المعاصي من دون أعمال أهل الإيمان بالله، وأهل التقوى والخشية له"[٩].

قال الزجاج:" أخبر الله - عز وجل - بما سيكون فيهم، فأعلم أنهم سيعملون أعمالا تباعد من الله غير الأعمال التي ذكروا بها"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ} [المؤمنون : ٦٣]، أقوال:

أحدها : خطايا يعملونها من دون الحق، وهو قول مجاهد[١١]، وقتادة[١٢]، وأبو العالية[١٣].

الثاني : أعمال رديئة لم يعملوها وسيعملونها ، قاله الحسن[١٤].

وقال مجاهد:" أعمال لا بد لهم من أن يعملوها"[١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٢) غريب القرآن:٢٩٨.
(٣) تفسير السمعاني:٤٨١/٣.
(٤) اخرجه الطبري:٤٩/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٨٢/٥.
(٦) تفسير الطبري:٤٨/١٩.
(٧) معاني القرآن:١٧/٤-١٨.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٩) تفسير الطبري:٤٨/١٩.
(١٠) معاني القرآن:١٨/٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٤٩/١٩.

قال مقاتل:" يقول لهم أعمال خبيثة دون الأعمال الصالحة يعني غير الأعمال الصالحة التي ذكرت عن المؤمنين في هذه الآية وفي الآية الأولى {هم لها عاملون}، يقول: هم لتلك الأعمال الخبيثة، عاملون، التي هي فى اللوح المحفوظ أنهم سيعلمونها لا بد لهم من أن يعملوها"(٢).

قال ابن كثير:"وقال آخرون: قد كتب عليهم أعمال سيئة لا بد أن يعملوها قبل موتهم لا محالة ، لتحق عليهم كلمة العذاب. ورُوِي نَحو هذا عن مقاتل بن حيَّان والسُّدِّيّ ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم. وهو ظاهر قوي حسن، وقد قدمنا في حديث ابن مسعود : «فوالذي لا إله غيره ، إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها»(٣)"(٤).

الثالث : أنه ظلم المخلوقين مع الكفر بالخالق. أفاده الماوردي(٥).

الرابع: أن الآية تنصرف إلى أصحاب الطاعات، ومعناه: أن المؤمنين لهم أعمال سوى ما عملوا من الخير {هم لها عاملون}. وهذا قول قتادة أيضا(٦).

القرآن

{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ (٦٤)} [المؤمنون : ٦٤]

التفسير:

حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعذابنا، إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ} [المؤمنون : ٦٤]، أي:" حتى إذا أخذنا المترفين وأهل البطر منهم بعذابنا"(٧).

قال الطبري:" ولهؤلاء الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، إلى أن يؤخذ أهل النَّعمة والبطر منهم بالعذاب"(٨).

قال ابن كثير:" أي: حتى إذا جاء مترفيهم - وهم السعداء المنعمون في الدنيا - عذابُ الله وبأسه ونقمته بهم"(٩).

قال الزجاج:" العذاب الذي أخذوا به السيف"(١٠).

عن ابن جُرَيج: {حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ)، قال: عذاب يوم بدر"(١١).

قال مجاهد:" بالسيوف يوم بدر"(١٢).

قال الضحاك:" يعني أهل بدر، أخذهم الله بالعذاب يوم بدر"(١٣).

عن ابن زيد، "{إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ}، قال: المُتْرَفُون: العظماء"(١٤).

---

(١)أخرجه الطبري:٤٩/١٩ .

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٠/٣.

(٣)المسند (٣٨٢/١) وصحيح البخاري برقم (٦٥٩٤) وصحيح مسلم برقم (٢٦٤٣).

(٤) تفسير ابن كثير:٤٨٢/٥.

(٥) انظر: النكت والعيون:٦٠/٤.

(٦) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٤٨١/٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٤٦.

(٨) تفسير الطبري:٥٠/١٩.

(٩) تفسير ابن كثير:٤٨٢/٥.

(١٠)معاني القرآن:١٨/٤ .

(١١) أخرجه الطبري:٥١/١٩.

(١٢) أخرجه الطبري:٥٠/١٩.

(١٣) أخرجه الطبري:٥١/١٩.

(١٤) اخرجه الطبري:٥٠/١٩.

قال يحيى:" يعني: أبا جهل وأصحابه الذين قتلوا يوم بدر. نزلت هذه الآية قبل ذلك بمكة"[١].

قوله تعالى:{إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ} [المؤمنون : ٦٤]، أي:" إذا هم يرفعون أصواتهم يتضرعون مستغيثين"[٢].

قال الفراء:" يضجّون. وهو الْجُؤار"[٣].

قال الزجاج:" أي: يضجون، يقال: جأر يجأر جؤارا، إذا ضج"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يصرخون ويستغيثون"[٥].

قال الطبري:" يقول: فإذا أخذناهم به جأروا، يقول: ضجُّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا، ولعلّ الجُؤار: رفع الصوت، كما يجأر الثور؛ ومنه قول الأعشى[٦]:

يرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ المَلِيِ ... كِ طَوْرًا سجُودًا وَطَوْرًا جؤارا "[٧].

عن ابن عباس: "{إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ}، يقول: يستغيثون"[٨].

قال الربيع بن أنس وابن زيد:" يجزعون"[٩].

وقال الحسن:" يصرخون إلى الله بالتوبة فلا يقبل منهم"[١٠].

القرآن

{لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ (٦٥)} [المؤمنون : ٦٥]

التفسير:

فيقال لهم: لا تصرخوا، ولا تستغيثوا اليوم، إنكم لا تستطيعون نصر أنفسكم، ولا ينصركم أحد من عذاب الله.

قوله تعالى:{لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ} [المؤمنون : ٦٥]، أي:" فيقال لهم: لا تصرخوا، ولا تستغيثوا اليوم من العذاب"[١١].

قال الربيع بن أنس:" لا تجزعوا اليوم"[١٢].

قال الربيع بن أنس:" لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب، إنه لا ينفعكم، فلو كان هذا الجزع قبلُ نفعكم"[١٣].

قال الطبري:" يقول: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذي لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم ولا دافع عنكم شيئا مما قد نزل بكم من سخط الله"[١٤].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٨/١.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٣) معاني القرآن:٢٣٩/٢.
(٤)معاني القرآن:١٨/٤ .
(٥) تفسير ابن كثير:٤٨٢/٥.
(٦)البيت للأعشى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٣) وهو من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معد يكرب. ويراوح بين العلمين: يتداول هذا مرة، وهذا مرة. والجؤار: مصدر جأر إلى الله. إذا تضرع ورفع صوته. يقول: إن ممدوح مع ما وصف به من كرم وقوة ووفاء، تقيٌّ يراقب ربه، ويتضرع إليه ويجأر في صلواته. واستشهد به المؤلف على أن الجؤار: رفع الصوت كما يجأر الثور.
(٧) تفسير الطبري:٥٠/١٩.
(٨) اخرجه الطبري:٥٠/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٥١/١٩.
(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٨/١.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٦، وصفوة التفاسير:٢٨٧/٢.
(١٢) أخرجه الطبري:٥١/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:٥١/١٩.
(١٤) تفسير الطبري:٥١/١٩.

قال قتادة: "ذكر لنا أنها نزلت في الذين قتل الله يوم بدر"(١).

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنْصَرُونَ} [المؤمنون : ٦٥]، أي:" إنكم لا تستطيعون نصر أنفسكم، ولا ينصركم أحد من عذاب الله"(٢).

قال يحيى:" أي: لا يمنعكم منا أحد"(٣).

قال الطبري:" يقول: إنكم من عذابنا الذي قد حل بكم لا تستنقذون، ولا يخلصكم منه شيء"(٤).

قال ابن كثير:" أي : لا نجيركم مما حل بكم ، سواء جأرتم أو سكتُّم ، لا محيد ولا مناص ولا وَزَرَ لزم الأمر ووجب العذاب"(٥).

القرآن

{قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦)} [المؤمنون : ٦٦]

التفسير:

قد كانت آيات القرآن تُقرأ عليكم؛ لتؤمنوا بها، فكنتم تنفرون من سماعها والتصديق بها، والعمل بها كما يفعل الناكص على عقبيه برجوعه إلى الوراء.

قوله تعالى:{قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ} [المؤمنون : ٦٦]، أي:" قد كانت آيات القرآن تُقرأ عليكم؛ لتؤمنوا بها"(٦).

قال يحيى:" يعني: القرآن"(٧).

قال القرطبي:" «الآيات»: يريد بها القرآن. {تتلى عليكم}، أي: تقرأ"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش: لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه، بما كسبت أيديكم واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم: {قد كانت آياتي تتلى عليكم}، يعني: آيات كتاب الله، يقول: كانت آيات كتابي تقرأ عليكم"(٩).

قوله تعالى:{فَكُنْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ} [المؤمنون : ٦٦]، أي:" فكنتم تنفرون من سماعها والتصديق بها، والعمل بها كما يفعل الناكص على عقبيه برجوعه إلى الوراء"(١٠).

قال ابن قتيبة:" أي: ترجعون القهقرى"(١١).

قال ابن الجوزي:" أي: ترجعون وتتأخرون عن الإيمان بها"(١٢).

قال الطبري: يقول :" فتكذبون بها وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها، كراهية منكم لسماعها. وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء: نكص فلان على عقبه"(١٣).

قال القرطبي:أي:" ترجعون وراءكم، وأصله: أن ترجع القهقرى. قال الشاعر(١٤):

زعموا بأنهم على سبل النجا ... ة وإنما نكص على الأعقاب

وهو هنا استعارة للاعراض عن الحق"(١).

---

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٨/١.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٨/١.
(٤) تفسير الطبري:٥١/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٨٢/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٨/١، ونقله بتمامه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦٦/٣
(٨) تفسير القرطبي:١٣٦/١٢.
(٩) تفسير الطبري:٥١/١٩.
(١٠) التفسير الميسر:٣٤٦.
(١١) غريب القرآن:٢٩٨.
(١٢) زاد المسير:٢٦٦/٣.
(١٣) تفسير الطبري:٥٢/١٩.
(١٤)البيت غير منسوب في النكت والعيون:٦١/٤، وتفسير القرطبي:١٣٦/١٢ .

عن مجاهد :"{فكنتم على أعقابكم تنكصون}، قال: تستأخرون"[2].
قال ابن عباس:" يقول: تدبرون"[3].
قال ابن عباس:" يعني: أهل مكة"[4].
وَفِي قراءة عبد الله :«عَلَى أدباركم تنكصُون»[5].

القرآن
{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧)} [المؤمنون : ٦٧]
التفسير:
تفعلون ذلك مستكبرين على الناس بغير الحق بسبب بيت الله الحرام، تقولون: نحن أهله لا نُغْلَب فيه، وتتسامرون حوله بالسيِّئ من القول.
سبب النزول:
قال مقاتل:" نزلت في الملأ من قريش الذين مشوا إلى أبي طالب"[6].
قوله تعالى:{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} [المؤمنون : ٦٧]، أي:" مستكبرين بسبب القرآن عن الإيمان"[7].
قال الطبري:"يقول: مستكبرين بحرم الله، يقولون: لا يظهر علينا فيه أحد، لأنا أهل الحرم"[8].
وفي تفسير قوله تعالى:{مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ} [المؤمنون : ٦٧]، ثلاثة أقوال:
أحدها : معناه: مستكبرين بالبيت الحرام، تقولون: البيت لنا. يفتخرون به ويعتقدون أنهم أولياؤه. وهذا قول ابن عباس[9]، والحسن[10]، وسعيد بن جبير[11]، ومجاهد[12]، وقتادة[13]، والضحاك[14]، وبه قال الفراء[15]، وابن قتيبة[16].
قال الفراء:" «الهاء» للبيت العتيق، تقولون: نحن أهله، وإذا كان الليل وسمرتم هجرتم القرآن والنبي فهذا من الهجران، أي: تتركونه وترفضونه"[17].
قال ابن الجوزي:" المعنى: إنكم تستكبرون وتفتخرون بالبيت والحرم، لأمنكم فيه مع خوف سائر الناس في مواطنهم. تقولون: نحن أهل الحرم فلا نخاف أحدا، ونحن أهل بيت الله وولاته"[18].
قال ابن عباس:" مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد"[19].

---

(١) تفسير القرطبي:١٣٦/١٢.
(٢)أخرجه الطبري:٥٢/١٩ .
(٣)أخرجه الطبري:٥٢/١٩ .
(٤)أخرجه الطبري:٥٢/١٩ .
(٥) انظر: معاني القرىن للفراء:٢٣٩/٢.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.
(٧) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.
(٨) تفسير الطبري:٥٢/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٩-٥٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٣/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٥٢/١٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٥٣/١٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٥٣/١٩.
(١٥) انظر: معاني القرآن:٢٣٩/٢.
(١٦) انظر: غريب القرآن:٢٩٨.
(١٧) معاني القرآن:٢٣٩/٢.
(١٨) زاد المسير:٢٦٧/٣.
(١٩) أخرجه الطبري:٥٢/١٩.

قال ابن عباس:" إنما كره السمر حين نزلت هذه الآية : { مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ} ، فقال : مستكبرين بالبيت، يقولون : نحن أهله ، { سَامِرًا } قال : يتكبرون ويسمرون فيه ، ولا يعمرونه ، ويهجرونه"[١].

الثاني : معناه: مستكبرين بالقرآن، على معنى أنهم استكبروا فلم يؤمنوا به[٢].

قال ابن كثير:" كانوا يسمرون ويذكرون القرآن بالهجر من الكلام : "إنه سحر ، إنه شعر ، إنه كهانة" إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة"[٣].

الثالث : أنه الرسول-ﷺ-، على معنى أنهم استكبروا فلم يؤمنوا به[٤].

قال ابن كثير:" كانوا يذكرونه[أي النبي-ﷺ-] في سمرهم بالأقوال الفاسدة، ويضربون له الأمثال الباطلة ، من أنه شاعر ، أو كاهن ، أو ساحر ، أو كذاب ، أو مجنون، وكل ذلك باطل ، بل هو عبد الله ورسوله ، الذي أظهره الله عليهم ، وأخرجهم من الحرم صاغرين أذلاء"[٥].

قال السمعاني:" أظهر الأقاويل: أن المراد منه :«الحرم»، ويقال: «البيت»، أي: متعظمين بالبيت الحرام، وتعظيمهم أنهم كانوا يقولون: نحن أهل الله وجيران بيته، وكان سائر العرب في خوف، وهم في أمن"[٦].

قوله تعالى:{سَامِرًا تَهْجُرُونَ} [المؤمنون : ٦٧]، أي:" متحدثين ليلاً تسمرون تقولون في سمركم الهجر وهو القول الفاحش من الطعن في القرآن، وسبّ النبي عليه السلام"[٧].

وفي معنى: «السمر»، قولان:

أحدهما : أنه الحديث ليلاً ، قاله الكلبي[٨]، وأبو عبيدة[٩]، وابن قتيبة[١٠].

قال ابن قتيبة:" «السمر»: حديث الليل. وأصل السمر: الليل. قال ابن أحمر[١١]:

من دونهم إن جئتهم سمرا

أي: ليلا ويقال: هو جمع سامر. كما يقال: طالب وطلب وحارس وحرس. ويقال: هذا سامر الحي يراد المتحدثون منهم ليلا. وسمر الحي"[١٢].

قال الزجاج: السامر: الجماعة الذين يتحدثون ليلا"[١٣] .

عن مجاهد: "{سامرا}، قال: مجلسا بالليل"[١٤].

قال الضحاك:" يعني: سمر الليل"[١٥].

قال سعيد بن جبير:" تسمرون بالليل"[١٦].

قال ابن عباس:" يسمرون حول البيت"[١٧].

---

(١)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٣٥١).
(٢) انظر: تفسير السمعاني:٤٨٢/٣، وتفسير ابن كثير:٤٨٣/٥.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٨٢/٥.
(٤)انظر: تفسير السمعاني:٤٨٢/٣ .
(٥) تفسير ابن كثير:٤٨٣/٥.
(٦) تفسير السمعاني:٤٨٢/٣.
(٧) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.
(٨) انظر: النكت والعيون:٦١/٤.
(٩) انظر: مجاز القرآن:٦٠/٢.
(١٠) انظر: غريب القرآن:٢٩٨-٢٩٩.
(١١)عجزه:
"عزف القيان ومجلس غمر"
والبيت غير منسوب في اللسان ٤٣/٤ وتفسير القرطبي ١٣٧/١٢.
(١٢) غريب القرآن:٢٩٨-٢٩٩.
(١٣) معاني القرآن:١٨/٤.
(١٤) اخرجه الطبري:٥٣/١٩.
(١٥) اخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(١٦) اخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(١٧) اخرجه الطبري:٥٣/١٩.

قال ابن زيد:" كانوا يسمرون ليلتهم ويلعبون: يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون"(١).

وقال قتادة:" سامرا من أهل الحرم آمنا لا يخاف، كانوا يقولون: نحن أهل الحرم، لا يخافون"(٢).

قال الحسن:" يقول: قد بلغ من أمانكم أن سامركم يسمر بالبطحاء، يعني: سمر الليل، والعرب تقتل بعضها بعضا، وتسيء بعضها بعضا، وأنتم في ذلك تهجرون كتابي ورسولي"(٣). ورسولي"(٣).

والثاني : أنه ظل القمر، حكاه ابن عيسى(٤).

وقال الزجاج: إنما سموا: سمارا من :«السمر»، وهو ظل القمر، وكذلك السمرة مثشقة من هذا"(٥) .

قال الماوردي:"والعرب تقول: حلف بالسمر والقمر أي بالظلمة والضياء ، لأنهم يسمرون في ظلمة الليل وضوء القمر ، والعرب تقول أيضاً : لا أكلمه السمر والقمر ، أي الليل والنهار(٦).

وفي {تَهْجُرُونَ}[المؤمنون : ٦٧]، قولان :

أحدهما : تهجرون ذكر الله والحق، قاله ابن عباس(٧)، وبه قال الزجاج(٨).

الثاني : تقولون الباطل والسيئ من القول. وهذا قول سعيد بن جبير(٩)، وابن زيد(١٠).

قال مجاهد:" بالقول السيئ في القرآن"(١١).

قال أبو صالح:"السب"(١٢).

قال ابن قتيبة:"تقولون هجرا من القول. وهو اللغو منه والهذيان"(١٣).

قال الجهضمي:وهو:" التخليط من الكلام كما يقول: هجر المريض، اذا هذى"(١٤).

قال يحيى بن سلام:" تتكلمون بالشرك والبهتان في حرم الله"(١٥).

قال ابن زيد:" الهذيان؛ الذي يتكلم بما لا يريد، ولا يعقل كالمريض الذي يتكلم بما لا يدري. قال: كان أبي يقرؤها: «سَامِرًا تَهْجُرُونَ»"(١٦).

وقرأ ابن عباس، ونافع :«تُهْجِرُونَ»(١٧)،" -بضم التاء وكسر الجيم- وهذا من الهجر وهو السب والإفحاش في المنطق. يريد سبهم النبي صلى الله عليه ومن اتبعه"(١٨).

عن ابن عباس: "{تُهْجِرُونَ}، قال: تقولون هجرا"(١٩).

---

(١) اخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(٢) اخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٠٩/١.
(٤) انظر: النكت والعيون:٦١/٤.
(٥) معاني القرآن:١٨/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون:٦١/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٥٤/١٩.
(٨) انظر: معاني القرآن:١٨/٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٩.
(١١) اخرجه الطبري:٥٥/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٥٤/١٩.
(١٣) انظر: غريب القرآن:٢٩٩.
(١٤) أحكام القرآن/١٤٤.
(١٥) تفسير يحيى بن سلام:٤٠٩/١.
(١٦) اخرجه الطبري:٥٥/١٩.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٥٥/١٩، وغريب القرآن لابن قتيبة:٢٩٩، والنكت والعيون:٦١/٤.
(١٨) غريب القرآن لابن قتيبة:٢٩٩.
(١٩) أخرجه الطبري:٥٥/١٩.

عن قتادة: "{تُهْجِرُونَ}، يقول: يقولون سوءا"[1].
قال الحسن: "{تُهْجِرُونَ} رسول الله ﷺ"[2].
قال الحسن: "{تُهْجِرُونَ} كتاب الله ورسوله"[3].
قال الفراء:" الهجر: أنهم كانوا يسبون النبي ﷺ إذا خلوا حول البيت ليل"[4].
وفي مخرج هذا الكلام قولان[5]:
أحدهما : إنكار تسامرهم بالإزراء على الحق مع ظهوره لهم .
الثاني : إنكاراً منهم حتى تسامروا في ليلهم والخوف أحق بهم .
وقرىء في الشاذ: «سمارا»[6].

القرآن

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ (٦٨)} [المؤمنون : ٦٨]

التفسير:

أفلم يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه، أم منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت أباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ} [المؤمنون : ٦٨]، أي:" أفلم يتفكروا في القرآن فيعرفوا صدقه"[7].

قال مقاتل:" يعني: أفلم يستمعوا القرآن"[8].

قال ابن قتيبة:" أي: يتدبروا القرآن"[9].

قال السمعاني:" يعني: ما جاءهم من القول، وهو القرآن"[10].

قال الزمخشري:" يقول: أفلم يتدبروه ليعلموا أنه الحق المبين فيصدّقوا به وبمن جاء به"[11].

قال الطبري:يقول:" أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه، فيعلموا ما فيه من العبر، ويعرفوا حجج الله التي احتج بها عليه فيه؟"[12].

قال القرطبي:" يعني القرآن، وهو كقوله تعالى:{أفلا يتدبرون القرآن } [النساء: ٨٢]. وسمي القرآن قولا لأنهم خوطبوا به"[13].

قال ابن كثير:" يقول تعالى منكرًا على المشركين في عدم تفهمهم للقرآن العظيم ، وتدبرهم له وإعراضهم عنه ، مع أنهم قد خصوا بهذا الكتاب الذي لم ينزل الله على رسول أكمل منه ولا أشرف ، لا سيما وآباؤهم الذين ماتوا في الجاهلية ، حيث لم يبلغهم كتاب ولا أتاهم نذير ، فكان اللائق بهؤلاء أن يقابلوا النعمة التي أسداها الله إليهم بقبولها ، والقيام بشكرها وتفهمها ،

---

(١) أخرجه الطبري:٥٥/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٥٥/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٥٦/١٩.
(٤) معاني القرآن:٢٣٩/٢.
(٥) انظر: النكت والعيون:٦١/٤.
(٦) انظر: تفسير السمعاني:٤٨٢/٣.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.
(٩) غريب القرآن لابن قتيبة:٢٩٩.
(١٠) تفسير السمعاني:٤٨٣/٣.
(١١) الكشاف:١٩٤/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٥٦/١٩.
(١٣) تفسير القرطبي:١٣٩/١٢.

والعمل بمقتضاها آناء الليل وأطراف النهار ، كما فعله النجباء منهم ممن أسلم واتبع الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، ورضي عنهم"(١).

قال القشيري:" يعنى: أنهم لو أنعموا النظر، وسلطوا على أحوالهم صائب الفكر لاستبصروا فى الحال، ولا نتفى عن قلوبهم الاستعجام والإشكال، ولكنهم استوطنوا مركب الكسل، وعرجوا فى أوطان التغافل، فتعودوا الجهل، وأيسوا من الاستبصار"(٢).

قوله تعالى:{أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٦٨]، أي:" أم منعهم من الإيمان أنه جاءهم رسول وكتاب لم يأت أباءهم الأولين مثله، فأنكروه وأعرضوا عنه؟"(٣).

قال الزمخشري:أي:" أم جاءهم من الأمن ما لم يأت آباءهم حين خافوا الله فآمنوا به وبكتبه ورسله وأطاعوه؟ وآباؤهم: إسماعيل وأعقابه من عدنان وقحطان"(٤).

قال السمعاني:" يعني: أيظنون أنه جاءهم ما لم يأت من قبلهم، ومعناه: أنا بعثنا إليهم رسولا كما بعثنا إلى الأولين"(٥).

قال الطبري" يقول: أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم، فاستكبروا ذلك وأعرضوا، فقد جاءت الرسل من قبلهم، وأنزلت معهم الكتب"(٦).

قال يحيى:" أي: لم يأتهم إلا ما أتى آباءهم الأولين"(٧).

قال مقاتل:" يقول: قد جاء أهل مكة النذر كما جاء آباءهم وأجدادهم الأولين"(٨).

قال القرطبي:" وقيل: «أم» بمعنى «بل»، أي: بل جاءهم ما لا عهد لآبائهم به، فلذلك أنكروه وتركوا التدبر له"(٩).

قال ابن عباس:" لعمري لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين، ولكن أو لم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأوّلين"(١٠).

القرآن

{أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (٦٩)} [المؤمنون : ٦٩]

التفسير:

أم منعهم من اتباع الحق أن رسولهم محمدًا ﷺ غير معروف عندهم، فهم منكرون له؟

قال يحيى:" أي: الذي أرسلهم إليهم، يعني محمدا"(١١).

قال قتادة:" بل يعرفون وجهه ونسبه"(١٢).

قال الطبري" يقول: أم لم يعرف هؤلاء المكذّبون محمدًا، وأنه من أهل الصدق والأمانة فهم له منكرون، يقول: فينكروا قوله، أو لم يعرفوه بالصدق، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه. يقول جلّ ثناؤه: فكيف يكذّبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة؟!"(١٣).

قال البيضاوي:" { أم لم يعرفوا رسولهم} بالأمانة والصدق وحسن الخلق وكمال العلم مع عدم التعلم إلى غير ذلك مما هو صفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فهم له منكرون دعواه

(١) تفسير ابن كثير:٤٨٤/٥.
(٢) لطائف الإشارات:٥٨١/٢.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٤) الكشاف:١٩٤/٣.
(٥) تفسير السمعاني:٤٨٣/٣.
(٦) تفسير الطبري:٥٦/١٩.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤١٠/١.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.
(٩) تفسير القرطبي:١٣٩/١٢.
(١٠) أخرجه الطبري:٥٦/١٩.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٤١٠/١.
(١٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٠/١.
(١٣) تفسير الطبري:٥٦/١٩.

لأحد هذه الوجوه إذ لا وجه له غيرها، فإن إنكار الشيء قطعا أو ظنا إنما يتجه إذا ظهر امتناعه بحسب النوع أو الشخص أو بحث عما يدل عليه أقصى ما يمكن فلم يوجد"(١).

قال السمعاني:" يعني: أنهم عرفوه صغيرا وكبيرا، وعرفوا نسبه، وعرفوا وفاءه بالعهد، وأداءه للأمانات، وصدقه في الأقوال، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب"(٢).

قال ابن كثير:" أي : أَفَهُمْ لا يعرفون محمدًا وصدقه وأمانته وصيانته التي نشأ بها فيهم ، أفيقدرون على إنكار ذلك والمباهتة فيه ؟ ولهذا قال جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، للنجاشي ملك الحبشة : أيها الملك ، إن الله بعث إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته. وهكذا قال المغيرة بن شعبة لنائب كسرى حين بارزهم وكذلك قال أبو سفيان صخر بن حرب لملك الروم هرقل ، حين سأله وأصحابه عن صفات النبي ﷺ ونسبه وصدقه وأمانته ، وكانوا بعد كفارًا لم يسلموا ، ومع هذا ما أمكنهم إلا الصدق فاعترفوا بذلك"(٣).

القرآن

{أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠)} [المؤمنون : ٧٠]

التفسير:

بل أحسبوه مجنونًا؟ لقد كذَبوا؛ فإنما جاءهم بالقرآن والتوحيد والدين الحق، وأكثرهم كارهون للحق حسدًا وبغيًا.

قوله تعالى:{أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ} [المؤمنون : ٧٠]، أي:" أم يقولون إن محمداً مجنون"(٤).

قال يحيى:" أي: بمحمد جنون، أي: قد قالوا ذلك"(٥).

قال الطبري" يقول: أيقولون بمحمد جنون، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ولا يدري ما يقول؟!"(٦).

قال القرطبي:" أي: أم يحتجون في ترك الإيمان به بأنه مجنون، فليس هو هكذا! لزوال أمارات الجنون عنه"(٧).

قال البيضاوي:" { أم يقولون به جنة} فلا يبالون بقوله وكانوا يعلمون أنه ﷺ أرجحهم عقلا وأدقهم نظرا"(٨).

قال الصابوني:" وهذا توبيخ آخر وتعجيبٌ من تفننهم في العناد، وتلونهم في الجحود"(٩).

الجحود"(٩).

قال ابن كثير:" قول المشركين عن النبي ﷺ أنه تقوَّل القرآن ، أي : افتراه من عنده ، أو أن به جنونا لا يدري ما يقول. وأخبر عنهم أن قلوبهم لا تؤمن به ، وهم يعلمون بطلان ما يقولونه في القرآن ، فإنه قد أتاهم من كلام الله ما لا يُطاق ولا يُدافع ، وقد تحداهم وجميع أهل الأرض أن يأتوا بمثله ، فما استطاعوا ولا يستطيعون أبد الآبدين"(١٠).

قوله تعالى:{بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ} [المؤمنون : ٧٠]، أي:" ليس الأمر كما زعموا بل جاءهم محمد بالحقِّ الساطع الذي لا مدخل فيه للباطل بوجه من الوجوه، وبالقرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام"(١١).

---

(١) تفسير البيضاوي:٩٢/٤.
(٢) تفسير السمعاني:٤٨٣/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٨٤/٥.
(٤) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤١٠/١.
(٦) تفسير الطبري:٥٦/١٩-٥٧.
(٧) تفسير القرطبي:١٤٠/١٢.
(٨) تفسير البيضاوي:٩٢/٤.
(٩) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٨٤/٥.
(١١) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.

قال السمعاني:" أي: بالصدق"(١).
قال يحيى:" القرآن"(٢).
قال القرطبي:" يعني: القرآن والتوحيد الحق والدين الحق"(٣).
قال الطبري: يقول:" فإن يقولوا ذلك فكذبهم في قيلهم ذلك واضح بَيّن، وذلك أن المجنون يهذي فيأتي من الكلام بما لا معنى له، ولا يعقل ولا يفهم، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها والحقّ الذي لا تخفى صحته على ذي فطرة صحيحة، فكيف يجوز أن يقال: هو كلام مجنون؟"(٤).
قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ} [المؤمنون : ٧٠]، أي:" ومع وضوح الدعوة فإنَّ أكثر المشركين يكرهون الحقّ لما في قلوبهم من الزيغ والانحراف"(٥).
قال السمعاني: اي:" ساخطون"(٦).
قال يحيى:" يعني: جماعة من لم يؤمن منهم"(٧).
قال القرطبي:" أي كلهم {للحق كارهون} حسدا وبغيا وتقليدا"(٨).
قال الطبري: يقول:" ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ولا أن محمدا عندهم مجنون، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول وفيما يدعوهم إليه، ولكن أكثرهم للإذعان للحقّ كارهون ولأتباع محمد ساخطون؛ حسدا منهم له وبغيا عليه واستكبارا في الأرض"(٩).
قال البيضاوي:{ وأكثرهم للحق كارهون}، " لأنه يخالف شهواتهم وأهواءهم فلذلك أنكروه، وإنما قيد الحكم بالأكثر لأنه كان منهم من ترك الإيمان استنكافا من توبيخ قومه أو لقلة فطنته وعدم فكرته لا كراهة للحق"(١٠).
فوائد الآيات:[٦٣-٧٠]:
١- غمرة الجهل والتعصب وعمى التقليد هي سبب إعراض الناس عن الحق ومعارضتهم له.
٢- لا تنفع التوبة عند معاينة العذاب أو نزوله.
٣- بيان الذنوب التي أخذ بها مترفو مكة ببدر وهي هروبهم من سماع القرآن ونكوصهم عند سماعه على أعقابهم حتى لا يسمعوه واستكبارهم بالحرم واعتزارهم به جهلاً وضلالاً واجتماعهم في الليالي الطوال يسمرون على اللهو وقول الباطل هاجرين سماع القرآن وما يدعو إليه من هدى وخير.

القرآن

{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)} [المؤمنون : ٧١]

التفسير:
ولو شرع الله لهم ما يوافق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومَن فيهن، بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم، وهو القرآن، فهم عنه معرضون.
قوله تعالى:{وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ} [المؤمنون : ٧١]، أي:" ولو شرع الله لهم ما يوافق أهواءهم"(١١).

---

(١) تفسير السمعاني:٤٨٣/٣.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤١٠/١.
(٣) تفسير القرطبي:١٤٠/١٢.
(٤) تفسير الطبري:٥٧/١٩.
(٥) صفوة التفاسير:٢٨٧/٢.
(٦) تفسير السمعاني:٤٨٣/٣.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤١٠/١.
(٨) تفسير القرطبي:١٤٠/١٢.
(٩) تفسير الطبري:٥٧/١٩.
(١٠) تفسير البيضاوي:٩٢/٤.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٦.

قال الطبري:" يقول: ولو عمل الربّ تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم وترك الحق الذي هم له كارهون"[١].

قال مقاتل:" يعني: لو اتبع الله أهواء كفار مكة فجعل مع نفسه شريكا"[٢].

قال أبو صالح:" الحق: هو الله"[٣].

قال الفراء:" يقال: إن الحق هو الله. ويقال: إنه التنزيل، لو نزل بما يريدون"[٤].

قال الحسن:" لو كان الحق في أهوائهم"[٥].

قوله تعالى:{لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ} [المؤمنون : ٧١]، أي:" لفسدت السموات والأرض ومَن فيهن"[٦].

قال مقاتل:" يعني: لهلكت {السماوات والأرض ومن فيهن} من الخلق"[٧].

قال الطبري:" وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور والصحيح من التدبير والفاسد، فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم مع إيثار أكثرهم الباطل على الحقّ، لم تقرّ السموات والأرض ومن فيهنّ من خلق الله، لأن ذلك قام بالحق "[٨].

قال الحسن:" لوقعت أهواؤهم على هلاك السموات والأرض ومن فيهن"[٩].

قوله تعالى:{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ} [المؤمنون : ٧١]، أي:" بل أتيناهم بما فيه عزهم وشرفهم، وهو القرآن"[١٠].

وفي قوله تعالى:{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ} [المؤمنون : ٧١]، أقوال:

أحدها : عنى ببيان الحق لهم ، قاله ابن عباس[١١].

قال قتادة: القرآن"[١٢].

الثاني : بشرفهم، لأن الرسول -ﷺ- منهم . والقرآن بلسانهم، قاله السدي[١٣]، وسفيان[١٤]، ويحي بن سلام[١٥]، ومقاتل[١٦]، والفراء[١٧]، وابن قتيبة[١٨]، والزجاج[١٩].

قال مقاتل:" يعنى: بشرفهم، يعنى: القرآن"[٢٠].

قال يحيى:" بشرفهم، شرف لمن آمن به"[٢١].

قال القاسم بن سلام:" يعني: بشرفهم بلغة قريش"[٢٢].

---

(١) تفسير الطبري:٥٧/١٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.
(٣) أخرجه الطبري:٥٧/١٩، وانظر: تفسير سفيان الثوري(٧٠٢: ١٠: ٤):ص٢١٨.
(٤) معاني القرآن:٢٣٩/٢.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٠/١.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.
(٨) تفسير الطبري:٥٧/١٩.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٠/١.
(١٠) التفسير الميسر:٣٤٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٥٨/١٩.
(١٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٨٤):ص٤٢٠/٢.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٦٣/٤.
(١٤) انظر: تفسير سفيان الثوري(٦٢٨: ٣: ٢٧):ص١٩٩.
(١٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤١٠/١.
(١٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.
(١٧) انظر: معاني القرآن:٢٣٩/٢.
(١٨) انظر: غريب القرآن:٢٩٩.
(١٩) انظر: معاني القرآن:١٩/٤.
(٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦١/٣.
(٢١) تفسير يحيى بن سلام:٤١٠/١.
(٢٢)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم:٨.

قال الزجاج:" أي: بما فيه فخرهم وشرفهم"[١].

قال الطبري:" وهذان القولان متقاربا المعنى؛ وذلك أن الله جل ثناؤه أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما لخلقه إليه الحاجة من أمر دينهم، وهو مع ذلك ذكر لرسوله ﷺ وقومه وشرف لهم"[٢].

الثالث : بالذكر الذي فيه حظ لهم لو اتبعوه. ذكره الزجاج[٣].

الرابع: بذكر ما عليهم من طاعة ولهم من جزاء . أفاده الماوردي[٤].

قوله تعالى:{فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ} [المؤمنون : ٧١]، أي:" فهم عن القرآن معرضون"[٥].

قال الصابوني:" أي:فهم معرضون عن هذا القرآن العظيم وكان اللائق بهم الانقياد له وتعظيمه لأنه شرفهم وعزُّهم، وأعاد لفظ «الذكر» تعظيماً للقرآن"[٦].

القرآن

{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٧٢)} [المؤمنون : ٧٢]

التفسير:

بل أَمَنعهم من الإيمان أنك - أيها الرسول - تسألهم أجرًا على دعوتك لهم فبخلوا؟ لم تفعل ذلك، فإن ما عند الله من الثواب والعطاء خير، وهو خير الرازقين، فلا يَقدر أحد أن يَرزق مثل رزقه سبحانه وتعالى.

قوله تعالى:{أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا} [المؤمنون : ٧٢]، أي:" أم تسألهم يا محمد أجراً على تبليغ الرسالة فلأجل ذلك لا يؤمنون"[٧].

قال الحسن: "أجرا"[٨].

قال مقاتل:" أجرا على الإيمان بالقرآن"[٩].

قال الفراء:" يقول: على ما جئت به، يريد: أجرا"[١٠].

قال ابن قتيبة:" أي: خراجا، فهم يستثقلون ذلك"[١١].

قال أبو عبيدة:" أي: إتاوة وغلّة كخرج العبد إلى مولاه، أو الرعية إلى الوالي. والخرج أيضا من السحاب، ومنه يرى اشتقّ هذا أجمع، قال أبو ذؤيب[١٢]:

إذا همّ بالإقلاع هبّت له الصّبا ... وأعقب نوء بعدها وخروج

قال ابو عمرو الهذلي: إنما سمى خروجا الماء الذي يخرج منه"[١٣].

قال الطبري: المعنى:" أم تسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك أجرا على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحقّ"[١٤].

---

(١) معاني القرآن:١٩/٤.
(٢) تفسير الطبري:٥٨/١٩.
(٣) انظر: معاني القرآن:١٩/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون:٦٣/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٦) صفوة التفاسير:٢٨٨/٢.
(٧) صفوة التفاسير:٢٨٨/٢.
(٨) أخرجه الطبري:٥٨/١٩.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٢/٣.
(١٠) معاني القرآن:٢٤٠/٢.
(١١) غريب القرآن:٢٩٩.
(١٢)ديوانه ص ٥٢، واللسان، والتاج (خرج).
(١٣) مجاز القرآن:٦١/٢.
(١٤) تفسير الطبري:٥٨/١٩.

قال الصابوني:" وفي هذا تشنيعٌ عليهم لعدم الإيمان فمحمد لا يطلب منهم أجراً فيلماذا إذاً يكذبونه ويعادونه؟"[١].

قوله تعالى:{فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ} [المؤمنون : ٧٢]، أي:" رزق الله وعطاؤه خيرٌ لك يا محمد"[٢].

قال ابن قتيبة:" أي: رزقه"[٣].

قال الطبري:يقول:" فأجر ربك على نفاذك لأمره، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك، ولم يسألهم ﷺ على ما أتاهم به من عند الله أجرا، قال لهم كما قال الله له، وأمره بقيله لهم: {قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى}"[٤].

قوله تعالى:{وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [المؤمنون : ٧٢]، أي:" وهو تعالى أفضلُ من أعطى ورزق"[٥].

قال الطبري:" يقول: والله خير من أعطى عوضا على عمل ورزق رزقا"[٦].

القرآن

{وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٣)} [المؤمنون : ٧٣]

التفسير:

وإنك - أيها الرسول - لتدعو قومك وغيرهم إلى دينٍ قويم، وهو دين الإسلام.

قال يحيى:" إلى دين مستقيم، وهو الطريق إلى الجنة"[٧].

قال السمعاني:" أي: إلى دين الحق"[٨].

قال البغوي: "وهو الإسلام"[٩].

قال القرطبي:" أي: إلى دين قويم. والصراط في اللغة الطريق، فسمي الدين طريقا لأنه يؤدي إلى الجنة فهو طريق إليها"[١٠].

قال الطبري: يقول:" وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام، وهو الطريق القاصد والصراط المستقيم الذي لا اعوجاج فيه"[١١].

عن ابن عباس؛ :"أن رسول الله ﷺ أتاه - فيما يرى النائم - ملكان ، فقعد أحدهما عند رجليه ، والآخر عند رأسه ، فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه : اضرب مَثَل هذا ومثل أمته. فقال : إن مَثَلَه ومثل أمته ، كمثل قوم سُفْر انتهوا إلى رأس مَفَازة ، فلم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة ولا ما يرجعون به ، فبينا هم كذلك إذ أتاهم رجل في حلة حبرة ، فقال : أرأيتم إن وردت بكم رياضا معشبة ، وحياضا رواء تتبعوني ؟ فقالوا : نعم. قال : فانطلق ، فأوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء ، فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم : ألم ألفكم على تلك الحال ، فجعلتم لي إن وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعوني ؟ قالوا: بلى ، قال : فإن بين أيديكم رياضا أعشب من هذه ، وحياضا هي أروى من هذه ، فاتبعوني. قال : فقالت طائفة : صدق والله ، لنتبعه. وقالت طائفة : قد رضينا بهذا نقيم عليه"[١٢].

---

(١) صفوة التفاسير:٢٨٨/٢.
(٢) صفوة التفاسير:٢٨٨/٢.
(٣) غريب القرآن:٢٩٩.
(٤) تفسير الطبري:٥٨/١٩.
(٥) صفوة التفاسير:٢٨٨/٢.
(٦) تفسير الطبري:٥٨/١٩-٥٩.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤١٢/١.
(٨) تفسير السمعاني:٤٨٤/٣.
(٩) تفسير البغوي:٤٢٤/٥.
(١٠) تفسير القرطبي:١٤٢/١٢.
(١١) تفسير الطبري:٥٩/١٩.
(١٢)رواه احمد في المسند:٢٦٧/١.

القرآن

{وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (٧٤)} [المؤمنون : ٧٤]

التفسير:

وإن الذين لا يُصَدِّقون بالبعث والحساب، ولا يعملون لهما، عن طريق الدين القويم لمائلون إلى غيره.

قوله تعالى:{وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [المؤمنون : ٧٤]، أي:" وإن الذين لا يُصَدِّقون بالبعث والحساب، ولا يعملون لهما"[١].

قال السدي:" يعني: بالبعث يوم القيامة"[٢].

قال الواحدي:" بالبعث والثواب والعقاب"[٣].

قال الطبري: يقول:" والذين لا يصدّقون بالبعث بعد الممات، وقيام الساعة، ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة"[٤].

قوله تعالى:{عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ} [المؤمنون : ٧٤]، أي:" هؤلاء عن طريق الدين القويم لمائلون إلى غيره"[٥].

قال ابن قتيبة:" أي: عادلون، يقال: نكب عن الحق: أي عدل عنه"[٦].

قال الزجاج:" معناه: لعادلون عن القصد"[٧].

قال الطبري: " يقول: عن محجة الحق وقصد السبيل، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده العادلون. يقال منه: قد نكب فلان عن كذا: إذا عدل عنه، ونكب عنه: أي عدل عنه"[٨].

عن ابن عباس في قوله: "{عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ}، قال: العادلون"[٩].

قال ابن عباس:" يقول: عن الحقّ عادلون"[١٠].

قال السعدي:أي:" متجنبون منحرفون، عن الطريق الموصل إلى الله، وإلى دار كرامته، ليس في أيديهم إلا ضلالات وجهالات. وهكذا كل من خالف الحق، لا بد أن يكون منحرفا في جميع أموره، قال تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ} [القصص : ٥٠] "[١١].

قال الزمخشري: يعني:" أن كل من لا يؤمن بالآخرة فهو عن القصد ناكب"[١٢].

عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إني ممسك بحجزكم : هَلُمَّ عن النار ، هلم عن النار ، وتغلبوني وتقاحمون فيها تَقَاحُم الفراش والجنادب ، فأوشك أن أرسل حجزكم وأنا فَرَطكم على الحوض ، فتردون علي معا وأشتاتا ، أعرفكم بسيماكم وأسمائكم ، كما يعرف الرجل الغريب من الإبل في إبله ، فيُذْهَب بكم ذات اليمين وذات الشمال ، فأناشد فيكم رب العالمين : أي رب ، قومي ، أي رب أمتي. فيقال : يا محمد ، إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، إنهم كانوا يمشون بعدك القهقرى على أعقابهم ، فلأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ، ينادي : يا محمد ، يا محمد. فأقول : لا أملك لك شيئا. قد بلغت ، ولأعرفن أحدكم يأتي

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٢/١.
(٣) التفسير الوسيط:٢٩٥/٣.
(٤) تفسير الطبري:٦٠/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٦.
(٦) غريب القرآن:٢٩٩.
(٧) معاني القرآن:١٩/٤.
(٨) تفسير الطبري:٦٠/١٩.
(٩) اخرجه الطبري:٥٩/١٩.
(١٠) اخرجه الطبري:٥٩/١٩.
(١١) تفسير السعدي:٥٥٦.
(١٢) الكشاف:١٩٧/٣.

يوم القيامة يحمل بعيرا له رُغَاء ، ينادي : يا محمد ، يا محمد. فأقول : لا أملك شيئا ، قد بلغت ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسا لها حمحمة ، فينادي : يا محمد ، يا محمد ، فأقول : لا أملك لك شيئا ، قد بلغت ، ولأعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل سقاء من أدم ، ينادي : يا محمد ، يا محمد : فأقول : لا أملك لك شيئا قد بلغت"(١).

القرآن

{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٥)} [المؤمنون : ٧٥]

التفسير:

ولو رحمناهم وكشفنا عنهم ما بهم مِن قحط وجوع لَتمادوا في الكفر والعناد، يتحيَّرون ويتخبطون.

قوله تعالى:{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ} [المؤمنون : ٧٥]، أي:" ولو رحمناهم وكشفنا عنهم ما بهم مِن قحط وجوع"(٢).

قال الطبري: " يقول تعالى: ولو رحمنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجدب وضرّ الجوع والهزال"(٣).

قال الزمخشري:" المعنى: لو كشف الله عنهم هذا الضرّ وهو الهزال والقحط الذي أصابهم برحمته عليهم ووجدوا الخصب"(٤).

عن ابن جُرَيج، قوله: "{وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ}، قال: الجوع"(٥).

وقال القرطبي:" أي لو رددناهم إلى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم"(٦).

قوله تعالى:{لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [المؤمنون : ٧٥]، أي:" لَتمادوا في الكفر والعناد، يتحيَّرون ويتخبطون"(٧).

قال الطبري: " يعني: في عتوّهم وجرأتهم على ربهم يتردّدون"(٨).

قال السمعاني:" أي: مضوا في طغيانهم يعمهون، ولم ينزعوا عنه"(٩).

قال الزمخشري:" لارتدوا إلى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وإفراطهم فيها، ولذهب عنهم هذا الإبلاس وهذا التملق بين يديه ويسترحمونه"(١٠).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن غلظهم في كفرهم بأنه لو أراح عللهم وأفهمهم القرآن ، لما انقادوا له ولاستمروا على كفرهم وعنادهم وطغيانهم ، كما قال تعالى : { وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لأسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ } [الأنفال : ٢٣] ، وقال : { وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا

---

(١) رواه أبو يعلى الموصلي كما في تفسير ابن كثير:٥/٤٨٥-٤٨٦، والبزار في مسنده برقم (٩٠٠) وابن عبد عبد البر في التمهيد (٢/٣٠٠) من طريق مالك بن إسماعيل عن يعقوب بن عبد الله الأشعري به نحوه. وقال الهيثمي في المجمع (٣/٨٥) : "رواه أبو يعلى في الكبير والبزار إلا أنه قال : يحمل قشعا مكان سقاء. ورجال الجميع ثقات".

(٢) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٣) تفسير الطبري:١٩/٦٠.

(٤) الكشاف:٣/١٩٧.

(٥) اخرجه الطبري:١٩/٥٩.

(٦) تفسير القرطبي:١٢/١٤٢.

(٧) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٨) تفسير الطبري:١٩/٦٠.

(٩) تفسير السمعاني:٣/٤٨٥.

(١٠) الكشاف:٣/١٩٧.

نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ } [الأنعام : ٢٧ - ٢٩] ، فهذا من باب علمه تعالى بما لا يكون ، لو كان كيف يكون"(١).

قال السعدي:" هذا بيان لشدة تمردهم وعنادهم، وأنهم إذا أصابهم الضر، دعوا الله أن يكشف عنهم ليؤمنوا، أو ابتلاهم بذلك ليرجعوا إليه. إن الله إذا كشف الضر عنهم لجوا، أي: استمروا في طغيانهم يعمهون، أي: يجولون في كفرهم، حائرين مترددين. كما ذكر الله حالهم عند ركوب الفلك، وأنهم يدعون مخلصين له الدين، وينسون ما يشركون به، فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بالشرك وغيره"(٢).

القرآن

{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (٧٦)} [المؤمنون : ٧٦]

التفسير:

ولقد ابتليناهم بصنوف المصائب فما خضعوا لربهم، وما دعوه خاشعين عند نزولها.

سبب النزول:

عن ابن عباس: "أن ابن أثال الحنفي، لما أتى النبيّ ﷺ وهو أسير، فخلى سبيله، فلحق بمكة، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة، حتى أكلت قريش العِلْهِز، فجاء أبو سفيان إلى النبيّ ﷺ، فقال: أليس تزعم بأنك بُعثت رحمة للعالمين؟ فقال: "بلى! " فقال: قد قتلتَ الآباء بالسيف والأبناء بالجوع! فأنزل الله: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ ... }، الآية"(٣).

وأصل هذا الحديث في الصحيحين : أن رسول الله ﷺ دعا على قريش حين استعصوا فقال : «اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»(٤).

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ} [المؤمنون : ٧٦]، أي:" ولقد ابتليناهم بصنوف المصائب"(٥).

قال الطبري:يقول:" ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا، وأنزلنا بهم بأسنا، وسخطنا وضيقنا عليهم معايشهم، وأجدبنا بلادهم، وقتلنا سراتهم بالسيف"(٦).

قال ابن كثير:" أي : ابتليناهم بالمصائب والشدائد"(٧).

قال الزجاج:" الذي أخذوا به: الجوع"(٨).

عن ابن جُرَيج، قوله: "{وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ}، قال: الجوع والجدب"(٩).

قال الزمخشري:يعني:" بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم وأسرهم"(١٠).

قوله تعالى:{فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ } [المؤمنون : ٧٦]، أي:" فما خضعوا لربهم"(١١).

قال الطبري:" يقول: فما خضعوا لربهم فينقادوا لأمره ونهيه، وينيبوا إلى طاعته"(١٢).

قال السمعاني:" أي: ما خضعوا وما ذلوا لربهم، والاستكانة طلب السكون"(١٣).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٨٦/٥.
(٢) تفسير السعدي:٥٥٦.
(٣) أخرجه الطبري:٦٠/١٩.
(٤)صحيح البخاري برقم (٤٦٩٣) وصحيح مسلم برقم (٢٧٩٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٦) تفسير الطبري:٦٠/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٨٧/٥.
(٨) معاني القرآن:١٩/٤.
(٩) أخرجه الطبري:٦٠/١٩.
(١٠) الكشاف:١٩٧/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٧.
(١٢) تفسير الطبري:٦٠/١٩.
(١٣) تفسير السمعاني:٤٨٥/٣.

قال ابن كثير:" أي : فما ردهم ذلك عما كانوا فيه من الكفر والمخالفة ، بل استمروا على ضلالهم وغيهم. { فَمَا اسْتَكَانُوا } أي : ما خشعوا"[1].

قوله تعالى:{وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} [المؤمنون : ٧٦]، أي:" وما دعوه خاشعين عند نزول المصائب"[2].

قال الطبري:" يقول: وما يتذللون له"[3].

قال الزجاج:" أي: ما تواضعوا"[4].

قال السمعاني:" أي: لم يتضرعوا إلى ربهم، بل مضوا إلى عتوهم وتمردهم"[5].

قال ابن كثير:" أي : ما دعوا ، كما قال تعالى : { فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام : ٤٣]"[6].

قال الحسن: إذا أصاب الناس من قِبَل الشيطان بلاء، فإنما هي نقمة، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية، ولكن استقبلوها بالاستغفار، وتضرعوا إلى الله، وقرأ هذه الآية: {وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ}"[7].

عن وهب بن عمر بن كيسان قال : "حُبِس وهب بن مُنَبِّه ، فقال له رجل من الأبناء : ألا أنشدك بيتا من شعر يا أبا عبد الله ؟ فقال وهب : نحن في طرف من عذاب الله ، والله تعالى يقول : { وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ } قال : وصام وهب ثلاثا متواصلة ، فقيل له : ما هذا الصوم يا أبا عبد الله ؟ قال : أَحَدَث لنا فأحدثنا. يعني : أحدث لنا الحبس ، فأحدثنا زيادة عبادة"[8].

القرآن

{حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٧)} [المؤمنون : ٧٧]

التفسير:

حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد في الآخرة، إذا هم فيه آيسون من كل خير، متحيرون لا يدرون ما يصنعون.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ} [المؤمنون : ٧٧]، أي:" حتى إذا فتحنا عليهم بابًا من العذاب الشديد في الآخرة"[9].

قال ابن كثير:" أي : حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة وأخذهم من عقاب الله ما لم يكونوا يحتسبون"[10].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ} [المؤمنون : ٧٧]، أربعة أقوال:

أحدها : معناه: حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر، وهو الباب ذو العذاب الشديد. وهذا قول مجاهد[11]، وابن قتيبة[12].

الثاني : أنه قتلهم بالسيف يوم بدر ، قاله ابن عباس[1]، وابن جريج[2].

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٨٧/٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٣) تفسير الطبري:٦٠/١٩.
(٤) معاني القرآن:١٩/٤.
(٥) تفسير السمعاني:٤٨٥/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٨٧/٥.
(٧) أخرجه الطبري:٦٠/١٩.
(٨) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٨٧/٥.
(٩) التفسير الميسر:٣٤٧.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٨٧/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٦١/١٩.
(١٢) انظر: غريب القرآن:٢٩٩.

الثالث : أنه فتح مكة. قاله السدي[٣].
الرابع: يعني: باباً من عذاب جهنم في الآخرة ، حكاه الماوردي عن بعض المتأخرين[٤].
قال الطبري:" وقول الذي قاله مجاهد: أولى بتأويل الآية، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس، أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في قصة المجاعة التي أصابت قريشا؛ بدعاء رسول الله ﷺ عليهم، وأمر ثمامة بن أثال، وذلك لا شك أنه كان بعد وقعة بدر"[٥].
قوله تعالى:{إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ} [المؤمنون : ٧٧]، أي:" إذا هم فيه آيسون من كل خير، متحيرون لا يدرون ما يصنعون"[٦].
قال مقاتل:" يعني: آيسين من الخير والرزق"[٧].
قال ابن قتيبة:" أي: يائسون من كل خير"[٨].
قال السمعاني:" أي: متحيرون آيسون"[٩].
قال ابن كثير:" فعند ذلك أبْلَسُوا من كل خير ، وأيسوا من كل راحة ، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم "[١٠].
قال القرطبي:" أي: يأيسون متحيرون لا يدرون ما يصنعون، كالآئس من الفرج ومن كل خير"[١١].
قال الطبري:" يقول: إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنى نادمون على ما سلف منهم، في تكذيبهم بآيات الله، في حين لا ينفعهم الندم والحزن"[١٢].
فوائد الآيات:[٧١-٧٧]:
١- خطر إتباع الهوى وما يفضي إليه من الهلاك والخسران.
٢- الصراط المستقيم الموصل إلى السعادة والكمال هو الإسلام لا غير.
٣- التكذيب بيوم القيامة وما يتم فيه من حساب وجزاء هو الباعث على كل شر والمانع من كل خير.
٤- من آثار ظلمة النفس نتيجة الكفر اليأس والقنوط والتمادي في الشر والفساد.
القرآن
{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (٧٨)} [المؤمنون : ٧٨]
التفسير:
وهو الذي أنشأ لكم السمع لإدراك المسموعات، والأبصار لإدراك المرئيات، والأفئدة لتفقهوا بها، ومع ذلك فشكركم لهذه النعم المتوالية عليكم قليل لا يُذْكَر.
قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ} [المؤمنون : ٧٨]، أي:" وهو الذي أنشأ لكم السمع لإدراك المسموعات، والأبصار لإدراك المرئيات، والأفئدة لتفقهوا بها"[١٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٦١.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٦١.
(٣) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٣/٤٨٦.
(٤) انظر: النكت والعيون:٤/٦٤.
(٥) تفسير الطبري:١٩/٦١.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٦٣.
(٨) غريب القرآن:٢٩٩.
(٩) تفسير السمعاني:٣/٤٨٦.
(١٠) تفسير ابن كثير:٥/٤٨٧.
(١١) تفسير القرطبي:١٢/١٤٣.
(١٢) تفسير الطبري:١٩/٦١.
(١٣) التفسير الميسر:٣٤٧.

قال الطبري: يقول:" والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات، السمع الذي تسمعون به، والأبصار التي تبصرون بها، والأفئدة التي تفقهون بها، فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء إعادته بعد عدمه وفقده، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد"(١).

قال السمعاني:" {السمع} أي: الأسماع لتسمعوا، وهذا واحد بمعنى الجمع. وقوله: {والأبصار} أي: لتبصروا. وقوله: {والأفئدة} لتعقلوا"(٢).

قال ابن كثير:" ثم ذكر تعالى نعمته على عباده في أن جعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، وهي العقول والفهوم ، التي يدركون بها الأشياء ، ويعتبرون بما في الكون من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى ، وأنه الفاعل المختار لما يشاء"(٣).

قال الزمخشري:" إنما خصّ السمع والأبصار والأفئدة، لأنه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها. ومقدمة منافعها أن يعملوا أسماعهم وأبصارهم في آيات الله وأفعاله، ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم. ومن لم يعملها فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها، كما قال الله تعالى: {فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ} إذ كانوا يجحدون بآيات الله"(٤).

قوله تعالى:{قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ} [المؤمنون : ٧٨]، أي:" ومع ذلك فشكركم لهذه النعم المتوالية عليكم قليل لا يُذْكَر"(٥).

قال الطبري: " يقول: تشكرون أيها المكذّبون خير الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا"(٦).

قال ابن كثير:" أي : وما أقل شكركم لله على ما أنعم به عليكم ، كقوله : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣]"(٧).

قال السمعاني:" أي: لم تشكروا هذه النعم"(٨).

قال القرطبي:" أي: ما تشكرون إلا شكرا قليلا. وقيل: أي لا تشكرون البتة"(٩).

قال يحيى:" أقلكم من يشكر، أي يؤمن"(١٠).

قال الزمخشري:" مقدمة شكر النعمة فيها الإقرار بالمنعم بها، وأن لا يجعل له ندّ ولا شريك، أى: تشكرون شكرا قليلا، و«ما» مزيدة للتأكيد، بمعنى: حقا "(١١).

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٩)} [المؤمنون : ٧٩]

التفسير:

وهو الذي خلق جميع الناس في الأرض، وإليه تُحشرون بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم من خير أو شر.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ} [المؤمنون : ٧٩]، أي:" وهو الذي خلق جميع الناس في الأرض"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:٦٢/١٩

(٢) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.

(٣) تفسير ابن كثير:٤٨٧/٥.

(٤) الكشاف:١٩٨/٣-١٩٩.

(٥) التفسير الميسر:٣٤٧.

(٦) تفسير الطبري:٦٢/١٩

(٧) تفسير ابن كثير:٤٨٨/٥.

(٨) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.

(٩) تفسير القرطبي:١٤٤/١٢.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٤١٣/١.

(١١) الكشاف:١٩٨/٣-١٩٩.

(١٢) التفسير الميسر:٣٤٧.

قال يحيى:" خلقكم في الأرض"[1].
قال الطبري: يقول: " والله الذي خلقكم في الأرض"[2].
قال السمعاني:" أي: خلقكم وأنشركم وكثركم في الأرض"[3].
قال الزمخشري: أي: "خلقكم وبثكم بالتناسل"[4].
قال ابن كثير:" ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة وسلطانه القاهر ، في بَرْئة الخليقة وذرئه لهم في سائر أقطار الأرض ، على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وصفاتهم "[5].
قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المؤمنون : ٧٩]، أي:" وإليه تُحشرون بعد موتكم، فيجازيكم بما عملتم من خير أو شر"[6].
قال السمعاني:" أي: تبعثون"[7].
قال يحيى:" يوم القيامة"[8].
قال الزمخشري: " {وَإِلَيْهِ} تجمعون يوم القيامة بعد تفرّقكم"[9].
قال القرطبي:" أي: تجمعون للجزاء"[10].
قال الطبري: يقول:" وإليه تُحْشَرونَ من بعد مماتكم، ثم تبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب"[11].
قال ابن كثير:" ثم يوم القيامة يجمع الأولين منهم والآخرين لميقات يوم معلوم ، فلا يترك منهم صغيرا ولا كبيرا ، ولا ذكرا ولا أنثى ، ولا جليلا ولا حقيرا ، إلا أعاده كما بدأه"[12].

القرآن
{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٨٠)} [المؤمنون : ٨٠]
التفسير:
وهو وحده الذي يحيي من العدم، ويميت بعد الحياة، وله تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما، أفلا تعقلون قدرته ووحدانيته؟
قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ} [المؤمنون : ٨٠]، أي:" وهو وحده الذي يحيي من العدم، ويميت بعد الحياة"[13].
قال الطبري: يقول:" والله الذي يحيي خلقه، يقول: يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها، ويميتهم بعد أن أحياهم"[14].
قال الواحدي:" يحيي الولد في الرحم فيولد حيا، ثم يميته"[15].
قال ابن كثير:" أي : يحيي الرمم ويميت الأمم"[1].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤١٣/١.
(٢) تفسير الطبري:٦٢/١٩.
(٣) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.
(٤) الكشاف:١٩٨/٣-١٩٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٨٨/٥.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٧) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤١٣/١.
(٩) الكشاف:١٩٨/٣-١٩٩.
(١٠) تفسير القرطبي:١٤٤/١٢.
(١١) تفسير الطبري:٦٢/١٩.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٨٨/٥.
(١٣) التفسير الميسر:٣٤٧.
(١٤) تفسير الطبري:٦٢/١٩.
(١٥) التفسير الوسيط:٢٩٦/٣.

قوله تعالى:{وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [المؤمنون : ٨٠]، أي:" وله تعاقب الليل والنهار وتفاوتهما"(٢).

قال مقاتل:" توحيد ربكم فيما ترون من صنعه فتعتبرون"(٣).

قال الفراء:" يقول: هو الذي جعلهما مختلفين، كما تقول في الكلام: لك الأجر والصلة، أي: إنك تؤجر وتصل"(٤).

قال الطبري: "يقول: وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين"(٥).

قال أبو الليث:" أي: ذهاب الليل ومجيء النهار"(٦).

قال السمعاني:" أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان، ويقال: ومنه اختلاف الليل والنهار"(٧).

قال الزمخشري: " أى: هو مختص به وهو متوليه، ولا يقدر على تصريفهما غيره"(٨).

قال ابن كثير:" أي : وعن أمره تسخير الليل والنهار ، كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا ، يتعاقبان لا يفتران ، ولا يفترقان بزمان غيرهما ، كقوله تعالى : { لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ } [يس : ٤٠]"(٩).

قال ابن فورك:أي:" مرورهما يوما بعد ليلة وليلة بعد يوم كما يقال إذا أتى الرجل المكرام مرة بعد مرة هو يختلف إلى هذه الدار. وقيل: وله تدبيرهما بالزيادة والنقصان"(١٠).

قال القرطبي:" قيل: اختلافهما نقصان أحدهما وزيادة الآخر. وقيل: اختلافهما في النور والظلمة. وقيل: تكررهما يوما بعد ليلة وليلة بعد يوم. ويحتمل: اختلاف ما مضى فيهما من سعادة وشقاء وضلال وهدى"(١١).

قال البيضاوي:" ويختص به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره فيكون ردا لنسبته إلى الشمس حقيقة أو لأمره وقضائه تعاقبهما، أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر"(١٢).

قوله تعالى:{أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [المؤمنون : ٨٠]، أي:" أفلا تعقلون قدرته ووحدانيته؟"(١٣).

قال مقاتل:" توحيد ربكم فيما ترون من صنعه فتعتبرون"(١٤).

قال الطبري: " يقول: أفلا تعقلون أيها الناس، أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل، لا يمتنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه"(١٥).

قال أبو الليث:" أفلا تعقلون أمر الله؟"(١٦).

قال السمعاني:" معناه: أفلا تعقلون الآيات التي وضعتها فيها"(١٧).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٨٨/٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(٤) معاني القرآن:٢٤٠/٢.
(٥) تفسير الطبري:٦٢/١٩
(٦) بحر العلوم:٤٨٧/٢.
(٧) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.
(٨) الكشاف:١٩٨/٣-١٩٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٨٨/٥.
(١٠) تفسير ابن فورك:٩٠/١.
(١١) تفسير القرطبي:١٤٤/١٢.
(١٢) تفسير البيضاوي:٩٣/٤.
(١٣) التفسير الميسر:٣٤٧.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(١٥) تفسير الطبري:٦٢/١٩.
(١٦) بحر العلوم:٤٨٧/٢.
(١٧) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.

قال القرطبي:" كنه قدرته وربوبيته ووحدانيته، وأنه لا يجوز أن يكون له شريك من خلقه، وأنه قادر على البعث"[١].

قال البيضاوي:" بالنظر والتأمل أن الكل منا وأن قدرتنا تعم الممكنات كلها وأن البعث من جملتها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : أفليس لكم عقول تدلكم على العزيز العليم ، الذي قد قهر كل شيء ، وعز كل شيء ، وخضع له كل شيء"[٣].

قال يحيى:" يقوله للمشركين يذكر نعمته عليهم، يقول: فالذي أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة، ويحيي ويميت، وله اختلاف الليل والنهار، قادر على أن يحيي الموتى"[٤].

وقرئ: «يعقلون»، بالياء، عن أبى عمرو، على أن الخطاب السابق لتغليب المؤمنين[٥]. المؤمنين[٥].

القرآن

{بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١)} [المؤمنون : ٨١]

التفسير:

لكن الكفار لم يصدقوا بالبعث، بل ردَّدوا مقولة أسلافهم المنكرين.

قال مقاتل:" يعني: كفار مكة قالوا مثل قول الأمم الخالية"[٦].

قال الزمخشري: " أى: قال أهل مكة كما قال الكفار قبلهم"[٧].

قال الطبري: يقول: " ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله، ولا تدبروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته، على فعل كلّ ما يشاء، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم"[٨].

قال السمعاني:" معناه: كذبوا كما كذب الأولون"[٩].

قال الكلبي: "كذبت قريش بالبعث مثل ما كذب الأولون"[١٠].

قال البيضاوي:" مثل ما قال الأولون آباؤهم ومن دان بدينهم"[١١].

قال القشيري:" سلكوا فى التكذيب مسلك سلفهم، وأسرفوا فى العناد مثل سرفهم، فأصابهم ما أصاب الأولين من هلاكهم وتلفهم"[١٢].

القرآن

{قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢)} [المؤمنون : ٨٢]

التفسير:

قالوا: أإذا متنا وتحللت أجسامنا وعظامنا في تراب الأرض نحيا مرة أُخرى؟ هذا لا يكون ولا يُتصور.

سبب النزول:

---

(١) تفسير القرطبي:١٤٤/١٢.
(٢) تفسير البيضاوي:٩٣/٤.
(٣) تفسير ابن كثير:٤٨٨/٥.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤١٣/١.
(٥) انظر: الكشاف:١٩٩/٣، وتفسير البيضاوي:٩٣/٤
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(٧) الكشاف:١٩٨/٣-١٩٩.
(٨) تفسير الطبري:٦٢/١٩.
(٩) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.
(١٠) حكاه عنه الواحدي في الوسيط:٢٩٦/٣.
(١١) تفسير البيضاوي:٩٣/٤.
(١٢) لطائف الإشارات:٥٨٥/٢.

قال مقاتل:" نزلت في آل طلحة بن عبد العزى منهم شيبة وطلحة وعثمان وأبو سعيد ومشافع وأرطاة وابن شرحبيل والنضر بن الحارث وأبو الحارث بن علقمة"(١).
قال الطبري: يقول: أئذا متنا وعدنا ترابا قد بليت أجسامنا، وبرأت عظامنا من لحومنا إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، كهيئتنا قبل الممات؟ إن هذا لشيء غير كائن"(٢).
قال السمعاني:" أي: محشورون، وقالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب"(٣).
قال يحيى:" أي: وعدنا أن نبعث نحن وآباؤنا فلم نبعث، كقوله: {فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين} [الدخان: ٣٦]"(٤).
قال البيضاوي:" [قالوا ذلك] استبعادا ولم يتأملوا إنهم كانوا قبل ذلك أيضا ترابا فخلقوا"(٥).
قال مقاتل:" قالوا ذلك تعجبا وجحدا وليس باستفهام"(٦).
قال ابن كثير:" يعني: يستبعدون وقوع ذلك بعد صيرورتهم إلى البلى"(٧).

القرآن
{لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣)} [المؤمنون : ٨٣]
التفسير:
لقد قيل هذا الكلام لآبائنا من قبل، كما تقوله لنا يا محمد، فلم نره حقيقة، ما هذا إلا أباطيل الأولين.
قوله تعالى:{لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ} [المؤمنون : ٨٣]، أي:" لقد قيل هذا الكلام لآبائنا من قبل، كما تقوله لنا يا محمد، فلم نره حقيقة"(٨).
قال الطبري: يقول: " قالوا: لقد وعدنا هذا الوعد الذي تعدنا يا محمد، وَوَعَد آباءنا من قبلنا قومٌ ذكروا أنهم لله رسل من قبلك، فلم نره حقيقة"(٩).
قال القشيري:" لما طال عليهم وقت الحشر، وما توعدهم به من العذاب بعد البعث والنشر زاد ذلك فى ارتيابهم، وجعلوا ذلك حجة فى لبسهم واضطرابهم، فقالوا: لقد وعدنا مثل هذا نحن وآباؤنا، ثم لم يكن لذلك تحقيق، فما نحن إلا أمثالهم"(١٠).
قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون : ٨٣]، أي:" ما هذا إلا أباطيل الأولين"(١١).
قال مقاتل:" إن هذا الذي يقول محمد- ﷺ إلا أحاديث الأولين وكذبهم"(١٢).
قال يحيى:" كذب الأولين وباطلهم"(١٣).
قال الطبري: " يقول: ما هذا الذي تعدنا من البعث بعد الممات {إلا أَسَاطِيرُ الأوَّلِينَ} يقول: ما سطره الأولون في كتبهم من الأحاديث والأخبار، التي لا صحة لها ولا حقيقة"(١٤).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(٢) تفسير الطبري:٦٢/١٩-٦٣.
(٣) تفسير السمعاني:٤٨٦/٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤١٣/١.
(٥) تفسير البيضاوي:٩٣/٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٨٨/٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٩) تفسير الطبري:٦٣/١٩.
(١٠) لطائف الإشارات:٥٨٥/٢.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٧.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٤١٣/١.
(١٤) تفسير الطبري:٦٣/١٩.

قال السمعاني:" أي: أكاذيب الأولين، ويقال: أسمار الأولين وأقاصيصهم، وقيل: ما سطره الأولون في كتبهم ولا حقيقة له"(١).

قال ابن كثير:" يعنون : أن الإعادة محال ، إنما يخبر بها من تلقاها عن كتب الأولين واختلاقهم. وهذا الإنكار والتكذيب منهم كقوله تعالى إخبارا عنهم : { أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً. قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ. فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ. فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ } [النازعات : ١١ - ١٤] ، وقال تعالى : { أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ. وَضَرَبَ لَنَا مَثَلا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ } [يس : ٧٧ - ٧٩]"(٢).

فوائد الآيات:[٧٨-٨٣]:

١- وجوب الشكر لله تعالى بطاعته على نعمه ومن بينها نعمة السمع والبصر والقلب.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بما تضمنت الآيات من الأدلة العديدة على ذلك.

٣- سوء التقليد وآثاره في السلوك الإنساني بحيث ينكر المقلد عقله.

القرآن

{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤)} [المؤمنون : ٨٤]

التفسير:

قل لهم: لمن هذه الأرض ومَن فيها إن كان لديكم علم؟

قوله تعالى:{قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا} [المؤمنون : ٨٤]، أي:" قل لهم: لمن هذه الأرض ومَن فيها"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك: لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق"(٤).

قال القرطبي:" قال الله تعالى: {قل} يا محمد جوابا لهم عما قالوه {لمن الأرض ومن فيها}، يخبر بربوبيته ووحدانيته وملكه الذي لا يزول، وقدرته التي لا تحول"(٥).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [المؤمنون : ٨٤]، أي:" فيها إن كان لديكم علم؟"(٦).

قال مقاتل:" خلقهما"(٧).

قال الواحدي:" خالقها ومالكها"(٨).

قال الطبري:" إن كنتم تعلمون من مالكها؟"(٩).

قال الزمخشري:" أى: أجيبونى عما استعلمتكم منه إن كان عندكم فيه علم، وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات: أن يجهلوا مثل هذا الظاهر البين"(١٠).

القرآن

{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥)} [المؤمنون : ٨٥]

التفسير:

---

(١) تفسير السمعاني:٣/٤٨٦-٤٨٧.

(٢) تفسير ابن كثير:٥/٤٨٨.

(٣) التفسيرا لميسر:٣٤٧.

(٤) تفسير الطبري:١٩/٦٣.

(٥) تفسير القرطبي:١٤/١٤٥.

(٦) التفسيرا لميسر:٣٤٧.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٦٣.

(٨) التفسير الوسيط:٣/٢٩٦.

(٩) تفسير الطبري:١٩/٦٣.

(١٠) الكشاف:٣/١٩٩.

سيعترفون حتمًا بأنها لله، هو خالقها ومالكها، قل لهم: ألا يكون لكم في ذلك تذكُّر بأنه قادر على البعث والنشور؟

قوله تعالى:{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} [المؤمنون : ٨٥]، أي:" سيعترفون حتمًا بأنها لله، هو خالقها ومالكها"[١].

قال الطبري:" ثم أعلمه أنهم سيقرّون بأنها لله ملكا، دون سائر الأشياء غيره"[٢].

قال الواحدي:" أي: يقرون بأنها مخلوقة له"[٣].

قال السمعاني:" يعني: هو ملك لله وملكه"[٤].

قال القرطبي:" فـ {سيقولون لله}، ولا بد لهم من ذلك"[٥].

قوله تعالى:{قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [المؤمنون : ٨٥]، أي:" قل لهم: ألا يكون لكم في ذلك تذكُّر بأنه قادر على البعث والنشور؟"[٦].

قال السمعاني:" أي: تتعظون"[٧].

قال مقاتل:" في توحيد الله- عز وجل- فتوحدونه"[٨].

قال الواحدي: أي: "تتفكرون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها قادر على إحياء الموتى"[٩].

قال الطبري:" يقول: فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم وإعادتهم خلقا سويا بعد فنائهم"[١٠].

قال الزمخشري:" معناه: أفلا تتذكرون فتعلموا أن من فطر الأرض ومن فيها اختراعا، كان قادرا على إعادة الخلق، وكان حقيقا بأن لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية"[١١].

قال القرطبي:" أي: أفلا تتعظون وتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء فهو على إحياء الموتى بعد موتهم قادر"[١٢].

القرآن

{قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦)} [المؤمنون : ٨٦]

التفسير:

قل مَن رب السموات السبع ورب العرش العظيم، الذي هو أعظم المخلوقات وأعلاها؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: من ربّ السماوات السبع، وربّ العرش المحيط بذلك؟"[١٣].

قال السمعاني:" {الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}، أي: السرير الضخم "[١٤].

قال كعب:" إن السموات في العرش كالقنديل معلق بين السماء والأرض"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٢) تفسير الطبري:٦٣/١٩.
(٣) التفسير الوسيط:٢٩٦/٣.
(٤) تفسير السمعاني:٤٨٧/٣.
(٥) تفسير القرطبي:١٤٥/١٤.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٧) تفسير السمعاني:٤٨٧/٣.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(٩) التفسير الوسيط:٢٩٦/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٦٣/١٩.
(١١) الكشاف:١٩٩/٣.
(١٢) تفسير القرطبي:١٤٥/١٤.
(١٣) تفسير الطبري:٦٣/١٩.
(١٤) تفسير السمعاني:٤٨٧/٣.
(١٥)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٢):ص١٩٢٠/٦ .

قال مجاهد:" السماوات والأرض عند العرش إلا كحلقة في أرض فلاة"[١].
قال ابن عباس:" العرش لا يقدر أحد قدره"[٢].
قال ابن عباس:" إنما سمي العرش عرشا لارتفاعه"[٣].
قال سعد الطائي:" العرش ياقوتة حمراء"[٤].
قال وهب بن منبه:" إن الله خلق العرش من نوره"[٥].

القرآن
{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧)} [المؤمنون : ٨٧]
التفسير:
سيقولون حتمًا: هي ملك لله، فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟
قوله تعالى:{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} [المؤمنون : ٨٧]، أي:" سيقولون حتمًا: هي ملك لله"[٦].
قال الطبري:" سيقولون: ذلك كله لله، وهو ربه"[٧].
وقرأ ابو عمرو:«سَيَقُولُونَ الله»[٨].
قال السمعاني:" أما قوله تعالى: «سيقولون الله» هذا راجع إلى اللفظ، فالمعنى كالرجل يقول لغيره: من مالك هذا الدار؟ فيقول: زيد.
وأما قوله: {سيقولون لله} يرجع إلى المعنى دون اللفظ، كما يقول القائل لغيره: من مالك هذه الدار؟ فيقول: هي لزيد"[٩].
قوله تعالى:{قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} [المؤمنون : ٨٧]، أي:" فقل لهم: أفلا تخافون عذابه إذا عبدتم غيره؟"[١٠].
قال الطبري:" فقل لهم: أفلا تتقون عقابه على كفركم به وتكذيبكم خبره وخبر رسوله؟"[١١].
قال الواحدي: أي: " عبادة غيره"[١٢].
قال الزمخشري:" أفلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله"[١٣].
قال مقاتل:" يعني: أفلا تعبدون الله- عز وجل-"[١٤].
قال السمعاني:" أي: أفلا تحذرون"[١٥].
قال القرطبي:" يريد أفلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون، زعمتم أن الملائكة بناتي، وكرهتم لأنفسكم البنات"[١٦].

---

(١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨٣):ص١٩٢٠/٦ .
(٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٨١):ص١٩٢٠/٦ .
(٣)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٦):ص١٩١٩/٦ .
(٤)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٧):ص١٩٢٠/٦ .
(٥)أخرجه ابن ابي حاتم(١٠١٧٨):ص١٩٢٠/٦ .
(٦) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٧) تفسير الطبري:٦٣/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٦٣/١٩.
(٩) تفسير السمعاني:٤٨٧/٣.
(١٠) التفسير الميسر:٣٤٧.
(١١) تفسير الطبري:٦٣/١٩.
(١٢) التفسير الوسيط:٢٩٦/٣.
(١٣) الكشاف:١٩٩/٣.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٣/٣.
(١٥) تفسير السمعاني:٤٨٧/٣.
(١٦) تفسير القرطبي:١٤٥/١٤.

القرآن

{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨)} [المؤمنون : ٨٨]

التفسير:

قل: مَن مالك كل شيء ومَن بيده خزائن كل شيء، ومَن يجير مَنِ استجار به، ولا يقدر أحد أن يُجير ويحمي مَن أراد الله إهلاكه، ولا يدفع الشر الذي قدَّره الله، إن كنتم تعلمون ذلك؟

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [المؤمنون : ٨٨]، أي:" قل: مَن مالك كل شيء ومَن بيده خزائن كل شيء"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: من بيده خزائن كلّ شيء؟"(٢).

عن مجاهد: "{مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}، قال: خزائن كل شيء"(٣).

قال الضحاك:" ملك كل شي"(٤).

قال الواحدي: "«الملكوت»: الملك، والتاء زيادة للمبالغة، نحو جبروت ورهبوت"(٥).

قال السمعاني:" «الملكوت»: أي: مالك كل شيء، والتاء للمبالغة، وكذلك فعلوت تذكر للمبالغة مثل قولهم: جبروت ورهبوت، من كلامهم: رهبوت خير من رحموت، ومعناه: أن ترهب خير من أن ترحم"(٦).

قال القرطبي:" يريد السموات وما فوقها وما بينهن، والأرضين وما تحتهن وما بينهن، وما لا يعلمه أحد إلا هو"(٧).

قوله تعالى:{وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ} [المؤمنون : ٨٨]، أي:" ومَن يجير مَنِ استجار به، ولا يقدر أحد أن يُجير ويحمي مَن أراد الله إهلاكه، ولا يدفع الشر الذي قدَّره الله"(٨).

قال الطبري:أي:" {وَهُوَ يُجِيرُ} من أراد ممن قصده بسوء، {وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ} يقول: ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء، فيدفع عنه عذابه وعقابه"(٩).

قال الزجاج:" أي: هو يجير من عذابه ولا يجير عليه أحد من عذابه. وكذلك هو يجير من خلقه ولا يجير عليه أحد"(١٠).

قال السمعاني:" أن يؤمن على كل الناس، ولا يؤمن عليه أحد، ومعناه: أن من أمنه الله لا يقدر عليه أحد، ومن لم يؤمنه الله لم يؤمنه أحد، وقيل: من أراد الله عذابه لا يقدر أحد على منع العذاب عنه، ومن أراد أن يعذب غيره من الخلق قدر الله على منعه منه"(١١).

قال الزمخشري:"يقال: أجرت فلانا على فلان: إذا أغثته منه ومنعته، يعنى: وهو يغيث من يشاء ممن يشاء، ولا يغيث أحد منه أحدا"(١٢).

قال القرطبي:" أي: يمنع ولا يمنع منه. وقيل:{يجير} يؤمن من شاء. {ولا يجار عليه} أي لا يؤمن من أخافه. ثم قيل: هذا في الدنيا، أي من أراد الله إهلاكه وخوفه لم يمنعه منه مانع،

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٢) تفسير الطبري:٦٦٤٣/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٦٥/١٩.
(٤) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٤٥/١٢.
(٥) التفسير الوسيط:٢٩٦/٣.
(٦) تفسير السمعاني:٤٨٧/٣.
(٧) تفسير القرطبي:١٤٥/١٤.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٩) تفسير الطبري:٦٦٤٣/١٩.
(١٠) معاني القرآن:٢٠/٤.
(١١) تفسير السمعاني:٤٨٧/٣.
(١٢) الكشاف:١٩٩/٣.

ومن أراد نصره وأمنه لم يدفعه من نصره وأمنه دافع. وقيل: هذا في الآخرة، أي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع"(١).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [المؤمنون : ٨٨]، أي:" إن كنتم تعلمون ذلك؟"(٢).

قال الطبري:أي:" من ذلك صفته"(٣).

القرآن

{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ (٨٩)} [المؤمنون : ٨٩]

التفسير:

سيجيبون: بأن ذلك كلَّه لله، قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتُخْدَعون وتُصْرفون عن توحيد الله وطاعته، وتصديق أمر البعث والنشور؟

قوله تعالى:{سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} [المؤمنون : ٨٩]، أي:" سيجيبون: بأن ذلك كلَّه لله"(٤).

قال الطبري:أي:" فإنهم يقولون: إن ملكوت كلّ شيء والقدرة على الأشياء كلها لله"(٥).

قال ابن كثير:" أي : سيعترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه ، هو الله تعالى ، وحده لا شريك له"(٦).

قوله تعالى:{قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ} [المؤمنون : ٨٩]، أي:" قل لهم: كيف تذهب عقولكم وتُخْدَعون وتُصْرفون عن توحيد الله وطاعته، وتصديق أمر البعث والنشور؟"(٧).

قال الطبري:" فقل لهم يا محمد: فمن أيّ وجه تصرفون عن التصديق بآيات الله، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته؟!، والسِّحْر: تخييل الشيء إلى الناظر أنه على خلاف ما هو به من هيئته"(٨).

قال ابن كثير:" أي : فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره مع اعترافكم وعلمكم بذلك "(٩).

قال الزمخشري:" {تسحرون}: تخدعون عن توحيده وطاعته. والخادع: هو الشيطان والهوى"(١٠).

قال السمعاني:" أي: تخدعون، وقيل: تصرفون عن الحق"(١١).

قال الزجاج:" معنى:«تسحرون»، و«تؤفكون»: تصرفون عن القصد والحق"(١٢).

قال القرطبي:" أي: فكيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده. أو كيف يخيل إليكم أن تشركوا به مالا يضر ولا ينفع! والسحر هو التخييل. وكل هذا احتجاج على العرب المقرين بالصانع"(١٣).

عن ابن عباس، قوله: "{فأنى تُسْحَرُونَ}، يقول: تكذبون"(١٤).

---

(١) تفسير القرطبي:١٤٥/١٤.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٣) تفسير الطبري:٦٦٤٣/١٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٥) تفسير الطبري:٦٦٤٣/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٩١/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٧.
(٨) تفسير الطبري:٦٦٤٣/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٩١/٥.
(١٠) الكشاف:١٩٩/٣.
(١١) تفسير السمعاني:٤٨٨/٣.
(١٢) معاني القرآن:٢٠/٤.
(١٣) تفسير القرطبي:١٤٥/١٤.
(١٤) أخرجه الطبري:٦٥/١٩.

قال الحسن: "معناه: أين ذهبت عقولكم؟"[١].

القرآن

{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٩٠)} [المؤمنون : ٩٠]

التفسير:

بل أتينا هؤلاء المنكرين بالحق فيما أرسلنا به محمدًا ﷺ، وإنهم لَكاذبون في شركهم وإنكارهم البعث.

قوله تعالى:{بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ} [المؤمنون : ٩٠]، أي:" بل أتينا هؤلاء المنكرين بالحق فيما أرسلنا به محمدًا ﷺ"[٢].

قال مقاتل:" يقول: بل جئناهم بالتوحيد"[٣].

قال يحيى:" القرآن. أنزله الله على النبي"[٤].

قال الزمخشري: أي:"بأن نسبة الولد إليه محال والشرك باطل"[٥].

قال السمعاني:" أي: بالصدق"[٦].

قال القرطبي:" أي: بالقول الصدق، لا ما تقوله الكفار من إثبات الشريك ونفي البعث"[٧].

قال الطبري:" يقول: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله، من أن الملائكة بنات الله، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله {بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ}: اليقين، وهو الدين الذي ابتعث الله به نبيه ﷺ، وذلك الإسلام، ولا يُعْبَد شيء سوى الله؛ لأنه لا إله غيره"[٨].

قال ابن كثير: {أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ}: أي:" الإعلام بأنه لا إله إلا الله ، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك "[٩].

وقرئ: «أتيتهم» و«أتيتهم»، بالفتح والضم[١٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [المؤمنون : ٩٠]، أي:" وإنهم لَكاذبون في شركهم وإنكارهم البعث"[١١].

قال السمعاني:" أي: فيما يدعون لله من الشريك والولد"[١٢].

قال مقاتل:" في قولهم إن الملائكة بنات الله- عز وجل-"[١٣].

قال يحيى:" وذلك لقول المشركين: إن الملائكة بنات الله"[١٤].

قال الزمخشري: " حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا"[١٥].

قال الطبري:" يقول: وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله، وينْحَلُونه من الولد والشريك"[١].

---

(١) حكاه عنه السمعاني في التفسير:٤٨٨/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٤/٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤١٤/١.
(٥)الكشاف:٢٠٠/٤ .
(٦) تفسير السمعاني:٤٨٨/٣.
(٧) تفسير القرطبي:١٤٦/١٢.
(٨) تفسير الطبري:٦٦/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٤٩١/٥.
(١٠) انظر: الكشاف:٢٠٠/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٨.
(١٢) تفسير السمعاني:٤٨٨/٣.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٤/٣.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٤١٤/١.
(١٥)الكشاف:٢٠٠/٤ .

قال ابن كثير:" أي : في عبادتهم مع الله غيره ، ولا دليل لهم على ذلك ، كما قال في آخر السورة : { وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ } ، فالمشركون لا يفعلون ذلك [عن دليل قادهم إلى ما هم فيه من الإفك والضلال ، وإنما يفعلون ذلك اتباعا لآبائهم وأسلافهم الحيارى الجهال ، كما قالوا : { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ } [الزخرف : ٢٣]"(٢).

القرآن

{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١)} [المؤمنون : ٩١]

التفسير:

لم يجعل الله لنفسه ولدًا، ولم يكن معه من معبود آخر؛ لأنه لو كان ثمة أكثر مِن معبود لانفرد كل معبود بمخلوقاته، ولكان بينهم مغالبة كشأن ملوك الدنيا، فيختلُّ نظام الكون، تنزَّه الله سبحانه وتعالى وتقدَّس عن وصفهم له بأن له شريكًا أو ولدًا.

قوله تعالى:{مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ} [المؤمنون : ٩١]، أي:" ما اتخذ الله ولداً مطلقاً لا من الملائكة ولا من البشر"(٣).

قال السمعاني:" أي: من شريك"(٤).

قال مقاتل:" يعني: الملائكة"(٥).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ} [المؤمنون : ٩١]، أي:" وليس معه من يشاركه في الألوهية والربوبية"(٦).

قال مقاتل:" يعني: من شريك"(٧).

قال يحيى:" وذلك لما عبدوا من الأوثان، اتخذوا مع الله آلهة"(٨).

قال الطبري: يقول: "ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته"(٩).

قوله تعالى:{إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ} [المؤمنون : ٩١]، أي:" لو كان معه إله - كما زعم عبدة الأوثان - لانفرد كل إلهٍ بخلقه الذي خلق واستبدَّ به، وتميَّز ملك كلِّ واحد عن ملك الآخر"(١٠).

قال السمعاني:" أي: تفرد بما خلقه، فلم يرض أن يضاف خلقه ونعمته إلى غيره"(١١).

قال الزمخشري: أي:" لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به، ولرأيتم ملك كل واحد منهم متميزا من ملك الآخرين"(١٢).

قال الطبري: يقول: "ولا كان معه في القديم، ولا حين ابتدع الأشياء من تصلح عبادته، ولو كان معه في القديم أو عند خلقه الأشياء من تصلح عبادته إذن لاعتزل كل إله منهم {بِمَا خَلَقَ} من شيء، فانفرد به"(١).

---

(١) تفسير الطبري:١٩/٦٦.
(٢) تفسير ابن كثير:٥/٤٩١.
(٣) صفوة التفاسير:٢/٢٩٢.
(٤) تفسير السمعاني:٣/٤٨٨.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٦٤.
(٦) صفوة التفاسير:٢/٢٩٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/١٦٤.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:١/٤١٤.
(٩) تفسير الطبري:١٩/٦٦.
(١٠) صفوة التفاسير:٢/٢٩٢.
(١١) تفسير السمعاني:٣/٤٨٨.
(١٢)الكشاف:٤/٢٠٠ .

قال ابن كثير:" أي : لو قُدِّر تعدد الآلهة ، لانفرد كل منهم بما يخلق ، فما كان ينتظم الوجود. والمشاهد أن الوجود منتظم متسق ، كل من العالم العلوي والسفلي مرتبط بعضه ببعض ، في غاية الكمال ، { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ } [الملك : ٣] ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه ، فيعلو بعضهم على بعض. والمتكلمون ذكروا هذا المعنى وعبروا عنه بدليل التمانع ، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعدا ، فأراد واحد تحريك جسم وأراد الآخر سكونه ، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما كانا عاجزين ، والواجب لا يكون عاجزًا ، ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد. وما جاء هذا المحال إلا من فرض التعدد ، فيكون محالا فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر ، كان الغالب هو الواجب ، والآخر المغلوب ممكنًا ؛ لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهورا"(٢).

قوله تعالى:{وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون : ٩١]، أي:" ولغلب بعضهم على بعض كحال ملوك الدنيا"(٣).

قال مقاتل:" كفعل ملوك الدنيا يلتمس بعضهم قهر بعض"(٤).

قال يحيى:" لطلب بعضهم ملك بعض حتى يعلو عليه، كما يفعل ملوك الدنيا"(٥).

قال الزجاج:" أي: طلب بعضهم مغالبة بعض"(٦).

قال السمعاني:" أي: طلب بعضهم الغلبة على البعض، كما يفعل ملوك الدنيا فيما بينهم"(٧).

قال الطبري: يقول:"ولتغالبوا، فلعلا بعضهم على بعض، وغلب القويّ منهم الضعيف؛ لأن القويّ لا يرضى أن يعلوه ضعيف، والضعيف لا يصلح أن يكون إلها، فسبحان الله ما أبلغها من حجة وأوجزها، لمن عقل وتدبر"(٨).

قال الزمخشري: أي:" ولغلب بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة وهم متغالبون، وحين لم تروا أثرا لتمايز الممالك وللتغالب، فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء"(٩).

قال القرطبي:" ولغالب وطلب القوي الضعيف كالعادة بين الملوك، وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الإلهية. وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على نفي الولد أيضا، لأن الولد ينازع الأب في الملك منازعة الشريك"(١٠).

قوله تعالى:{سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} [المؤمنون : ٩١]، أي:" تنزّه الله وتقدَّس عما يصفه به الظالمون"(١١).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره؛ تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون من أن له ولدا، وعما قالوه من أن له شريكا، أو أن معه في القِدم إلها يُعبد تبارك وتعالى"(١٢).

قال ابن كثير:" أي :عما يقول الظالمون المعتدون في دعواهم الولد أو الشريك علوا كبيرا "(١٣).

---

(١) تفسير الطبري:٦٦/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:٤٩١/٥.
(٣) صفوة التفاسير:٢٩٢/٢.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٤/٣.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤١٤/١.
(٦) معاني القرآن:٢٠/٤.
(٧) تفسير السمعاني:٤٨٨/٣.
(٨) تفسير الطبري:٦٦/١٩.
(٩)الكشاف:٢٠٠/٤ .
(١٠) تفسير القرطبي:١٤٦/١٢.
(١١) صفوة التفاسير:٢٩٢/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٦٦/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:٤٩١/٥.

قال الزجاج:" معناه تنزيه الله وتبرئته من السوء، ومن أن يكون إله غيره تعالى عن ذلك علوا كبيرا"(١).

قال يحيى:" ينزه نفسه عما يكذبون"(٢).

القرآن

{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٩٢)} [المؤمنون : ٩٢]

التفسير:

هو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه، فتنزَّه الله تعالى عن الشريك الذي يزعمون.

قوله تعالى:{عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [المؤمنون : ٩٢]، أي:" هو وحده يعلم ما غاب عن خلقه وما شاهدوه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : يعلم ما يغيب عن المخلوقات وما يشاهدونه "(٤).

قال يحيى:" الغيب: -هاهنا- في تفسير الحسن: ما لم يجئ من غيب الآخرة. {والشهادة}: ما أعلم العباد"(٥).

قال الطبري: " يقول : هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه، وما رأوه وشاهدوه، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين: اتخذ الله ولدا وعبدوا من دونه آلهة، أنهم فيما يقولون ويفعلون مبطلون مخطئون، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم، بل عن جهل منهم به، وإن العالم بقديم الأمور وبحديثها، وشاهدها وغائبها عنهم الله الذي لا يخفى عليه شيء، فخبره هو الحق دون خبرهم"(٦).

قرأ نافع وأبو بكر وحمزة والكسائي:«عالم» بالرفع على الاستئناف، أي: هو عالم الغيب. الباقون بالجر على الصفة لله. وروى رويس عن يعقوب:«عالم» إذا وصل خفضا. و«عالم» إذا ابتدأ رفعا(٧).

قوله تعالى:{فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ} [المؤمنون : ٩٢]، أي:" فتنزَّه الله تعالى عن الشريك الذي يزعمون"(٨).

قال يحيى:" ارتفع الله، يرفع نفسه عما قالوا"(٩).

قال الطبري: يقول:" فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين، ووصفهم إياه بما يصفون"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : تقدس وتنزه وتعالى وعز وجل عما يقول الظالمون والجاحدون"(١١).

فوائد الآيات:[٨٤-٩٢]:

١- مشروعية توبيخ المتغافل المتجاهل وتأنيب المتعامي عن الحق وهو قادر على رؤيته.

٢- تقرير ربوبية الله تعالى وألوهيته.

٣- تنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد وإبطال ترهات المفترين.

٤- الاستدلال العقلي ومشروعيته والعمل به لإحقاق الحق وإبطال الباطل.

---

(١) معاني القرآن:٢٠/٤.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤١٤/١.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٩١/٥.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤١٤/١.
(٦) تفسير الطبري:٦٦/١٩.
(٧) انظر: تفسير القرطبي:١٤٧/١٢.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٤١٤/١.
(١٠) تفسير الطبري:٦٦/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:٤٩١/٥.

القرآن
{قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ (٩٣) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٩٤)} [المؤمنون : ٩٣ - ٩٤]
التفسير:
قل - أيها الرسول -: ربِّ إما تريَنِّي في هؤلاء المشركين ما تَعِدُهم مِن عذابك فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين الظالمين، ولكن اجعلني ممن رضيتَ عنهم.
قوله تعالى:{قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ} [المؤمنون : ٩٣]، أي:" قل: يا ربِّ إن كان ولا بدَّ من أن تُرِيَني ما تعدهم من العذاب في الدنيا"(١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد: ربّ إنْ تُرَينّي في هؤلاء المشركين ما تعدهم من عذابك"(٢).
قال الواحدي:" إن أريتني ما يوعدون من العذاب والنقمة، يعني: القتل ببدر"(٣).
قال أبو حيان:" أي: إن ترني ما تعدهم واقعا بهم في الدنيا أو في الآخرة"(٤).
قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا نبيه محمدًا ﷺ أن يدعو هذا الدعاء عند حلول النقم : { رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ } أي : إن عاقبتهم - وإني شاهدُ ذلك -"(٥).
قوله تعالى:{رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [المؤمنون : ٩٤]، أي:" ربّ فلا تجعلني في جملة الظالمين فأهلك بهلاكهم"(٦).
قال ابن كثير:أي:" فلا تجعلني فيهم ، كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي - وصححه - : «وإذا أردت بقوم فتنة فتوفني إليك غير مفتون»(٧)"(٨).
قال الطبري:" يقول :" فلا تهلكني بما تهلكهم به، ونجِّني من عذابك وسخطك، فلا تجعلني في القوم المشركين، ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك"(٩).
قال الواحدي:" أي: مع القوم الظالمين"(١٠).
قال الكلبي: "مع الفئة الباغية"(١١)
قال الزجاج:" «الفاء» جواب الشرط شرط الجزاء، وهو اعتراض بين الشرط والجزاء، المعنى: إما تريني ما يوعدون فلا تجعلني يا رب في القوم الظالمين، أي: إن نزلت بهم النقمة يا رب فاجعلني خارجا عنهم"(١٢).
قال أبو حيان:أي:" فلا تجعلني معهم، ومعلوم أنه عليه السلام معصوم مما يكون سببا لجعله معهم، ولكنه أمره أن يدعو بذلك إظهارا للعبودية وتواضعا لله، واستغفار رسول الله ﷺ إذا قام من مجلسه سبعين مرة من هذا القبيل. وقال أبو بكر: «وليتكم ولست بخيركم»(١٣). قال الحسن: كان يعلم أنه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه"(١).

---

(١) صفوة التفاسير:٢٩٢/٢.
(٢) تفسير الطبري:٦٧/١٩.
(٣) التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.
(٤) البحر المحيط في التفسير:٥٨٢/٧.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٩٢/٥.
(٦) صفوة التفاسير:٢٩٢/٢.
(٧)المسند (٢٤٣/٥) وسنن الترمذي برقم (٣٢٣٥) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه ، وقال : "هذا حديث حسن صحيح ، سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال : هذا حديث حسن صحيح".
(٨) تفسير ابن كثير:٤٩٢/٥.
(٩) تفسير الطبري:٦٧/١٩.
(١٠) التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.
(١١) نقلا عن: التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.
(١٢) معاني القرآن:٢١/٤.
(١٣)أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢١٢/٣ عن الحسن البصري وهو منقطع لأن الحسن البصري لم يسمع من

قال ابو حيان:" وجاء الدعاء بلفظ «الرب» قبل الشرط وقبل: الجزاء، مبالغة في الابتهال إلى الله تعالى والتضرع، ولأن الرب هو المالك الناظر في مصالح العبد"[٢].
قال السمعاني:" قال أهل التفسير: وهذا دليل على أنه يجوز للعبد أن يسأل الله تعالى ما هو كائن لا محالة"[٣].

القرآن
{وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (٩٥)} [المؤمنون : ٩٥]
التفسير:
وإننا لَقادرون على أن نريك ما نَعِدُهم من العذاب.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإنا يا محمد على أن نريك في هؤلاء المشركين ما نعدهم من تعجيل العذاب لهم، لقادرون، فلا يحْزُنَنَّك تكذيبهم إياك بما نعدهم به، وإنما نؤخر ذلك ليبلغ الكتاب أجله"[٤].
قال الواحدي:" ثم أخبر أنه قادر على ذلك"[٥].
قال ابن كثير:" أي : لو شئنا لأريناك ما نحل بهم من النقم والبلاء والمحن"[٦].
والآية تحتمل وجهين من التفسير[٧]:
أحدهما: يخبر رسوله أنه ليس لعجز يؤخر ما وعد لهم من العذاب؛ ولكن لحلم منه وعفو، وهو كقوله - عز وجل -: {وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ} [إبراهيم : ٤٢]: على التنبيه والإيقاظ؛ فعلى ذلك يحتمل هذا.
والثاني: يعزي رسول الله ويصبره على أذاهم إياه، يقول: إني مع قدرتي على إنزال العذاب عليهم والانتقام منهم أحلم عنهم وأؤخر عنهم؛ فأنت مع ضعفك عن ذلك أولى أن تصبر على أذاهم.

القرآن
{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦)} [المؤمنون : ٩٦]
التفسير:

أبي بكر - رضي الله عنه -.
والحق أن الإمام قصد التواضع وعدم تزكية النفس بقوله: "لست بخيركم" وله في هذا التواضع أسوة حسنة بالنبي ﷺ حيث قال: "لا تخيروني على موسى". أخرجه خ. كتاب الأنبياء (ب وفاة موسى عليه السلام) ١٢٦/٤ من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - وكذلك قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: "نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: {رب أرني كيف تحيي الموتىقال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} ، ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي". أخرج خ. كتاب الأنبياء (ب قوله عزوجل {ونبئهم عن ضيف إبراهيم} الحجر آية (٥١) ١١/٤ولا شك أنه - رضي الله عنه - خير هذه الأمة بعد نبيها لما تقدم من الأحاديث في فضله والإجماع الذي وقع على مبايعته، فلم يدع أحد أنه أفضل منه، وروى البخاري في فضائل الصحابة ٤/٥ عن ابن عمر - رضي الله عنهم - قال: "كنا نخير بين الناس في. من النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان - رضي الله عنهم -".
(١) البحر المحيط في التفسير:٥٨٢/٧.
(٢) البحر المحيط في التفسير:٥٨٢/٧.
(٣) تفسير السمعاني:٤٨٨/٣.
(٤) تفسير الطبري:٦٧/١٩.
(٥) التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٩٢/٥.
(٧) انظر: تأويلات أهل السنة:٤٩١/٧.

إذا أساء إليك أعداؤك - أيها الرسول - بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة، ولكن ادفع إساءتهم بالإحسان منك إليهم، نحن أعلم بما يصفه هؤلاء المشركون من الشرك والتكذيب، وسنجازيهم عليه أسوأ الجزاء.

قوله تعالى:{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ} [المؤمنون : ٩٦]، أي:" إذا أساء إليك أعداؤك - أيها الرسول - بالقول أو الفعل فلا تقابلهم بالإساءة، ولكن ادفع إساءتهم بالإحسان منك إليهم"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه: ادفع يا محمد بالخلة التي هي أحسن، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة المشركين والصبر على أذاهم، وذلك أمره إياه قبل أمره بحربهم، وعنى بالسيئة: أذى المشركين إياه وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله، يقول له تعالى ذكره: اصبر على ما تلقى منهم في ذات الله"(٢).

قال الواحدي:" ثم أمره بالصبر إلى أن ينقضي الأجل المضروب للعذاب، يعني بالـ«أحسن»: الإعراض والصفح، والسيئة أذى المشركين إياه، وهذا قبل الأمر بالقتال"(٣).

قال ابن كثير:" ثم قال مرشدًا له إلى التِّرْياق النافع في مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يسيء ، ليستجلب خاطره ، فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة ، فقال : { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ } ، وهذا كما قال في الآية الأخرى : { ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ. وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } [فصلت : ٣٤ ، ٣٥] : أي ما يلهم هذه الوصية أو الخصلة \أو الصفة { إِلا الَّذِينَ صَبَرُوا } أي : على أذى الناس ، فعاملوهم بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح ، { وَمَا يُلَقَّاهَا إِلا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ } أي : في الدنيا والآخرة"(٤).

عن مجاهد، قوله: "{ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ}، قال: أعرض عن أذاهم إياك"(٥).

وقال مجاهد:" هو السلام، تُسَلِّمُ عليه إذا لقيته"(٦).

قال الحسن:" والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا، ويصفح عما يكره"(٧).

قوله تعالى:{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ} [المؤمنون : ٩٦]، أي:" نحن أعلم بما يصفه هؤلاء المشركون من الشرك والتكذيب، وسنجازيهم عليه أسوأ الجزاء"(٨).

قال الطبري: يقول:" نحن أعلم بما يصفون الله به، وينحَلُونه من الأكاذيب والفِرية عليه، وبما يقولون فيك من السوء، ونحن مجازوهم على جميع ذلك، فلا يحزنك ما تسمع منهم من قبيح القول"(٩).

قال الواحدي:" بما يكذبون ويقولون من الشرك، أي: إنا نجازيهم بما يستحقون"(١٠).

القرآن

{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ (٩٨)} [المؤمنون : ٩٧ - ٩٨]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٢) تفسير الطبري:٦٧/١٩-٦٨.
(٣) التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٩٢/٥.
(٥) أخرجه الطبري:٦٨/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٦٨/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٦٨/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٩) تفسير الطبري:٦٨/١٩.
(١٠) التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.

وقل - أيها النبي -: رب أستجير بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والفساد والصد عن الحق ووسوستها، وأستجير بك -يا رب- مِن حضورهم في شيء من أموري.

قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ} [المؤمنون : ٩٧]، أي:" وقل - أيها النبي -: رب أستجير بك من إغواء الشياطين المغرية على الباطل والفساد والصد عن الحق ووسوستها"[١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد: ربّ أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها، والهَمْزُ: هو الغَمْز"[٢].

قال الواحدي:" همزات الشياطين: دفعهم بالإغواء إلى المعاصي، وهو معنى قول المفسرين: نزعاتهم ووساوسهم، وذلك أن الشيطان إنما يدفع الناس إلى المعاصي بما يوسوس إليهم"[٣].

قال ابن كثير:" أمره أن يستعيذ من الشياطين ، لأنهم لا تنفع معهم الحيل ، ولا ينقادون بالمعروف. وقد قدمنا عند الاستعاذة أن رسول الله ﷺ كان يقول : «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، من هَمْزه ونَفْخه ونَفْثه»[٤] "[٥].

قال ابن زيد:" همزات الشياطين: خَنْقهم الناس، فذلك هَمَزاتهم"[٦].

قوله تعالى:{وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ} [المؤمنون : ٩٨]، أي:" وأستجير بك -يا رب- مِن حضورهم في شيء من أموري"[٧].

قال الواحدي:" في أموري، أي أن يصيبوني بالسوء لأن الشيطان لا يحضر ابن آدم إلا بسوء"[٨].

قال الطبري: " يقول: وقل أستجير بك ربِّ أن يحضرون في أموري"[٩].

قال ابن زيد:" في شيء من أمري"[١٠]

قال ابن كثير:" أي : في شيء من أمري ؛ ولهذا أمر بذكر الله في ابتداء الأمور - وذلك مطردة للشياطين- عند الأكل والجماع والذبح ، وغير ذلك من الأمور ؛ ولهذا روى أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يقول : «اللهم إني أعوذ بك من الهَرَم ، وأعوذ بك من الهَدْم ومن الغرق ، وأعوذ بك أن يتخبطني الشيطان عند الموت»[١١]"[١٢].

عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده قال : "كان رسول الله ﷺ يعلمنا كلمات يقولهن عند النوم ، من الفزع : «بسم الله ، أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»، قال : فكان عبد الله بن عمرو يعلمها من

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٢) تفسير الطبري:٦٨/١٩.
في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (همز) : " الهمز كالعصر " وهو مناسب لقول الطبري: خنق الشياطين؛ لأن الخنق هو عصر الرقبة وضغطها لينقطع النفس
(٣) التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.
(٤)انظر الاستعاذة عند تفسير سورة الفاتحة.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٩٢/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٦٨/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٨) التفسير الوسيط:٢٩٧/٣.
(٩) تفسير الطبري:٦٩/١٩.
في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (همز) : " الهمز كالعصر " وهو مناسب لقول الطبري: خنق الشياطين؛ لأن الخنق هو عصر الرقبة وضغطها لينقطع النفس
(١٠) اخرجه الطبري:٦٩/١٩.
(١١)سنن أبي داود برقم (١٥٥٢).
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٩٢/٥.

بلغ من ولده أن يقولها عند نومه ، ومن كان منهم صغيرا لا يعقل أن يحفظها ، كتبها له، فعلقها في عنقه"(١).

القرآن

{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩)} [المؤمنون : ٩٩]

التفسير:

يخبر الله تعالى عن حال المحتضر من الكافرين أو المفرطين في أمره تعالى، حتى إذا أشرف على الموت، وشاهد ما أُعِدَّ له من العذاب قال: رب ردُّوني إلى الدنيا.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ} [المؤمنون : ٩٩]، أي:" حتى إذا حضر الموتُ أحدهم وعاين أهواله وشدائده"(٢).

قال السمعاني أي: حضر أحدهم الموت"(٣).

قال الطبري: يقول:" حتى إذا جاء أحدَ هؤلاء المشركين الموتُ، وعاين نزول أمر الله به"(٤).

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} [المؤمنون : ٩٩]، أي:" قال: رب ردُّوني إلى الدنيا"(٥).

الدنيا"(٥).

قال الطبري: أي:" قال:- لعظيم ما يعاين مما يَقْدم عليه من عذاب الله تندّما على ما فات، وتلهُّفا على ما فرط فيه قبل ذلك، من طاعة الله ومسألته للإقالة-: {رَبِّ ارْجِعُونِ} إلى الدنيا فردّوني إليها"(٦).

وفي قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ} [المؤمنون : ٩٩]، قولان(٧):

أحدهما: أنه خطاب للملائكة، وهم الملائكة الذين يحضرون بقبض الروح.

قال السمعاني:"وهذا قول ضعيف؛ لأنه قد قال: {رب}"(٨).

القول الثاني: أن الخطاب مع الله، وكأن الكافر يسأل ربه عند الموت أن يرده إلى الدنيا.

قال السمعاني:"وهذا القول هو المعروف، فإن قيل: كيف يستقيم هذا، وقد قال: {ارجعون} ، والواحد لا يخطاب بخطاب الجمع، ولا يستقيم أن يقول القائل: اللهم اغفروا لي؟ والجواب عنه: أنه إنما ذكر بلفظ الجمع على طريق التفخيم والتعظيم، فإن الله تعالى أخبر عن نفسه بلفظ الجمع فقال: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} ومثل هذا كثير في القرآن، فذكر قوله: {ارجعون} على موافقة هذا كما يخاطب الجمع، وعن الخليل أنه سئل عن هذه الآية - وكان شديد التوقي في كلام القرآن - وقال: {رب ارجعون} معناه: اجعلني مرجوعا"(٩).

---

(١)المسند (١٨١/٢) وسنن أبي داود برقم (٣٨٩٣) وسنن الترمذي برقم (٣٥٢٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٦٠١).
قال الترمذي : "حسن غريب".

(٢) صفوة التفاسير:٢٩٢/٢.

(٣) تفسير السمعاني:٤٨٩/٣.

(٤) تفسير الطبري:٦٩/١٩.
في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (همز) : " الهمز كالعصر " وهو مناسب لقول الطبري: خنق الشياطين؛ لأن الخنق هو عصر الرقبة وضغطها لينقطع النفس

(٥) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٦) تفسير الطبري:٦٩/١٩.
في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (همز) : " الهمز كالعصر " وهو مناسب لقول الطبري: خنق الشياطين؛ لأن الخنق هو عصر الرقبة وضغطها لينقطع النفس

(٧) انظر: تفسير السمعاني:٤٨٩/٣.

(٨) تفسير السمعاني:٤٨٩/٣.

(٩) تفسير السمعاني:٤٨٩/٣-٤٩٠.

قال ابن زيد:" هذه في الحياة الدنيا، ألا تراه يقول: {حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ}، قال: حين تنقطع الدنيا، ويعاين الآخرة، قبل أن يذوق الموت"(١).

عن الضحاك: {قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ}، قال:" يعني: أهل الشرك"(٢).

قال محمد بن كعب القرظي:" قال محمد: إلى أيّ شيء يريد؟ إلى أيّ شيء يرغب؟ أجمع المال، أو غَرْس الغِراس، أو بَنْي بُنيان، أو شق أنهار؟ : {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ}، يقول الجبار: كلا"(٣).

عن ابن جريج، قال: قال النبي ﷺ لعائشة: "إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: نرجعك إلى الدنيا؟ فيقول: إلى دار الهموم والأحزان؟ فيقول: بل قدماني إلى الله، وأما الكافر فيقال: نرجعك؟ فيقول: {لعلي أعمل صالحا فيما تركت} ... " الآية"(٤).

القرآن

{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٠٠)} [المؤمنون : ١٠٠]

التفسير:

لعلي أستدرك ما ضيَّعْتُ من الإيمان والطاعة. ليس له ذلك، فلا يجاب إلى ما طلب ولا يُمْهَل. فإنما هي كلمة هو قائلها قولاً لا ينفعه، وهو فيه غير صادق، فلو رُدَّ إلى الدنيا لعاد إلى ما نُهي عنه، وسيبقى المتوفَّون في الحاجز والبَرْزخ الذي بين الدنيا والآخرة إلى يوم البعث والنشور.

قوله تعالى:{لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ} [المؤمنون : ١٠٠]، أي:" لكي أعمل صالحاً فيما ضيَّعت من عمري"(٥).

قال الطبري: " يقول: كي أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل فضيعته، وفرّطت فيه"(٦).

قال ابن عباس: يريد أشهد أن لا إله إلا الله"(٧).

وقال مقاتل: "يعني: الإيمان"(٨).

وقال الكلبي: "فيما كذّبت"(٩).

وقال قتادة: إما والله ما تمنى أن يرجع إلى أهل ولا عشيرة، ولكنه تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر فاعملوا فيها"(١٠).

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا} [المؤمنون : ١٠٠]، أي:" ليس له ذلك، فلا يجاب إلى ما طلب ولا يُمْهَل. فإنما هي كلمة هو قائلها قولاً لا ينفعه"(١١).

---

(١) أخرجه الطبري:٦٩/١٩.

(٢) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.

(٣) أخرجه الطبري:٦٩/١٩.

(٤) أخرجه الطبري:٦٩/١٩.

(٥) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.

(٦) تفسير الطبري:٦٩/١٩.

في غريب القرآن للراغب الأصفهاني: (همز) : " الهمز كالعصر " وهو مناسب لقول الطبري: خنق الشياطين؛ لأن الخنق هو عصر الرقبة وضغطها لينقطع النفس

(٧)رواه البيهقي في "الأسماء والصفات" ص ١٠٨، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ١١٥ وعزاه للبيهقي.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٥/٣.

(٩) نقلا عن التفسير البسيط للواحدي:٦٣/١٦.

(١٠)ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط:٦٣/١٦، والبغوي في التفسير: ٥/ ٤٢٨، وابن كثير: في التفسير:٤٩٤/٥.

(١١) التفسير الميسر:٣٤٨.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ليس الأمر على ما قال هذا المشرك، لن يرجع إلى الدنيا، ولن يعاد إليها {كلا إنها كلمة هو قائلها} يقول: هذه الكلمة، وهو قوله: {رب ارجعون} كلمة هو قائلها يقول: هذا المشرك هو قائلها"[١].

قال مقاتل:" يقول- عز وجل- كلا لا يرد إلى الدنيا، يعني بالكلمة قوله: {رب ارجعون}"[٢].

عن ابن زيد، "{كلا إنها كلمة هو قائلها}، لا بد له أن يقولها"[٣].

قال ابن كثير:" «كلا»: حرف ردع وزجر، أي:لا نجيبه إلى ما طلب ولا نقبل منه"[٤].

وقال عمر بن عبد الله مولى غُفْرَة : إذا سمعت الله يقول : { كَلا } فإنما يقول : كذب"[٥].

عن أبي هريرة قال : "إذا وضع - يعني : الكافر - في قبره ، فيرى مقعده من النار. قال : فيقول : رب ، ارجعون أتوب وأعمل صالحا. قال : فيقال : قد عُمِّرت ما كنت مُعَمَّرا. قال : فيضيق عليه قبره ، قال : فهو كالمنهوش ، ينام ويفزع ، تهوي إليه هَوَامّ الأرض وحياتها وعقاربها"[٦].

قوله تعالى:{وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون : ١٠٠]، أي:" وأمامهم حاجزٌ يمنعهم عن الرجوع إلى الدنيا - هو عالم البرزخ - الذي يحول بينهم وبين الرجعة يلبثون فيه إلى يوم القيامة"[٧].

قال مقاتل:" يعني: ومن بعد الموت أجل إلى يوم يحشرون بعد الموت"[٨].

قال الطبري:" يقول: ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع، يعني: إلى يوم يبعثون من قبورهم، وذلك يوم القيامة، والبرزخ والحاجز والمهلة متقاربات في المعنى"[٩].

قال أبو عبيدة:" أي: أمامهم وقدّامهم، قال الشاعر[١٠]:

أترجو بنو مروان سمعى وطاعتى ... وقومى تميم والغلاة ورائيا

وما بين كل شيئين برزخ، وما بين الدنيا والآخرة برزخ "[١١].

عن ابن عباس: "{ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}، يقول: أجل إلى حين"[١٢].

قال ابن كثير:" وفي قوله : { وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ }: تهديد لهؤلاء المحتضرين من الظلمة بعذاب البرزخ ، كما قال : { مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ } [الجاثية : ١٠] وقال { وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ } [إبراهيم : ١٧]. وقوله : { إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } أي : يستمر به العذاب إلى يوم البعث ، كما جاء في الحديث : «فلا يزال معذبا فيها»[١٣] ، أي : في الأرض"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري:٧٠/١٩.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٥/٣.
(٣) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٩٣/٥.
(٥) تفسير ايبن كثير:٤٩٤/٥.
(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٩٤/٥.
(٧) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٥/٣-١٦٦.
(٩) تفسير الطبري:٧٠/١٩.
(١٠)البيت لسوار بن المضرب انظر: تفسير الطبري:٨٣/١٨، "النكت والعيون" ٣/ ٣٣٢، "البحر المحيط" ٦/ ١٥٤، "الدر المصون" ٧/ ٥٣٧، "الكامل" ص ٢٨٩، "جمهرة اللغة" ١/ ٢٣٦، "لسان العرب" (ورى) ٨/ ٤٨٢٣.
(١١) مجاز القرآن:٦٢/٢.
(١٢) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.
(١٣)رواه الترمذي في السنن برقم (١٠٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وقال : "حديث حسن غريب".
(١٤) تفسير ابن كثير:٤٩٤/٥.

وفي معنى «البرزخ»، في الآية، أقوال:
أحدها : أنه حاجز بين الموت والبعث ، قاله مجاهد[١]، وابن زيد[٢]، وبه قال الفراء[٣]، والزجاج[٤].

قال ابن زيد:" البرزخ ما بين الموت إلى البعث"[٥].

قال الزجاج:" البرزخ في اللغة: الحاجز، وهو ههنا ما بين موت الميت وبعثه"[٦].

قال الفراء:" البرزخ: من يوم يموت إلى يوم يبعث. وقوله: {وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا } [الفرقان : ٥٣]، يقول: حاجزا. و«الحاجز» و«المهلة»: متقاربان في المعنى، وذلك أنك تقول: بينهما حاجز أن يتزاورا، فتنوي بالحاجز المسافة البعيدة، وتنوي الأمر المانع، مثل اليمين والعداوة. فصار المانع في المسافة كالمانع في الحوادث، فوقع عليهما البرزخ"[٧].

الثاني : حاجز بين الدنيا والآخرة . قاله قتادة[٨]، والضحاك[٩]، وأبو عبيدة[١٠].

قال الضحاك:" البرزخ: ما بين الدنيا والآخرة"[١١].

قال قتادة:" أهل القبور في البرزخ، وهو الحاجز بين الدنيا والآخرة"[١٢].

قال أبو صخر : "البرزخ : المقابر ، لا هم في الدنيا ، ولا هم في الآخرة ، فهم مقيمون إلى يوم يبعثون"[١٣].

الثالث : حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا ، قاله مجاهد أيضا[١٤].

الرابع : أنه بقية الدنيا. قاله قتادة[١٥].

الخامس: أنه ما بعد الموت. قاله سعيد [١٦].

وقال أبو يوسف: "خرجت مع أبي أمامة في جنازة، فلما وضعت في لحدها، قال أبو أمامة: هذا برزخ إلى يوم يبعثون"[١٧].

السادس : أن البرزخ الإمهال ليوم القيامة ، حكاه ابن عيسى[١٨].

السابع:: هو الأجل ما بين النفختين وبينهما أربعون سنة ، قاله الكلبي[١٩].

وقال السدي: "البرزخ: ما بين النفختين"[٢٠].

قال القرطبي:" وهذه الأقوال متقاربة. وكل حاجز بين شيئين فهو: برزخ"[٢١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٧١/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٧١/١٩.
(٣) انظر: معاني القرآن:٢٤٢/٢.
(٤) انظر: معاني القرآن:٢٢/٤.
(٥) أخرجه الطبري:٧١/١٩.
(٦) معاني القرآن:٢٢/٤.
(٧) معاني القرآن:٢٤٢/٢.
(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام في التفسير:٤١٦/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٧١/١٩.
(١٠) انظر: مجاز القرآن:٦٢/٢.
(١١) أخرجه الطبري:٧١/١٩.
(١٢) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٦/١.
(١٣) تفسير ابن كثير:٤٩٤/٥-٤٩٥.
(١٤) أخرجه الطبري:٧١/١٩.
(١٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(١٩٨٧):ص٤٢٠/٢.
(١٦) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.
(١٧) أخرجه الطبري:٧٠/١٩.
(١٨) نقلا عن النكت والعيون:٦٧/٤، وتفسير القرطبي:١٥٠/١٢.
(١٩) نقلا عن النكت والعيون:٦٧/٤، وتفسير القرطبي:١٥٠/١٢.
(٢٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٦/١.
(٢١) تفسير القرطبي:١٥٠/١٢.

وقال رجل بحضرة الشعبي: "رحم الله فلانا فقد صار من أهل الآخرة! فقال: لم يصر من أهل الآخرة، ولكنه صار من أهل البرزخ، وليس من الدنيا ولا من الآخرة"(١).

عن عائشة ، أنها قالت : "ويل لأهل المعاصي من أهل القبور!! تدخل عليهم في قبورهم حيات سود - أو : دُهُم - حية عند رأسه ، وحية عند رجليه ، يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه ، فذلك العذاب في البرزخ الذي قال الله تعالى : { وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُو}"(٢).

فوائد الآيات:[٩٣-١٠٠]:

١- مشروعية الدعاء والترغيب فيه وإنه لذو جدوى للمؤمن.

٢- استحباب دفع السيء من القول أو الفعل بالصفح والإعراض عن صاحبه.

٣- مشروعية الاستعاذة بالله تعالى من وساوس الشياطين ومن حضورهم أمر العبد الهام حتى لا يفسدوه عليه بالخواطر السيئة.

٤- موعظة المؤمن بحال من يتمنى العمل الصالح عند الموت فلا يُمكن منه فيموت بندمه وحسرته ويلقى جزاء تفريطه حرماناً وخسراناً في الدار الآخرة.

القرآن

{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١)} [المؤمنون : ١٠١]

التفسير:

فإذا كان يوم القيامة، ونفخ المَلَك المكلَّف في «القرن» ، وبُعِثَ الناس من قبورهم، فلا تَفاخُرَ بالأنساب حينئذ كما كانوا يفتخرون بها في الدنيا، ولا يسأل أحد أحدًا.

قوله تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} [المؤمنون : ١٠١]، أي:" فإذا كان يوم القيامة، ونفخ المَلَك المكلَّف في «القرن» ، وبُعِثَ الناس من قبورهم"(٣).

قال الزجاج:" «الصور»: جاء في التفسير أنه قرن ينفخ فيه فيبعث الناس في النفخة الثانية، قال عز وجل {ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون}. وقال أهل اللغة كثير منهم: الصور جمع صورة، والذي جاء في اللغة جمع صورة صور، وكذلك جاء في القرآن: {وصوركم فأحسن صوركم}، ولم يقرأ أحد فأحسن صوركم، ولو كان أيضا جمع صورة لقال أيضا: ثم نفخ فيها أخرى، لأنك تقول: هذه صور، ولا تقول هذا صور إلا على ضعف فهو على ماجاء في التفسير"(٤).

قوله تعالى:{فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ} [المؤمنون : ١٠١]، أي:" فلا تَفاخُرَ بالأنساب حينئذ كما كانوا يفتخرون بها في الدنيا"(٥).

قال مقاتل:"يعني: لا نسبة بينهم عم وابن عم وأخ وابن أخ وغيره يومئذ"(٦).

قال ابن عباس:" فذلك حين ينفخ في الصور، فلا حي يبقى إلا الله"(٧).

قال ابن عباس: "لا يفتخرون بالأنساب في الآخرة كما يفتخرون بها في الدنيا"(٨).

قال ابن كثير:" أي : لا تنفع الأنساب يومئذ ، ولا يرثي والد لولده ، ولا يلوي عليه ، قال الله تعالى:{ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا. يُبَصَّرُونَهُمْ } [المعارج : ١٠ ، ١١] أي : لا يسأل القريب قريبه وهو يبصره ، ولو كان عليه من الأوزار ما قد أثقل ظهره ، وهو كان أعز الناس عليه - كان - في الدنيا ، ما التفت إليه ولا حمل عنه وزن جناح بعوضة ، قال الله تعالى : { يَوْمَ

---

(١) نقلا عن تفسير القرطبي:١٥٠/١٢.

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٩٤/٥.

(٣) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٤) معاني القرآن:٢٢/٤.

(٥) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.

(٧) أخرجه الطبري:٧٢/١٩.

(٨) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٥١/١٢.

يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } [عبس : ٣٤ - ٣٧]"[١].

قال السعدي:" يخبر تعالى عن هول يوم القيامة، وما في ذلك اليوم، من المزعجات والمقلقات، وأنه إذا نفخ في الصور نفخة البعث، فحشر الناس أجمعون، لميقات يوم معلوم، أنه يصيبهم من الهول ما ينسيهم أنسابهم، التي هي أقوى الأسباب، فغير الأنساب من باب أولى"[٢]. أولى"[٢].

عن المِسْوَر - هو ابن مَخْرَمَة - رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : فاطمة بَضْعَةٌ مني ، يَقْبِضُنُي ما يقبضها ، ويَبْسُطني ما يبسطها وإن الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري"[٣].

وهذا الحديث له أصل في الصحيحين عن المسور أن رسول الله ﷺ قال: "فاطمة بضعة مني ، يريبني ما رابها ، ويؤذيني ما آذاها"[٤].

عن حمزة بن أبي سعيد الخدري ، عن أبيه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول على هذا المنبر : "ما بال رجال يقولون : إن رحم رسول الله ﷺ لا تنفع قومه ؟ بلى ، والله إن رحمي موصولة في الدنيا والآخرة ، وإني - أيها الناس - فرط لكم ، إذا جئتم" قال رجل : يا رسول الله ، أنا فلان بن فلان، وقال أخوه : أنا فلان ابن فلان، فأقول لهم : "أما النسب فقد عرفت ، ولكنكم أحدثتم بعدي وارتددتم القهقري"[٥].

وفي المراد بهذا النفخ في قوله تعالى:{فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ} [المؤمنون : ١٠١]، قولان:
أحدهما: أنه عني به النفخة الأولى. قاله ابن عباس[٦]، والسدي[٧].

عن سعيد بن جبير، "أن رجلا أتى ابن عباس فقال: سمعت الله يقول: {فلا أنساب بينهم يومئذ} . .. الآية، وقال في آية أخرى: {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون} فقال: أما قوله: {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون} فذلك في النفخة الأولى، فلا يبقى على الأرض شيء {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون}، وأما قوله: {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون} فإنهم لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون"[٨].

الثاني: أنه عني بذلك النفخة الثانية. وهذا قول ابن مسعود[٩].

عن زادان، قال: "أتيت ابن مسعود، وقد اجتمع الناس إليه في داره، فلم أقدر على مجلس، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، من أجل أني رجل من العجم تحقرني؟ قال: ادن! قال: فدنوت، فلم يكن بيني وبينه جليس، فقال: يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة على رءوس الأولين والآخرين، قال: وينادي مناد: ألا إن هذا فلان ابن فلان، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه، قال: فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها، أو على أبيها، أو على أخيها، أو على زوجها {فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون}"[١٠].

قوله تعالى:{وَلَا يَتَسَاءَلُونَ} [المؤمنون : ١٠١]، أي:" ولا يسأل أحد أحدًا"[١١].

قال مقاتل:" يقول: ولا يسأل حميم حميما"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٩٥/٥.
(٢) تفسير السعدي:٥٩٩.
(٣)المسند (٣٢٣/٤).
(٤)صحيح البخاري برقم (٣٧١٤) وصحيح مسلم برقم (٢٤٤٩).
(٥)المسند (١٨/٣).
(٦) انظر: تفسير الطبري:٧١/١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٧٢/١٩.
(٨) اخرجه الطبري:٧١/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٧٢/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٧٢/١٩.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.

قال يحيى:" {ولا يتساءلون} عليها أن يحمل بعضهم عن بعض كما كانوا يتساءلون في الدنيا بأنسابهم. كقول الرجل أسألك بالله وبالرحم"(١).

قال السعدي:" لا يسأل أحد أحدا عن حاله، لاشتغاله بنفسه، فلا يدري هل ينجو نجاة لا شقاوة بعدها؟ أو يشقى شقاوة لا سعادة بعدها؟"(٢).

قال ابن عباس: " ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا، من أي قبيلة أنت ولا من أي نسب، ولا يتعارفون لهول ما أذهلهم"(٣).

قال الزمخشري:" ونفى الأنساب: يحتمل أن التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون معاقبين ومثابين، ولا يكون التواصل بينهم والتألف إلا بالأعمال، فتلغوا الأنساب وتبطل، وأنه لا يعتد بالأنساب لزوال التعاطف والتراحم بين الأقارب، إذ يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه"(٤).

قال ابن مسعود : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد : ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه : قال : فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرا؛ ومصداق ذلك في كتاب الله : { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ }"(٥).

وفي رواية عن ابن مسعود، قال:" يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة، فينصب على رءوس الأولين والآخرين، ثم ينادي مناد، ثم ذكر نحوه، وزاد فيه: فيقول الرب تبارك وتعالى للعبد: أعط هؤلاء حقوقهم، فيقول: أي رب، فنيت الدنيا، فمن أين أعطيهم؟ فيقول للملائكة: خذوا من أعماله الصالحة وأعطوا لكل إنسان بقدر طلبته، فإن كان له فضل مثقال حبة من خردل ضاعفها الله له حتى يدخله بها الجنة، ثم تلا ابن مسعود {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما} وإن كان عبدا شقيا، قالت الملائكة: ربنا، فنيت حسناته وبقي طالبون كثير، فيقول: خذوا من أعمالهم السيئة فأضيفوها إلى سيئاته، وصكوا له صكا إلى النار"(٦).

قال قتادة:" ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافه، مخافة أن يذوب له عليه شيء، ثم قرأ :{يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}"(٧).

عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد من أهل العرش: يا أهل التظالم تداركوا مظالمكم، وادخلوا الجنة"(٨).

قال الزمخشري:" فإن قلت: قد ناقض هذا ونحو قوله :{ولا يسئل حميم حميما}، قوله: {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}، وقوله: {يتعارفون بينهم}، فكيف التوفيق بينهما؟

قلت: فيه جوابان:

أحدهما: أن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في بعضها، وفي بعضها لا يفطنون لذلك لشدة الهول والفزع.

والثاني: أن التناكر يكون عند النفخة الأولى، فإذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا"(٩).

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤١٦/١.
(٢) تفسير السعدي:٥٩٩.
(٣) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٥١/١٢.
(٤) الكشاف:٢٠٣/٣.
(٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٩٥/٥.
(٦) أخرجه الطبري:٧٢/١٩.
(٧) اخرجه الطبري:٧٣/١٩.
(٨) اخرجه الطبري:٧٣/١٩.
(٩) الكشاف:٢٠٣/٣-٢٠٥.

قال الزجاج:" وقال في موضع - آخر: {وقفوهم إنهم مسئولون}، وقال في موضع آخر {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}، فيقول القائل: كيف جاء{ولا يتساءلون}، وجاء {وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}. فإن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، ففيه أزمنة وأحوال. وإنما قيل يومئذ كما تقول: نحن اليوم بفعل كذا وكذا، وليس تريد به في يومك إنما تريد نحن في هذا الزمان، «فيوم» تقع للقطعة من الزمان. وأما {فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان}. فلا يسأل عن ذنبه ليستفهم، قد علم الله عز وجل ما سلف منهم. وأما قوله: {وقفوهم إنهم مسئولون}، فيسألون سؤال توبيخ لا سؤال استفهام كما قال: {وإذا الموءودة سئلت (٨) بأي ذنب قتلت (٩)}[التكوير:٨-٩]. وإنما تسأل لتوبيخ من قتلها. وكذلك قوله: {أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله}. فما يسأل عنه يوم القيامة تقرير وتوبيخ، والله - عز وجل - قد علم ما كان، وأحصى كبير ذلك وصغيره"[(١)].

عن ابن مسعود: «ولا يساءلون»، بإدغام التاء في السين[(٢)].

القرآن

{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢)} [المؤمنون : ١٠٢]

التفسير:

فمن كثرت حسناته وثَقُلَتْ بها موازين أعماله عند الحساب، فأولئك هم الفائزون بالجنة.

قوله تعالى:{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [المؤمنون : ١٠٢]، أي:" فمن كثرت حسناته وثَقُلَتْ بها موازين أعماله عند الحساب"[(٣)].

قال مقاتل:" بالعمل الصالح، يعني: المؤمنين"[(٤)].

قال يحيى:" السعداء، وهم أهل الجنة"[(٥)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {فمن ثقلت موازينه} موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته"[(٦)].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المؤمنون : ١٠٢]، أي:" فأولئك هم الفائزون بالجنة"[(٧)].

قال مقاتل:" يعنى: الفائزين"[(٨)].

قال الطبري:" يعني: الخالدون في جنات النعيم"[(٩)].

قال ابن كثير:" أي : الذين فازوا فنجوا من النار وأدخلوا الجنة"[(١٠)].

القرآن

{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (١٠٣)} [المؤمنون : ١٠٣]

التفسير:

---

(١) معاني القرآن:٢٢/٤-٢٣.
(٢) انظر: الكشاف:٢٠٣/٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤١٦/١.
(٦) تفسير الطبري:٧٣/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.
(٩) تفسير الطبري:٧٣/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:٤٩٦/٥.

ومن قَلَّتْ حسناته في الميزان، ورجحت سيئاته، وأعظمها الشرك، فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم، في نار جهنم خالدون.

قوله تعالى:{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} [المؤمنون : ١٠٣]، أي:" ومن قَلَّتْ حسناته في الميزان، ورجحت سيئاته، وأعظمها الشرك"(١).

قال الطبري:" يقول: ومن خفت موازين حسناته فرجحت بها موازين سيئاته"(٢).

قال مقاتل:" يعنى: الكفار"(٣).

قال ابن كثير:" أي : ثقلت سيئاته على حسناته"(٤).

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [المؤمنون : ١٠٣]، أي:" فأولئك هم الذين خابوا وخسروا أنفسهم"(٥).

قال مقاتل:" يعنى: غبنوا أنفسهم"(٦).

قال الطبري:" يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله"(٧).

قال ابن كثير:" أي : خابوا وهلكوا ، وباؤوا بالصفقة الخاسرة "(٨).

عن أنس بن مالك يرفعه قال : "إن لله ملكا موكلا بالميزان ، فيؤتى بابن آدم ، فيوقف بين كفتي الميزان ، فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق : شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا"(٩).

قوله تعالى:{فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ} [المؤمنون : ١٠٣]، أي:" في نار جهنم خالدون"(١٠).

قال الطبري:" يقول: هم في نار جهنم"(١١).

قال مقاتل:" لا يموتون"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : ماكثون ، دائمون مقيمون لا يظعنون"(١٣).

القرآن

{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (١٠٤)} [المؤمنون : ١٠٤]

التفسير:

تَحْرقُ النار وجوههم، وهم فيها عابسون تَقَلَّصَتْ شفاههم، وبرزت أسنانهم.

قوله تعالى:{تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ} [المؤمنون : ١٠٤]، أي:" تَحْرقُ النار وجوههم"(١٤).

قال الطبري:يقول:" يسفع وجوههم لهب النار فتحرقها"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٢) تفسير الطبري:٧٣/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٩٦/٥.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٨.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.
(٧) تفسير الطبري:٧٣/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٩٦/٥.
(٩) رواه البزاز كما في تفسير ابن كثير:٤٩٧/٥، ورواه أبو نعيم في الحلية كما في تخريج الإحياء (٤٠٩٨) وقال : "تفرد به داود بن المحبر".
قال ابن كثير:" إسناده ضعيف ، فإن داود بن المُحَبَّر متروك".
(١٠) التفسير الميسر:٣٤٨.
(١١) تفسير الطبري:٧٣/١٩.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير:٤٩٧/٥.
(١٤) التفسير الميسر:٣٤٨.
(١٥) تفسير الطبري:٤٧/١٩.

قال الزجاج:" يلفح وينفح: في معنى واحد، إلا أن«اللفح» أعظم تأثيرا"(١).

قال السمعاني:" اللفح أكبر من النفح، ومعناه: يصيب وجوههم حر النار، وقيل: تحرق وجوههم النار وتنضجها"(٢).

قال القرطبي:" تلفح: أبلغ بأسا، يقال: لفحته النار والسموم بحرها أحرقته. ولفحته بالسيف لفحة إذا ضربته به ضربة خفيفة"(٣).

عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : "قال رسول الله ﷺ في قول الله تعالى : { تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ } قال : «تلفحهم لفحة ، فتسيل لحومهم على أعقابهم»"(٤).

عن ابن عباس، قوله: "{وهم فيها كالحون}، يقول: عابسون"(٥).

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ : "إن جهنم لما سيق إليها أهلها يلقاهم لهبها ، ثم تلفحهم لفحة ، فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب"(٦).

عن أبي سعيد الخُدْري ، عن النبي ﷺ قال:{وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ}، قال : "تَشْويه النار فَتَقَلَّصُ شفته العليا حتى تبلغ وَسَطَ رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تَضْرب سُرَّته"(٧).

قوله تعالى:{وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ} [المؤمنون : ١٠٤]، أي:" وهم فيها عابسون تَقَلَّصَتْ شفاههم، وبرزت أسنانهم"(٨).

قال الطبري:" :يقول:" وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان؛ من إحراق النار وجوههم ، و«الكلوح»: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان، حتى تبدو الأسنان، كما قال الأعشى(٩):

وله المقدم لا مثل له ... ساعة الشدق عن الناب كلح"(١٠).

قال مقاتل:" عابسين شفته العليا قالصة لا تغطى أنيابه، وشفته السفلى تضرب بطنه وثناياه خارجة من فيه بين شفتيه أربعون ذراعا بذراع الرجل الطويل من الخلق الأول كل ناب له مثل أحد"(١١).

قال الزجاج:" الكالح: الذي قد تشمرت شفته عن أسنانه، نحو ما ترى من رؤوس الغنم إذا مستها النار فبرزت الأسنان وتشمرت الشفاه"(١٢).

قال الزمخشري:" الكلوح: أن تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الأسنان، كما ترى الرءوس المشوية"(١٣).

---

(١)معاني القرآن:٢٣/٤ .

(٢) تفسير السمعاني:٤٩٢/٣.

(٣) تفسير القرطبي:١٥٢/١٢.

(٤) رواه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير:٤٩٧/٥، ورواه الضياء المقدسي في صفة النار كما في الدر المنثور (١١٧/٦) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٥) أخرجه الطبري:٤٧/١٩.

(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٤٩٧/٥، ورواه أبو نعيم في الحلية (٣٦٣/٤) وقال : "لم يروه مرفوعا متصلا عن أبي سنان عن عبد الله إلا محمد بن سليمان الأصبهاني ، ورواه ابن عيينة وابن فضيل وجرير عن أبي سنان فأوقفه ابن فضيل على أبي هريرة".

(٧)المسند (٨٨/٣) وسنن الترمذي برقم (٣١٧٦). قال الترمذي:" حسن غريب".

(٨) التفسير الميسر:٣٤٨.

(٩)البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه ص ٢٤١ بشرح الدكتور محمد حسين، طبع القاهرة) . والرماية فيه في الحرب " إذا " في موضع " لا مثل له ". والمقدم بضم الميم مصدر بمعنى الإقدام. وكلح = الشدق: كشر عن الأنياب في عبوس.

يمدح إياس بن قبيصة الطائي، بأن من صفاته الإقدام في الحرب حين تكره الأبطال النزال، وتكشر أشداقهم عن أنيابهم، كرها للحرب، واستشهد به المؤلف هنا على أن معنى الكلوح تقلص الشفتين عن الأسنان حتى تبدو الأسنان.

(١٠) تفسير الطبري:٧٣/١٩-٧٤.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.

(١٢)معاني القرآن:٢٣/٤ .

(١٣) الكشاف:٢٠٤/٣.

عن عبد الله، قوله: "{وهم فيها كالحون}، قال: ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه، وقلصت شفتاه"(١).

قال ابن زيد:" ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي؟"(٢).

وعن مالك بن دينار: "كان سبب توبة عتبة الغلام أنه مر في السوق برأس أخرج من التنور فغشى عليه ثلاثة أيام ولياليهن"(٣). قال السمعاني:" كأنه يذكر هذه الآية"(٤).

عن أبي هريرة قال: "يعظم الكافر في النار مسيرة سبع ليال، ضرسه مثل أحد، شفاهم عند صدرهم، سود، زرق، حبن، مفتوحون، يتهافتون في النار، ويقول: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضع الرحمن قدمه فيها فتقول: رب قط قط"(٥).

القرآن

{أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (١٠٥)} [المؤمنون : ١٠٥]

التفسير:

يقال لهم: ألم تكن آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا، فكنتم بها تكذبون؟

قوله تعالى:{أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ} [المؤمنون : ١٠٥]، أي:" يقال لهم: ألم تكن آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا"(٦).

قال الطبري:" يعني: آيات القرآن تتلى عليكم في الدنيا"(٧).

قال يحيى:" يقول لهم ذلك في النار"(٨).

قال مقاتل:" ويقال لكفار مكة: ألم يكن القرآن يقرأ عليكم في أمر هذا اليوم وما هو كائن فيكم"(٩).

قوله تعالى:{فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} [المؤمنون : ١٠٥]، أي:" فكنتم لا تصدّقون بها مع وضوحها"(١٠).

قال السمعاني:" أي: تجحدون وتنكرون"(١١).

قال الطبري:" قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخط لنا في أم الكتاب"(١٢).

قال السعدي:" {فكنتم بها تكذبون} ظلما منكم وعنادا، وهي آيات بينات، دالات على الحق والباطل، مبينات للمحق والمبطل"(١٣).

قال ابن كثير:" هذا تقريع من الله تعالى لأهل النار ، وتوبيخ لهم على ما ارتكبوا من الكفر والمآثم والمحارم والعظائم ، التي أوبقتهم في ذلك ، فقال : { أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ } أي : قد أرسلت إليكم الرسل ، وأنزلت الكتب ، وأزلت شُبَهكم ، ولم يبق لكم حجة تدلون بها كما قال : { لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } [النساء : ١٦٥] ، وقال : { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا } [الإسراء : ١٥] ، وقال : { كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ

---

(١) أخرجه الطبري:٤٧/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٤٧/١٩.
(٣) حكاه الزمخشري في الكشاف:٢٠٤/٣.
(٤) تفسير السمعاني:٤٩٢/٣.
(٥) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٧/١.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٧) تفسير الطبري:٤٧/١٩.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤١٧/١.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٦/٣.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.
(١١) تفسير السمعاني:٤٩٢/٣.
(١٢) تفسير الطبري:٧٥/١٩.
(١٣) تفسير السعدي:٥٦٠.

خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نزلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلا فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ. وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ. فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ } [الملك : ٨ - ١١]"(١).

القرآن

{قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦)} [المؤمنون : ١٠٦]

التفسير:

لما بلَّغتهم الرسل وأنذرتهم قالوا يوم القيامة: ربنا غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا المقدَّرة علينا في سابق علمك، وكنا في فعلنا ضالين عن الهدى.

قوله تعالى:{قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا} [المؤمنون : ١٠٦]، أي:" ربنا غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا المقدَّرة علينا في سابق علمك"(٢).

قال الطبري:" قالوا: ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخط لنا في أم الكتاب"(٣).

قال السمعاني:" المراد منه: إنما أدخلنا النار بما غلب علينا من حكمك وقضائك بشقاوتنا"(٤).

قال ابن كثير:" أي : قد قامت علينا الحجة ، ولكن كنا أشقى من أن ننقاد لها ونتبعها"(٥).

ونتبعها"(٥).

قال السعدي:" فحينئذ أقروا بظلمهم، حيث لا ينفع الإقرار {قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا} أي: غلبت علينا الشقاوة الناشئة عن الظلم والإعراض عن الحق، والإقبال على ما يضر، وترك ما ينفع"(٦).

عن مجاهد، قوله: "{غلبت علينا شقوتنا}، قال: التي كتبت علينا"(٧).

قال ابن مسعود:" الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره"(٨).

قال الزمخشري:" الشقاوة: سوء العاقبة التي علم الله أنهم يستحقونها بسوء أعمالهم"(٩).

وقرئ: «شقوتنا» و«شقاوتنا»، بفتح الشين وكسرها(١٠).

قوله تعالى:{وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ} [المؤمنون : ١٠٦]، أي:" وكنا في فعلنا ضالين عن الهدى"(١١).

قال الطبري:" يقول: كنا قوما ضللنا عن سبيل الرشاد، وقصد الحق"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : فَضَلَلْنَا عنها ولم نُرْزَقْهَا "(١٣).

قال الزجاج:" أقروا بذلك"(١٤).

---

(١) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٣) تفسير الطبري:٧٥/١٩.
(٤) تفسير السمعاني:٤٩٢/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.
(٦) تفسير السعدي:٥٦٠.
(٧) اخرجه الطبري:٧٥/١٩.
(٨) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٧/١.
(٩) الكشاف:٢٠٤/٣.
(١٠) انظر: الكشاف:٢٠٤/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٩.
(١٢) تفسير الطبري:٧٧/١٩.
(١٣) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.
(١٤)معاني القرآن:٢٣/٤ .

قال السعدي:" أي: فعلنا في الدنيا فعل التائه، الضال السفيه، كما قالوا في الآية الأخرى: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك : ١٠]"(١).

قال ابن جريج: "بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم: أن {ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب} فلم يجيبوهم ما شاء الله فلما أجابوهم بعد حين قالوا: {فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}، قال: ثم نادوا مالكا {يامالك ليقض علينا ربك} فسكت عنهم مالك خازن جهنم، أربعين سنة ثم أجابهم فقال: {إنكم ماكثون} ثم نادى الأشقياء ربهم، فقالوا: {ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}، فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى :{اخسئوا فيها ولا تكلمون}"(٢).

عن أبي بكر بن عبد الله، قال: "ينادي أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله، ثم يقال: أجيبوهم، وقد قطع الرحم والرحمة، فيقول أهل الجنة: يا أهل النار، عليكم غضب الله، يا أهل النار، عليكم لعنة الله، يا أهل النار، لا لبيكم ولا سعديكم، ماذا تقولون؟ فيقولون: ألم نك في الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم، فيقولون: بلى، فيقولون: {أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين}"(٣).

قال محمد بن كعب: بلغني، أو ذكر لي، أن أهل النار استغاثوا بالخزنة، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، فردوا عليهم ما قال الله، فلما أيسوا نادوا: يا مالك، وهو عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فقالوا: يا مالك، ليقض علينا ربك، سألوا الموت، فمكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سني الآخرة، أو كما قال، ثم انحط إليهم، فقال: {إنكم ماكثون} فلما سمعوا ذلك قالوا: فاصبروا، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله، قال: فصبروا، فطال صبرهم، فنادوا (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص}، أي: منجى. فقام إبليس عند ذلك فخطبهم، فقال: {إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان فلما سمعوا مقالته، مقتوا أنفسهم، قال: فنودوا {لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا} الآية، قال: فيجيبهم الله {ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير}، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد؛ قال: ثم دعوا مرة أخرى، فيقولون: {ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون}، قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: {ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها}، يقول الرب: لو شئت لهديت الناس جميعا، فلم يختلف منهم أحد {ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا}، يقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا {إنا نسيناكم}، أي: تركناكم {وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون}، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد، قال: فيدعون مرة أخرى: {ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل}، قال: فيقال لهم: {أولم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم} ... الآية، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد ثم قالوا مرة أخرى: {ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل}، قال: فيقول: {أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير} إلى: {نصير}، ثم مكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم: {ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون}، فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا، فقالوا عند ذلك: {ربنا غلبت علينا شقوتنا}، أي: الكتاب الذي كتب علينا {وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها} الآية، فقال عند ذلك: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}، قال: فلا يتكلمون فيها أبدا، فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم. وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض، فأطبقت عليهم. قال عبد الله بن المبارك في حديثه: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله: {هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون}"(٤).

---

(١) تفسير السعدي:٥٦٠.
(٢) اخرجه الطبري:٧٥/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٧٥/١٩-٧٦.
(٤) أخرجه الطبري:٧٦/١٩-٧٧.

عن أبي بكر بن عبد الله، أنه قال: "فوالذي أنزل القرآن على محمد، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والزعيق في الخلد أبدا، ليس له نفاد"(١).

عن أبي معشر، قال: "كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ، فجلسنا، فتنحى أبو جعفر، فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم أن أهل النار لا يتنفسون"(٢).

القرآن

{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (١٠٧)} [المؤمنون : ١٠٧]

التفسير:

ربنا أخرجنا من النار، وأعدنا إلى الدنيا، فإن رجعنا إلى الضلال فإنا ظالمون نستحق العقوبة.

قوله تعالى:{رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا} [المؤمنون : ١٠٧]، أي:" ربنا أخرجنا من النار وأعدنا إلى الدنيا"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره، مخبرا عن قيل الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجنا من النار"(٤).

قال ابن كثير:" أي : رُدَّنا إلى الدار الدنيا"(٥).

قوله تعالى:{فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ} [المؤمنون : ١٠٧]، أي:" فإن رجعنا إلى الكفر والمعاصي بعد ذلك نكون قد تجاوزنا الحدَّ في الظلم العدوان"(٦).

قال الطبري:" فإن عدنا لما تكره منا من عمل، فإنا ظالمون"(٧).

قال ابن كثير:" فإن عدنا إلى ما سلف منا ، فنحن ظالمون مستحقون للعقوبة ، كما قالوا : { فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ. ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ } [غافر : ١١ ، ١٢] أي : لا سبيل إلى الخروج ؛ لأنكم كنتم تشركون بالله إذا وحده المؤمنون"(٨).

قال السعدي:" وهم كاذبون في وعدهم هذا، فإنهم كما قال تعالى: {ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه} ولم يبق الله لهم حجة، بل قطع أعذارهم، وعمرهم في الدنيا، ما يتذكر فيه من المتذكر، ويرتدع فيه المجرم"(٩).

قال الصابوني:" أقروا أولاً بالإجرام ثم تدرجوا من الإقرار إلى الرغبة والتضرع"(١٠).

فوائد الآيات:[١٠١-١٠٧]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء من خلال عرض أحداثها في هذه الآيات.

٢- تقرير أن وزن الأعمال يوم القيامة حق وإنكاره بدعة مكفرة.

٣- تقرير أن إسرافيل ينفخ في الصور وإنكار ذلك وتأويله بلفظ الصور كما فعل المراغي عند تفسيره هذه الآية مع الأسف بدعة من البدع المنكرة ولذا نبهت عليها هنا حتى لا يغتر بها المؤمنون.

---

(١) أخرجه الطبري:٧٧/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٧٧/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٤) تفسير الطبري:٧٧/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.
(٦) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.
(٧) تفسير الطبري:٧٧/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.
(٩) تفسير السعدي:٥٦٠.
(١٠) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.

٤- الاعتذار بالقدر لا ينفع صاحبه، إذ القدر مستور فلا ينظر إليه والعبد مأمور فليؤتمر بأمر الله ورسوله ولينته بنهيهما ما دام العبد قادراً على ذلك فإن عجز فهو معذور.

القرآن

{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (١٠٨)} [المؤمنون : ١٠٨]

التفسير:

قال الله عز وجل لهم: امكثوا في النار أذلاء ولا تخاطبوني. فانقطع عند ذلك دعاؤهم ورجاؤهم.

قوله تعالى:{قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا} [المؤمنون : ١٠٨]، أي:" قال الله عز وجل لهم: امكثوا في النار أذلاء"[١].

قال أبو مالك:" يعني: اصغروا"[٢].

قال ابن عباس:" هذا قول الرحمن عز وجل، حين انقطع كلامهم منه"[٣].

قال الطبري:" قال الرب لهم جل ثناؤه مجيبا : اقعدوا في النار"[٤].

قال مقاتل:" يقول: اصغروا في النار"[٥].

قال ابن كثير:" أي : امكثوا فيها صاغرين مُهانين أذلاء"[٦].

قوله تعالى:{وَلَا تُكَلِّمُونِ} [المؤمنون : ١٠٨]، أي:" ولا تخاطبوني"[٧].

قال ابن كثير:" أي : لا تعودوا إلى سؤالكم هذا ، فإنه لا جواب لكم عندي"[٨].

قال السمعاني:" أي: ابعدوا، وهو مثل قولهم: خسأت الكلب أي: أبعدته"[٩].

قال الطبري:" فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، ولقد كانوا طامعين فيه"[١٠].

قال مقاتل:" فلا يتكلم أهل النار بعدها أبدا غير أن لهم زفيرا أول نهيق الحمار، وشهيقا آخر نهيق الحمار"[١١].

عن زياد الخراساني، عن بعض أهل العلم، قال:"فيسكتون، قال: فلا يسمع فيها حس إلا كطنين الطست"[١٢].

أخرج يحيى بن سلام بسنده عن عبد الله بن عمرو:" أن أهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يرد عليهم: {إنكم ماكثون}، ثم ينادون ربهم: {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون}، فيسكت عنهم قدر عمر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}، فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة وما هو إلا الزفير والشهيق.

قال يحيى:"فشبه أصواتهم بأصوات الحمير: أولها زفير، وآخرها شهيق"[١٣].

قال قتادة: "صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار، أوله زفير، وآخره شهيق"[١٤].

عن سليمان التيمي:" أن أهل النار يدعون خزنة أهل النار أربعين سنة، ثم يكون جوابهم إياهم: ألم تأتكم رسلكم بالبينات؟ {قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال}، ثم

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٤٦):ص٢٥٠٨/٨.
(٣) أخرجه الطبري:٧٩/١٩.
(٤) تفسير الطبري:٧٧/١٩.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٧/٣.
(٦) تفسير ابن كثير:٤٩٨/٥.
(٧) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.
(٩) تفسير السمعاني:٤٩٣/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٧٧/١٩.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٧/٣.
(١٢) اخرجه الطبري:٧٩/١٩.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٤١٧/١-٤١٨.
(١٤) تفسير الطبري:٧٩/١٩.

ينادون مالكا فلا يجيبهم مقدار ثمانين سنة، ثم يكون جواب مالك إياهم: {إنكم ماكثون}، ثم يدعون ربهم: {ربنا أخرجنا منها}، فلا يجيبهم مقدار الدنيا مرتين، ثم يكون جوابه إياهم: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}، ثم إنما هو الزفير والشهيق"[1].

عن أبي الدرداء، قال: "يرسل أو يصب على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون، فيغاثون بالضريع، الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فلا يغني ذلك عنهم شيئا فيستغيثون، فيغاثون بطعام ذي غصة، فإذا أكلوه نشب في حلوقهم، فيذكرون أنهم كانوا في الدنيا يحدرون الغصة بالماء، فيستغيثون، فيرفع إليهم الحميم في كلاليب الحديد، فإذا انتهى إلى وجوههم شوى وجوههم، فإذا شربوه قطع أمعاءهم، قال: فينادون مالكا: ليقض علينا ربك، قال: فيتركهم ألف سنة، ثم يجيبهم: إنكم ماكثون، قال: فينادون خزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، قالوا: أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات؟ قالوا: بلي، قالوا: فادعوا، وما دعاء الكافرين إلا في ضلال، قال: فيقولون ما نجد أحدا خيرا لنا من ربنا، فينادون ربهم {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون} قال: فيقول الله: {اخسئوا فيها ولا تكلمون}، قال: فعند ذلك يئسوا من كل خير، فيدعون بالويل والشهيق والثبور"[2].

قال عبدالله:" فإذا أراد الله ألا يخرج منها، يعني من النارأحدا، غير وجوههم وألوانها، فيجيء الرجل من المؤمنين فيشفع فيهم، فيقول: يا رب، فيقول: من عرف أحدا فليخرجه؛ قال: فيجيء الرجل فينظر فلا يعرف أحدا، فيقول: يا فلان يا فلان، فيقول: ما أعرفك. فعند ذلك يقولون: {ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون فيقول اخسئوا فيها ولا تكلمون}، فإذا قالوا ذلك؛ انطبقت عليهم جهنم فلا يخرج منها بشر"[3].

القرآن

{إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩)} [المؤمنون : ١٠٩]

التفسير:

إنه كان فريق من عبادي -وهم المؤمنون- يَدْعون: ربنا آمنا فاستر ذنوبنا، وارحمنا، وأنت خير الراحمين.

قال الطبري:" يقول: كانت جماعة من عبادي، وهم أهل الإيمان بالله، يقولون في الدنيا: {ربنا آمنا} بك وبرسلك، وما جاءوا به من عندك {فاغفر لنا وارحمنا}، وأنت خير من رحم أهل البلاء، فلا تعذبنا بعذابك"[4].

قال أبو الليث:" بين لهم السبب الذي استحقوا تلك العقوبة به، فقال: {إنه كان فريق من عبادي يقولون} وهم المؤمنون: {ربنا آمنا}، أي: صدقنا، {فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين}"[5].

قال سعيد بن جبير: قول:"{فريق}، يعنى: طائفة"[6]، قوله: «آمن»، يعنى: صدق بتوحيد بتوحيد الله عز وجل"[7].

قال ابن عباس:" يريد المهاجرين"[8].

---

(١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤١٨/١.
(٢) أخرجه الطبري:٧٨/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٧٧/١٩-٧٨.
(٤) تفسير الطبري:٧٩/١٩.
(٥) بحرالعلوم:٤٩١/٢.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٠):ص٢٥٠٩/٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥١):ص٢٥٠٩/٨.
(٨) حكاه عنه الواحدي في الوسيط:٢٩٩/٣.

قال مجاهد: "هم بلال وخباب وصهيب، وفلان وفلان من ضعفاء المسلمين، كان أبو جهل وأصحابه يهزءون بهم"[١].

قال عمران الجندي: "إن الله لم ينظر إلى شيء قط إلا رحمه، ولو نظر إلى أهل النار لرحمهم، ولكن لا ينظر إليهم"[٢].

القرآن

{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)} [المؤمنون : ١١٠]

التفسير:

فاشتغلتم بالاستهزاء بهم حتى نسيتم ذكر الله، فبقيتم على تكذيبكم، وقد كنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء.

قوله تعالى:{فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا} [المؤمنون : ١١٠]، أي:" فاشتغلتم بالاستهزاء بهم"[٣].

بهم"[٣].

قال الطبري:يقول:" فاتخذتم أيها القائلون لربكم {ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين} في الدنيا، القائلين فيها: {ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين} سخريا"[٤].

قال السمعاني:" أي: اشتغلتم بالاستهزاء والسخرية عليهم"[٥].

قال الزمخشري:" معناه: اتخذتموهم هزؤا"[٦].

قال ابن كثير:" أي : فسخرتم منهم في دعائهم إياي وتضرعهم إليّ"[٧].

قال مقاتل:" وذلك أن رءوس كفار قريش المستهزئين: أبا جهل وعتبة والوليد وأمية ونحوهم اتخذوا فقراء أصحاب النبي- ﷺ- سخريا يستهزءون بهم ويضحكون من خباب وعمار وبلال وسالم مولى أبي حذيفة ونحوهم من فقراء العرب فازدروهم"[٨].

قرأ نافع وحمزة ، والكسائي:«سخريا»، بضم السين، وقرأ الباقون بكسرها[٩].

قال الزجاج:" قوله: {سخريا}، يقرأ بالضم والكسر، وكلاهما جيد، إلا أنهم قالوا إن بعض أهل اللغة قال: ما كان من «الاستهزاء» فهو بالكسر، وما كان من جهة «التسخير» فهو بالضم، وكلاهما عند سيبويه والخليل واحد، والكسر لإتباع الكسر أحسن"[١٠].

قال الزمخشري:" السخرى- بالضم والكسر-: مصدر سخر كالسخر، إلا أن في ياء النسب زيادة قوة في الفعل، كما قيل الخصوصية في الخصوص"[١١].

قوله تعالى:{حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي} [المؤمنون : ١١٠]، أي:" حتى نسيتم بتشاغلكم بهم واستهزائكم عليهم عن طاعتي وعبادتي"[١٢].

قال الطبري:يقول:" فلم يزل استهزاؤكم بهم، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري، فألهاكم عنه"[١٣].

قال أبو الليث:" يعني:أنساكم الهزء بهم العمل بطاعتي"[١].

---

(١) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٥٤/١٢.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٢):ص٢٥٠٩/٨-٢٥١٠.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٤) تفسير الطبري:٨٠/١٩-٨١.[بتصرف]
(٥) تفسير السمعاني:٤٩٣/٣.
(٦) الكشاف:٢٠٥/٣.
(٧) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.[بتصرف]
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٧/٣.
(٩) انظر: النكت والعيون:٦٨/٤، وتفسير السمعاني:٤٩٣/٣.
(١٠) معاني القرآن:٢٤/٤.
(١١) الكشاف:٢٠٥/٣.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٩٣/٢.
(١٣) تفسير الطبري:٨٠/١٩-٨١.[بتصرف]

قال السمعاني:" وتركتم ذكري، وكان الواجب عليكم أن تذكروني بدل استهزائكم بهم"[٢].

قال الزمخشري:" وتشاغلتم بهم ساخرين حتى أنسوكم بتشاغلكم بهم على تلك الصفة ذكري فتركتموه، أى: تركتم أن تذكرونى فتخافونى في أوليائى"[٣].

قال ابن كثير:" فحملكم بغضهم على أن نَسِيتم معاملتي"[٤].

قال ابن زيد:" أنسى هؤلاء الله استهزاؤهم بهم، وضحكهم بهم"[٥].

عن ابن ذئب قال: "وسألت ابن زيد، عن قوله: «الذكر»، قال: القرآن"[٦].

قال القرطبي:" أضاف الإنساء إلى المؤمنين، لأنهم كانوا سببا لاشتغالهم عن ذكره، وتعدي شؤم استهزائهم بالمؤمنين إلى استيلاء الكفر على قلوبهم"[٧].

قال الماتريدي:" قال بعضهم: حتى أنساكم الهزء بهم عن العمل بطاعتي. وقيل: أضاف الإنساء إلى الذكر؛ لأنهم كانوا عندما يذكرهم ويدعوهم إلى ذكر الله يهزءون به؛ فأضاف إليه ذلك؛ فكان كإضافة الرجس إلى السورة؛ لأن ذلك إنما يزداد لهم عند تلاوة السورة؛ فأضيف ذلك إلى السورة، وإلا كانت السورة لا تزيد رجسا؛ فعلى ذلك أضاف الإنساء إلى ذكره؛ لما عند ذكره ودعائهم إليه يحملهم إلى ذلك، والله أعلم، فأضيف إليه"[٨].

قوله تعالى:{وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} [المؤمنون : ١١٠]، أي:" وقد كنتم تضحكون منهم سخرية واستهزاء"[٩].

قال قتادة:"في الدنيا"[١٠].

قال مقاتل:" وكنتم منهم يا معشر كفار قريش من الفقراء {تضحكون}، استهزاء بهم"[١١].

قال ابن كثير:" أي : من صنيعهم وعبادتهم ، كما قال تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } [المطففين : ٢٩ ، ٣٠] أي : يلمزونهم استهزاء"[١٢].

قال السمعاني:" وفي الآية دليل على أن الاستهزاء بالناس كبيرة، وهو موعود عليه"[١٣].

وروي علي بن حسين -رحمة الله عليه-، قال: «من ضحك ضحكة مج مجة من العلم»[١٤]

القرآن

---

(١) بحر العلوم:٤٩١/٢.
(٢) تفسير السمعاني:٤٩٣/٣.
(٣) الكشاف:٢٠٥/٣.
(٤) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.[بتصرف]
(٥) اخرجه الطبري:٨١/١٩.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٥):ص٢٥١٠/٨.
(٧) تفسير القرطبي:١٥٥/١٢.
(٨)تاويلات أهل السنة:٤٩٨/٧ .
(٩) التفسير الميسر:٣٤٩.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٦):ص٢٥١٠/٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٧/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.
(١٣) تفسير السمعاني:٤٩٣/٣.
(١٤) أخرجه أحمد في الزهد(٩٢٥):ص١٣٧/١، والدارمي في السنن(٦٠٣):ص٤٧٢/١. والبيهقي في الشعب(١٦٩٠):ص٢٩٥/٣، وزاد السمعاني في آخره:" لا يعود إليه أبدا". انظر: تفسير السمعاني:١٤٧٢.
إسناده ضعيف من أجل محمد بن حميد.

{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (١١١)} [المؤمنون : ١١١]

التفسير:

إني جزيت هذا الفريق من عبادي المؤمنين الفوز بالجنة؛ بسبب صبرهم على الأذى وطاعة الله.

قوله تعالى:{إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا} [المؤمنون : ١١١]، أي:" جزيتهم بسبب صبرهم على أذاكم أحسن الجزاء"[١].

قال ابن كثير:" أي : على أذاكم لهم واستهزائكم منهم"[٢].

قال الطبري: يقول:" إني أيها المشركون بالله المخلدون في النار، جزيت الذين اتخذتموهم في الدنيا سخريا من أهل الإيمان بي، وكنتم منهم تضحكون اليوم، بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا"[٣].

قال مقاتل:" على الأذى والاستهزاء، يعني: الفقراء من العرب والموالي"[٤].

قال القرطبي:" على أذاكم، وصبروا على طاعتي"[٥].

عن قتادة قوله: "{اليوم}، قال: يوم القيامة[٦]، قوله: "{بما صبروا}، عن معصية الله"[٧].

الله"[٧].

قوله تعالى:{أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ} [المؤمنون : ١١١]، أي:" أنهم هم الفائزون بالنعيم المقيم"[٨].

قال مقاتل:" يعنى: هم الناجون"[٩].

قال يحيى:" الناجون من النار، فازوا من النار إلى الجنة"[١٠].

قال قتادة:" أي: الناجون من النار إلى الجنة ومن عذاب الله إلى رحمته"[١١]،

قال ابن كثير:" أي:جعلتهم هم الفائزين بالسعادة والسلامة والجنة، الناجين من النار"[١٢].

قال الطبري: يقول:" أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم والكرامة الباقية أبدا؛ بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا، ولقوا في طلب رضاي من المكاره فيها"[١٣].

فوائد الآيات:[١٠٨-١١١]:

١- بيان مدى حسرة أهل النار لما يجابون بكلمة: {اخسأوا فيها ولا تكلمون} .

٣- فضيلة التضرع إلى الله تعالى ودعائه والتوسل إليه بالإيمان وصالح الأعمال.

٣- حرمة السخرية بالمسلم والاستهزاء به والضحك منه.

٤- فضيلة الصبر ولذا ورد أن منزلة الصبر هن الإيمان كمنزلة الرأس من الجسد.

القرآن

{قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ (١١٢)} [المؤمنون : ١١٢]

التفسير:

---

(١) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.

(٢) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.

(٣) تفسير الطبري:٨١/١٩.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٧/٣.

(٥) تفسير القرطبي:١٥٥/١٢.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٧):ص٢٥١٠/٨.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٨):ص٢٥١٠/٨.

(٨) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٧/٣.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٤١٩/١.

(١١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٥٩):ص٢٥١١/٨.

(١٢) تفسير ابن كثير:٤٩٩/٥.

(١٣) تفسير الطبري:٨١/١٩.

ويُسْألُ الأشقياء في النار: كم بقيتم في الدنيا من السنين؟ وكم ضيَّعتم فيها من طاعة الله؟

قال ابن كثير:" أي : كم كانت إقامتكم في الدنيا ؟"(١).

قال الطبري:" قال الله: كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين؟"(٢).

قال مكي:" : أي: قال الله لهؤلاء الأشقياء الذين كانوا يظنون أنهم لا يبعثون، وأن الدنيا باقية: كم لبثتم في الأرض من الزمان بعد موتكم"(٣).

قال يحيى:" أي: كم عدد السنين التي لبثتم في الأرض؟ يريد بذلك أن يعلمهم قلة بقائهم كان في الدنيا، فتصاغرت الدنيا عندهم"(٤).

قال الواحدي:" قال الله تعالى للكفار يوم البعث توبيخًا لهم على إنكار البعث: {قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ} يعني في القبور {عَدَدَ سِنِينَ}"(٥).

قال السمعاني:" أي: في الدنيا، ويقال: في القبور"(٦).

عن صفوان عن أيفع ابن عبد الكلاعي أنه سمعه يخطب الناس فقال: "قال رسول الله ﷺ: إن الله لما أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وقال: يا أهل الجنة كم لبثتم في الأرض عدد سنين قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم. قال: لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم، رحمتي ورضواني وجنتي امكثوا فيها خالدين. ثم يقول: يا أهل النار كم لبثتم في الأرض عدد سنين؟ قالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم. فيقول: بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم، ناري وسخطي امكثوا فيها خالدين مخلدين"(٧).

قرأ ابن كثير، وحمزة، والكسائي: «قل كم لبثتم»، بغير ألف على الأمر وفيها وجهان من التفسير:(٨):

أحدهما: قل أيها الكافر المسؤول عن قدر لبثه {كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ}.

قال أبو زرعة بن زنجلة تتميمًا لهذا الوجه: فإخراج الكلام على وجه الأمر به للواحد والمراد الجماعة، إذْ كان المعى مفهوما، والعرب تخاطب الواحد ومرادهم خطاب جماعة إذا عرف المعنى"(٩).

والثاني: أن هذا أمرٌ لمن يسألهم يوم البعث عن قدر مكثهم. والمعنى: قل أيها السائل عن لبثهم(١٠).

القرآن

{قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ (١١٣)} [المؤمنون : ١١٣]

التفسير:

قالوا لِهول الموقف وشدة العذاب: بقينا فيها يومًا أو بعض يوم، فاسأل الحُسَّاب الذين يعدُّون الشهور والأيام.

قوله تعالى:{قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ} [المؤمنون : ١١٣]، أي:" قالوا لِهول الموقف وشدة العذاب: بقينا فيها يومًا أو بعض يوم"(١١).

قال الطبري:" قالوا مجيبين له: لبثنا فيها يوما أو بعض يوم"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٥٠٠/٥.
(٢) تفسير الطبري:٨٢/١٩.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١٠/٧.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤١٩/١.
(٥) التفسير البسيط:٨٢/١٦.
(٦) تفسير السمعاني:٤٩٤/٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٠):ص٢٥١١/٨.
(٨) انظر: السبعة: ص ٤٤٩، "التَّبصرة" ص ٢٧١، التيسير ص ١٦٠.
(٩)حجة القراءات ص ٤٩٣.
(١٠) انظر: الحجة: ٥/ ٣٠٧.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٩.

قال يحيى:" وذلك لتصاغر الدنيا عندهم"[2].

قال الثعلبي:" نسوا لعظيم ما هم فيه من العذاب مدة مكثهم في الدنيا، وهذا توبيخ من الله تعالى لمنكري البعث وإلزام للحجة عليهم"[3].

قال مكي:" فأجابوا وقالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، فنسوا عظيم ما كانوا فيه من البلاء وطول مكثهم في القبور في العذاب لما حل عليهم من نقم الله في الآخرة حتى ظنوا أنهم لم يلبثوا في البرزخ إلاّ يوماً أو بعض يوم"[4].

قال الزمخشري:" المعنى: لا نعرف من عدد تلك السنين إلا أنا نستقله ونحسبه يوما أو بعض يوم، لما نحن فيه من العذاب "[5].

قال الزمخشري:" استقصروا مدة لبثهم في الدنيا بالإضافة إلى خلودهم ولما هم فيه من عذابها، لأن الممتحن يستطيل أيام محنته ويستقصر ما مر عليه من أيام الدعة إليها. أو لأنهم كانوا في سرور، وأيام السرور قصار، أو لأن المنقضى في حكم ما لم يكن، وصدقهم الله في مقالهم لسنى لبثهم في الدنيا ووبخهم على غفلتهم التي كانوا عليها"[6].

عن صفوان ، عن أيفع بن عبد الكَلاعي ؛ أنه سمعه يخطب الناس فقال : "قال رسول الله ﷺ : إن الله إذا أدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قال : يا أهل الجنة ، كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم. قال : لنعم ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم : رحمتي ورضواني وجنتي ، امكثوا فيها خالدين مخلدين ؟ ثم يقول : يا أهل النار ، كم لبثتم في الأرض عدد سنين ؟ قالوا : لبثنا يومًا أو بعض يوم. فيقول : بئس ما اتجرتم في يوم أو بعض يوم : ناري وسخطي ، امكثوا فيها خالدين مخلدين"[7].

قوله تعالى:{فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ} [المؤمنون : ١١٣]، أي:" فاسأل الحُسَّاب الذين يعدُّون الشهور والأيام"[8].

قال الطبري:" فاسأل العادين، لأنا لا ندري، قد نسينا ذلك"[9].

قال ابن كثير:" أي : الحاسبين"[10].

قال الزمخشري:" المعنى: وما فينا أن نعدها، فسل من فيه أن يعد، ومن يقدر أن يلقى إليه فكره"[11].

وفي قوله تعالى:{فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ} [المؤمنون : ١١٣]، قولان:

أحدهما : أنهم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم، ويحصون عليهم ساعاتهم، قاله مجاهد[12]، وربيع بن أنس[13].

قال الزجاج:" أي: فاسأل الملائكة الذين يحفظون عدد ما لبثنا"[14].

---

(١) تفسير الطبري:٨٢/١٩.

(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤١٩/١.

(٣) الكشف والبيان:٥٩/٧.

(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١٠/٧.

(٥) الكشاف:٢٠٦/٣.

(٦) الكشاف:٢٠٥/٣-٢٠٦.

(٧) اخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥٠٠/٥، ورواه ابن الأثير في أسد الغابة (١٨٧/١) بإسناده إلى الحكم بن موسى عن الوليد عن صفوان به.

(٨) التفسير الميسر:٣٤٩.

(٩) تفسير الطبري:٨٢/١٩.

(١٠) تفسير ابن كثير:٥٠٠/٥.

(١١) الكشاف:٢٠٦/٣.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:٨٣/١٩.

(١٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٥١٢/٨. دون ذكر الإسناد.

(١٤) معاني القرآن:٢٥/٤.

قال الشوكاني:" أي: المتمكنين من معرفة العدد، وهم الملائكة لأنهم الحفظة العارفون بأعمال العباد وأعمارهم"(١).

الثاني : أنهم الحُسّابُ ، قاله قتادة(٢)، وعكرمة(٣).

قال يحيى:" قال قتادة: الحساب الذين كانوا يحسبون آجالنا، مثل قوله: {إنما نعد لهم عدا} [مريم: ٨٤] الأنفاس، وهي آجالهم"(٤).

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: {فاسأل العادين} وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك، وجائز أن يكونوا الملائكة، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم، ولا حجة بأي ذلك من أي ثبتت صحتها، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العادين دون بعض"(٥).

وقرئ: «العادين»، بالتخفيف، أى: الظلمة، فإنهم يقولون كما نقول. وقرئ:«العاديين»، أى: القدماء المعمرين، فإنهم يستقصرونها، فكيف بمن دونهم؟(٦).

القرآن

{قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١١٤)} [المؤمنون : ١١٤]

التفسير:

قال لهم: ما لبثتم إلا وقتًا قليلا لو صبرتم فيه على طاعة الله لفزتم بالجنة، لو كان عندكم علم بذلك؛ وذلك لأن مدة مكثهم في الدنيا قليلة جدا بالنسبة إلى طول مدتهم خالدين في النار.

قوله تعالى:{قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا} [المؤمنون : ١١٤]، أي:" قال لهم: ما أقمتم حقاً في الدنيا إلا قليلاً"(٧).

قال الزجاج:" معناه: ما لبثتم إلا قليل"(٨).

قال ابن كثير:" أي : مدة يسيرة على كل تقدير"(٩).

قال مكي:" أي: ما لبثتم على قولكم إذاً في الأرض إلا قليلاً، وجعل الله لبثهم قليلاً لفنائه وقلة دوامه، فكل ما يفنى، فبقاؤه قليل وإن تطاول زمانه، قال الله جل ذكره: {قُلْ مَتَاعُ الدنيا قَلِيلٌ} [النساء: ٧٧] أي ما تستمتع به الخلق من طلول أيام الدنيا قليل، إذ مصيره إلى الفناء والذهاب"(١٠).

قال يحيى:" إن لبثكم في الدنيا في طول ما أنتم لابثون في النار كان قليلا، وهو كقوله: {وتظنون} [الإسراء: ٥٢]، أي: في الآخرة {إن لبثتم} [المؤمنون: ١١٤] في الدنيا {إلا قليلا} [المؤمنون: ١١٤]"(١١).

قال قتادة:" أي في الدنيا، تحاقرت الدنيا في أنفسهم، وقلت حين عاينوا يوم القيامة"(١٢).

عن ابن إسحاق قال: "فقال: كم لبثتم، فقالوا: لبثنا يوما أو بعض يوم. وكل ذلك في أنفسهم"(١٣).

---

(١) فتح القدير:٥٩١/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٨٣/١٩.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٠٦٢):ص٢٥١١/٨.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤١٩/١.
(٥) تفسير الطبري:٨٣/١٩.
(٦) انظر: الكشاف:٢٠٦/٣.
(٧) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.
(٨) معاني القرآن:٢٥/٤.
(٩) تفسير ابن كثير:٥٠٠/٥.
(١٠) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١١/٧-٥٠١٢.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٤١٩/١.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٦):ص٢٥١٢/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٥):ص٢٥١٢/٨.

قوله تعالى:{لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [المؤمنون : ١١٤]، أي:" لو كان لكم علمٌ وفهم لعرفتم حقارة الدنيا ومتاعها الزائل"(١).

قال مكي:" لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم فيها، وقد كنتم تزعمون أن الدنيا باقية أبداً، لا بعث ولا حشر، ثم قلتم الآن لم نلبث إلا يوماً أو بعض يوم، فقد صار الباقي عندكم يوماً أو بعض يوم"(٢).

قال يحيى:" أي: لو كنتم علماء لم تدخلوا النار. والمشركون هم الذين لا يعلمون كقوله: {كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون} [الروم: ٥٩] ، وأشباه ذلك"(٣).

قال ابن كثير:" أي : لما آثرتم الفاني على الباقي ، ولما تَصَرَّفتم لأنفسكم هذا التصرف السّيئ ، ولا استحققتم من الله سخطه في تلك المدة اليسيرة ، ولو أنكم صبرتم على طاعة الله وعبادته - كما فعل المؤمنون - لفزتم كما فازوا"(٤).

القرآن

{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)} [المؤمنون : ١١٥]

التفسير:

أفحسبتم -أيها الخلق- أنما خلقناكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب، وأنكم إلينا لا ترجعون في الآخرة للحساب والجزاء؟

قوله تعالى:{أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا} [المؤمنون : ١١٥]، أي:" أفحسبتم -أيها الخلق- أنما خلقناكم مهملين، لا أمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب"(٥).

قال يحيى:" أي: قد حسبتم ذلك، ولم نخلقكم عبثا"(٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم، لعبا وباطلا"(٧).

قال ابن كثير:" أي : أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا"(٨).

قال الثعلبي:" أي: لعبا وباطلا لا لحكمة، و«العبث»: العمل لا لغرض"(٩).

قال الشوكاني:" العبث في اللغة: اللعب، يقال: عبث يعبث عبثا فهو عابث، أي: لاعب، وأصله من قولهم عبثت الأقط: أي خلطته، والمعنى: أفحسبتم أن خلقنا لكم للإهمال كما خلقت البهائم ولا ثواب ولا عقاب"(١٠).

قال الزمخشري:" {عَبَثاً} حال، أى: عابثين، كقوله لاعِبِينَ أو مفعول له، أى: ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي: أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء، فنثيب المحسن ونعاقب المسيء"(١١).

عن ابن جريج: "{أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا}، قال: باطلا"(١٢).

---

(١) صفوة التفاسير:٢/٢٩٤.
(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية:٧/٥٠١٠.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير:٥/٥٠٠.
(٥) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٢٠.
(٧) تفسير الطبري:١٩/٨٣.
(٨) تفسير ابن كثير:٥/٥٠٠.
(٩) الكشف والبيان:٧/٥٩.
(١٠) فتح القدير:٣/٥٩١.
(١١) الكشاف:٣/٢٠٦.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٨٤.

قال الربيع:" ما خلقتكم لعبا، ولكن خلقتكم للعبادة"(١).
قال قتادة:" لا والله ما خلق شيئا عبثا ولا ترك شيئا سدى"(٢).
قال على بن أبي طالب رضي الله عنه: "يا أيها الناس اتقوا ربكم فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو"(٣).
قال الأوزاعي: "بلغني أن في السماء ملكا ينادي كل يوم: ألا ليت الخلق لم يخلقوا، ويا ليتهم إذ خلقوا عرفوا ما خلقوا له وجلسوا فذكروا ما عملوا"(٤).
قوله تعالى:{وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ} [المؤمنون : ١١٥]، أي:" وأنه لا رجوع لكم إلينا للجزاء؟"(٥).
قال الطبري:" وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لا تصيرون أحياء، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون؟"(٦).
قال ابن كثير:" أي : لا تعودون في الدار الآخرة ، كما قال : { أَيَحْسَبُ الإنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى } [القيامة : ٣٦] ، يعني: هملا "(٧).
عن صفوان، عن رجل من آل سعيد بن العاص قال: إن آخر خطبة خطب عمر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد فإنكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وإن لكم معادا ينزل الله فيه للحكم بينكم، ويفصل بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله وحرم جنته عرضها السماوات والأرض ألم تعلموا أنه لا يأمن غدا إلا من حذر اليوم وخافه وباع نافذا بباق وقليلا بكثير، وخوفا بأمان إلا ترون أنكم من أصلاب الهالكين وسيكون من بعدكم الباقون حين تردون إلى خير الوارثين؟ ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله حتى تغيبوه في صدع من الأرض، في بطن صدع غير ممتد ولا موسد، قد فارق الأحباب، وباشر التراب، وواجه الحساب، مرتهن بعمله، غني عن ما ترك، فقير إلى ما قدم، فاتقوا الله قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم. ثم رفع جعل طرف ردائه على وجهه فبكى وأبكى من حوله"(٨).
عن حنش بن عبيد الله، "أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود، فقرأ في أذنه {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ(١١٥) {أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)}(٩)، حتى ختم السورة فبرأ. فقال رسول الله ﷺ، بماذا قرأت في أذنه؟ فأخبره، فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده لو أن رجلا موقنا قرأها على جبل لزال"(١٠).
قال الزمخشري:" {عَبَثاً} حال، أى: عابثين، كقوله لاعِبِينَ أو مفعول له، أى: ما خلقناكم للعبث، ولم يدعنا إلى خلقكم إلا حكمة اقتضت ذلك، وهي: أن نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات وترك المعاصي، ثم نرجعكم من دار التكليف إلى دار الجزاء، فنثيب المحسن ونعاقب المسيء"(١١).
وقرئ: «ترْجَعُونَ»، بفتح التاء(١٢).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٧):ص٢٥١٢/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٨):ص٢٥١٢/٨.
(٣) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:٥٩/٧، وانظر: إعجاز القرآن، للباقلاني: ١٤٦.
(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:٥٩/٧-٦٠.
(٥) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.
(٦) تفسير الطبري:٨٣/١٩.
(٧) تفسير ابن كثير:٥٠٠/٥.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٦٩):ص٢٥١٢/٨-٢٥١٣.
(٩)[المؤمنون : ١١٥ - ١١٦].
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٠):ص٢٥١٣/٨.
(١١) الكشاف:٢٠٦/٣.
(١٢) انظر: الكشاف:٢٠٦/٣.

القرآن

{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (١١٦)} [المؤمنون : ١١٦]

التفسير:

فتعالى الله الملك المتصرف في كل شيء، الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق، وتَقَدَّس عن أن يخلق شيئًا عبثًا أو سفهًا، لا إله غيره ربُّ العرشِ الكريمِ، الذي هو أعظم المخلوقات.

قوله تعالى:{فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ} [المؤمنون : ١١٦]، أي:" فتنزَّه وتقدَّس الله الكبير الجليل {الملك الحق} أي صاحب السلطان، المتصرف في ملكه بالإيجاد والإعدام، والإحياء والإفناء تنزَّه عن العبث والنقائض وعن أن يخلق شيئاً سفهاً لأنه حكيم"(١).

قال الطبري: يقول:" فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون، من أن له شريكا، وعما يضيفون إليه من اتخاذ البنات"(٢).

قال مكي:" أي: فتعالى الله عما يصفه به هؤلاء المشركون من اتخاذه الولد والشريك"(٣).

قال ابن عطية:" المعنى فتعالى الله عن مقالتهم في جهته من الصاحبة والولد ومن حسابهم أنهم لا يرجعون، أي تنزه الله عن تلك الأمور وتعالى عنها"(٤).

قال ابن كثير:" أي : تقدَّس أن يخلق شيئا عبثا ، فإنه الملك الحق المنزه عن ذلك"(٥).

قال الزمخشري:" {الْحَقُّ}: الذي يحق له الملك، لأن كل شيء منه وإليه. أو الثابت الذي لا يزول ولا يزول ملكه"(٦).

قال يحيى:" {الملك الحق}، اسمان من أسماء الله"(٧).

عن مجاهد: "{فتعالى الله}، قال: هو الانكفاف أنكف نفسه أنكفته الملائكة وما سبح له"(٨).

عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ:" أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن : بسم الله الملك الحق، { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر : ٦٧] ، { بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [هود : ٤١]"(٩).

قال أبو صالح:" الحق هو الله"(١٠).

قال مجاهد:" الحق: العدل"(١١).

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [المؤمنون : ١١٦]، أي:" لا إله غيره"(١).

---

(١) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.

(٢) تفسير الطبري:٨٤/١٩.

(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١٢/٧.

(٤) المحرر الوجيز:١٥٩/٤.

(٥) تفسير ابن كثير:٥٠٠/٥.

(٦) الكشاف:٢٠٦/٣.

(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٢٠/١.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧١):ص٢٥١٣/٨.

(٩) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٥٠١/٥، ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٤/١٢) وفي كتاب الدعاء برقم (٨٠٤) من طرق عن عبد الحميد الهلالي ، عن نهشل به ، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٢/١٠) : "نهشل بن سعيد متروك".

وأخرجه ابن ابي حاتم في التفسير(١٤٠٧٢):ص٢٥١٣/٨. ولفظه :" أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا في السفن، بسم الله الملك".

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٣):ص٢٥١٤/٨.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٤):ص٢٥١٤/٨.

قال الطبري: " يقول: لا معبود تنبغي له العبودة إلا الله الملك الحق"[2].

قال مكي:" أي: لا مبعود ولا رب إلا الله الملك الحق"[3].

عن كعب قال:" لا إله إلا الله: كلمة الإخلاص"[4].

قال محمد بن إسحاق :"لا إله إلا هو، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[5].

قال الفخر الرازي:" بيّن أنه لا إله سواه وأن ما عداه فمصيره إلى الفناء وما يفنى لا يكون إلها"[6].

قال الربيع:" إن النصارى أتو النبي ﷺ، وخاصموه في عيسى بن مريم، وقالوا له: من أبوه؟ وقالوا على الله الكذب والبهتان. لا إله إلا الله لم يتخذ صاحبة ولا ولدا. فقال لهم النبي ﷺ: تعلمون أنه لا يكون ولد إلا وهو أباه. قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن ربنا قيم على كل شيء يتولاه ويحفظه ويرزقه؟ قالوا: بلى. قال فهل يملك عيسى بن مريم من ذلك شيئا؟ قالوا: لا. قال: أفلستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى فإن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء. قال: ألستم تعلمون أن ربنا لا يأكل الطعام ولا يشرب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة، ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها، ثم غذي كما يغذى الصبي، ثم كان يطعم الطعام ويشرب الشراب ويحدث الحدث؟ قالوا: بلى. قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فعرفوا، ثم أبوا إلا جحودا، فأنزل الله عز وجل الله لا إله إلا هو"[7].

قوله تعالى:{رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون : ١١٦]، أي:" ربُّ العرشِ الكريمِ، الذي هو أعظم المخلوقات"[8].

قال الزمخشري:" وصف العرش بالكرم، لأن الرحمة تنزل منه والخير والبركة. أو لنسبته إلى أكرم الأكرمين، كما يقال: بيت كريم، إذا كان ساكنوه كراما"[9].

قال ابن كثير:" فذكر العرش ؛ لأنه سقف جميع المخلوقات ، ووصفه بأنه كريم ، أي : حسن المنظر بهي الشكل ، كما قال تعالى : { فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ } [لقمان : ١٠]"[10].

عن سعيد بن جبير قوله: "{الكريم}، يعني: الحسن"[11].

قال الفخر الرازي:" قال أبو مسلم: و«العرش» -هاهنا-: السموات بما فيها من العرش الذي تطوف به الملائكة، ويجوز أن يعني به :الملك العظيم، وقال الأكثرون: المراد هو العرش حقيقة"[12].

عن مطعم، عن أبيه، عن جده قال: "أتى أعرابي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله تجمدت الأنفس، وضاع العيال، وهلكت الأموال، وهلكت الأنعام فاستسق لنا فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: ويحك أتدري ما تقول: فسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال: ويحك إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه،

---

(١) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٢) تفسير الطبري:٨٤/١٩.
(٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١٢/٧.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٥):ص٢٥١٤/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٧):ص٢٥١٥/٨.
(٦) مفاتيح الغيب:٣٠٠/٢٣.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٦):ص٢٥١٤/٨-٢٥١٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٩) الكشاف:٢٠٦/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير:٥٠٠/٥.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٠٧٩):ص٢٥١٥/٨.
(١٢) مفاتيح الغيب:٣٠٠/٢٣.

شأن الله أعظم من ذلك، ويحك أتدري ما الله؟ إن الله على عرشه، وعرشه على سماواته، وسماواته على أرضه، قال بإصبعيه مثل القبة، وإنه ليأط به أطيط الرحل بالركب"(١).

عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن أبيه قال : "بعثنا رسول الله ﷺ في سرية ، وأمرنا أن نقول إذا نحن أمسينا وأصبحنا : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ } ، قال : فقرأناها فغنمنا وسلمنا"(٢).

وقرئ. «الكريم»، بالرفع. ونحوه: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ} [البروج : ١٥](٣).

القرآن

{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (١١٧)} [المؤمنون : ١١٧]

التفسير:

ومن يعبد مع الله الواحد إلهًا آخر، لا حجة له على استحقاقه العبادة، فإنما جزاؤه على عمله السيّئ عند ربه في الآخرة. إنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} [المؤمنون : ١١٧]، أي:" ومن يعبد مع الله الواحد إلهًا آخر"(٤).

قال الطبري: " ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر"(٥).

قوله تعالى:{لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} [المؤمنون : ١١٧]، أي:" لا حجة له على استحقاقه العبادة"(٦).

قال الطبري: " لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لا دليل له على قوله، وهذه جملة معترضة"(٨).

عن مجاهد، قوله: "{لا برهان له به}، قال: بينة"(٩).

قال البيضاوي: قوله: "{لا برهان له به}: صفة أخرى لـ {إلها}، لازمة له، فإن الباطل لا برهان به، جيء بها للتأكيد وبناء الحكم عليه تنبيها على أن التدين بما لا دليل عليه ممنوع فضلا عما دل الدليل على خلافه، أو اعتراض بين الشرط والجزاء"(١٠).

قوله تعالى:{فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} [المؤمنون : ١١٧]، أي:" فإنما جزاؤه على عمله السيّئ عند ربه في الآخرة"(١١).

قال الطبري:" يقول: فإنما حساب عمله السيئ عند ربه وهو موفيه جزاءه إذا قدم عليه"(١٢).

قال مكي:" أي: حساب عمله السيء عند ربه فيوفيه جزائه إذا قدم عليه"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : الله يحاسبه على ذلك"(١٤).

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٠٧٨):ص٢٥١٥/٨.
(٢)معرفة الصحابة لأبي نعيم برقم (٧٢٦).
(٣) انظر: الكشاف:٢٠٦/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٥) تفسير الطبري:٨٤/١٩.
(٦) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٧) تفسير الطبري:٨٤/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٥٠٢/٥.
(٩) اخرجه الطبري:٨٤/١٩.
(١٠) تفسير البيضاوي:٩٧/٤.
(١١) التفسير الميسر:٣٤٩.
(١٢) تفسير الطبري:٨٥/١٩.
(١٣) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١٢/٧.
(١٤) تفسير ابن كثير:٥٠٢/٥.

قال البيضاوي: " فهو مجاز له مقدار ما يستحقه"[١].

قال الفخر الرازي:" كأنه قال: إن عقابه بلغ إلى حيث لا يقدر أحد على حسابه إلا الله"[٢].

قوله تعالى:{ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون : ١١٧]، أي:" إنه لا فلاح ولا نجاة للكافرين يوم القيامة"[٣].

قال الطبري:" يقول: إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم"[٤].

قال البيضاوي: " أي: حسابه عدم الفلاح"[٥].

قال ابن كثير:أي : "لا فلاح لهم ولا نجاة "[٦].

قال مكي:" أي: لا ينجح ولا يدرك البقاء والخلود في النعيم أهل الكفر بالله. وهذا يدل على أن الحق يثبت بالبرهان والحجة، والباطل يذهب بالبرهان، والحجة على بطلانه. فالتقليد لمن قدر على الحجة والبرهان خطأ منه"[٧].

قال ابن عطية:" ثم حتم وأكد أن الكافر لا يبلغ أمنيته ولا ينجح سعيه"[٨].

قال الزمخشري:" جعل فاتحة السورة : {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون : ١]، وأورد في خاتمتها: {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون : ١١٧]، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة"[٩].

قال الفخر الرازي:" فإن قيل كيف تتصل هذه الخاتمة بما قبلها؟ قلنا لأنه سبحانه لما شرح أحوال الكفار في جهلهم في الدنيا وعذابهم في الآخرة أمر بالانقطاع إلى الله تعالى والالتجاء إلى دلائل غفرانه ورحمته، فإنهما هما العاصمان عن كل الآفات والمخافات"[١٠].

عن عمران بن حصين، قال: "قال النبي ﷺ لأبي: يا حصين كم تعبد اليوم إلها؟ قال أبي: سبعة ستة في الأرض وواحدا في السماء. قال: فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذي في السماء. قال: يا حصين أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك. قال: فلما أسلم حصين، قال: يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني، فقال: قل: اللهم ألهمني رشدي، وأعذني من شر نفسي"[١١].

قال قتادة : ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال لرجل : "ما تعبد ؟" قال : أعبد الله ، وكذا وكذا - حتى عدّ أصناما ، فقال رسول الله ﷺ : "فأيّهم إذا أصابك ضُرٌّ فدعوتَه ، كشفه عنك ؟". قال : الله عز وجل. قال : "فأيّهم إذا كانت لك حاجة فدعوتَه أعطاكها ؟" قال : الله عز وجل. قال: "فما يحملك على أن تعبد هؤلاء معه ؟" قال : أردت شكره بعبادة هؤلاء معه أم حسبت أن يغلب عليه. فقال رسول الله ﷺ : "تعلمون ولا يعلمون" قال الرجل بعد ما أسلم : لقيت رجلا خصمني"[١٢].

---

(١) تفسير البيضاوي:٩٧/٤.
(٢) مفاتيح الغيب:٣٠٠/٢٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٤) تفسير الطبري:٨٥/١٩.
(٥) تفسير البيضاوي:٩٧/٤.
(٦) تفسير ابن كثير:٥٠٢/٥.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١٢/٧.
(٨) المحرر الوجيز:١٥٩/٤.
(٩) الكشاف:٢٠٧/٣.
(١٠) مفاتيح الغيب:٣٠٠/٢٣.
(١١) سنن الترمذي(٣٤٨٣):ص٣٩٧/٥. وقال:" هذا حديث غريب".
(١٢) ذكره ابن كثير في التفسير:٥٠٢/٥. وقال:" هذا مرسل من هذا الوجه ، وقد روى أبو عيسى الترمذي في جامعه [برقم (٣٤٨٣)] مسندًا عن عمران بن الحُصَيْن ، عن أبيه ، عن رسول الله ﷺ نحو ذلك".

قرأ الجمهور «إنه» بكسر الألف، وقرأ الحسن وقتادة «أنه» بفتحها،، وقرأ الحسن وقتادة:«لا يفلح»، بفتح الياء واللام[1].

القرآن

{وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١١٨)} [المؤمنون : ١١٨]

التفسير:

وقل -أيها النبي-: ربِّ تجاوَزْ عن الذنوب وارحم؛ وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه.

قوله تعالى:{وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ} [المؤمنون : ١١٨]، أي:" وقل -أيها النبي-: ربِّ تجاوَزْ عن الذنوب وارحم"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وقل يا محمد: رب استر علي ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتك، وتركك عقابي على ما اجترمت"[3].

قال مكي:" أي: استر علي ذنوبي بعفوك عنها، وارحمني بقبول توبتي منها"[4].

قال يحيى:" أمر الله النبي ﷺ بهذا الدعاء"[5].

قال النسفي:" علمنا سؤال المغفرة والرحمة"[6].

قال القرطبي:" ثم أمر نبيه عليه الصلاة والسلام بالاستغفار لتقتدي به الأمة. وقيل: أمره بالاستغفار لأمته"[7].

وقرأ ابن محيصن: «رب اغفر»، بضم الباء[8].

قوله تعالى:{وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} [المؤمنون : ١١٨]، أي:" وأنت خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته ولم يعاقبه على ذنبه"[9].

قال الطبري:" يقول: وقل: أنت يا رب خير من رحم ذا ذنب، فقبل توبته، ولم يعاقبه على ذنبه"[10].

قال النسفي:" ثم قال {وأنت خير الراحمين}، لأن رحمته إذا أدركت أحدا أغنته عن رحمة غيره ورحمة غيره لا تغنيه عن رحمته"[11].

قال الصابوني:" أمر رسوله بالاستغفار والاسترحام تعليماً للأمة طريق الثناء والدعاء"[12].

قال ابن كثير:" قوله : { وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ } هذا إرشاد من الله إلى هذا الدعاء ، فالغَفْرُ - إذا أطلِق – معناه: محو الذنب وستره عن الناس ، و«الرحمة» معناها : أن يسدده ويوفقه في الأقوال والأفعال"[13].

قال ابن عطية:" أمر رسول الله ﷺ بالدعاء في المغفرة والرحمة والذكر له تعالى بأنه خير الراحمين، لأن كل راحم فمتصرف على إرادة الله وتوقيفه وتقديره لمقدار هذه الرحمة،

---

(١) انظر: المحرر الوجيز:١٥٩/٤، وتفسيرالقرطبي:١٥٧/١٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٤٩.
(٣) تفسير الطبري:٨٥/١٩.
(٤) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥٠١٢/٧.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤٢١/١.
(٦) تفسير النسفي:٤٨٥/٢.
(٧) تفسير القرطبي:١٥٧/١٢.
(٨) انظر: المحرر الوجيز:١٥٩/٤.
(٩) التفسير الميسر:٣٤٩.
(١٠) تفسير الطبري:٨٥/١٩.
(١١) تفسير النسفي:٤٨٥/٢.
(١٢) صفوة التفاسير:٢٩٤/٢.
(١٣) تفسير ابن كثير:٥٠٢/٥.

ورحمته تعالى لا مشاركة لأحد فيها، وأيضا فرحمة كل راحم في أشياء وبأشياء حقيرات بالإضافة إلى المعاني التي تقع فيها رحمة الله تعالى من الاستنقاذ من النار، وهيئة نعيم الجنة وعلى ما في الحديث فرحمة كل راحم بمجموعها كلها جزء من مائة رحمة الله جلت قدرته: إذ بث في العالم واحدة وأمسك عنده تسعة وتسعين(١)"(٢).

فوائد الآيات:[١١٢-١١٨]:

١- عظم هول يوم القيامة وشدة الفزع فيه فليتق ذلك بالإيمان وصالح الأعمال.

٢- تنزه الله تعالى عن العبث واللهو واللعب.

٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٤- كفر وشرك من يدعو مع الله إلهاً آخر.

٥- الحكم بخسران الكافرين وعدم فلاحهم.

٦- استحباب الدعاء بالمغفرة والرحمة للمؤمنين والمؤمنات.

«آخر تفسير سورة (المؤمنون)، والحمد لله وحده»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «النور»

سورة «النور»: هي السورة «الرابعة والعشرون» في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الحشر»(٣)، عدد آياتها أربع وستون فى العراقى والشامى، واثنتان فى الحجازى. وكلماتها ألف وثلثمائة وستة عشر. وحروفها خمسة آلاف وستمائة وثمانون. المختلف فيها آيتان: {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور : ٣٦] و {يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} [النور : ٤٣](٤).

مجموع فواصل آياتها «لم نرب»، على اللام آية واحدة {بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور : ٣٦]، وعلى الباء آيتان {بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور : ٣٨] و {سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩](٥).

---

(١) في الصحيحين:« إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بالذى عند الله من العذاب لم يأمن من النار».

أخرجه البخارى (٢٣٧٤/٥، رقم ٦١٠٤) ، ومسلم (٢١٠٨/٤، رقم ٢٧٥٢) من حديث ابي هريرة-رضي الله عنه-

(٢) المحرر الوجيز:١٥٩/٤.

(٣) انظر: الكشاف:٢٠٨/٣.

(٤) انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٣٤.

(٥) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة النور»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة النور»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، وكتب السنة.
وردت هذه التسمية في عهد الرسول-ﷺ-، كما روي:

- عن مجاهد، قال: قال رسول الله -ﷺ-: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور »[(١)].
- عن أبي عطية[(٢)]، قال: "كتب عمر: علموا نساءكم سورة النور"[(٣)].

وهذه تسميتها في المصاحف وكتب التفسير والسنة، ولا يعرف لها اسم آخر.

- **وجه التسمية:**

سميت «سورة النور»، لكثرة ذكر «النور» فيها:، قال تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور : ٣٥]، {وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور : ٤٠].

ونقل الشيخ القاسمي عن المهائمي قوله: "سميت به لاشتمالها على ما أمكن من بيان النور الإلهي، بالتمثيل المفيد كمال المعرفة الممكنة لنوع الإنسان، مع مقدماتها، وهي أعظم مقاصد القرآن-"[(٤)].

وقال الشيخ الشعراوي:" وإذا استقرأنا موضوع المُسمَّى أو المُعْنون له بسورة (النور) تجد النور شائعاً في كل أعطافها - لا أقول آياتها ولا أقول كلماتها - ولكن النور شائع في كل حروفها، لماذا؟ قالوا: لأن النور من الألفاظ التي يدل عليها نطقها ويعرفها أكثر من أيّ تعريف آخر، فالناس تعرف النور بمجرد نُطْق هذه الكلمة، والنور لا يُعرَّف إلا بحقيقة ما يؤديه، وهو ما تتضح به المرئيات، وتتجلى به الكائنات، فلولا هذا النور ما كنا نرى شيئاً"[(٥)].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

قال ابن عباس:" أنزلت سورة النور بالمدينة"[(٦)]. وروي عن ابن الزبير مثله[(٧)].
قال الفيروزآبادي: " السورة مدنية بالاتفاق"[(٨)].
قال القرطبي:" سورة النور مدنية بالإجماع"[(٩)].
قال **هبة الله بن سلامة:"** نزلت جميعها بالمدينة"[(١٠)].
قال ابن عاشور:" وهي مدنية باتفاق أهل العلم ولا يعرف مخالف في ذلك. وقد وقع في نسخ «تفسير القرطبي» عند قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النور : ٥٨]، الآية في المسألة الرابعة كلمة «وهي مكية»، يعني: الآية. فنسب الخفاجي في «حاشيته» على «تفسير البيضاوي»[(١١)]، وتبعه الآلوسي[(١)]، إلى القرطبي

---

(١) أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ١٢٤، وعزاه إلى سعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي.
(٢)أبو عطية: مالك بن عامر، وقيل: ابن أبي جندب، الوادعيّ الهمدانيّ، توفي في ولاية عبد الملك. ينظر: تاريخ ابن معين ٢/ ٢٢٨، والثقات لابن حبان ٥/ ١٧، وتهذيب الكمال ٣٤/ ٩٠.
(٣) سوف يأتي تخريجه في في فضائل السورة.
(٤) محاسن التأويل:٣٠٧/٧.
(٥) تفسير الشعراوي:١٦/ ١٠١٨٣.
(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:١٢٤/٦، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) انظر: الدر المنثور:١٢٤/٦.
(٨) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٣٤.
(٩) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.
(١٠) الناسخ والمنسوخ:١٣٠.
(١١) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي:٣٥٠/٦، ٣٩٨.

أن تلك الآية مكية مع أن سبب نزولها الذي ذكره القرطبي صريح في أنها نزلت بالمدينة كيف وقد قال القرطبي في أول هذه السورة «مدنية بالإجماع»(٢).

ولعل تحريفا طرأ على النسخ من تفسير القرطبي وأن صواب الكلمة «وهي محكمة»(٣)، أي: غير منسوخ حكمها، فقد وقعت هذه العبارة في تفسير ابن عطية، قال « وهذه الآية محكمة. قال ابن عباس: تركها الناس »(٤) "(٥).

- **مناسبة سورة«النور » مع سورة « المؤمنون»:**

تظهر مناسبة «سورة النور» لما قبلها من النواحي الآتية:

١- إنه قال فى السورة السالفة: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ} [المؤمنون : ٥]، وذكر هنا أحكام من لم يحفظ فرجه من الزانية والزاني وما اتصل بذلك من شأن القذف وقصة الإفك والأمر بغض البصر الذي هو داعية الزنا، وأمر من لم يقدر على النكاح بالاستعفاف، والنهى عن إكراه الفتيات على الزنا.

٢- إنه تعالى لما قال فيما سلف إنه لم يخلق الخلق عبثا بل للأمر والنهى- ذكر هنا جملة من الأوامر والنواهي(٦).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن المحور العام الذي تدور حوله السورة، هو محور التربية، قال القرطبي:" مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر "(٧).

وقال الشيخ أبو زهرة رحمه الله: "وإنها لو سميت سورة «الأسرة»، لكانت جديرة بهذا الاسم"(٨).

يمكن تلخيص مقاصد السورة وفق التالي:

١- بيان أن هذه السورة -وهذا شأن القرآن كله- وما تضمنته من أحكام ومبادئ إنما هي من عند الله سبحانه، فهو سبحانه أعلم بما يصلح عباده وما يفسدهم، وأن ما يختاره سبحانه لعباده فرض عليهم التزامه والعمل به؛ لأن فيه تحقيق مصلحتهم الدنيوية، ونيل سعادتهم الأخروية، ولا يمكن تحقيق هذه وتلك إلا بما شرعه الله سبحانه.

٢- تجريم عقوبتي الزنى والقذف، وبيان حدِّ كل منهما؛ لما لهاتين الجريمتين من خطر - أي خطر- على أمن المجتمع وسلامة الأسرة .

٣- تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها مما رميت به من إفك وزور، وأنها رضي الله عنها كانت طاهرة عفيفة، لا يشك في هذا إلا كل أفَّاك أثيم. وقد قررت السورة في هذا السياق قاعدة مهمة، وهي أن الأصل حُسْن الظن بالمسلم، ولا يُعْدَل عن هذا الأصل إلا بيقين.

٤- التحذير من إشاعة الفاحشة في المجتمع؛ إذ إن انتشار الفاحشة في المجتمع من أهم عوامل هدمه وانهياره، وانتشار الفاحشة في المجتمع يعني خرابه ودماره، وشيوع الفضيلة فيه يعني بناءه واستقراره .

قال:" وهذه الآية مدنية كالسورة لأنّ الغلام أنصاري والآية مصدره بيأيها الذين آمنوا فلا وجه لقول القرطبي رحمه إنها مكية".

(١) انظر: روح المعاني:٢٧٣/٩.

(٢) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.

(٣) انظر: تفسير القرطبي:٣٠٤/١٢.

(٤) المحرر الوجيز:١٩٣/٤.

(٥) التحرير والتنوير:١٣٩/١٨.

(٦) انظر: تفسير المراغي:٦٦/١٨.

(٧) تفسير القرطبي:١٥٨/١٢.

(٨) زهرة التفاسير:٥١٣٠/١٠.

٥- تحدثت السورة عن وسائل الوقاية من الجريمة، وتجنيب النفوس أسباب الإغراء والغواية؛ وذلك ببيان آداب البيوت والاستئذان على أهلها، والأمر بغض البصر والنهي عن إبداء الزينة للمحارم، والحث على إنكاح الفتيان والفتيات غير المتزوجات، ولو كانوا فقراء، فإن الله سبحانه يغنيهم من فضله، فهو الغني الحميد، والنهي عن البغاء ووسائله .

٦- التحذير من اتباع خطوات الشيطان، وبيان أن اتباع خطواته تفضي إلى سوء وعاقبة وخيمة، حيث إن الشيطان لا يترك الإنسان وشأنه، بل يستجره من سوء إلى سوء، ومن ذنب إلى آخر إلى أن يودي به في نار جهنم، ثم يقول له: {إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ} [الحشر : ١٦].

٧- تأديب أهل البيت الواحد بأدب الاستئذان على الأسرة نفسها في الدخول إلى الحجرات المخصصة للرجل وزوجه، فدخول الأولاد على أبويهما في أوقات الفجر والظهيرة وبعد العشاء يستوجب إذن الوالدين. وأيضاً، فإن الأطفال البالغين يجب عليهم الاستئذان ككل آحاد الأسرة، لا في أوقات العورات فحسب. وتبين السورة كذلك أحكام كبار السن من النساء، اللائي لم يعد للرجال طمع في الزواج منهن، أنه ليس: {عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} [النور : ٦٠].

٨- ألمحت السورة الكريمة إلى أن صلاح المجتمع يبتدئ من بيوت العبادة؛ ورأس العبادة الصلاة، فهي طهارة القلوب، والمجتمع الصالح ما قام إلا على طهارة النفوس، فذكر سبحانه وتعالى المساجد ومكانتها، ومنزلة عمَّارها وروادها والمعلقة قلوبهم بها.

٩- وجَّهت السورة الأنظار إلى خلقه سبحانه وتعالى، وخضوع الوجود له عز وجل، فكل ما الوجود خاضع لأمره، وسائر وَفْق مشيئته، كل ذلك بانتظام وبقدر وبحكمة.

١٠- بينت السورة مجافاة المنافقين -وهم موجودون في كل عصر ومصر- للأدب الواجب مع رسول الله ﷺ في الطاعة والتحاكم. وصورت أدب المؤمنين الخالص وطاعتهم .

١١- وَعْده سبحانه عباده المؤمنين حق الإيمان المطبقين لشرعه، الاستخلاف في الأرض، والتمكين في الدين، والنصر على الكافرين .

١٢- تحدثت السورة عن آداب الضيافة في محيط البيوت بين الأقارب والأصدقاء. وآداب الجماعة المسلمة كلها كأسرة واحدة، مع رسولها ومربيها رسول الله ﷺ.

١٣- ختم السورة بإعلان ملكية الله لما في السماوات والأرض، وعلمه بواقع الناس، وما تنطوي عليه حناياهم، ورجعتهم إليه، وحسابهم على ما يعلمه من أمرهم. وهو بكل شيء عليم(١) .

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة النور أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل مؤمن فيما مضى وفيما بقي»(٢).
- عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا تنزلوهن الغرف، ولا تعلموهن الكتابة، وعلموهن المغزل، وسورة النور»(٣).

---

(١) انظر: اسلام ويب[موقع الكتروني].

(٢) اخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٦٢/٧، والمستغفري في الفضائل(١١٩١):ص٧٨٠/٢.[ضعيف]

(٣)أخرجه الحاكم في المستدرك(٤٣٠/٢، رقم ٣٤٩٤)، والبيهقي في الشعب(٢٢٢٧):ص٩٠/٤.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "

قلت: في سنده عبد الوهاب بن الضحاك، إذ كذبه عدة من العلماء وتركه آخرون.

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٣٤/٦، رقم ٥٧١٣)، والثعلبي في الكشف والبيان:٦٢/٧، والمستغفري في الفضائل(٨٣٩):ص٥٧٦/٢، وفيه محمد بن إبراهيم الشامي. قال الدارقطني: "كذاب".

جاء في نوادر الأصول ما نصه:

- عن أبي عطية، قال: "كتب عمر: علموا نساءكم سورة النور"[١].
- عن المسور بن مخرمة أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: "تعلموا سورة البقرة وسورة النساء وسورة المائدة وسورة الحج وسورة النور فإن فيهن الفرائض"[٢].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

القرآن

{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١)} [النور : ١]

التفسير:

هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها، وأوجبنا العمل بأحكامها، وأنزلنا فيها دلالات واضحات؛ لتتذكروا -أيها المؤمنون- بهذه الآيات البينات، وتعملوا بها.

قوله تعالى:{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا} [النور : ١]، أي:" هذه سورة عظيمة من القرآن أنزلناها

قال الطبري: يعني:" وهذه السورة أنزلناها"[٣].

قوله تعالى:{وَفَرَضْنَاهَا} [النور : ١]، أي:" وأوجبنا العمل بأحكامها"[٤].

حذرهم ذلك لأن في إسكانهن الغرف تطلعا إلى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا ستر فإنهن لا يملكن أنفسهن حتى يشرفن على الرجال فيحدث البلاء والفتنة فحذرهم أن يجعلوا لها ذريعة إلى الفتنة

وهو كما قال عليه السلام (ليس للنساء شيء خير لهن من أن لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال) لأنها خلقت من الرجال فهمتها فيه وخلق في الرجل الشهوة فجعلت سكنا له فغير مأمون كل واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببا

للفتنة وكتبت إلى من تهوى وفي الكتابة عين من العيون به يبصر الشاهد الغائب وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان فهو أبلغ من اللسان فأحب عليه السلام أن يقطع عنهن أسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن. اهـ (نوادر الأصول ٣ / ٥٠).

(١)"فضائل القرآن لأبي عبيد (١٢٨)، وفضائل القرآن للمستغفري(٨٤٠):ص٥٧٦/٢، ومصنف عبد الرزاق (١١٣٣)، وشعب الإيمان (٢٤٣٧)، وكنز العمال ٩/ ٥٦٠ . ويروى مرفوعًا ولا يصح.

(٢) أخرجه المستغفري في الفضائل(٨٤١):ص٥٧٧/٢.

(٣) تفسير الطبري:٨٦/١٩.

(٤) التفسير الميسر:٣٥٠.

قال يحيى:" فرض فيها فرائضه"[١].
قال ابن قتيبة:" أي: بيّناها"[٢].
قال سهل بن عبدالله:" أي: جمعناها وبينا حلالها وحرامها"[٣].
عن ابن عباس، "{وَفَرَضْنَاهَا}، يقول: بيَّناها"[٤].
قال ابن زيد:" فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها"[٥].
وقرأ مجاهد: «وَفَرَّضْناهَا»[٦]، بالتشديد، أي: وفصَّلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة، وقرا قرّاء المدينة والكوفة والشام: {وَفَرَضْنَاهَا} بتخفيف الراء، بمعنى: أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم، وألزمناكموه وبيَّنا ذلك لكم[٧].
عن مجاهد: قوله :"«وَفَرَّضْنَاها»، قال: الأمر بالحلال، والنهي عن الحرام"[٨].
قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} [النور : ١]، أي:" وأنزلنا فيها دلالات واضحات"[٩].
قال الطبري: يقول: "وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحقّ واضحات لمن تأمَّلَها وفكَّر فيها بعقل أنها من عند الله، فإنها الحقّ المبين، وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم"[١٠].
عن ابن جُرَيج: "{وَأَنزلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ}، قال: الحلال والحرام والحدود"[١١].
قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور : ١]، أي:" ؛ لتتذكروا -أيها المؤمنون- بهذه الآيات البينات، وتعملوا بها"[١٢].
قال يحيى:" لكي تذكروا"[١٣].
قال ابن جريج: "يقول: لتتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها"[١٤].

القرآن

{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)} [النور : ٢]

التفسير:
الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج، عقوبةُ كل منهما مائة جلدة بالسوط، وثبت في السنة مع هذا الجلد التغريب لمدة عام. ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها، إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر عاملين بأحكام الإسلام، وليحضر العقوبةَ عدد من المؤمنين؛ تشنيعًا وزجرًا وعظة واعتبارًا.
قوله تعالى:{الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ} [النور : ٢]، أي:" الزانية والزاني اللذان لم يسبق لهما الزواج، عقوبةُ كل منهما مائة جلدة بالسوط"[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٤٢٢/١.
(٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٦١.
(٣) تفسير التستري: ١١١.
(٤) أخرجه الطبري: ٩٠/١٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٩٠/١٩.
(٦) أخرجه عنه الطبري: ٨٦/١٩٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/١٩.
(٨) أخرجه الطبري: ٨٦/١٩.
(٩) التفسير الميسر: ٣٥٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٩٠/١٩.
(١١)أخرجه الطبري: ٩٠/١٩ .
(١٢) التفسير الميسر: ٣٥٠.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٤٢٢/١.
(١٤)أخرجه الطبري: ٩٠/١٩ .

قال الطبري: يقول:" من زنى من الرجال أو زنت من النساء، وهو حرّ بكر غير محصن بزوج، فاجلدوه ضربا مئة جلدة، عقوبة لما صنع وأتى من معصية الله"[٢].

قال السمعاني:" قال أهل العلم: إنما بدأ بالمرأة، لأن رقة القلب عليهن أكثر، فبدأ بهن لئلا يترك إقامة الحد عليها، ويكون أمرها لهم، ومنهم من قال: لأن الشهوة فيهن أكثر، والزنا نتيجة الشهوة، وبدأ في حد السرقة بالرجل؛ لأن القوة والجراءة في الرجال أكثر، والسرقة نتيجة القوة والجراءة، وهذا قول حسن"[٣].

وفي الآية قولان:

أحدهما: أن الآية عامة في الأبكار والثيب، فتجلد الثيب مع الرجم.

روي عن علي - رضي الله عنه - " أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس مائة، ورجمها يوم الجمعة، وقال: جلدتها بكتاب الله، ورجمتها بسنة رسول الله"[٤].

الثاني: أن الآية مخصوصة للأبكار، وأن الثيب يرجم ولا يجلد، واتفق أهل العلم أن هذه الآية ناسخة؛ لأن المذكورة في الإمساك في سورة النساء. وهذا قول عامة العلماء[٥].

قال البغوي:" وعامة العلماء على أن الثيب لا يجلد مع الرجم لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما. وعند أبي حنيفة رضي الله عنه: التغريب أيضا منسوخ في حق البكر. وأكثر أهل العلم على أنه ثابت"[٦].

قال ابن كثير:"فأما إذا كان بكرًا لم يتزوج، فإن حدَّه مائة جلدة كما في الآية، ويزاد على ذلك أن يُغرّب عاما عن بلده عند جمهور العلماء"[٧].

روى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما :"أن النبي ﷺ ضرب وغرب، وأن أبا بكر رضي الله عنه ضرب وغرب، وأن عمر رضي الله عنه ضرب وغرب"[٨].

وثبت في الصحيحين.. عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجُهَنيّ ، في الأعرابيين اللذين أتيا رسولَ الله - ﷺ - فقال أحدهما : يا رسول الله ، إن ابني كان عَسِيفا - يعني أجيرا - على هذا فزنى بامرأته ، فافتديت ابني منه بمائة شاة وَوَليدَة ، فسألت أهل العلم ، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريبَ عام ، وأن على امرأة هذا الرجم. فقال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده ، لأقضين بينكما بكتاب الله : الوليدة والغنم رَدٌّ عليك ، وعلى ابنك جَلْدُ مائة وتغريبُ عام. واغد يا أنيس - لرجل من أسلم - إلى امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها". فغدا عليها فاعترفت ، فرجمها"[٩].

قوله تعالى:{وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} [النور : ٢]، أي:" ولا تحملكم الرأفة بهما على ترك العقوبة أو تخفيفها"[١٠].

قال الطبري: يقول:" لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رقة الرحمة في في طاعة الله فيما أمركم به من إقامة الحد عليهما على ما ألزمكم به"[١١].

واختلف أهل التأويل في المنهيّ عنه المؤمنون من أخذ الرأفة بهما، على قولين:

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٢) تفسير الطبري:٩٠/١٩.
(٣) تفسير السمعاني:٤٩٨/٣.
(٤)أخرجه البخاري ٦٨١٢ وأحمد ١/ ١٠٧ عن الشعبي أن عليا ... فذكره، وهذا مرسل، الشعبي لم يدرك عليا.
(٥) انظر: تفسير السمعاني:٤٩٨/٣، وتفسير البغوي:١٨٢/٣.
(٦) تفسير البغوي:١٨٢/٢.
(٧) تفسير ابن كثير:٦/٥-٦.
(٨)أخرجه الترمذي في الحدود، باب ما جاء في النفي: ٤ / ٧١١ - ٧١٢ وقال: حديث غريب، وأخرجه الحاكم: ٤ / ٣٦٩ وصححه على شرط الشيخين، والبيهقي في السنن: ٨ / ٢٢٣، وصححه الألباني في الارواء: ٨ / ١١، وانظر: نصب الراية: ٣ / ٣٣١.
(٩)صحيح البخاري برقم (٢٣١٤ ، ٦٦٣٣) وصحيح مسلم برقم (١٦٩٧).
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٠.
(١١) تفسير الطبري:٩٠/١٩-٩١.

أحدهما : أن تدعوه الرحمة إلى إسقاط الحد حتى لا يقام ، قاله مجاهد[1]، وعطاء بن أبي رباح[2]، وابن جريج[3]، وابن زيد[4].

قال ابن زيد:" فتدعوهما من حدود الله التي أمر بها وافترضها عليهما"[5].

قال ابن جريج:يعني:" لا تضيعوا حدود الله"[6].

قال مجاهد:" لا تضيعوا الحدود في أن تقيموها"[7].

قال عطاء:" يقام حد الله ولا يعطل، وليس بالقتل"[8].

عن إبراهيم، قوله: "{وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، قال: الضرب"[9].

وقال سعيد بن جبير: "الجلد"[10].

قال سليمان بن يسار:" أي في الحدود أو في العقوبة؟ قال: ذلك فيهما جميعا"[11].

قال عمران: "قلت لأبي مجلز: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا} ... إلى قوله: {وَالْيَوْمِ الآخِرِ}، إنا لنرحمهم أن يجلد الرجل حدًّا، أو تقطع يده، قال: إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحد"[12].

وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر، قال: "جلد ابنُ عمر جاريةً له أحدثت، فجلد رجليها، قال نافع: وحسبت أنه قال: وظهرها، فقلت: {وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، فقال: وأخذتني بها رأفة؟ إن الله لم يأمرني أن أقتلها"[13].

وفي الحديث: "تعافَوُا الحدود فيما بينكم ، فما بلغني من حَدٍّ فقد وَجَب"[14].

وفي الحديث الآخر : "لَحَدٌّ يقام في الأرض ، خير لأهلها من أن يُمطَروا أربعين صباحا"[15].

الثاني : أن تدعوه الرحمة إلى تخفيف الضرب حتى لا يؤلم ، قاله الحسن[16]، وسعيد بن المسيب[17]، وقتادة[18].

عن أبي جعفر، عن قتادة، عن الحسن وسعيد بن المسيب: "{وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، قال: الجلد الشديد"[19].

وقال عامر:" الضرب الشديد"[20].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٩١/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٩.
(٥)أخرجه الطبري:٩٢/١٩ .
(٦)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .
(٧)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .
(٨)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .
(٩)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .
(١٠)أخرجه الطبري:٩١/١٩ .
(١١) أخرجه الطبري:٩٢/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:٩١/١٩-٩٢.
(١٣) اخرجه الطبري:٩١/١٩.
(١٤)رواه أبو داود في السنن برقم (٤٣٧٦) والنسائي في السنن (٧٠/٨) من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده.
(١٥)المسند (٣٦٢/٢) والنسائي في السنن (٧٥/٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٩.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٩.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٩٢/١٩.
(١٩) أخرجه الطبري:٩٢/١٩.
(٢٠) أخرجه الطبري:٩٢/١٩.

عن شعبة، عن حماد، قال: " يحدّ القاذف والشارب وعليهما ثيابهما. وأما الزاني فتخلع ثيابه. وتلا هذه الآية: {وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}، فقلت لحماد: أهذا في الحكم؟ قال: في الحكم والجلد"(١).

عن معمر، عن الزهري، قال: "يجتهد في حدّ الزاني والفرية، ويخفف في حدّ الشرب. وقال قَتادة: يخفف في الشراب، ويجتهد في الزاني"(٢).

قال الماوردي:"واستنبط هذا المعنى الجنيد فقال : الشفقة على المخالفين كالإعراض عن المواقعين"(٣).

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما الذي افترض عليكم إقامته عليهما، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب، لدلالة قول الله بعده: {في دين الله}، يعني: في طاعة الله التي أمركم بها. ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين: إقامة الحد عليهما، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة، مع أن الشدّة في الضرب لا حدّ لها يوقف عليه، وكل ضرب أوجع فهو شديد، وليس للذي يوجع في الشدة حدّ لا زيادة فيه فيؤمر به. وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته، وإذا كان ذلك كذلك، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل، هو عدد الجلد على ما أمر به، وذلك هو إقامة الحد على ما قلنا. وللعرب في الرأفة لغتان: الرأفة بتسكين الهمزة، والرآفة بمدها، كالسأمة والسآمة، والكأبة والكآبة. وكأن الرأفة المرّة الواحدة، والرآفة المصدر، كما قيل: ضؤل ضآلة مثل فعل فعالة، وقبح قباحة"(٤).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [النور : ٢]، أي:" إن كنتم مصدقين بالله واليوم الآخر عاملين بأحكام الإسلام"(٥).

قال الطبري:" يقول: إن كنتم تصدّقون بالله ربكم وباليوم الآخر، وأنكم فيه مبعوثون لحشر القيامة، وللثواب والعقاب، فإن من كان بذلك مصدّقا، فإنه لا يخالف الله في أمره ونهيه؛ خوف عقابه على معاصيه"(٦).

قال ابن كثير:" أي : فافعلوا ذلك : أقيموا الحدود على من زنى ، وشددوا عليه الضرب ، ولكن ليس مبرّحا ؛ ليرتدع هو ومن يصنع مثله بذلك"(٧).

وقد جاء في المسند عن بعض الصحابة أنه قال :" يا رسول الله ، إني لأذبح الشاة وأنا أرحمها ، فقال : »ولك في ذلك أجر»"(٨).

قوله تعالى:{وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور : ٢]، أي:" وليحضر العقوبةَ عدد من المؤمنين؛ تشنيعًا وزجرًا وعظة واعتبارًا"(٩).

قال الطبري:" وليحضر جلد الزانيين البكرين وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفة من أهل الإيمان بالله ورسوله، والعرب تسمي الواحد فما زاد: «طائفة»"(١٠).

قال ابن كثير:" هذا فيه تنكيل للزانيين إذا جُلِدا بحضرة الناس ، فإن ذلك يكون أبلغ في زجرهما ، وأنجع في ردعهما ، فإن في ذلك تقريعًا وتوبيخا وفضيحة إذا كان الناس حضورا"(١١).

---

(١) أخرجه الطبري:١٩/٩٢.
(٢) أخرجه الطبري:١٩/٩٢-٩٣.
(٣) النكت والعيون:٤/٧٢.
(٤) تفسير الطبري:١٩/٩٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٦) تفسير الطبري:١٩/٩٣.
(٧) تفسير ابن كثير/:٦/٨.
(٨)المسند (٣/٤٣٦) من حديث قرة المزني ، رضي الله عنه.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٠.
(١٠) تفسير الطبري:١٩/٩٣.
(١١) تفسير ابن كثير/:٦/٨.

واختلف في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين البكرين، على أقوال:
أحدها: أقله واحد. وهذا قول مجاهد[١]، وحماد[٢]، وإبراهيم[٣].
قال مجاهد:" الطائفة: رجل"[٤].
الثاني: الطائفة: الواحد إلى الألف، ومنه قوله تعالى: {وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا} [الحجرات : ٩]. وهذا مروي عن مجاهد أيضا[٥].
الثالث: أن الطائفة: رجل واحد فما فوقه. وهذا قول مجاهد أيضا[٦].
الرابع: أن الطائفة في هذا الموضع، أقله: رجلان. وهذا قول عكرمة[٧]، وعطاء[٨].
قال عكرمة:" ليحضر رجلان فصاعدا"[٩].
الخامس: أن الطائفة: الثلاثة فصاعدا. وهذا قول الزهري[١٠].
السادس: أنه نفر من المسلمين. وهذا قول قتادة[١١].
عن أشعث، عن أبيه، قال: "أتيت أبا برزة الأسلمي في حاجة، وقد أخرج جارية إلى باب الدار، وقد زنت، فدعا رجلا فقال: اضربها خمسين! فدعا جماعة، ثم قرأ: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِين}"[١٢].
السابع: أن الطائفة التي يجب بها الحدّ أربعة. وهذا قول ابن زيد[١٣].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين: الواحد فصاعدًا؛ وذلك أن الله عمّ بقوله: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ} والطائفة: قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا. فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد، كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحدّ مما، أمره الله به بقوله: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس عدد من تقبل شهادته على الزنا؛ لأن ذلك إذا كان كذلك، فلا خلاف بين الجمع أنه قد أدّى المقيم الحدّ ما عليه في ذلك، وهم فيما دون ذلك مختلفون"[١٤].

القرآن
{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣)} [النور : ٣]
التفسير:
الزاني لا يرضى إلا بنكاح زانية أو مشركة لا تُقِرُّ بحرمة الزنى، والزانية لا ترضى إلا بنكاح زان أو مشرك لا يُقِرُّ بحرمة الزنى، أما العفيفون والعفيفات فإنهم لا يرضون بذلك، وحُرِّم ذلك النكاح على المؤمنين.

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٣-٩٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.
(٤) أخرجه الطبري:١٩/٩٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٤.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/٩٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٥.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٩٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٩٥.
(١٤) تفسير الطبري:١٩/٩٥.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: : أنها نزلت مخصوصة في رجل من المسلمين استأذن رسول الله -ﷺ- في امرأة يقال لها أم مهزول كانت من بغايا الجاهلية من ذوات الرايات وشرطت له أن تنفق عليه، فأنزل الله هذه الآية فيه وفيها. قاله عبد الله بن عمرو(١)، ومجاهد(٢).

قال الزهري وقتادة، قالوا: كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهنّ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ، فأنزل الله: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} ... الآية"(٣).

قال سعيد بن جبير:" أن نساء في الجاهلية كنّ يؤاجرن أنفسهنّ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهنّ يريد أن يصيب منها عَرَضا، فنهوا عن ذلك، ونزل: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}، ومنهنّ امرأة يقال لها:أمّ مهزول"(٤).

وقال عكرمة: "إنه كان يسمّي تسعا بعد صواحب الرايات، وكنّ أكثر من ذلك، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات: أمّ مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، وأم عُلَيط جارية صفوان بن أمية، وحنة القبطية جارية العاصي بن وائل، ومَرِية جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار، وحلالة جارية سهيل بن عمرو، وأمّ سويد جارية عمرو بن عثمان المخزومي، وسريفة جارية زمعة بن الأسود، وفرسة جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لُؤَيّ، وقريبا جارية هلال بن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر"(٥).

الثاني : أنها نزلت في مرثد، إذ كان له صديقة في الجاهلية يقال لها عناق، وكان رجلا شديدا، وكان يقال له دلدل، وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين إلى رسول الله ﷺ، فلقي صديقته، فدعته إلى نفسها، فقال: إن الله قد حرّم الزنا، فقالت: أنَّى تبرز، فخشي أن تشيع عليه، فرجع إلى المدينة، فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كانت لي صديقة في الجاهلية، فهل ترى لي نكاحها؟ قال: فأنزل الله: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ}. قال: كنّ نساء معلومات يدعون: القيلقيات. وهذا قول عمرو بن سعيد(٦).

الثالث: انه لما قدم المهاجرون المدينة، قدموها وهم بجهد، إلا قليل منهم، والمدينة غالية السعر، شديدة الجهد، الخير بها قليل. وفي السوق زوان متعالمات من أهل الكتاب، وإماء الأنصار منهن أمية وليدة عبد الله بن أبي، ومسيكية بنت أمية لرجل من الأنصار. في بغايا من ولائد الأنصار، وقد رفعت كل امرأة منهن على بابها علامة كعلامة البيطار ليعرف أنها زانية مؤجرة، وكن من أخصب أهل المدينة وأكثره خيرا، فرغب أناس من المهاجرين المسلمين فيما يكتسبن، للذي هم فيه من الجهد، فأشار بعضهم على بعض، لو تزوجنا بعض هؤلاء الزواني، فنصيب من فضول أطعماتهن، فقال بعضهم: نستأمر رسول الله ﷺ فأتوه فقالوا: يا رسول الله قد شق علينا الجهد، ولا نجد ما نأكل، وفي السوق بغايا نساء أهل الكتاب، وولائدهن وولائد الأنصار، يكتسبن لأنفسهن، فيصلح لنا أن نتزوج منهن، فنصيب من فضول ما يكتسبن، فإذا وجدنا عنه غنى تركناهن، فأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ بأن ذلك حرام على المؤمنين، أن يتزوجوا الزواني المسافحات المعالنات زناهن، فقال: الزاني من أهل القبلة لا ينكح إلا زانية من بغايا ولائد الأنصار، أو زانية مجلودة في الزنا من أهل القبلة، أو مشركة من أهل الكتاب يهودية أو نصرانية، من بغايا ولائد الأنصار. وهذا قول مقاتل بن حيان(٧).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٩٩/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٩٩/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٩٨/١٩-٩٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(٧) انظر: ابن ابي حاتم(١٤١٢٨):ص٢٥٢٢/٨-٢٥٢٣.

قوله تعالى:{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً} [النور : ٣]، أي:" الزاني لا يرضى إلا بنكاح زانية أو مشركة لا تُقِرُّ بحرمة الزنى"[١].

قوله تعالى:{وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور : ٣]، أي:" والزانية لا ترضى إلا بنكاح زان أو مشرك لا يُقِرُّ بحرمة الزنى"[٢].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور : ٣]، على وجوه:

أحدها: أن يكون مقصد الآية تشنيع الزنى وتبشيع أمره، وأنه محرم على المؤمنين، ويكون «النكاح» -في الآية- بمعنى :الجماع. وهذا قول ابن عباس[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، وعكرمة[٥]، وعكرمة[٥]، واختيار الطبري[٦].

قال القرطبي:" واتصال هذا المعنى بما قبل حسن بليغ"[٧].

وأنكر ذلك الزجاج، وقال:" تأويل {الزاني لا ينكح إلا زانية} على معنى: لا يتزوج. وكذلك الزانية لا يتزوجها إلا زان، وقال قوم: إن معنى النكاح ههنا الوطء، فالمعنى عندهم الزاني لا يطأ إلا زانية والزانية لا يطؤها إلا زان. وهذا القول يبعد، لأنه لا يعرف شيء من ذكر النكاح في كتاب الله إلا على معنى التزويج، قال الله سبحانه: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} [النور : ٣٢]، فهذا تزويج لا شك فيه"[٨].

قال القرطبي:" وليس كما قال، وفي القرآن: {حتى تنكح زوجا غيره} [البقرة: ٢٣٠]، وقد بينه النبي ﷺ أنه بمعنى: الوطي"[٩].

قال ابن عباس: "ليس هذا بالنكاح، إنما هو الجماع لا يزني بها إلا زان أو مشرك"[١٠].

قال ابن عباس:" النكاح هو الجماع، فما كان منه حلال فهو حلال، وما كان منه حرام فهو حرام"[١١].

قال سعيد بن جبير:" ليس بالنكاح الحلال ولكنه السفاح"[١٢].

عن سعيد بن جُبير ومجاهد، وعكرمة في قوله: "{الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً}، قالوا: هو الوطء"[١٣].

قال ابن زيد:" هؤلاء بغايا كنّ في الجاهلية، والنكاح في كتاب الله الإصابة، لا يصيبها إلا زان أو مشرك، لا يحرم الزنا، ولا تصيب هي إلا مثلها"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٢٠)٠(١٤١٢٤):ص٨/٢٥٢١-٢٥٢٢، وتفسير الطبري:٩٨/١٩.
(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٢٥):ص٢٥٢٢/٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٠٠/١٩.
(٦) تفسير الطبري:١٠١/١٩.
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات؛ وذلك لقيام الحجة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك، وأن الزاني من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أنه لم يُعْن بالآية أن الزاني من المؤمنين لا يعقد عقد نكاح على عفيفة من المسلمات، ولا ينكح إلا بزانية أو مشركة، وإذ كان ذلك كذلك، فبين أن معنى الآية: الزاني لا يزني إلا بزانية لا تستحلّ الزنا أو بمشركة تستحله".
(٧) تفسير القرطبي:١٦٧/١٢.
(٨) معاني القرآن:٢٩/٤.
(٩) تفسير القرطبي:١٦٨/١٢.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٢١):ص٨/٢٥٢١-٢٥٢٢.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٢٢):ص٢٥٢٣/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٢٥):ص٢٥٢٢/٨.
(١٣) أخرجه الطبري:١٠٠/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:١٠٠/١٩.

عن شعبة مولى ابن عباس، قال: "سمعت ابن عباس ورجل سأله فقال: إني كنت ألم بامرأة آتي منها ما حرم الله عز وجل علي، فرزقني الله من ذلك توبة، فأردت أن أتزوجها، فقال أناس: إن الزاني لا ينكح إلا زانية، فقال ابن عباس: ليس هذا في هذا، انكحها فما كان من إثم فعلي"(١).

الثاني: أن الآية خاصة بامرأة اسمها «عناق» صديقة مرثد، إذ كانت كافرة وسبقت قصتهما في سبب نزول الآية(٢)، فأما الزانية المسلمة فإن العقد عليها لا يفسخ. وهذا قول الخطابي(٣).

وقال مجاهد:" رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان متعالمات، كن كذلك في الجاهلية، فقيل لهم: هذا حرام، فأرادوا نكاحهن فحرم الله عليهم نكاحهن"(٤).

قال ابن عباس:" كانت بيوت تسمى المَواخير في الجاهلية، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهن، وكانت بيوتا معلومة للزنا، لا يدخل عليهنّ ولا يأتيهنّ إلا زان من أهل القبلة أو مشرك من أهل الأوثان، فحرّم الله ذلك على المؤمنين"(٥).

قال ابن عباس:" نساء بغايا متعالمات، حرّم الله نكاحهن، لا ينكحهنّ إلا زان من المؤمنين، أو مشرك من المشركين"(٦).

قال ابن عباس:" كنّ بغايا في الجاهلية، على أبوابهنّ رايات مثل رايات البيطار يعرفن بها"(٧).

الثالث: أنها مخصوصة في رجل من المسلمين أيضا أستأذن رسول الله ﷺ في نكاح امرأة يقال لها: «أم مهزول»- وكانت من بغايا الزانيات، وشرطت أن تنفق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية، قاله عبد الله بن عمرو(٨)، ومجاهد(٩).

وقال القاسم بن أبي بَزّة: "كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها يتخذها مأكلة، فأراد ناس من المسلمين نكاحهنّ على تلك الجهة، فنهوا عن ذلك"(١٠).

الرابع: أنها نزلت في أهل الصفة وكانوا قوما من المهاجرين، ولم يكن لهم في المدينة مساكن ولا عشائر فنزلوا صفة المسجد وكانوا أربعمائة رجل يلتمسون الرزق بالنهار ويأوون إلى الصفة بالليل، وكان بالمدينة بغايا متعالنات بالفجور، مخاصيب بالكسوة والطعام، فهم أهل الصفة أن يتزوجوهن فيأووا إلى مساكنهن ويأكلوا من طعامهن وكسوتهن، فنزلت هذه الآية صيانة لهم عن ذلك، قاله ابن أبي صالح(١١).

الخامس: : أنها مخصوصة في الزاني المحدود لا ينكح إلا زانية محدودة ولا ينكح غير محدودة ولا عفيفة ، والزانية المحدودة لا ينكحها إلا زان محدود ، ولا ينكحها غير محدود ولا عفيف، قاله الحسن(١٢)، ورواه أبو هريرة مرفوعاً(١٣)، وروي عن إبراهيم النخعي نحو ذلك(١٤).

عن أبي هريرة قال: قال: "رسول الله ﷺ: لا ينكح الزاني المجلود إلا مثله"(١٥).

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٢٠):ص٢٥٢١/٨.
(٢)وهذا قول عمرو بن سعيد ،انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(٣) حكاه عنه القرطبي في التفسير:١٦٨/١٢.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٣١):ص٢٥٢٤/٨.
(٥) أخرجه الطبري:٩٨/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:٩٨/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٩٨/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:٩٦/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٩٧/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:٩٩/١٩.
(١١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٧٣/٤، والقرطبي في التفسير:١٦٨/١٢.
(١٢) انظر: النكت والعيون:٧٣/٤.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٣٣):ص٢٥٢٤/٨.
(١٤)انظر: معاني القرآن للنحاس:٤٩٨/٤ .
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٣٣):ص٢٥٢٤/٨، و أخرجه الحاكم ٢/ ١٩٣. وقال: حديث صحيح الإسناد

السادس: أنه عامٌّ في تحريم نكاح الزانية على العفيف ونكاح العفيفة على الزاني ثم نسخ بقوله تعالى : {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ} [النور : ٣٢]، فأحل نكاح كلّ مسلمة وإنكاح كل مسلم، وهن من أيامى المسلمين. قاله ابن المسيب(١).

قال أبو جعفر النحاس: "قول سعيد أولاها، والوجه فيه أن يكون منسوخا وحرم ذلك أن ينكح الرجل زانية والمرأة زانيا"(٢).

قال الشافعي: القول فيها " كما قال ابن المسيب رحمه الله - إن شاء الله - منسوخة"(٣).

قال القرطبي:" وأهل الفتيا يقولون: إن من زنى بامرأة فله أن يتزوجها ولغيره أن يتزوجها. وهو قول ابن عمر وسالم وجابر بن زيد وعطاء وطاوس ومالك بن أنس، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه"(٤).

قوله تعالى:{وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [النور : ٣]، أي:" وحُرِّم ذلك النكاح على المؤمنين"(٥).

قال الطبري:" يقول: وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله، وذلك هو النكاح الذي قال جلّ ثناؤه: {الزَّانِي لا يَنْكِحُ إلا زَانِيَةً}"(٦).

قال ابن كثير:" أي : تعاطيه والتزويج بالبغايا ، أو تزويج العفائف بالفجار من الرجال"(٧).

عن سعيد بن جبير قول الله: "{على المؤمنين}، يعني: المصدقين"(٨).

قال أهل العلم:" وهذا دليل صريح على تحريم نكاح الزانية حتى تتوب، وكذلك تحريم إنكاح الزاني حتى يتوب"(٩).

فوائد الآيات:[١-٣]:

١- بيان حكم الزانية والزاني البكرين الحرين وهو جلد مائة وتغريب عام وأما الثيبان فالرحم إن كانا حرين أو جلد خمسين جلدة لكل واحد منهما إن كانا غير حرين.

٢- وجوب إقامة هذا الحد أمام طائفة من المؤمنين.

٣- لا يحل تزويج الزاني إلا بعد توبته، ولا الزانية إلا بعد توبتها.

ووافقه الذهبي.

(١) انظر: تفسير الطبري:١٠١/١٩.

(٢) معاني القرآن:٥٠٠/٤، و٨٩/٣.

(٣) تفسير الإمام الشافعي:٥٥١/٢.

قال الإمام الشافعي:" فوجدنا الدلالة عن رسول الله - ﷺ - في زانية وزان من المسلمين، لم نعلمها حرم على واحد منهما أن ينكح غير زانية ولا زان، ولا حرم واحدا منهما على زوجه، فقد أتاه ماعز بن مالك، وأقر عنده بالزنا مرارا، لم يأمره في واحدة منها أن يجتنب زوجة له إن كانت، ولا زوجته أن تجتنبه، ولو كان الزنا يحرمه على زوجته أشبه أن يقول له: إن كانت لك زوجة حرمت عليك، أو لم تكن لم يكن لك أن تنكح، ولم نعلمه أمره بذلك، ولا أن لا ينكح.

ولا غيره أن لا ينكحه إلا زانية، وقد ذكر له رجل امرأة زنت وزوجها حاضر، فلم يأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - فيه، علمنا زوجها باجتنابها، وأمر أنيسا أن يغدو عليها فإن

اعترفت رجمها، وقد جلد ابن الأعرابي في الزنا مائة جلدة، وغربه عاما، ولم ينهه كما علمنا أن ينكح،، ولا أحدا أن ينكحه إلا زانية.

وقد رفع الرجل الذي قذف امرأته إليه أمر امرأته، وقذفها برجل، وانتفى

من حملها فلم يأمره باجتنابها حتى لاعن بينهما - وساق أدلة أخرى على هذا

الموضوع –". تفسير الإمام الشافعي:١١١٣/٣

(٤) تفسير القرطبي:١٦٩/١٢.

(٥) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٦) تفسير الطبري:١٠١/١٩.

(٧) تفسير ابن كثير:٩/٦.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٥٥):ص٢٥٢٧/٨.

(٩) التفسير الميسر:٣٥٠.

القرآن

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)} [النور : ٤]

التفسير:

والذين يتهمون بالفاحشة أنفسًا عفيفة من النساء والرجال مِن دون أن يشهد معهم أربعة شهود عدول، فاجلدوهم بالسوط ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا، وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ} [النور : ٤]، أي:" والذين يتهمون بالفاحشة أنفسًا عفيفة من النساء والرجال"[١].

قال الطبري: يقول:" والذين يَشْتمون العفائف من حرائر المسلمين، فيرمونهنّ بالزنا"[٢]. بالزنا"[٢].

قال يحيى:" يقذفون المحصنات بالزنا. و«المحصنات»: الحرائر المسلمات"[٣].

قال السمعاني:" «المحصنات»: هن اللواتي أحصن أنفسهن، والمراد من الرمي المذكور في الآية هو القذف بالزنا"[٤].

عن خصيف، قال: "قلت لسعيد بن جُبير: الزنا أشدّ، أو قذف المحصنة؟ قال: لا بل الزنا. قلت: إن الله يقول: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ}، قال: إنما هذا في حديث عائشة خاصة"[٥].

وقال عبيد: "سمعت الضحاك يقول في قوله: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} ... الآية في نساء المسلمين"[٦].

قال ابن الجوزي:" شرائط الإحصان في الزنا الموجب للرجم عندنا أربعة: البلوغ، والحرية، والعقل، والوطء في نكاح صحيح. فأما الإسلام، فليس بشرط في الإحصان، خلافا لأبي حنيفة، ومالك"[٧].

قال البيضاوي:" وتخصيص المحصنات لخصوص الواقعة أو لأن قذف النساء أغلب وأشنع"[٨].

قوله تعالى:{ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} [النور : ٤]، أي:" مِن دون أن يشهد معهم أربعة شهود عدول"[٩].

قال الطبري: يقول:" ثم لم يأتوا على ما رمَوْهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون، عليهنّ أنهنّ رأوهن يفعلن ذلك"[١٠].

قال السمعاني:" أي: على زناهن"[١١].

قوله تعالى:{فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً} [النور : ٤]، أي:" فاجلدوهم بالسوط ثمانين جلدة"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٢) تفسير الطبري:١٠٢/١٩.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٢٧/١.
(٤) تفسير السمعاني:٥٠٢/٢.
(٥) أخرجه الطبري:١٠٢/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٠٢/١٩.
(٧) زاد المسير:٢٧٩/٣.
(٨) تفسير البيضاوي:٩٩/٤.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٠.
(١٠) تفسير الطبري:١٠٢/١٩.
(١١) تفسير السمعاني:٥٠٢/٢.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٠.

قال الطبري: يقول:" فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة"(١).
قال السمعاني:" أي: اضربوهم ثمانين سوطا"(٢).
قال سعيد بن جبير:" يعنى الحكام إذا رفع إليهم، جلدوا القاذف ثمانين جلدة"(٣).
وفي هذا الحدّ، ثلاثة أقوال:
أحدها : أنه من حقوق الآدميين، لوجوبه بالطلب، وسقوطه بالعفو ، وهذا مذهب الشافعي(٤).
الثاني : من حقوق الله لأنه لا ينتقل إلى مال ، وهذا مذهب أبي حنيفة(٥).
الثالث : أنه من الحقوق المشتركة بين حق الله وحق الآدميين لتمازج الحقين وهذا مذهب بعض المتأخرين(٦).

قال الماوردي:" هذا حد أوجبه الله على القاذف للمقذوفة يجب بطلبها ويسقط بعفوها ..ولا يكمل حد القذف بعد البلوغ والعقل إلى بحريتهما وإسلام المقذوف وعفافه ، فإن كان المقذوف كافراً أو عبداً عُزِّر قاذفه ولم يحد ، وإن كان القاذف كافراً حُدّ حدّاً كاملاً ، وإن كان عبداً حُدّ نصف الحد"(٧).

قوله تعالى:{وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور : ٤]، أي:" وردوا شهادتهم، ولا تقبلوها أبدا فى أي أمر من الأمور"(٨).

قال الشوكاني:" أي: فاجمعوا لهم بين الأمرين: الجلد، وترك قبول الشهادة، لأنهم قد صاروا بالقذف غير عدول بل فسقة كما حكم الله به عليهم في آخر هذه الآية، ومعنى {أبدا}: ماداموا في الحياة"(٩).

وقال الزجاج: إن "الأبد لكل إنسان مقدار مدته في حياته، ومقدار مدته فيما يتصل بقصته. فتقول: الكافر لا يقبل منه شيء أبدا، فمعناه: ما دام كافرا فلا يقبل منه شيء. وكذلك إذا قلت: القاذف لا تقبل منه شهادة أبدا، فمعناه: ما دام قاذفا، فإذا زال عنه الكفر فقد زال أبده، وكذلك القاذف إذا زال عنه القذف فقد زال عنه أبده، ولا فرق بين هذا وذلك"(١٠).

قال الماوردي:" وهذا مما غلظ الله به القذف حتى علق به من التغليظ ثلاثة أحكام : وجوب الحد ، والتفسيق وسقوط الشهادة . ولم يجعل في القذف بغير الزنى حَدّاً لما في القذف بالزنى من تعدّي المعرّة إلا الأهل والنسل"(١١).

واختلف أهل العلم في قوله تعالى:{وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا} [النور : ٤]، على أقوال:
أحدها: أنه إذا تاب القاذف قبلت شهادته، لارتفاع فسقه وعوده إلى عدالته. وهذا قول ابن عباس(١٢)، وعمر بن عبد العزيز(١٣)، وسعيد بن جبير(١٤)، وسعيد بن المسيب(١٥)، ومسروق(١٦)،ومجاهد(١)،والضحاك(٢)، والزهري(٣)، والشعبي(٤)، وعطاء(٥)، وطاووس(٦)، وابن

(١) تفسير الطبري:١٠٢/١٩.
(٢) تفسير السمعاني:٥٠٢/٢.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٦٦):ص٢٥٣٠/٨.
(٤) انظر: النكت والعيون:٧٤/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون:٧٤/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون:٧٤/٤.
(٧) النكت والعيون:٧٤/٤.
(٨) تفسير المراغي:٧٢/١٨.
(٩) فتح القدير:١١/٤.
(١٠) معاني القرآن:٣١/٤.
(١١) النكت والعيون:٧٤/٤-٧٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٠٧/١٩.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٧٥/٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.

وطاووس[٦]، وابن ابي نجيح[٧]، وهو مذهب مالك[٨]، والشافعي[٩]، وحكاه الماوردي عن جمهور المفسرين[١٠].

قال ابن عباس:" فمن تاب وأصلح فشهادته في كتاب الله تقبل"[١١].

قال الزُّهريّ: "إذا حدّ القاذف، فإنه ينبغي للإمام أن يستتيبه، فإن تاب قبلت شهادته، وإلا لم تقبل، قال: كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة، فتابوا إلا أبا بكرة، فكان لا تقبل شهادته"[١٢].

قال الشعبي:" على الإمام أن يستتيب القاذف بعد الجَلْد، فإن تاب وأونس منه خير جازت شهادته، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته"[١٣].

عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي أنه كان يقول:" يقبل الله توبته، وتردّون شهادته، وكان يقبل شهادته إذا تاب"[١٤].

قال الإمام الشافعي:" فإذا تاب قبلت شهادته، وخرج من أن يكون في حال من سمي بالفسق، وتوبته إكذابه نفسه"[١٥].

قال الزجاج:" أجمعوا أن من قذف وهوكافر ثم أسلم وتاب، وكان بعد إسلامه عدلا قبلت شهادته وإن كان قاذفا، والقياس قبول شهادة القاذف إن تاب والله - عز وجل - يقول في الشهادات: {مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ} [البقرة : ٢٨٢]، فليس القاذف بأشد جرما من الكافر، فحقه أنه إذا تاب وأصلح قبلت شهادته، كما أن الكافر إذا أسلم وأصلح قبلت شهادته"[١٦].

قال الشوكاني:" قال الجمهور: إن هذا الاستثناء[{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}] يرجع إلى الجملتين[وهي جملة عدم قبول الشهادة، وجملة الحكم عليهم بالفسق]، فإذا تاب القاذف قبلت شهادته وزال عنه الفسق، لأن سبب رده هو ما كان متصفا به من الفسق بسبب القذف، فإذا زال بالتوبة بالإجماع كانت الشهادة مقبولة "[١٧].

الثاني: لا تقبل شهادته أبداً. وهذا مذهب شريح[١٨]، والحسن[١٩]، ومكحول[٢٠]، وسعيد بن المسيب-في إحدى الروايات-[٢١]، وسعيد بن جبير-في إحدى الروايات-[٢٢]، وإبراهيم-في إحدى الروايات-[١]، وعطاء-في إحدى الروايات-[٢]، وبه قال الفراء[٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٠٣/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٠٤/١٩.
(٨) نقلا عن: النكت والعيون:٧٥/٤.
(٩) انظر: تفسير الإمام الشافعي:١١١٩/٣.
(١٠) انظر: النكت والعيون:٧٥/٤.
(١١) أخرجه الطبري:١٠٧/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:١٠٥/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:١٠٣/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:١٠٣/١٩.
(١٥) تفسير الإمام الشافعي:١١١٩/٣.
(١٦) معاني القرآن:٣١/٤.
(١٧) فتح القدير:١١/٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٠٥/١٩.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٠٦/١٩-١٠٧.
(٢٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧١):ص٢٥٣٠/٨-٢٥٣١.
(٢١) انظر: تفسير الطبري:١٠٦/١٩.
(٢٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧٠):ص٢٥٣٠/٨.

قال الفراء:" القاذف لا تقبل له شهادة، توبته فيما بينه وبين ربه، وشهادته ملقاة"[٤].

قال الحسن:" القاذف توبته فيما بينه وبين الله، وشهادته لا تُقبل"[٥].

قال سعيد بن المسيب:" لا تجوز شهادة القاذف، توبته فيما بينه وبين الله"[٦].

عن سعيد بن جبير قوله: "{شهادة أبدا}، يعنى: بعد الجلد ما دام حيا"[٧].

قال شريح:" يقبل الله توبته، ولا أقبل شهادته"[٨].

روي عن عطاء، "في المحدود في القذف والسرقة، أتجوز شهادته؟ قال: يقبلها الله ولا أقبلها أنا"[٩].

قال الشعبي:" كان شريح يجيز شهادة صاحب كلّ عمل إذا تاب إلا القاذف، فإن توبته فيما بينه وبين ربه، ولا نجيز شهادته"[١٠].

وروي عن الشعبيّ، بأن ربابا قطع رجلا في قطع الطريق، قال: فقطع يده ورجله. قال: ثم تاب وأصلح، فشهد عند شريح، فأجاز شهادته، قال: فقال المشهود عليه: أتجيز شهادته عليّ وهو أقطع؟ قال: فقال شريح: كل صاحب حدّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح؛ فشهادته جائزة إلا القاذف"[١١].

وروي عبد الرحمن بن يزيد بن جابر الأزدي قال: "كنت يوما جالسا قريبا من مكحول، فأتاني بعض إخواني فسألني، عن المحدود هل تقبل شهادته إذا تاب توبة يعرف المسلمون توبته؟ فقلت: لا. قال: فكأنه استخف بذلك لحداثتي، فقال لغيلان وهو إلى جانب مكحول: يا غيلان كيف تقول: وسأله، عن ذلك، فقال غيلان: تقبل شهادته. قال: عبد الرحمن؟ فقلت لمكحول: يا أبا عبد الله ألا تسمع ما يقول غيلان؟ فقال مكحول: لا تقبل شهادته، فقال غيلان: قال: الله عز وجل: إلا الذين تابوا من بعد ذلك فقال مكحول: ويلك يا غيلان ما أراك تموت إلا مفتونا، قال: الله: {ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا}. قال: ابن جابر: وغيلان هذا الذي صلبه هشام "[١٢].

الثالث: تقبل شهادته إذا إعترف على نفسه بأنه قد قال البهتان. وهذا قول الشعبي[١٣]، والضحاك[١٤].

قال الشعبي:" إذا تاب وعلم منه خير، إن شهادته جائزة، وإن لم يتب فهو خليع لا تجوز شهادته، وتوبته إكذابه نفسه"[١٥].

قال الإمام الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا: أن الاستثناء من المعنيين جميعا، أعني من قوله: {ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا} ومن قوله: {وأولئك هم الفاسقون} وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن ذلك كذلك، إذا لم يحد في القذف حتى تاب، إما بأن يرفع إلى السلطان

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٠٦-١٠٧، وتفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧٧):ص٨/٢٥٣٢

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤١٧٥):ص٨/٢٥٣١.

(٣) انظر: معاني القرآن:٢/٢٥٤-٢٤٦.

(٤) معاني القرآن:٢/٢٥٤-٢٤٦.

(٥) أخرجه الطبري:١٩/١٠٦.

(٦) أخرجه الطبري:١٩/١٠٦.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٠):ص٨/٢٥٣٠.

(٨) أخرجه الطبري:١٩/١٠٥.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٧٥):ص٨/٢٥٣١.

(١٠) أخرجه الطبري:١٩/١٠٥.

(١١) أخرجه الطبري:١٩/١٠٦.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٧١):ص٨/٢٥٣٠-٢٥٣١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٠٣.

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤١٧٦):ص٨/٢٥٣٢.

(١٥) أخرجه الطبري:١٩/١٠٣.

بعفو المقذوفة عنه، وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدها، ولم يكن لها طالب يطلب بحدها، فإذ كان ذلك كذلك وحدثت منه توبة صحت له بها العدالة.

فإذ كان من الجميع إجماعا، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحد في رميه، بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحد، وسماه فيها فاسقا، كان معلوما بذلك أن إقامة الحد عليه في رميه، لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه، ما لم يكن حادثا فيها قبل إقامته عليه، بل توبته بعد إقامة الحد عليه من ذنبه أحرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه؛ لأن الحد يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرمه الذي استحق عليه الحد"[١].

قال الشوكاني:" وقول الجمهور هو الحق، لأن تخصيص التقييد بالجملة الأخيرة[وهو قوله: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ]] دون ما قبلها مع كون الكلام واحدا في واقعة شرعية من متكلم واحد خلاف ما تقتضيه لغة العرب، وأولوية الجملة الأخيرة المتصلة بالقيد بكونه قيدا لها لا تنفي كونه قيدا لما قبلها، غاية الأمر أن تقييد الأخيرة بالقيد المتصل بها أظهر من تقييد ما قبلها به، ولهذا كان مجمعا عليه، وكونه أظهر لا ينافي قوله فيما قبلها ظاهرا"[٢].

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور : ٤]، أي:" وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله"[٣].

قال ابن زيد:"الكاذبون"[٤].

قال سعيد بن جبير:" يعنى، أولئك هم العاصون فيما قالوا من الكذب"[٥].

قال الطبري: يقول:" وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها"[٦].

قال الشوكاني:" الفسق: هو الخروج عن الطاعة ومجاوزة الحد بالمعصية"[٧].

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)} [النور : ٥]

التفسير:

لكن مَن تاب ونَدم ورجع عن اتهامه وأصلح عمله، فإن الله يغفر ذنبه ويرحمه، ويقبل توبته.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} [النور : ٥]، أي:" لكن مَن تاب ونَدم ورجع عن اتهامه"[٨].

قال الطبري:" إلا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموه بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه"[٩].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: بعد القذف"[١٠].

وفي صفة التوبة قولان :

أحدهما : أنها بإكذابه نفسه. وهذا مذهب الإمام عمر بن الخطاب[١١]، وبه قال الضحاك[١]، والشعبي[٢]، وطاووس[٣].

---

(١) تفسير الطبري:١٠٧/١٩.
(٢) فتح القدير:١١/٤.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٤) أخرجه الطبري:١٠٢/١٩.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤١٧٢):ص٢٥٣١/٨.
(٦) تفسير الطبري:١٠٢/١٩.
(٧) فتح القدير:١١/٤.
(٨) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٩) تفسير الطبري:١٠٨/١٩-١٠٩.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٩):ص٢٥٣٢/٨.
(١١) انظر: الطبري:١٠٣/١٩.

قال الضحاك:" من اعترف وأقر على نفسه علانية أنه قال البهتان وتاب إلى الله توبة نصوحا، والنصوح: أن لا يعود وإقراره اعترافه عند الجلد، حيث يؤخذ بالجلد، فقد تاب والله غفور رحيم"[٤].

روي الزهري عن سعيد بن المسيب: "أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكرة وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كَلَدة حَدّهم. وقال لهم: من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل، ومن لم يفعل لم أجز شهادته، فأكذب شبل نفسه ونافع، وأبَى أبو بكرة أن يفعل. قال الزهريّ: هو والله سنة، فاحفظوه"[٥].

وعن قَتادة :"أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف، فقال: أكذب نفسك حتى تجوز شهادتك"[٦].

قال حصين:" رأيت رجلا ضرب حدا في قذف بالمدينة، فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه، ثم قال: أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات، قال: فلقيت أبا الزناد، فذكرت ذلك له، قال: فقال: إن الأمر عندنا هاهنا أنه إذا قال ذلك حين يفرغ من ضربه، ولم نعلم منه إلا خيرا قبلت شهادته"[٧].

الثاني : أن توبته منه تكون بصلاح حاله وندمه على قذفه والاستغفار منه وترك العود إلى مثله ، وهذا قول مالك بن أنس[٨]، جماعة من التابعين وغيرهم[٩]، وبه قال ابن جرير الطبري[١٠].

قال الطبري:" وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذي ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحد، أو عفي عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجرامه"[١١].

قوله تعالى:{وَأَصْلَحُوا} [النور : ٥]، أي:" وأصلح عمله"[١٢].

قال سعيد بن جبير:" وأصلحوا العمل"[١٣].

قال السمعاني:" أي: استقاموا على التوبة"[١٤].

قال البيضاوي:" أصلحوا أعمالهم بالتدارك، ومنه الاستسلام للحد أو الاستحلال من المقذوف، والاستثناء راجع إلى أصل الحكم وهو اقتضاء الشرط لهذه الأمور ولا يلزمه سقوط الحد به كما قيل، لأن من تمام التوبة الاستسلام له أو الاستحلال"[١٥].

قال الشوكاني:" معنى {وأصلحوا}: إصلاح أعمالهم التي من جملتها ذنب القذف ومداركة ذلك بالتوبة والانقياد للحد"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤١٧٦):ص٢٥٣٢/٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٠٣/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٠٨/١٩.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٦):ص٢٥٣٢/٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٠٣/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٠٤/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:١٠٨/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٠٧/١٩-١٠٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٠٧/١٩-١٠٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٠٧/١٩-١٠٨.
(١١) تفسير الطبري:١٠٨/١٩-١٠٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٠.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٩):ص٢٥٣٢/٨.
(١٤) تفسير السمعاني:٥٠٣/٣.
(١٥) تفسير البيضاوي:٩٩/٤.
(١٦) فتح القدير:١١/٤.

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٥]، أي:" فإن الله يغفر ذنبه ويرحمه، ويقبل توبته"[١].

قال الطبري:" ساتر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها، فأقبلوا شهادتهم ولا تسموهم فسقة، بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم"[٢].

قال سعيد بن جبير:" {فإن الله غفور}، يعنى: لقذفهم، {رحيم}، يعنى: رحيما بهم بعد التوبة"[٣].

قال قتادة:" ثم عاد الله بعد ذلك بعائدته ورحمته، فقال: إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم"[٤].

فوائد الآيتين:[٤-٥]:

١- بيان حد القذف وهو جلد ثمانين جلدة لمن قذف مؤمناً أو مؤمنة بالفاحشة وكان المقذوف بالغاً عاقلاً مسلماً عفيفاً أي لم يعرف بالفاحشة قبل رميه بها.

٢- سقوط عدالة القاذف إلا أن يتوب فإنه تعود إليه عدالته.

٣- قبول توبة التائب إن كانت توبته صادقة نصوحا.

القرآن

{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٦) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٧)} [النور : ٦ - ٧]

التفسير:

والذين يرمون زوجاتهم بالزنى، ولم يكن لهم شهداء على اتهامهم لهنَّ إلا أنفسهم، فعلى الواحد منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: أشهد بالله أني صادق فيما رميتها به من الزنى، ويزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسه باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبًا في قوله.

في سبب نزول الآيات:[٦-٩] قولان:

أحدهما: عن عكرمة عن ابن عباس :"أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك ابن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك»، فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: {والذين يرمون أزواجهم} [النور: ٦]، فقرأ حتى بلغ: {إن كان من الصادقين} [النور: ٩]، فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول: «إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب»، ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس: فتلكأت[٥] ونكصت[٦]، حتى ظننا أنها ترجع[٧]، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم[٨]، فمضت، فقال النبي ﷺ: «أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين[٩]، سابغ

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٠.

(٢) تفسير الطبري:١٠٨/١٩-١٠٩.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٧٩):ص٢٥٣٢/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٠):ص٢٥٣٢/٨.

(٥)" فتلكأت " أي: توقفت، يقال: تلكأ في الأمر تلكؤ، إذا تباطأ عند، وتوقف فيه.

(٦)ونكصت " أي: رجعت، وتأخرت، وفي القرآن: {نكص على عقبيه} [الأنفال: ٤٨].

(٧) أي: عن مقالها في تكذيب الزوج، ودعوى البراءة عما رماها به.

(٨)أي: جميع الأيام، وأبد الدهر، أو في مابقي من الأيام = بالإعراض عن اللعان، والرجوع إلى تصديق الزوج.

وأريد باليوم: الجنس، ولذلك أجراه مجرى العام، و (السائر) كما يطلق للباقي يطلق للجميع.

(٩) أي: الذي يعلو جفون عينيه سواد مثل الكحل من غير اكتحال، ويقال: عين كحيل، وامرأة كحلاء.

سابغ الأليتين[١]، خدلج الساقين[٢]، فهو لشريك ابن سحماء[٣]»، فجاءت به كذلك[٤]، فقال النبي النبي ﷺ: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»"[٥].[صحيح]

الثاني: عن ابن شهاب:" أن سهل بن سعد الساعدي، أخبره: أن عويمرا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري، فقال له: يا عاصم، أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ سل لي يا عاصم عن ذلك رسول الله ﷺ، فسأل عاصم عن ذلك رسول الله ﷺ، فكره رسول الله ﷺ المسائل وعابها، حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ، فلما رجع عاصم إلى أهله، جاء عويمر فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عاصم: لم تأتني بخير، قد كره رسول الله ﷺ المسألة التي سألته عنها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأله عنها، فأقبل عويمر حتى أتى رسول الله ﷺ وسط الناس، فقال: يا رسول الله أرأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يفعل؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك، فاذهب فأت بها» قال سهل: فتلاعنا وأنا مع الناس عند رسول الله ﷺ، فلما فرغا، قال عويمر: كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها، فطلقها ثلاثا، قبل أن يأمره رسول الله ﷺ قال ابن شهاب: «فكانت تلك سنة المتلاعنين»[٦].[صحيح]

وقال مقاتل:" قرأ النبي- ﷺ- هاتين الآيتين[٧] في خطبة يوم الجمعة، فقال عاصم بن عدى الأنصارى للنبي- ﷺ-: جعلني الله فداك، لو أن رجلا منا وجد على بطن امرأته رجلا فتكلم جلد ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة في المسلمين أبدا ويسميه المسلمون فاسقا، فكيف لأحدنا عند ذلك بأربعة شهداء إلى أن تلتمس أحدنا أربعة شهداء فقد فرغ الرجل من حاجته، فأنزل الله- عز وجل- فى قوله: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٦]، إلى ثلاث آيات..."[٨].

---

(١) أي: كبيرهما، يقال للشيء إذا كان تاما وافيا وافرا: إنه سابغ.
(٢)أي: سمينهما.
(٣)أي: في باطن الأمر لظهور الشبه.
(٤)أي: ولدت ولداً يشبه شريكاً في الصفات المذكورة.
قال الطيبي - رحمه الله -: وفي إتيان الولد على الوصف الذي ذكره - صلوات الله عليه - هنا وفي قصة عويمر بأحد الوصفين المذكورين، مع جواز أن يكون على خلاف ذلك - معجزة وإخبار بالغيب.[مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح:٢١٦٢/٥]
(٥)أخرجه البخاري (فتح الباري: ٤٤٩/٨ - ح: ٤٧٤٧) وأبو داود (٦٨٦/٢ - ح: ٢٢٥٤) والترمذي (٣٣١/٥ (٣٣١/٥ - ح: ٣١٧٩) وابن ماجه (٦٦٨/١ - ح: ٢٠٦٧) والدارقطني (٢٧٧/٣ - ح: ١٢٢).
وأخرجه مسلم (١١٣٤/٢ - ح: ١٤٩٦) عن أنس مختصرا بمعناه.
وأخرجه بنحوه الإمام أحمد (الفتح الرباني: ٢٥/١٧ - ح: ٥٠)، والبيهقي في السنن (٧/ ٣٩٤)، والطبري (١١٢/١٩)، وأبو داود (٦٨٨/٢ - ح: ٢٢٥٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٧٤)، وعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه: (الدر المنثور:١٩/٥، وفتح القدير: ١١/٤) من طريق عباد بن منصور عن عكرمة به، وفيه عنعنة عباد وهو مدلس (تقريب التهذيب: ٣٩٣/١ - رقم: ١٠٧).
(٦) أخرجه احمد(٢٢٨٥١)، والبخاري (٥٢٥٩) و (٥٣٠٨) ، ومسلم (١٤٩٢) (١) ، وأبو داود (٢٢٤٥) ، والنسائي ١٤٣/٦-١٤٤، وابن الجارود (٧٣٧) ، وابن حبان (٤٢٨٤) ، والطبراني في "الكبير" (٥٦٧٥) و (٥٦٧٦) ، والبيهقي ٣٩٨/٧-٣٩٩ و٣٩٩، والبغوي في "شرح السنة" (٢٣٦٦) ، وفي "التفسير" ٣٢٤/٣.
وهو في "الموطأ" ٥٦٦/٢-٥٦٧، ومن طريقه أخرجه الشافعي ٤٤/٢، والدارمي (٢٢٢٩).
(٧) يقصد: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)} [النور : ٤ - ٥].
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:١٨٤/٣-١٨٧. ثم قال :".. ، فابتلى الله- عز وجل- عاصما بذلك في يوم الجمعة الأخرى، فأتاه ابن عمه عويمر الأنصاري من بني العجلان بن عمرو بن عوف وتحته ابنة عمه أخى أبيه، فرماها بابن عمه شريك بن السحماء، والخليل والزوج والمرأة كلهم من بني عمرو بن عوف وكلهم بنو عم عاصم فقال: يا عاصم، لقد رأيت شريكا على بطن امرأتي فاسترجع عاصم فأتى النبي- ﷺ- فقال: أرأيت سؤالي عن هذه والذين يرمون أزواجهم فقد ابتليت بها في أهل بيتي، فقال النبي- ﷺ- وما ذاك يا عاصم، فقال: أتاني ابن عمي فأخبرني أنه وجد ابن عم لنا على بطن امرأته فأرسل النبي- ﷺ- إلى الزوج والخليل والمرأة فأتوه، فقال النبي- ﷺ- لزوجها عويمر: ويحك اتق الله- عز وجل- في خليلتك وابنة عمك أن تقذفها بالزنا. فقال الزوج:

قال النووي: "اختلفوا في نزول آية اللعان هل هو بسبب عويمر أم بسبب هلال، والأكثرون على أنها نزلت في هلال، ويحتمل أنها نزلت فيهما جميعا"[١].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ} [النور : ٦]، أي:"والذين يقذفون زوجاتهم بالزنى"[٢].

قال الزجاج:" معناه: والذين يرمون أزواجهم بالزنا"[٣].

قال سعيد بن جبير:" هو الرجل يرمي امرأته بالزنا"[٤].

عن عكرمة، قوله: "{والذين يرمون أزواجهم}، قال: هلال بن أمية: والذي رميت به شريك بن سحماء، والذي استفتى عاصم بن عدي"[٥].

قوله تعالى:{وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ} [النور : ٦]، أي:" وليس لهم شهود يشهدون بما رموهنَّ به من الزنى سوى شهادة أنفسهم"[٦].

قال السمعاني:" أي: غير أنفسهم"[٧].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: ليس للرجل شهادة غيره أن امرأته قد زنت، فيرفع ذلك إلى الحكام"[٨].

قوله تعالى:{فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٦]، أي:" فعلى الواحد منهم أن يشهد أمام القاضي أربع مرات بقوله: أشهد بالله أني صادق فيما رميتها به من الزنى"[٩].

قال سعيد بن جبير:" يقوم الزوج بعد الصلاة في المسجد، فيحلف أربع شهادات بالله، ويقول: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو أن فلانة -يعنى: امرأته- زانية..."[١].

أقسم لك بالله- عز وجل- إني رأيته معها على بطنها وإنها لحبلى منه، وما قربتها منذ أربعة أشهر. فقال النبي- ﷺ- للمرأة: خولة بنت قيس الأنصارية ويحك ما يقول زوجك، قالت: أحلف بالله إنه لكاذب، ولكنه غار، ولقد رءانى معه نطيل السمر بالليل والجلوس بالنهار، فما رأيت ذلك في وجهه، وما نهاني عنه قط، فقال النبي- ﷺ- للخليل: ويحك ما يقول ابن عمك فحدثه مثل قولها، فقال النبي- ﷺ- للزوج والمرأة: قوما فاحلفا بالله- عز وجل. فقام الزوج عند المنبر دبر صلاة العصر يوم الجمعة وهو عويمر بن أمية، فقال: أشهد بالله أن فلانة زانية يعني امرأته خولة، وإني لمن الصادقين، ثم قال الثانية: أشهد بالله أن فلانة زانية ولقد رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين، ثم قال الثالثة: أشهد بالله أن فلانة زانية وإنها لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين.ثم قال في الرابعة: أشهد بالله أن فلانة زانية وما قربتها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين. ثم قال الخامسة: لعنة الله على عويمر إن كان من الكاذبين عليها فى قوله. {وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٧]. ثم قامت خولة بنت قيس الأنصاري مقام زوجها، فقالت: أشهد بالله ما أنا بزانية وإن زوجي لمن الكاذبين، ثم قالت الثانية: أشهد بالله ما أنا بزانية، وما رأى شريكا على بطني وإن زوجي لمن الكاذبين.ثم قالت الثالثة: أشهد بالله ما أنا بزانية وإني لحبلى منه وإنه لمن الكاذبين.ثم قالت الرابعة: أشهد بالله ما أنا بزانية وما رأى علي من ريبة ولا فاحشة وإن زوجي لمن الكاذبين. ثم قالت الخامسة: غضب الله على خولة إن كان عويمرا من الصادقين في قوله. ففرق النبي- ﷺ- بينهما، فذلك قوله- عز وجل-: {ويدرؤا عنها العذاب} يقول يدفع عنها الحد: {لشهادتها} بعد {أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٨]، {وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ} [النور : ٩] زوجها { مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٩]، في قوله، وكان الخليل رجلا أسود ابن حبشية، فقال النبي- ﷺ- إذا ولدت فلا ترضع ولدها حتى تأتوني به فأتوه بولدها فإذا هو أشبه الناس بالخليل، فقال النبي- ﷺ- :«لولا الأيمان لكان لي فيهما أمر".

وأخرج ابن ابي حاتم(١٤١٨٥):ص٢٥٣٥/٨ -٢٥٣٦ عن مقاتل بن حيان نحوه.

(١)منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري:٦٣/٥.

(٢) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.

(٣) معاني القرآن:٣٢/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨١):ص٢٥٣٢/٨.

(٥) أخرجه الطبري:١١٤/١٩.

(٦) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.

(٧) تفسير السمعاني:٥٠٣/٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨١):ص٢٥٣٢/٨.

(٩) التفسير الميسر:٣٥٠.

قال ابن كثير:" هذه الآية الكريمة فيها فَرَج للأزواج وزيادة مخرج ، إذا قذف أحدهم زوجته وتعسر عليه إقامة البينة ، أن يلاعنها ، كما أمر الله عز وجل وهو أن يحضرها إلى الإمام ، فيدعي عليها بما رماها به ، فيحلفه الحاكم أربع شهادات بالله في مقابلة أربعة شهداء، {إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}، أي : فيما رماها به من الزنى"[2].

وقرئ: «فشهادة أحدهم أربع» بالرفع والنصب، فأما بالرفع فتقديره: فشهادة أحدهم التي تدرأ الحد أربع، فيكون رفعا على خبر الابتداء، وأما بالنصب فتقديره: فشهادة أحدهم أن يشهد أربع[3].

قوله تعالى:{وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٧]، أي:" ويزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسه باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبًا في قوله"[4].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{والخامسة أن لعنت الله عليه}،" يعني: على نفسه {إن كان من الكاذبين}"[5].

عن عكرمة قوله: "{والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين}، قال: وجبت"[6].

قال ابن عباس:" إذا شهد الرجل خمس شهادات، فقد برئ كل واحد من الآخر، وعدتها إن كانت حاملا أن تضع حملها، ولا يجلد واحد منهما، وإن لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم"[7].

قال ابن كثير:" فإذا قال ذلك ، بانت منه بنفس هذا اللعان عند الشافعي وطائفة كثيرة من العلماء ، وحرمت عليه أبدًا ، ويعطيها مهرها ، ويتوجه عليها حد الزنى"[8].

القرآن

{وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٩)} [النور : ٨ - ٩]

التفسير:

وبشهادته تستوجب الزوجة عقوبة الزنى، وهي الرجم حتى الموت، ولا يدفع عنها هذه العقوبة إلا أن تشهد في مقابل شهادته أربع شهادات بالله إنه لكاذب في اتهامه لها بالزنى، وتزيد في الشهادة الخامسة الدعوة على نفسها باستحقاقها غضب الله، إن كان زوجها صادقًا في اتهامه لها، وفي هذه الحال يفرق بينهما.

قوله تعالى:{وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ} [النور : ٨]، أي:" ويدفع عن الزوجة المقذوفة حدَّ الزنى الذي ثبت بشهادة الزوج أن تحلف أربع مرات إنه لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى"[9].

قال الطبري: "يقول: ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان: أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة، لمن الكاذبين فيما رماها من الزنا"[10].

قال ابن كثير:" ولا يدرأ عنها العذاب إلا أن تلاعن ، فتشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، أي : فيما رماها به"[11].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨١):ص٢٥٣٢/٨.
(٢) تفسير ابن كثير:١٤/٦.
(٣) انظر: تفسير السمعاني:٥٠٣/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٧):ص٢٥٣٦/٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٦):ص٢٥٣٦/٨.
(٧) أخرجه الطبري:١١٤/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:١٤/٦.
(٩) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.
(١٠) تفسير الطبري:١١٥/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:١٤/٦.

قال سعيد بن جبير:" يعنى: فتقوم المرأة مقام زوجها فتقول أربع مرات: أشهد بالله الذي لا إله إلا هو إني لست بزانية، وإن زوجي لمن الكاذبين"(١).

عن سعيد بن جبير، قوله: " {ويدرؤا عنها العذاب}، يعنى: يدفع"(٢)، "قوله: {عنها العذاب}، يعنى: يدفع الحكام، عن المرأة. قوله: {العذاب}، يعنى: الحد، بعد {أن تشهد أربع شهادات بالله}، يعني: زوجها، {إنه لمن الكاذبين}"(٣).

قال مقاتل بن حيان:" يقول: يحجر عليها العذاب"(٤).

قال قتادة:" أي: عذاب الدنيا"(٥).

قال الزجاج:" فإذا قذف القاذف امرأته، فشهادته أن يقول: أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما قذفتها به، أو يقول: أحلف بالله إني لمن الصادقين فيما قذفتها به، أربع مرات"(٦).

قوله تعالى:{وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور : ٩]، أي:" وتحلف في المرة الخامسة بأنَّ غضب الله وسخطه عليها إن كان زوجها صادقاً في اتهامه لها بالزنى"(٧).

قال الطبري: " يقول: والشهادة الخامسة: أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين"(٨).

قال سعيد ن جبير:" يعنى: إن كان زوجها في قوله {لمن الصادقين}"(٩).

عن عكرمة: "{والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين}، قال: وجبت"(١٠).

قال الزمخشري:" فإن قلت: لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله؟ قلت: تغليظا عليها، لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها(١١) وإطماعها، ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد. ويشهد لذلك قوله ﷺ لخولة: «فالرجم أهون عليك من غضب الله»(١٢)"(١٣).

قال ابن كثير:" فخصها بالغضب ، كما أن الغالب أن الرجل لا يتجشم فضيحة أهله ورميها بالزنى إلا وهو صادق معذور ، وهي تعلم صدقه فيما رماها به. ولهذا كانت الخامسة في حقها أن غضب الله عليها. والمغضوب عليه هو الذي يعلم الحق ثم يحيد عنه"(١٤).

قال الزجاج:" تقول[المرأة] في الخامسة: وعلي غضب الله إن كان من الصادقين. وهذا هو اللعان(١٥)، فإذا تلاعنا فرق بينهما، واعتدت عدة المطلقة من وقتها ذلك، فإذا فعلا ذلك لم يتزوجها أبدا في قول أكثر الفقهاء من أهل الحجاز وبعض الكوفيين يتابعهم، وهو أبو يوسف،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩٢):ص٢٥٣٦/٨-٢٥٣٧.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٨):ص٢٥٣٦/٨.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٨٩):ص٢٥٣٦/٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩٠):ص٢٥٣٦/٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩١):ص٢٥٣٦/٨.
(٦) معاني القرآن:٣٣/٤.
(٧) صفوة التفاسير:٢٩٩/٢.
(٨) تفسير الطبري:١١٥/١٩.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩٩):ص٢٥٣٨/٨.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤١٩٨):ص٢٥٣٨/٨.
(١١)قوله «بخلابتها» في الصحاح «الخلابة» الخديعة باللسان.
(١٢) قطعة من حديث أخرجه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس، انظر: الدر المنثور:١٣٥/٦-١٣٦.
(١٣) الكشاف:٢١٦/٣-٢١٧.
(١٤) تفسير ابن كثير:١٥/٦.
(١٥)اللعان فى الشريعة: أن يقسم الزوج أربع مرات على صدقه فى قذف زوجته بالزنا، والخامسة باستحقاقه لعنة الله إن كان كاذبا وبذا يبرأ من حد القذف. ثم تقسم الزوجة أربع مرات على كذبه، والخامسة باستحقاقها غضب الله إن كان صادقا فتبرأ من حد الزنا.

والقياس ما عليه أهل الحجاز، لأن القاذف قذفها بالزنا، فهو لا ينبغي له أن يتزوج بزانية، وليس يظهر لهذا توبة، واللعان لا يكون إلا بحاكم من حكام المسلمين"[١].

قال القشيري:" لما ضاق الأمر على من رأى أهله على فاحشة، إذ أن فى ذلك قبول نسب غير صحيح- فقد نهى الشرع عن استلحاقه ولدا من غيره. وكان أمرا محظورا هتك عرض المرأة والشهادة عليها بالفحشاء، إذ يجوز أن يكون الأمر فى المعيب أي بخلاف ما يدعيه الزوج، ولأن ذلك أمر ذو خطر شرع الله حكم اللعان ليكون للخصومة قاطعا، وللمقدم على الفاحشة زاجرا، ففى مثل هذه الأحوال عنها خرجة[٢] . ولولا أن الله على كل شىء قدير وإلا ففى عادة الناس. من الذي يهتدى لمثل هذا الحكم لولا تعريف سماوى وأمر نبوى، من الوحى متلقاه، ومن الله مبتداه وإليه منتهاه؟"[٣].

القرآن

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ (١٠)} [النور : ١٠]

التفسير:

ولولا تفضُّل الله عليكم ورحمته -أيها المؤمنون- بهذا التشريع للأزواج والزوجات، لأحلَّ بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه، وأن الله تواب لمن تاب مِن عباده، حكيم في شرعه وتدبيره.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} [النور : ١٠]، أي:" ولولا تفضُّل الله عليكم ورحمته -أيها المؤمنون- بهذا التشريع للأزواج والزوجات، لأحلَّ بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه"[٤].

قال الطبري: "يقول: ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله، حكيم في تدبيره إياهم، وسياسته لهم، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم وترك فضيحتكم بها عاجلا رحمة منه بكم، وتفضلا عليكم، فاشكروا نعمه وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه، وترك الجواب في ذلك، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه"[٥].

قال ابن كثير:" ثم ذكر تعالى لطفه بخلقه ، ورأفته بهم ، وشرعه لهم الفرج والمخرج من شدة ما يكون فيه من الضيق ، فقال:{وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}، أي : لحرجتم ولشق عليكم كثير من أموركم "[٦].

عن سعيد بن جبير قوله: "{ورحمته}، يعنى: ونعمه لأظهر على المذنب، يعنى: الكاذب منهما"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ} [النور : ١٠]، وجهان:

احدها: فضل الله: الدين. قاله مجاهد[٨].

الثاني: أن فضل الله: القرآن. قاله سعيد بن جبير[٩].

الثالث: أن : فضل الله الإسلام. وهذا قول ابن عباس[١٠]، وقتادة[١١].

---

(١) معاني القرآن:٣٣/٤.
(٢)الخرجة: هى الخروج والخلاص من أمر شديد.
(٣) لطائف الإشارات:٥٩٦/٢.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٥) تفسير الطبري:١١٥/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:١٥/٦.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٠٥):ص٢٥٣٩/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٠٢):ص٢٥٣٨/٨.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٠٣):ص٢٥٣٨/٨.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٠٤):ص٢٥٣٩/٨.
(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٥٣٩/٨. ذكره دون إسناد.

قال الزمخشري:" «الفضل»: التفضل"[1].
قال الزجاج:" ههنا جواب «لولا» متروك، والمعنى - والله أعلم -: ولولا فضل الله عليكم لنال الكاذب لما ذكرنا عذاب عظيم، ويدل عليه: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور : ١٤]"[2].
قال السمعاني:" جواب الآية محذوف، ومثله قول الرجل إذا شتمه إنسان: أيها الرجل لولا كذا أي: لولا كذا لشتمتك، فعلى هذا معنى قوله تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته} لنال الكاذب منكما العذاب في الحال، ومنهم من قال: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته} بتأخير العذاب وإمهاله لعجل عذابه"[3].
قال الزمخشري:" جواب «لولا» متروك، وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه، ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به"[4].
قال أبو السعود:" وجواب «لولا» محذوف، لتهويله والإشعار بضيق العبارة عن حصره، كأنه قيل: ولولا تفضله تعالى عليكم ورحمته وأنه تعالى مبالغ في قبول التوبة حكيم في جميع أفعاله وأحكامه التي من جملتها ما شرع لكم من حكم اللعان لكان ما كان مما لا يحيط به نطاق البيان"[5].
قال أبو مالك:" كل ما في القرآن «ولولا» فهو: «فهلا»، إلا حرفين في يونس، فقوله: {فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ} [يونس : ٩٨]، يقول: فما كانت قرية آمنت، وقوله: {فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ} [الصافات : ١٤٣]، يقول: فما كان من القرون من قبلكم"[6].
قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} [النور : ١٠]، أي:" وأن الله تواب لمن تاب من عباده، حكيم في شرعه وتدبيره"[7].
قال ابن كثير:" {تَوَّابٌ } على عباده - وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان المغلظة - {حَكِيمٌ} فيما يشرعه ويأمر به وفيما ينهى عنه "[8].
عن سعيد بن جبير قوله: " {وأن الله تواب}، يعنى: على من تاب، وقوله: {حكيم}، يعني: حكم الملاعنة"[9].
فوائد الآيات:[٦-١٠]:
١- بيان حكم قذف الرجل امرأته ولم يكن له أربعة شهود يشهدون معه على ما رمى به زوجته وهو اللعان.
٢- بيان كيفية اللعان، وأنه موجب لإقامة الحد، إن لم ترد الزوجة الدعوى بأربع شهادات والدعاء عليها في الخامسة وقولها: {أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين} .
٣- في مشروعية اللعان مظهر من مظاهر حسن التشريع الإسلامي وكماله وأن مثله لن يكون إلا بوحي إلهي وفيه إشارة إلى تقرير النبوة المحمدية.

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)} [النور : ١١]

---

(١) الكشاف:٢١٧/٣.
(٢) معاني القرآن: ٣٣/٤.
(٣) تفسير السمعاني:٥٠٦/٣-٥٠٧.
(٤) الكشاف:٢١٧/٣.
(٥) تفسير أبي السعود:١٥٩/٦.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٠١):ص٢٥٣٨/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٠.
(٨) تفسير ابن كثير:١٥/٦.
(٩) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٢٠٥):ص٢٥٣٩/٨.

التفسير:
إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم -معشر المسلمين- لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم، لما تضمن ذلك مِن تبرئة أم المؤمنين ونزاهتها والتنويه بذكرها، ورفع الدرجات، وتكفير السيئات، وتمحيص المؤمنين. لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب، والذي تحمَّل معظمه، وهو عبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول كبير المنافقين -لعنه الله- له عذاب عظيم في الآخرة، وهو الخلود في الدرك الأسفل من النار"[1].

سبب نزول الآيات:[١١-٢٠]:

عن ابن شهاب الزهري، عن عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة بن وقاص الليثي، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله منه، قال الزهري: "وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم أوعى من بعض، وأثبت له اقتصاصا، وقد وعيت عن كل واحد منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضا زعموا أن عائشة، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا أراد أن يخرج سفرا أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها، خرج بها معه، فأقرع بيننا في غزاة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودج، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت، فالتمست عقدي، فحبسني ابتغاؤه، فأقبل الذين يرحلون لي، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، وإنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه ثقل الهودج، فاحتملوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش، فجئت منزلهم وليس فيه أحد، فأممت منزلي الذي كنت به، فظننت أنهم سيفقدونني، فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة غلبتني عيناي، فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين أناخ راحلته فوطئ يدها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون من قول أصحاب الإفك، ويريبني في وجعي، أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض، إنما يدخل فيسلم، ثم يقول: «كيف تيكم»، لا أشعر بشيء من ذلك حتى نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع متبرزنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التنزه، فأقبلت أنا وأم مسطح بنت أبي رهم نمشي، فعثرت في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا، فقالت: يا هنتاه، ألم تسمعي ما قالوا؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضا على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل علي رسول الله ﷺ، فسلم فقال: «كيف تيكم»، فقلت: ائذن لي إلى أبوي، قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي رسول الله ﷺ، فأتيت أبوي فقلت لأمي: ما يتحدث به الناس؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر، إلا أكثرن عليها، فقلت: سبحان الله، ولقد يتحدث الناس بهذا، قالت: فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي، يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة، فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله، ولا نعلم والله إلا خيرا،

---

(١) التفسير الميسر:٣٥١.

وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: «يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك؟»، فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت منها أمرا أغمصه عليها قط، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن العجين، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ من يومه، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا، وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا، وما كان يدخل على أهلي إلا معي»، فقام سعد بن معاذ، فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا، ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة - وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية - فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله، ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس، والخزرج حتى هموا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل، فخفضهم حتى سكتوا، وسكت وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبواي، وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينا هما جالسان عندي، وأنا أبكي، إذ استأذنت امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد ثم قال: «يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه»، فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن، لا أقرأ كثيرا من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة، والله يعلم إني لبريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلا، إلا أبا يوسف إذ قال: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف : ١٨]، ثم تحولت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحيا، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله، فوالله ما رام مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه الوحي، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات، فلما سري عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها، أن قال لي: «يا عائشة احمدي الله، فقد برأك الله»، فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: لا والله، لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ}(١) الآيات، فلما أنزل الله هذا في براءتي، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه: والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد ما قال لعائشة، فأنزل الله تعالى:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا} إلى قوله: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٢٢] فقال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه"(٢).

---

(١)[النور : ١١].

(٢)أخرجه البخاري (فتح الباري: ٢٦٩/٥ - ح: ٢٦٦١) ومسلم (٢١٢٩/٤ - ح: ٢٧٧٠) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١١٦/٢٢ - ح: ٩٣٩) والترمذي (٣٣٢/٥ - ح: ٣١٨٠) وابن جرير (٧١/١٨) والطبراني (المعجم الكبير: ٥٠/٢٣ - ٥٥ - ح: ١٣٣) والبيهقي في الدلائل (٦٤/٤ - ٧١) كلهم من طريق الزهري به. وللمزيد من تفاصيل القصة راجع:

١ - تفسير ابن جرير (٧١/١٨ - ٧٦) .

٢ - تفسير ابن كثير (٢٧١/٣ - ٢٧٢) .

٣ - فتح الباري (٨/ ٤٥٥ - ٤٨١) .

قال ابن كثير:" هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين ، رضي الله عنها ، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه ، صلوات الله وسلامه عليه ، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول ، عليه أفضل الصلاة والسلام فقال : { إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإفْكِ عُصْبَةٌ}.."[1].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ} [النور : ١١]، أي:" إن الذين جاؤوا بأشنع الكذب، وهو اتهام أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالفاحشة، جماعة منتسبون إليكم - معشر المسلمين-"[2].

قال الطبري:" تعالى ذكره: إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان جماعة منكم أيها الناس"[3].

قال ابن كثير:" أي : جماعة منكم ، يعني : ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة ، فكان المقدَّم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين ، فإنه كان يجمعه ويستوشيه ، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين ، فتكلموا به ، وَجوّزه آخرون منهم ، وبقي الأمر كذلك قريبًا من شهر ، حتى نزل القرآن ، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة"[4].

قال الزجاج:" معنى «الإفك» -ههنا-: الكذب. وقد سمي بعضهم في الآثار، ولم يسموا في القرآن فممن سمي حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وعبد الله بن أبي، ومن النساء: حمنة بنت جحش"[5].

عن الضحاك:"{الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم}، الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان"[6].

قال ابن عباس:" الذين افتروا على عائشة: عبد الله بن أبي، وهو الذي تولى كبره، وحسان بن ثابت، ومسطح، وحمنة بنت جحش"[7].

عن عروة: "أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان: كتبت إلي تسألني في الذين جاءوا بالإفك، وهم كما قال الله: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم}، وأنه لم يسم منهم أحد إلا حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة، وحمنة بنت جحش، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم؛ غير أنهم عصبة كما قال الله"[8].

عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: تفاخرت عائشة وزينب، قال: فقالت زينب: أنا التي نزل تزويجي من السماء قال: وقالت عائشة: أنا التي نزل عذري في كتابه حين حملني ابن المعطل على الراحلة، فقالت لها زينب: يا عائشة، ما قلت حين ركبتيها، قالت: قلت: حسبي الله ونعم الوكيل، قالت: قلت كلمة المؤمنين"[9].

قوله تعالى:{لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [النور : ١١]، أي:" لا تحسبوا قولهم شرًّا لكم، بل هو خير لكم"[10].

قال الطبري:" يقول: لا تظنوا ما جاءوا به من الإفك شرا لكم عند الله وعند الناس، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين، وذلك أن الله يجعل ذلك كفارة للمرمي به ويظهر براءته مما رمي به، ويجعل له منه مخرجا"[11].

معجم الطبراني الكبير (٢٣/٥٠ - ١٣٣).
(١) تفسير ابن كثير:٦/٢٠.
(٢) التفسير الميسر:٣٥١.
(٣) تفسير الطبري:١٩/١١٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٦/٢٠.
(٥) معاني القرآن:٤/٣٣-٣٤.
(٦) أخرجه الطبري:١٩/١١٦.
(٧) أخرجه الطبري:١٩/١١٦.
(٨) أخرجه الطبري:١٩/١١٦.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/١١٨-١١٩.
(١٠) التفسير الميسر:٣٥١.
(١١) تفسير الطبري:١٩/١١٥-١١٦.

قال ابن زيد:" الشر لكم بالإفك الذي قالوا، الذي تكلموا به، كان شرا لهم، وكان فيهم من لم يقله، إنما سمعه، فعاتبهم الله، فقال أول شيء: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم، بل هو خير لكم} ثم قال: {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} [النور: ١١]"(١).

قوله تعالى:{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ} [النور : ١١]، أي:" لكل فرد تكلم بالإفك جزاء فعله من الذنب"(٢).

قال الطبري:" يقول: لكل امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزاء ما اجترم من الإثم، بمجيئه بما جاء به، من الأولى عبد الله"(٣).

قوله تعالى:{وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور : ١١]، أي:" والذي تولى معظمه وأشاع هذا البهتان -وهو «ابن سلول» رأس النفاق-، له في الآخرة عذاب شديد في نار جهنم"(٤).

قال الطبري:" يقول: والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه، {لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}"(٥).

قال النب كثير:"{وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ}، قيل : ابتدأ به. وقيل : الذي كان يجمعه ويستوشيه ويذيعه ويشيعه ، { لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ } أي : على ذلك"(٦).

عن الضحاك ، قوله:"{ووالذي تولى كبره منهم}، يقول: الذي بدأ بذلك"(٧).

قال الزجاج:" ويُقْرأ :«كُبْرَهُ مِنْهُم لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ»، فمن قرأ :{كِبْرَه}، فمعناه: من تولى الإثم في ذلك، ومن قرأ:« كُبْرَه»، أراد معظمه"(٨).

وفي متولي كبره، ثلاثة أقوال:

أحدهما : أنه عبد الله بن أبيّ المنافق، والعذاب العظيم: جهنم ، وهذا قول عائشة(٩)، وابن عباس(١٠)، وعروة بن الزبير(١١)، وابن المسيب، ومجاهد(١٢)، وابن زيد(١٣).

قالت عائشة-رضي الله عنها-:" كان الذي تولى كبره: الذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أبي ابن سلول"(١٤).

قال ابن زيد:" أما الذي تولى كبره منهم، فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث، هو الذي ابتدأ هذا الكلام، وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت، ثم جاء يقود بها"(١٥).

قال مقاتل:" هو عبد الله بن أبي رأس المنافقين، وهو الذي قال: ما برئت منه وما برئ منها، {له عذاب عظيم}، أي: شديد"(١٦).

الثاني : أنه مسطح بن أثاثة ، والعذاب العظيم ذهاب بصره في الدنيا : حكاه يحيى بن سلام(١٧).

---

(١) أخرجه الطبري:١١٦/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٥١.
(٣) تفسير الطبري:١١٦/١٩.
(٤) صفوة التفاسير:٣٠٠/٢.
(٥) تفسير الطبري:١١٦/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٥/٦.
(٧) أخرجه الطبري:١١٦/١٩.
(٨) معاني القرآن:٣٤/٤-٣٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١١٩/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١١٩/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١١٩/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١١٩/١٩-١٢٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١١٩/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:١١٩/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:١١٩/١٩.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان:١٨٩/٣.
(١٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٣٢/١.

الثلث: حسان بن ثابت. وهذا مروي عن عائشة أيضا(١).

قال ابن كثير:" وقيل : بل المراد به حسان بن ثابت، وهو قول غريب ، ولولا أنه وقع في صحيح البخاري ما قد يدل على ذلك لما كان لإيراده كبير فائدة ، فإنه من الصحابة الذين كان لهم فضائل ومناقب ومآثر ، وأحسن محاسنه أنه كان يَذُب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعره، وهو الذي قال له رسول الله ﷺ : «هاجهم وجبريل معك»(٢)"(٣).

عن عامر، أن عائشة قالت: ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة، قوله لأبي سفيان(٤):

هَجَوتَ مُحَمَّدا فَأجبتُ عنه... وَعندَ الله في ذاك الجزاءُ
فَإنَ أبي وَوَالده وعِرْضي... لعرْضِ مُحَمَّد منكم وقاءُ
أَتَشْتُمُه ، ولستَ لَه بكُفءٍ؟... فَشَرُّكُمَا لخَيْركُمَا الفدَاءُ
لِسَانِي صَارمٌ لا عَيْبَ فِيه... وَبَحْرِي لا تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

فقيل: يا أم المؤمنين، أليس هذا لغوا؟ قالت؛ لا إنما اللغو ما قيل عند النساء. قيل: أليس الله يقول: {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم}، قالت: أليس قد أصابه عذاب عظيم، أليس قد ذهب بصره، وكنع بالسيف(٥)"(٦).

قال مسروق:" كنت عند عائشة، فدخل حسان بن ثابت، فأمرت، فألقي له وسادة؛ فلما خرج قلت لعائشة: ما تصنعين بهذا، وقد قال الله ما قال؟ فقالت: قال الله: {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم}، وقد ذهب بصره، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم: ذهاب بصره"(٧).

وفي رواية عن مسروق:" دخل حسان بن ثابت على عائشة، فشبب بأبيات له، فقال(٨):
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة: أما إنك لست كذلك، فقلت: تدعين هذا الرجل يدخل عليك، وقد أنزل الله فيه: {والذي تولى كبره} الآية؟ فقالت: وأي عذاب أشد من العمى، وقالت: إنه كان يدفع عن رسول الله ﷺ"(٩).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١١٧/١٩-١١٩.

(٢) أخرجه أحمد(١٨٦٩٠):ص٦٢٣/٣٠، والبخاري(٣٢١٣):ص١١٢/٤، ومسلم(١٥٣):ص١٩٣٣/٤، وأبو داود(٧٦٦):ص٩٧/٢، وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" ٢٩٨/٤. من حديث البراء بن عازب - رضي الله عنه -.

(٣) تفسير ابن كثير:٢٥/٦-٢٦.

(٤)هذه الأبيات الأربعة لحسان بن ثابت الأنصاري، شاعر الرسول -ﷺ-، يهجو بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب شاعر قريش قبل إسلامه. وهي من قصيدته التي مطلعها:: " عفت ذات الأصابع فالجواء ". والأبيات قرب نهاية القصيدة، وقبلها:
ألا أبلغ أبا سفيان عني ... مغلغلة فقد برح الخفاء
وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام طبعة الحلبي: ٤/ ٦٤ - ٦٦ .

(٥)كنع بالسيف: ضرب به حتى يبس جلده (اللسان).
تعني : الضربة التي ضربه إياها صفوان بن المعطل السلمي، حين بلغه عنه أنه يتكلم في ذلك ، فعلاه بالسيف ، وكاد أن يقتله. تفسير ابن كثير:٢٦/٦.

(٦) أخرجه الطبري:١١٧/١٩-١١٨.

(٧) أخرجه الطبري:١١٨/١٩.

(٨)هذا عجز بيت لحسان بن ثابت، من أبيات له في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه بعد أن نزلت براءتها في سورة النور، من الإفك الذي خاض فيه بعض الصحابة، وكان حسان من أشدهم خوضا فيه، حتى إذا حصحص الحق، وظهرت براءة أم المؤمنين ندم حسان واعتذر، وقال يمدحها في أبيات له. وصدر البيت *
حصان رزان ما تزن بريبة *
والحصان: العفيفة والرزان: الرزينة الثابتة التي لا يستخفها الطيش. وتزن ترمي وتتهم. والريبة: التهمة والشك. وغرثى: جائعة، يريد لا تغتاب النساء، والغوافل: جمع غافلة، وهي التي غفل قلبها عن الشر (وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ٣/ ٣١٩، ٣٢٠).

(٩) أخرجه الطبري:١١٨/١٩.

قال الطبري:" الذي تولى كبره من عصبة الإفك، كان عبد الله بن أبي، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير، أن الذي بدأ بذكر الإفك، وكان يجمع أهله ويحدثهم، عبد الله بن أبي ابن سلول، وفعله ذلك على ما وصفت كان توليه كبر ذلك الأمر"(١).

قال ابن كثير:" الأكثرون على أن المراد بذلك إنما هو عبد الله بن أبي بن سَلُول - قبحه الله ولعنه -"(٢).

القرآن

{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢)} [النور : ١٢]

التفسير:

هلا ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيرًا عند سماعهم ذلك الإفك، وهو السلامة مما رموا به، وقالوا في ذلك الحين: هذا كذبٌ ظاهر مبين.

قوله تعالى:{لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا} [النور : ١٢]، أي:" هلا ظن المؤمنون والمؤمنات بعضهم ببعض خيرًا عند سماعهم ذلك الإفك"(٣).

قال ابن كثير:" هلا { إِذْ سَمِعْتُمُوهُ } أي : ذلك الكلام ، أي : الذي رميت به أم المؤمنين { ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا } أي : قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم ، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى.. وهذا تأديب من الله للمؤمنين في قضية عائشة ، رضي الله عنها ، حين أفاض بعضهم في ذلك الكلام السيئ ، وما ذكر من شأن الإفك "(٤).

قوله تعالى:{وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ} [النور : ١٢]، أي:" وقالوا في ذلك الحين: هذا كذبٌ ظاهر مبين"(٥).

قال ابن كثير:" { وَقَالُوا } أي : بألسنتهم { هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ } أي : كذب ظاهر على أم المؤمنين ، فإن الذي وقع لم يكن ريبة ، وذلك أن مجيء أم المؤمنين راكبة جَهْرَة على راحلة صفوان بن المعطل في وقت الظهيرة ، والجيش بكماله يشاهدون ذلك ، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم ، لو كان هذا الأمر فيه ريبة لم يكن هكذا جَهْرَة ، ولا كانا يُقدمان على مثل ذلك على رؤوس الأشهاد ، بل كان يكون هذا - لو قُدر - خفية مستورا ، فتعيَّن أن ما جاء به أهل الإفك مما رَمَوا به أم المؤمنين هو الكذب البحت ، والقول الزور ، والرّعُونة الفاحشة الفاجرة والصفقة الخاسرة"(٦).

القرآن

{لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣)} [النور : ١٣]

التفسير:

هلا أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم، فحين لم يفعلوا ذلك فأولئك هم الكاذبون عند الله.

---

(١) تفسير الطبري:١٢٠/١٩.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٥/٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٥١.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٦/٦-٢٧.
(٥) صفوة التفاسير:٣٠٠/٢.
(٦) تفسير ابن كثير:٢٧/٦.

قوله تعالى:{لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ} [النور : ١٣]، أي:" هلا أتى القاذفون بأربعة شهود عدول على قولهم"(١).

قال ابن كثير:أي:" هلا { جَاءُوا عَلَيْهِ } أي : على ما قالوه { بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ } يشهدون على صحة ما جاءوا به "(٢).

قوله تعالى:{فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ} [النور : ١٣]، أي:" فإن عجزوا ولم يأتوا على دعواهم بالشهود، فأولئك هم المفسدون الكاذبون في حكم الله وشرعه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : في حكم الله كَذَبَةٌ فاجرون "(٤).

قال الصابوني:" وفيه توبيخٌ وتعنيف للذين سمعوا الإفك ولم ينكروه أول وهلة"(٥).

القرآن

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤)} [النور : ١٤]

التفسير:

ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمته لكم بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجِّل عقوبتكم، وتاب على مَن تاب منكم، لأصابكم بسبب ما خضتم فيه عذاب عظيم.

قوله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور : ١٤]، أي:" ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمته لكم بحيث شملكم إحسانه في دينكم ودنياكم فلم يعجِّل عقوبتكم، وتاب على مَن تاب منكم"(٦).

قال ابن كثير:" أيها الخائضون في شأن عائشة ، بأن قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا ، وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة "(٧).

قوله تعالى:{لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور : ١٤]، أي:" لأصابكم بسبب ما خضتم فيه من حديث الإفك عذاب شديد"(٨).

قال ابن كثير:أي:" من قضية الإفك ، { عَذَابٌ عَظِيمٌ }، وهذا فيمن عنده إيمان رزقه الله بسببه التوبة إليه ، كمِسْطَح ، وحسان ، وحَمْنَةَ بنت جحش ، أخت زينبَ بنت جحش. فأما من خاض فيه من المنافقين كعبد الله بن أبي بن سلول وأضرابه ، فليس أولئك مرادين في هذه الآية ؛ لأنه ليس عندهم من الإيمان والعمل الصالح ما يعادل هذا ولا ما يعارضه. وهكذا شأن ما يرد من الوعيد على فعل معين ، يكون مطلقًا مشروطا بعدم التوبة ، أو ما يقابله من عَمَل صالح يوازنُه أو يَرجح عليه"(٩).

قال القرطبي:" هذا عتاب من الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا"(١٠).

القرآن

---

(١) التفسير الميسر:٣٥١.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٧/٦.
(٣) صفوة التفاسير:٣٠٠/٢.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٧/٦.
(٥) صفوة التفاسير:٣٠٠/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٥١.
(٧) تفسير ابن كثير:٢٨/٦.
(٨) انظر: صفوة التفاسير:٣٠١/٢-٣٠٢، والتفسير الميسر:٣٥١.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٨/٦.
(١٠) تفسير القرطبي:٢٠٢/١٢.

{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥)} [النور : ١٥]

التفسير:

حين تتلقفون الإفك وتتناقلونه بأفواهكم، وهو قول باطل، وليس عندكم به علم، وهما محظوران: التكلم بالباطل، والقول بلا علم، وتظنون ذلك شيئًا هيِّنًا، وهو عند الله عظيم. وفي هذا زجر بليغ عن التهاون في إشاعة الباطل.

قوله تعالى:{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ} [النور : ١٥]، أي:" وذلك حين تتلقون الإفك ويأخذه بعضكم من بعض بالسؤال"[١].

قال الطبري:" تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه، ويرويه بعضكم عن بعض، يقال: تلقيت هذا الكلام عن فلان، بمعنى أخذته منه "[٢].

وفي قوله تعالى:{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ} [النور : ١٥]، وجهان:

أحدهما : هو أن تتحدث به وتلقيه بين الناس حتى ينتشر، فيقول هذا : سمعته من فلان ، وقال فلان كذا ، وذكر بعضهم كذا. وهذا قول سعيد بن جبير[٣]، ومجاهد[٤]، وقتادة[٥].

قال سعيد:" وذلك حين خاضوا في أمر عائشة فقال بعضهم: سمعت من فلان يقول كذا وكذا، وقال بعضهم: بلى كان كذا وكذا، فقال: تلقونه بألسنتكم، يعني: يرويه بعض، عن بعض، سمعتم من فلان، وسمعتم من فلان"[٦].

قال الفراء:" كان الرجل يلقى الآخر فيقول: أما بلغك كذا كذا فيذكر قصة عائشة لتشيع الفاحشة"[٧].

الثاني : أن يتلقاه بالقبول إذا حدث به ولا ينكره، ثم تلقيه بين الناس. وهذا قول أبي عبيدة[٨]، وابن قتيبة[٩].

قال أبو عبيدة: معناه:" تقبلونه ويأخذه بعضكم عن بعض، قال أبو مهدى[١٠]: تلقيت هذا عن عمّى تلقاه عن أبى هريرة تلقاه عن رسول الله ﷺ"[١١].

قال ابن قتيبة:" أي تقبلونه وتقولونه"[١٢].

وحكى ابن أبي مليكة أنه سمع عائشة تقرأ :«إِذْ تَلِقُونَه بِأَلْسِنَتِكُمْ»[١٣]، بكسر اللام مخففة وفي تفسير هذه القراءة وجوه :

أحدهما : ترددونه ، قاله اليزيدي[١٤].

الثاني : معناه إذ تسرعون بالكذب، يقال: ولق يلق إذا أسرع في الكذب وغيره. قاله الزجاج[١٥].

الثالث: إذ تستمرون في كذبكم عليها، وإفككم بألسنتكم، قاله الفراء[١٦].

---

(١) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.
(٢) تفسير الطبري:١٣٠/١٩.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٢٣٦):ص٢٥٤٨/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٣٢/١٩.
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٣٣/١.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٢٥٤٨/٨.
(٧) معاني القرآن:٢٤٧/٢-٢٤٨.
(٨) انظر: مجاز القرآن:٦٣/٢.
(٩) انظر: تأويل مشكل القرآن:٣٣.
(١٠)أبو مهدى: هو أحد فصحاء الأعراب. أنظر لسان الميزان ٦/ ٤٤٣.
(١١) مجاز القرآن:٦٣/٢.
(١٢)تأويل مشكل القرآن:٣٣.
(١٣)صحيح البخاري برقم (٤١٤٤ ، ٤٧٥٢).
(١٤) انظر: النكت والعيون:٨٢/٤.
(١٥)انظر: معاني القرآن:٣٨/٤ .
(١٦) انظر: معاني القرآن:٢٤٨/٢.

قال الفراء:" إذا استمر في السير والكذب فقد ولق. وقال الشاعر [١]:
إن الجليد زلق وزملق ... جاءت به عنس من الشام تلق
مجوع البطن كلابي الخلق"[٢].
قال ابن قتيبة:" {تلقونه} من :الولق، وهو الكذب، لأنهم قبلوه وقالوه، وهو كذب"[٣].
عن ابن أبي مليكة، عن عائشة" أنها كانت تقرأ : «إِذْ تَلِقُونَه»، وتقول : إنما هو وَلَق القول - والوَلَق : الكذب. قال ابن أبي مليكة: هي أعلم به من غيرها"[٤].
وقالت عائشة-رضي الله عنها-:" إنما كانوا يلقون الكذب"[٥].
قال ابن كثير: " القراءة الأولى أشهر ، وعليها الجمهور ، ولكن الثانية مَرْويَّة عن أم المؤمنين عائشة"[٦].
قوله تعالى:{وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ} [النور : ١٥]، أي:" وتقولون ما ليس له حقيقة في الواقع، وإنما هو محض كذبٍ وبهتان"[٧].
قال ابن كثير:" أي : تقولون ما لا تعلمون"[٨].
قال الطبري:" وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تروونه، فتقولون: سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا، ولا تعلمون حقيقة ذلك ولا صحته"[٩].
عن سعيد بن جبير، قوله: "{بأفواهكم}، يعنى: بألسنتكم، يعنى: من قذفوها، قوله :"{ما ليس لكم به علم}، يعنى: من غير أن تعلموا أن الذي قلتم من القذف حق"[١٠].
قال الحسن:" القذف قذفان، أحدهما أن تقول: إن فلانة زانية. هذا فيه الحد. والآخر أن تقول: إن الناس يقولون إن فلانة زانية. فليس في هذا حد"[١١].
قوله تعالى:{وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور : ١٥]، أي:" وتظنونه ذنباً صغيراً لا يلحقكم فيه إثم والحال أنه عند الله من أعظم الموبقات والجرائم"[١٢].
عن سعيد بن جبير، قوله: " {وتحسبونه هينا}، وتحسبون القذف هينا، {وهو عند الله عظيم}، يعنى: في الوزر"[١٣].
قال الطبري:" وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بألسنتكم، وتلقيكموه بعضكم عن بعض هين سهل، لا إثم عليكم فيه ولا حرج، وتلقيكم ذلك كذلك وقولكموه بأفواهكم، عند الله عظيم من الأمر؛ لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله ﷺ وحليلته"[١٤].
قال ابن كثير:" أي : تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين ، وتحسبون ذلك يسيرا [سهلا ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هَيِّنا ، فكيف وهي زوجة النبي الأمي ، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ، فعظيم عند الله أن يقال في زوجة رسوله ما قيل! الله يغار لهذا ، وهو سبحانه

(١)هو الشماخ. يقوله فى هجو جليد الكلابي على ما فى اللسان فى (ولق) . ونسب فيه فى (زلق) إلى القلاخ ابن ابن حزن المنقري. والزملق: الذي ينزل قبل أن يجامع. والزملق: الخفيف الطائش. والعنس: الناقة الصلبة.
(٢) معاني القرآن:٢/٢٤٨.
(٣) تأويل مشكل القرىن:٣٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٦/٢٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٩/١٣١.
(٦) تفسير ابن كثير:٦/٢٨.
(٧) صفوة التفاسير:٢/٣٠١.
(٨) تفسير ابن كثير:٦/٢٨.
(٩) تفسير الطبري:١٩/١٣٢.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٨/٢٥٤٨.
(١١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤٣٣.
(١٢) صفوة التفاسير:٢/٣٠١.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٨/٢٥٤٨-٢٥٤٩.
(١٤) تفسير الطبري:١٩/١٣٢.

وتعالى ، لا يُقَدِّر على زوجة نبي من أنبيائه ذلك ، حاشا وكَلا ولما [لم يكن ذلك فكيف يكون هذا في سيدة نساء الأنبياء ، وزوجة سيد ولد آدم على الإطلاق في الدنيا والآخرة ؟!"[١].

وفي الحديث:«إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سَخَط الله ، لا يدري ما تَبْلُغ ، يهوي بها في النار أبْعَد ما بين السماء والأرض». وفي رواية : «لا يلقي لها بالا"»[٢].

قال في التسهيل: "عاتبهم تعالى على ثلاثة أشياء:

الأول: تلقيه بالألسنة: أي: السؤال عنه وأخذه من المسؤول.

والثاني: قولهم ذلك.[أي: التكلم به].

والثالث: أنهم حسبوه هينا وهو عند الله عظيم، وفائدة قوله بألسنتكم وبأفواهكم الإشارة إلى أن ذلك الحديث كان باللسان دون القلب، إذ كانوا لم يعلموا حقيقته بقلوبهم"[٣].

القرآن

{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ (١٦)} [النور : ١٦]

التفسير:

وهلا قلتم عند سماعكم إياه: ما يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب، تنزيهًا لك - يارب - مِن قول ذلك على زوجة رسولك محمد ﷺ، فهو كذب عظيم في الوزر واستحقاق الذنب.

سبب النزول:

عن عطاء الخراساني، عن الزهري، عن عروة: "أن عائشة رضي الله عنها حدثته بحديث الإفك وقالت فيه: وكان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته فقالت: يا أبا أيوب، ألم تسمع بما يتحدث الناس؟ قال: وما يتحدثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك هذا بهتان عظيم. قالت: فأنزل الله عز وجل: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}"[٤].

قوله تعالى:{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا} [النور : ١٦]، أي:" وهلا قلتم عند سماعكم إياه: ما يَحِلُّ لنا الكلام بهذا الكذب"[٥].

قال الطبري:" {ولولا} أيها الخائضون في الإفك الذي جاءت به عصبة منكم، {إذ سمعتموه} ممن جاء به {قلتم} ما يحل لنا أن نتكلم بهذا، وما ينبغي لنا أن نتفوه به"[٦].

قال الحسن:" قالوا: هذا لا ينبغي لنا أن نتكلم به، إلا من قام عليه أربعة من الشهود، أو أقيم عليه حد الزنا"[٧].

عن سعيد بن جبير، قوله: " قوله: {لولا إذ سمعتموه}، يعنى: القذف، {قلتم ما يكون لنا}، يعنى: ألا قلتم: ما يكون لنا، يعنى: ما ينبغي لنا، {أن نتكلم بهذا}، يعنى: القذف، ولم تره أعيننا"[٨].

قال ابن كثير:" هذا تأديب آخر بعد الأول : الآمر بالظن خيرا أي : إذا ذكر ما لا يليق من القول في شأن الخيرة فأولى ينبغي الظن بهم خيرا ، وألا يشعر نفسه سوى ذلك ، ثم إن عَلِق

---

(١) تفسير ابن كثير:٢٨/٦.

(٢)صحيح البخاري برقم (٦٤٧٨) وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٨) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل:.

(٤) أخرجه الواحدي في أسباب النزول:٣٣٣. إسناده ضعيف: عطاء الخراساني: قال الحافظ في التقريب: صدوق يهم كثيرا ويرسل ويدلس.

وأخرجه الطبري (١٩/ ١٢٩) من طريق محمد بن إسحاق. وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ٣٣) لابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر.

(٥) التفسير الميسر:٣٥١.

(٦) تفسير الطبري:١٣٢/١٩.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٧):ص٢٥٤٩/٨.

(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٦):ص٢٥٤٩/٨.

بنفسه شيء من ذلك - وسوسةً أو خيالا - فلا ينبغي أن يتكلم به ، فإن رسول الله ﷺ قال : «إن الله تجاوز لأمتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل»[١]"[٢].

قوله تعالى:{سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور : ١٦]، أي:" سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة رسول الله الطاهرة البريئة فإن هذا الافتراء كذبٌ واضح، عظيم في الوزر واستحقاق الذنب"[٣].

قال يحيى:أي:" كذب عظيم"[٤].

قال الطبري:" تنزيها لك يا رب وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء، هذا القول بهتان عظيم"[٥].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: ألا قلتم، سبحانك هذا بهتان عظيم، يعنى: ألا قلتم: هذا كذب بهتان عظيم، مثل ما قال سعد بن معاذ الأنصاري، وذلك أن سعدا لما سمع قول من خاض في أمر عائشة فقال: سبحانك هذا بهتان عظيم، والبهتان: الذي يبهت فيقول ما لم يكن"[٦].

قال السمعاني:" البهتان: هو الكذب على المكابرة، يقال: بهته إذا أخبرته بكذبه"[٧].

عن ابن عباس: "«سبحان»، قال: تنزيه الله نفسه، عن السوء"[٨].

القرآن

{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧)} [النور : ١٧]

التفسير:

يذكِّركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدًا لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب، إن كنتم مؤمنين به.

قوله تعالى:{يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا} [النور : ١٧]، أي:" يذكِّركم الله وينهاكم أن تعودوا أبدًا لمثل هذا الفعل من الاتهام الكاذب"[٩].

قال ابن عباس:" يحرج الله أن تعودوا لمثله أبدا"[١٠].

وقال مجاهد:"ينهاكم"[١١].

قال سعيد بن جبير:" ثم وعظ الله الذين خاضوا في أمر عائشة، فقال: {يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا}، يعني: القذف"[١٢].

قال الطبري:" يذكركم الله وينهاكم بآي كتابه، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقيكم الإفك الذي روي عليها بألسنتكم، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : ينهاكم الله متوعِّدًا أن يقع منكم ما يشبه هذا أبدًا ، أي : فيما يستقبل"[١٤].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور : ١٧]، أي:" إن كنتم حقاً مؤمنين"[١].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٥٢٦٩) وصحيح مسلم برقم (١٢٧) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.
(٢) تفسير ابن كثير:٢٩/٦.
(٣) انظر: صفوة التفاسير:٣٠١/٢، والتفسير الميسر:٣٥١.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٣٤/١.
(٥) تفسير الطبري:١٣٢/١٩.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٩):ص٢٥٤٩/٨.
(٧) تفسير السمعاني:٥١٢/٣.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٣٨):ص٢٥٤٩/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٥١.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤٠):ص٢٥٤٩/٨.
(١١) أوردخ السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى الفريابي والطبراني..
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤١):ص٢٥٤٩/٨.
(١٣) تفسير الطبري:١٣٢/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:٢٩/٦.

قال سعيد بن جبير:"يعني مصدقين"[٢].

قال الطبري:" يذكركم الله وينهاكم بآي كتابه، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة من تلقيكم الإفك الذي روي عليها بألسنتكم، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا"[٣].

قال ابن كثير:" يقول: إن كنتم تتعظون بعظات الله، وتأتمرون لأمره، وتنتهون عما نهاكم عنه"[٤].

قال الصابوني:" فإن الإيمان وازع عن مثل البهتان، وفيه حثٌ لهم على الاتعاظ وتهييج"[٥].

قال ابن زيد:" والذي هو خير لنا من هذا، أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه، لولا أن الله أعلمناه لهلكنا كما هلك القوم، أن يقول الرجل: أنا سمعته ولم أخترقه ولم أتقوله، فكان خيرا حين أعلمناه الله، لئلا ندخل في مثله أبدا، وهو عند الله عظيم"[٦].

القرآن

{وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)} [النور : ١٨]

التفسير:

ويبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية والمواعظ، والله عليم بأفعالكم، حكيم في شرعه وتدبيره.

قوله تعالى:{وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} [النور : ١٨]، أي:" ويبين الله لكم الآيات المشتملة على الأحكام الشرعية والمواعظ"[٧].

قال الطبري:" ويفصل الله لكم حججه عليكم بأمره ونهيه، ليتبين المطيع له منكم من العاصي"[٨].

قال ابن كثير:" أي : يوضح لكم الأحكام الشرعية والحِكَمَ القَدَريّة "[٩].

قال سعيد بن جبير:" يعني: ما ذكر من المواعظ"[١٠].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور : ١٨]، أي:" والله عليم بأفعالكم، حكيم في شرعه وتدبيره"[١١].

قال يحيى:" {عليم} بخلقه، {حكيم} في أمره"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : عليم بما يصلح عباده ، حكيم في شَرْعه وقَدَره"[١٣].

قال الطبري:" {والله عليم} بكم وبأفعالكم، لا يخفى عليه شيء، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته، {حكيم} في تدبير خلقه، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال"[١٤].

---

(١) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤١):ص٢٥٤٩/٨.
(٣) تفسير الطبري:١٣٢/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:٢٩/٦.
(٥) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.
(٦) أخرجه الطبري:١٣٣/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٥١.
(٨) تفسير الطبري:١٣٣/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٢٩/٦.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤١):ص٢٥٤٩/٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٥١.
(١٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٣٤/١.
(١٣) تفسير ابن كثير:٢٩/٦.
(١٤) تفسير الطبري:١٣٣/١٩.

فوائد الآيات:[١١-١٨]:
١- قضاء الله تعالى للمؤمن كله خير له.
٢- بشاعة الإفك وعظيم جرمه.
٣- العقوبة على قدر الجرم كبراً وصغراً قلة وكثرة.
٤- واجب المؤمن أن لا يصدق من يرمي مؤمناً بفاحشة، وأن يقول له هل تستطيع أن تأتي بأربعة شهداء على قولك فإن قال لا قال له إذاً أنت عند الله من الكاذبين.
٥- حرمة القول بدون علم والخوض في ذلك.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)} [النور : ١٩]

التفسير:

إن الذين يحبون شيوع الفاحشة في المسلمين من قَذْف بالزنى أو أي قول سيِّئ لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وغيره من البلايا الدنيوية، ولهم في الآخرة عذاب النار إن لم يتوبوا، والله -وحده- يعلم كذبهم، ويعلم مصالح عباده، وعواقب الأمور، وأنتم لا تعلمون ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا} [النور : ١٩]، أي:" إن الذين يحبون شيوع الفاحشة في المسلمين من قَذْف بالزنى أو أي قول سيِّئ لهم"[١].

قال الطبري: يقول:" إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ويظهر ذلك فيهم"[٢].

مجاهد، قوله: "{يحبون أن تشيع الفاحشة}، قال: تظهر في شأن عائشة"[٣].

عن سعيد بن جبير قوله: "{أن تشيع الفاحشة}، يعنى: أن تفشو وتظهر، و«الفاحشة»: الزنا، {في الذين آمنوا}، يعنى: صفوان وعائشة"[٤]

قال ابن زيد:" الخبيث عبد الله بن أبي ابن سلول، المنافق، الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية"[٥].

عن عثمان ابن معدان، عن عبد الله بن أبي زكريا قال: "سأله رجل، عن هذه الآية: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا}، قال: هو الرجل الذي يحل في أخيه وغيره من يشتهي ذلك، فلا ينكر عليه، قال يحيى: كأنه يغتابه"[٦].

قال خالد بن معدان: "من حدث ما أبصرته عيناه وسمعته أذناه، فهو من {الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا}"[٧].

قال عطاء:" من أشاع الفاحشة، فعليه النكال، وإن كان صادقا"[٨].

قوله تعالى:{لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور : ١٩]، أي:" لهم عذاب موجع مؤلم في الدنيا فإقامة الحدِّ، وفي الآخرة بعذاب جهنم"[٩].

---

(١) التفسير الميسر:٣٥١.
(٢) تفسير الطبري:١٣٣/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:١٣٤/١٩.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤٦):ص٢٥٥٠/٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٣٤/١٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤٧):ص٢٥٥٠/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤٤):ص٢٥٥٠/٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤٨):ص٢٥٥٠/٨.
(٩) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.

قال الطبري: " يقول: لهم عذاب وجيع في الدنيا، بالحد الذي جعله الله حدا لرامي المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصرا على ذلك غير تائب"(١).

قال سعيد بن جبير:" فكان عذاب عبد الله بن أبي في الدنيا الحد، وفي الآخرة عذاب النار"(٢).

قال القشيري:" هؤلاء فى استحقاق الذم أقبح منزلة، وأشد وزرا حيث أحبوا افتضاح المسلمين، ومن أركان الدين مظاهرة المسلمين، وإعانة أولى الدين، وإرادة الخير لكافة المؤمنين. والذي يود فتنة للمسلمين فهو شر الخلق، والله لا يرضى منه بحاله، ولا يؤهله لمنال خلاصة التوحيد"(٣).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النور : ١٩]، أي:" هو تعالى عالمٌ بالخفايا والنوايا وأنتم لا تعلمون ذلك"(٤).

قال الضحاك:" يعلم وجد كل واجد بصاحبه ما لا تعلمون"(٥).

قال الطبري: يقول:" والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك، لأنكم لا تعلمون الغيب، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب. يقول: فلا ترووا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله، ولا سيما على حلائل رسول الله ﷺ فتهلكوا"(٦).

القرآن

{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)} [النور : ٢٠]

التفسير:

ولولا فَضْلُ الله على مَن وقع في حديث الإفك ورحمته بهم، وأن الله يرحم عباده المؤمنين رحمة واسعة في عاجلهم وآجلهم، لما بيَّن هذه الأحكام والمواعظ، ولَعاجل مَن خالف أمره بالعقوبة.

قال الطبري: يقول: "ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم، وأن الله ذو رأفة، ذو رحمة بخلقه لهلكتم فيما أفضتم فيه، وعاجلتكم من الله العقوبة"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لولا هذا لكان أمر آخر ، ولكنه تعالى رؤوف بعباده ، رحيم بهم. فتاب على من تاب إليه من هذه القضية وطَهَّر من طَهَّر منهم بالحد الذي أقيم عليه"(٨).

قال يحيى:" أي: لأهلكهم فاستأصلهم. يعني: الذين قالوا ما قالوا، وليس يعني بـ«الفضل والرحمة» عبد الله بن أبي ابن سلول فيهم. وقد ذكره بعد هذه الآية أنه في النار، قال: {وأن الله رءوف رحيم} بالمؤمنين"(٩).

قال البغوي:" جواب {لولا} محذوف، أي: لعاجلكم بالعقوبة"(١٠).

قال ابن عباس:" يريد مسطحا، وحسان، وحمنة"(١١).

قال سعيد: "{ولولا فضل الله عليكم ورحمته}، لعاقبكم فيما قلتم لعائشة، {وأن الله رؤف} يعنى: يرأف بكم، {رحيم} حين عفا فلم يعاقبكم فيما قلتم من القذف"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:١٣٣/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٤٩):ص٢٥٥٠/٨.
(٣) لطائف الإشارات:٦٠٠/٢.
(٤) صفوة التفاسير:٣٠١/٢.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٥٠):ص٢٥٥١/٨.
(٦) تفسير الطبري:١٣٣/١٩.
(٧) تفسير الطبري:١٣٣/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٩) تفسيريحيى بن سلام:٤٣٤/١.
(١٠) تفسير البغوي:٢٦/٦.
(١١) نقلا عن تفسير البغوي:٢٦/٦.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٥١):ص٢٥٥١/٨.

قال النسفي:" وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب مع حذف الجواب مبالغة في المنة عليهم والتوبيخ لهم"[١].

قال القشيري:" كرر قوله: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته..}، ليبين للجميع أن حسن الدفع عنهم كان بفضله ورحمته وجميل المنح لهم، وكل يشهد حسن المنح ويشكر عليه، وعزيز عبد يشهد حسن الدفع عنه فيحمده على ذلك"[٢].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)} [النور : ٢١]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تسلكوا طرق الشيطان، ومَن يسلك طرق الشيطان فإنه يأمره بقبيح الأفعال ومنكراتها، ولولا فَضْلُ الله على المؤمنين ورحمته بهم ما طَهُرَ منهم أحد أبدًا مِن دنس ذنبه، ولكن الله -بفضله- يطهر من يشاء. والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [النور : ٢١]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمؤمنين به: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"[٤].

قال ابن عباس:" ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يا أيها الذين آمنوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"[٥].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك[يعني استمع لها]؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"[٢].

وقال جعفر الصّادق -رضي الله عنه-:" لذة «يا» في النداء أزال تعب العبادة والعناء"[٦].

قوله تعالى:{لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [النور : ٢١]، أي:" لا تسلكوا طرق الشيطان"[٧].

قال الطبري:" لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه، ولا تقتفوا آثاره، بإشاعتكم الفاحشة في الذين آمنوا"[٨].

قال ابن كثير:" يعني : طرائقه ومسالكه وما يأمر به"[٩].

وفي قوله تعالى:{لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [النور : ٢١]، وجوه من التفسير:

أحدها: أنها طاعته. قاله السدي[١٠]، والكلبي[١١].

الثاني: أنها خطاياه. قاله مجاهد[١]. وروي عن قتادة[٢]، والضحاك[٣] نحو ذلك.

---

(١) تفسير النسفي:٤٩٥/٢.
(٢) لطائف الإشارات:٦٠٠/٢.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٢.
(٤) تفسير الطبري:١٣٤/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١.
(٦) تفسير الثعلبي: ٦١/٢.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٢.
(٨) تفسير الطبري:١٣٤/١٩.
(٩) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري(٢٤٤٣):ص ٣٠٢/٣.
(١١) تفسير الثعلبي:٣٨/٢.

الثالث: أنها : النذور في المعاصي. رواه سعيد بن منصور(٤) عن أبي مِجْلَزَ(٥)، وروي عن الشعي(٦)، وابن مسعود(٧)، وعبدالله بن عمر(٨)، نحو ذلك.
الرابع: أنها نزغات الشيطان. قاله عكرمة(٩).
الخامس: أنها عمله. قاله ابن عباس(١٠).
السادس: أنها طرقه. قاله القتيبي(١١) والزجاج(١٢).
قال الزجاج:" أي: لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم إليه الشيطان"(١٣).
السابع: أنها المحقرات من الذنوب. قاله أبو عبيد(١٤).
الثامن: أنها زلاته وشهواته. حكاه الثعلبي عن ابن عباس(١٥).
قال أبو حيان:" وهذه أقوال متقاربة المعنى صدرت من قائلها على سبيل التمثيل. والمعنى بها كلها النهي عن معصية الله ، وكأنه تعالى لما أباح لهم الأكل من الحلال الطيب ، نهاهم عن معاصي الله وعن التخطي إلى أكل الحرام ، لأن الشيطان يلقي إلى المرء ما يجري مجرى الشبهة ، فيزين بذلك ما لا يحل ، فزجر الله عن ذلك"(١٦).
قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [النور : ٢١]، أي:" ومَن يسلك طرق الشيطان فإنه يأمره بقبيح الأفعال ومنكراتها"(١٧).
قال الطبري:" فإن الشيطان يأمر بالفحشاء، وهي الزنا، والمنكر من القول"(١٨).
قال ابن كثير:" هذا تنفير وتحذير من ذلك، بأفصح العبارة وأوجزها وأبلغها وأحسنها"(١٩).
قوله تعالى:{وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا} [النور : ٢١]، أي:" ولولا فَضْلُ الله على المؤمنين ورحمته بهم ما طَهُرَ منهم أحد أبدًا مِن دنس ذنبه"(٢٠).
قال الطبري: يقول:" ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم، ما تطهر منكم من أحد أبدا من دنس ذنوبه وشركه"(٢١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري(٢٤٣٩)، و(٢٤٤٠):ص ٣٠١/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري(٢٤٤١):ص ٣٠٢/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٤٢):ص ٣٠٢/٣.
(٤) في سننه-تحقيق الحميد-: ٦٤٣/٢ رقم: ٢٤٢، وأخرجه الطبري(٢٤٤٤):ص٣٠٢/٣، وابن أبي حاتم في(١٥٠٧):ص ٢٨١/١، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٠٥/١ لعبد بن حميد وأبي الشيخ، وسنده صحيح كما ذكر الحميد في تحقيقه لسنن سعيد بن منصور: ٦٤٤/٢.
(٥) هو: أبو مِجْلَز لاحق بن سعيد السدوسي البصري، إمام تابعي ثقة مشهور بكنيته، توفي عام: ١٠٩هـ، وقيل: قبل ذلك، انظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ١٢٤/٩، تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٧١/١١، تقريب التهذيب له أيضاً: ١٠٤٦.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٤):ص٢٨٠/١.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٣):ص٢٨٠/١.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٢):ص٢٨٠/١.
(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٥٠٦):ص٢٨٠/١، وانظر تفسير عبد الرزاق ١/ ٨٣.
(١٠) تفسير الطبري(٢٤٣٨):ص ٣٠١/٣.
(١١) انظر: تفسير الثعلبي:٣٨/٢.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٤١/١.
(١٣) معاني القرآن: ٢٤١/١.
(١٤) انظر: تفسير الثعلبي:٣٨/٢.
(١٥) انظر: تفسير الثعلبي:٣٨/٢.
(١٦) البحر المحيط: ٤٧٩/١.
(١٧) التفسير الميسر:٣٥٢.
(١٨) تفسير الطبري:١٣٤/١٩.
(١٩) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٢٠) التفسير الميسر:٣٥٢.
(٢١) تفسيرالطبري:١٣٥/١٩.

قال ابن كثير:" أي : لولا هو يرزق من يشاء التوبة والرجوع إليه ، ويزكي النفوس من شركها وفجورها ودسها وما فيها من أخلاق رديئة ، كل بحسبه ، لما حصل أحد لنفسه زكاة ولا خيرا "[١].

قال ابن عباس:" يقول: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئا من الشر يدفعه عن نفسه"[٢].

قال ابن زيد:" {ما زكى}: ما أسلم، كل شيء في القرآن من ز«كى» أو «تزكى»، فهو الإسلام"[٣].

قال ابن قتيبة:" {ما زكا منكم من أحد} أي: ما طهر"[٤].

قال مقاتل ويحيى بن سلام:" يعني: ما صلح منكم"[٥].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ} [النور : ٢١]، أي:" ولكن الله -بفضله- يطهر من يشاء"[٦].

قال الطبري: يقول:" ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه"[٧].

قال ابن قتيبة:" أي: يطهر"[٨].

قال مقاتل ويحيى بن سلام:" يعنى: بصلح من يشاء""[٩]..

قال ابن كثير:" أي : من خلقه ، ويضل من يشاء ويرديه في مهالك الضلال والغي"[١٠].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور : ٢١]، أي:"والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأفعالكم"[١١].

قال مقاتل:" {والله سميع} لقولهم لعائشة، {عليم} به"[١٢].

قال الطبري:" يقول: والله سميع لما تقولون بأفواهكم، وتلقونه بألسنتكم، وغير ذلك من كلامكم، عليم بذلك كله وبغيره من أموركم، محيط به، محصيه عليكم، ليجازيكم بكل ذلك"[١٣].

قال ابن كثير:" {وَاللَّهُ سَمِيعٌ}، أي : سميع لأقوال عباده، {عليم} بهم ، مَنْ يستحق منهم الهدى والضلال"[١٤].

القرآن

{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢)} [النور : ٢٢]

التفسير:

ولا يحلف أهل الفضل في الدين والسَّعَة في المال على ترك صلة أقربائهم الفقراء والمحتاجين والمهاجرين، ومنعهم النفقة؛ بسبب ذنب فعلوه، ولْيتجاوزوا عن إساءتهم، ولا يعاقبوهم. ألا

---

(١) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٢) أخرجه الطبري:١٣٥/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:١٣٥/١٩.
(٤) غريب القرآن:٣٠٢.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٢/٣، وتفسير يحيى بن سلام:٤٣٥/١.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٢.
(٧) تفسيرالطبري:١٣٥/١٩.
(٨) غريب القرآن:٣٠٢.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٢/٣، وتفسير يحيى بن سلام:٤٣٥/١.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(١١) التفسير الميسر:٣٥٢.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٢/٣.
(١٣) تفسيرالطبري:١٣٥/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:٣١/٦.

تحبون أن يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم. والله غفور لعباده، رحيم بهم. وفي هذا الحثُّ على العفو والصفح، ولو قوبل بالإساءة.

قوله تعالى:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [النور : ٢٢]، أي:" ولا يحلف أهل الفضل في الدين والسَّعَة في المال على ترك صلة أقربائهم الفقراء والمحتاجين والمهاجرين، ومنعهم النفقة؛ بسبب ذنب فعلوه"(١).

قال ابن عباس:" يقول: لا تقسموا ألا تنفعوا أحدا"(٢).

قال ابن كثير:" أي : لا تحلفوا ألا تصلوا قراباتكم المساكين والمهاجرين. وهذه في غاية الترفق والعطف على صلة الأرحام"(٣).

قال الفراء:" «الائتلاء»: الحلف"(٤).

قال الطبري:" وإنما عني بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه في حلفه بالله لا ينفق على مسطح، فقال جل ثناؤه: ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون بالله ألا يعطوا ذوي قرابتهم، فيصلوا به أرحامهم، كمسطح، وهو ابن خالة أبي بكر {والمساكين}، يقول: وذوي خلة الحاجة، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان فقيرا محتاجا {والمهاجرين في سبيل الله}، وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله، وكان مسطح منهم؛ لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة، وشهد مع رسول الله ﷺ بدرا"(٥).

قال ابن عباس:" كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد رموا عائشة بالقبيح، وأفشوا ذلك وتكلموا به، فأقسم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، فيهم أبو بكر، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله، فقال: لا يقسم أولو الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم، وأن يعطوهم من أموالهم كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك. فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفى عنهم"(٦).

قال الضحاك:" لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين، والله لا نصل رجلا منهم تكلم بشيء من شأن عائشة ولا ننفعه، فأنزل الله :{ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة}، يقول: ولا يحلف"(٧).

عن ابن زيد:" قوله: {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى}، قال: كان مسطح ذا قرابة. {والمساكين} قال: كان مسكينا {والمهاجرين في سبيل الله} كان بدريا"(٨).

وقرئ:«ولا يتألّ»(٩).

قوله تعالى:{وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا} [النور : ٢٢]، أي:" ولْيتجاوزوا عن إساءتهم، ولا يعاقبوهم"(١٠).

قال الطبري:" يقول: وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم، وذلك كجرم مسطح إلى أبي بكر في إشاعته على ابنته عائشة ما أشاع من الإفك، وليتركوا عقوبتهم على ذلك، بحرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه من الإفضال عليهم"(١١).

قال ابن كثير:" أي : عما تقدم منهم من الإساءة والأذى ، وهذا من حلمه تعالى وكرمه ولطفه بخلقه مع ظلمهم لأنفسهم "(١).

---

(١) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٢) أخرجه الطبري:١٣٧/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٤) معاني القرآن:٢٤٨/٢.
(٥) تفسيرالطبري:١٣٦/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٣٧/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:١٣٧/١٩.
(٨) أخرجه الطبري:١٣٧/١٩.
(٩) انظر: غريب القرن:٣٠٢.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(١١) تفسيرالطبري:١٣٦/١٩.

قال سهل بن عبدالله:" يعني: وليعفوا عن ظلم الناس لهم. وحكي عن سفيان الثوري أنه قال: أوحى الله تعالى إلى عزير أنك إن لم تطب نفسا أن تكون مضغة في أفواه الآدميين، لم أكتبك عندي من المتواضعين. قال: فقال عزير: إلهي، فما علامة من صافيته في مودتك. فقال: أقنعه بالرزق اليسير، وأحركه للخطر العظيم، قليل المطعم، كثير البكاء، يستغفرني بالأسحار، ويبغض في الفجار"[٢].

عن سعيد بن جبير، قوله: {وليصفحوا}- يعني: وليتجاوزوا، عن مسطح بن أثاثة"[٣].

عن سعيد بن جبير: قال: "قال النبي ﷺ لأبي بكر: فاعف، فقال أبو بكر: قد عفوت وصفحت، لا أمنعه معروفا بعد اليوم"[٤].

قال مقاتل بن حيان:" وكان مسطح من المسلمين، وكان من المساكين المهاجرين في سبيل الله، فأمر الله أبا بكر والذين حلفوا معه أن ينفقوا على مسطح وليعفوا وليصفحوا"[٥].

قوله تعالى:{أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور : ٢٢]، أي:" ألا تحبون أن يتجاوز الله عنكم؟ فتجاوزوا عنهم"[٦].

قال الطبري:" يقول: ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم بإفضالكم عليهم، فيترك عقوبتكم عليها"[٧].

قال يحيى:" أي: فكما تحبون أن يغفر الله لكم فاعفوا واصفحوا"[٨].

قال سعيد بن جبير:" فقال النبي ﷺ لأبي بكر، أما تحب أن يغفر الله لك؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: فاعف واصفح، فقال أبو بكر: قد عفوت وصفحت، لا أمنعه معروفا بعد اليوم"[٩].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٢٢]، أي:" والله غفور لعباده، رحيم بهم. وفي هذا الحثُّ على العفو والصفح، ولو قوبل بالإساءة"[١٠].

قال سعيد بن جبير:" {والله غفور} للذنوب، {رحيم}، يعنى: بالمؤمنين"[١١].

قال الطبري:" {والله غفور} لذنوب من أطاعه واتبع أمره، {رحيم} بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة قد استغفروه منها، وتابوا إليه من فعلها"[١٢].

قال ابن كثير:" وهذه الآية نزلت في الصدِّيق ، حين حلف ألا ينفع مِسْطَح بن أثاثة بنافعة بعدما قال في عائشة ما قال ، كما تقدم في الحديث. فلما أنزل الله براءةَ أم المؤمنين عائشة ، وطابت النفوس المؤمنة واستقرت ، وتاب الله على مَن كان تكلم من المؤمنين في ذلك ، وأقيم الحد على مَن أقيم عليه - شَرَع تبارك وتعالى ، وله الفضل والمنة ، يعطفُ الصدِّيق على قريبه ونسيبه ، وهو مِسْطَح بن أثاثة ، فإنه كان ابن خالة الصديق ، وكان مسكينًا لا مال له إلا ما ينفق عليه أبو بكر ، رضي الله عنه ، وكان من المهاجرين في سبيل الله ، وقد وَلَق وَلْقَة تاب الله عليه منها ، وضُرب الحد عليها. وكان الصديق ، رضي الله عنه ، معروفًا بالمعروف ، له الفضل والأيادي على الأقارب والأجانب. فلما نزلت هذه الآية إلى قوله : { أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ

---

(١) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٢) تفسير التستري:١١١.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٨١):ص٢٥٥٦/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٨٠):ص٢٥٥٦/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٧٨):ص٢٥٥٥/٨.
(٦) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٧) تفسيرالطبري:١٣٦/١٩.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٣٥/١.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٨٢):ص٢٥٥٦/٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٨٣).:ص٢٥٥٦/٨
(١٢) تفسيرالطبري:١٣٦/١٩.

اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } أي : فإن الجزاء من جنس العمل ، فكما تغفر عن المذنب إليك نغفر لك ، وكما تصفح نصفح عنك. فعند ذلك قال الصديق : بلى ، والله إنا نحب - يا ربنا - أن تغفر لنا. ثم رَجَع إلى مسطح ما كان يصله من النفقة ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدًا ، في مقابلة ما كان قال : والله لا أنفعه بنافعة أبدًا ، فلهذا كان الصدّيق هو الصديق [رضي الله عنه وعن بنته"[1].

فوائد الآيات:[١٩-٢٢]:

١- لقبح فاحشة الزنى وضع الله تعالى لمقاومتها أموراً منها وضع حد شرعي لها، ومنع تزويج الزاني من عفيفة أو عفيفة من زانٍ إلا بعد التوبة، ومنها شهود عدد من المسلمين إقامة الحد ومنها حد القذف ومنها اللعان بين الزوجين، ومنها حرمة ظن السوء بالمؤمنين، ومنها حرمة حب ظهور الفاحشة وإشاعتها في المؤمنين. ومنها وجوب الاستئذان عند دخول البيوت المسكونة، ومنها وجوب غض البصر وحرمة النظر إلى الأجنبية، ومنها احتجاب المؤمنة عن الرجال الأجانب ومنها حرمة حركة ما كضرب الأرض بالأرجل لإظهار الزينة. ومنها وجوب تزويج العزاب والمساعدة على ذلك حتى في العبيد بشروطها. ومنها وجوب استئذان الأطفال إذا بلغوا الحلم، وهذه وغيرها كلها أسباب واقية من أخطر فاحشة وهي الزنى.

٢- حرمة إتباع الشيطان فيما يزينه من الباطل والسوء والفحشاء والمنكر.

٣- متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.

٤- على من حفظهم الله من الوقوع في السوء أن يتطامنوا ولا يشعروا بالكبر فإن عصمتهم من الله تعالى لا من أنفسهم.

٥- من حلف على شيء لا يفعله أو يفعله ورأى أن غيره خيرٌ منه كفر عن يمينه وفعل الذي هو خير.

٦- وجوب العفو والصفح على ذوي المروءات وإقالة عثرتهم إن هم تابوا وأصلحوا.

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٢٣)} [النور : ٢٣]

التفسير:

إن الذين يقذفون بالزنى العفيفات الغافلات المؤمنات اللاتي لم يخطر ذلك بقلوبهن، مطرودون من رحمة الله في الدنيا والآخرة، ولهم عذاب عظيم في نار جهنم. وفي هذه الآية دليل على كفر من سبَّ، أو اتهم زوجة من زوجات النبي ﷺ بسوء.

في سبب نزول الآية أربعة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في أم المؤمنين عائشة خاصة. قاله سعيد بن جبير[2]، ومقاتل بن حيان[3].

الثاني: أنها نزلت في أزواج النبي ﷺ خاصة دون غيرهن من النساء، قاله الضحاك[4]، وأبو الجوزاء[5].

الثالث: أنها نزلت في المهاجرات[6].

---

(١) تفسير ابن كثير:٣١/٦.
(٢) انظر: زاد المسير:٢٨٦/٣، وتفسير ابن كثير:٣٢/٦.
(٣) انظر:تفسير ابن كثير:٣٢/٦.
(٤) انظر: زاد المسير:٢٨٦/٣، وتفسير ابن كثير:٣٢/٦.
(٥) انظر:تفسير ابن كثير:٣٢/٦.
(٦) انظر: الكشف والبيان:٨٢/٧، وزاد المسير:٢٨٦/٣.

قال أبو حمزة الثمالي: "بلغنا أنها نزلت في مشركي أهل مكة إذ كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فكانت المرأة إذا خرجت الى رسول الله ﷺ إلى المدينة مهاجرة قذفها المشركون من أهل مكة وقالوا: إنما خرجت تفجر"(١).

الرابع: أنها عامة في أزواج النبي ﷺ وغيرهن، قاله ابن عباس(٢)، وبه قال قتادة، وابن زيد(٣).

قال ابن زيد:" هذا في عائشة، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات، فله ما قال الله، ولكن عائشة كانت إمام ذلك"(٤).

عن العوام بن حوشب، عن شيخ من بني أسد، عن ابن عباس، قال: "فسر سورة النور، فلما أتى على هذه الآية {إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات} ... الآية، قال: هذا في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ، وهي مبهمة، وليست لهم توبة، ثم قرأ {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء} ... إلى قوله: {إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا} ... الآية، قال: فجعل لهؤلاء توبة، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة، قال: فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور"(٥).

قال ابن كثير:" قوله : «وهي مبهمة»، أي : عامة في تحريم قذف كل محصنة ، ولَعْنته في الدنيا والآخرة"(٦).

قال الطبري: " نزلت هذه الآية في شأن عائشة، والحكم بها عام في كل من كان بالصفة التي وصفه الله بها فيها، لأنَّ الله عمَّ بقوله {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} كل محصنة غافلة مؤمنة رماها رام بالفاحشة، من غير أن يخص بذلك بعضًا دون بعض"(٧).

واختار ابن كثير هذا القول(٨)، وعضده بما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله -ﷺ- قال: «اجتنبوا السبع الموبقات » .. الحديث. وفيه: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»(٩).

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ} [النور : ٢٣]، أي:" إن الذين يقذفون بالزنى العفيفات الغافلات المؤمنات اللاتي لم يخطر ذلك بقلوبهن"(١٠).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {إن الذين يرمون} بالفاحشة {المحصنات}، يعني: العفيفات {الغافلات} عن الفواحش {المؤمنات} بالله ورسوله، وما جاء به من عند الله"(١١).

قال الزجاج:" ولم يقل –ههنا- «والمؤمنين» استغناء بأنه إذا رمى المؤمنة فلا بد أن يرمي فعها مؤمنا، فاستغنى عن ذكر المؤمنين لأنه قد جرى ذكر المؤمنين والمؤمنات، ودل ذكره المؤمنات على المؤمنين، كما قال: {سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَر} [النحل : ٨١] ولم يقل وتقيكم البرد، لأن ما كان وقى الحر وقى البرد، فاستغنى عن ذكر أحدهما بالآخر"(١٢).

قوله تعالى:{لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} [النور : ٢٣]، أي:" طرودا من رحمة الله في الدنيا والآخرة"(١٣).

قال الطبري:" يقول: أبعدوا من رحمة الله في الدنيا والآخرة"(١).

---

(١) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٨٢/٧.
(٢) رواه عنه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣٢/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٣٩/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:١٣٩/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:١٣٩/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٣٣/٦.
(٧) تفسير الطبري:١٤٠/١٩ .
(٨) انظر: تفسير ابن كثير:٣٣/٦.
(٩)صحيح البخاري برقم (٢٧٦٦) وصحيح مسلم برقم (٨٩).
(١٠) التفسير الميسر:٣٥١.
(١١) تفسير الطبري:١٣٨/١٩.
(١٢) معاني القرآن:٣٧/٤.
(١٣) التفسير الميسر:٣٥١.

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور : ٢٣]، أي:" ولهم عذاب عظيم في نار جهنم"[٢].

قال الطبري:" وذلك عذاب جهنم"[٣].

قال ابن كثير:"هذا وعيد من الله تعالى للذين يرمون المحصنات الغافلات - خُرِّج مخرج الغالب - المؤمنات. فأمهات المؤمنين أولى بالدخول في هذا من كل محصنة ، ولا سيما التي كانت سبب النزول ، وهي عائشة بنت الصديق ، رضي الله عنهما.

وقد أجمع العلماء ، رحمهم الله ، قاطبة على أن مَنْ سَبَّها بعد هذا ورماها بما رماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية ، فإنه كافر ؛ لأنه معاند للقرآن. وفي بقية أمهات المؤمنين قولان : أصحهما أنهن كهي ، والله أعلم"[٤].

القرآن

{يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٤)} [النور : ٢٤]

التفسير:

ذلك العذاب يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم بما نطقت، وتتكلم أيديهم وأرجلهم بما عملت.

وفي تفسير الآية، قولان:

أحدهما: أن المراد من قذف عائشة يوم القيامة. هذا قول سعيد بن جبير[٥].

قال يحيى:" بلغني أنه يعني بذلك عبد الله بن أبي ابن سلول في أمر عائشة"[٦].

قال الكلبي:" تشهد عليهم يوم القيامة ألسنتهم بما تكلموا به من الفرية في قذف عائشة"[٧].

الثاني: أن ذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب في الدنيا من الذنوب، عند تقرير الله إياه بها فيختم الله على أفواههم، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون. وهذا قول ابن عباس[٨]، وقتادة[٩]، والطبري[١٠].

قال الزجاج:" فالجوارح شواهدُ على ابن آدم بعمله"[١١].

قال السمعاني:" شهادة الألسنة يوم القيامة بنطقها من غير اختيار الإنسان، وتختم الأفواه ثم تتكلم الأيدي والأرجل"[١٢].

قال ابن عباس:" إنهم - يعني : المشركين - إذا رَأوا أنه لا يدخلُ الجنةَ إلا أهل الصلاة ، قالوا : تعالوا حتى نجحد. فيجحدون فيختم الله على أفواههم ، وتشهد أيديهم وأرجلهم ، ولا يكتمون الله حديثًا[١٣].

قال قتادة:" يعنى قوله: تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم ابن آدم والله إن عليك لشهودا غير متهمة، من بدنك فراقبهم، واتق الله في سرائرك وعلانيتك، فإنه لا يخفى عليه

---

(١) تفسير الطبري:١٣٨/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٥١.
(٣) تفسير الطبري:١٣٨/١٩.
(٤) تفسير ابن كثير:٣١/٦-٣٢.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٩٦):ص٢٥٥٨/٨.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٣٦/١.
(٧) نقلا عن التفسير الوسيط للواحدي:٣١٤/٣.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٩٨):ص٢٥٥٨/٨، وكما في تفسير ابن كثير:٣٣/٧.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٩٩):ص٢٥٥٨/٨-٢٥٥٩.
(١٠) تفسير الطبري:١٤٠/١٩.
(١١) معاني القرآن:٢٣٩/٣.
(١٢) تفسير السمعاني:٥١٥/٣.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٢٩٨):ص٢٥٥٨/٨، وكما في تفسير ابن كثير:٣٣/٧.

خافية، الظلمة عنده ضوء، والسر عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل، ولا قوة إلا بالله"(١).

عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ: "إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله، فجحد وخاصم، فيقال له: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك، فيقول: كذبوا، فيقول: أتحلفون؟ فيحلفون، ثم يصمتهم الله، وتشهد ألسنتهم ثم يدخلهم النار"(٢).

عن أنس بن مالك قال : كنا عند النبي ﷺ فضحك حتى بدت نَوَاجِذُه ، ثم قال : "أتدرون مِمَّ أضحك ؟" قلنا : الله ورسوله أعلم. قال : "من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : يا رب ، ألم تُجِرْني من الظلم ؟ فيقول : بلى. فيقول : لا أجيز عليَّ شاهدًا إلا من نفسي. فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، وبالكرام عليك شهودا فيختم على فيه ، ويقال لأركانه : انطقي فتنطق بعمله ، ثم يخلى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعدًا لَكُنّ وسُحْقًا ، فعنكُنَّ كنتُ أناضل"(٣).

قال الطبري:" فإن قال قائل: وكيف تشهد عليهم ألسنتهم حين يختم على أفواههم؟ قيل: عني بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض، لا أن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه"(٤).

قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر {يوم تشهد} بالتاء

وقرأ حمزة والكسائى :«يوم يشهد»، بالياء(٥).

قال الفراء:" فمن ذكر قال: واحد الألسنة ذكر فأبنى على الواحد إذ كان الفعل يتوحد إذا تقدم الاسماء المجموعة، كما تقول ذهب القوم"(٦).

القرآن

{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ (٢٥)} [النور : ٢٥]

التفسير:

في هذا اليوم يوفيهم الله جزاءهم كاملا على أعمالهم بالعدل، ويعلمون في ذلك الموقف العظيم أن الله هو الحق المبين الذي هو حق، ووعده حق، ووعيده حق، وكل شيء منه حق، الذي لا يظلم أحدًا مثقال ذرة.

قوله تعالى:{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ} [النور : ٢٥]، أي:" في هذا اليوم يوفيهم الله جزاءهم كاملا على أعمالهم بالعدل"(٧).

قال ابن قتيبة:" «الدين» –هاهنا-: الحساب"(٨).

قال الطبري:" «الدين» في هذا الموضع: الحساب والجزاء"(٩).

قال الزجاج:" «الدين» –هاهنا-: الجزاء، المعنى: يومئذ يوفيهم الله جزاءهم الحق، أي جزاءهم الواجب"(١٠).

عن ابن عباس، قوله: "{يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق}، يقول: حسابهم"(١١).

قرأ الجمهور :{دينَهم الحقّ} بالفتح على أنه صفة للدّين بمعنى حسابهم العدل، وقرأ مجاهد والأعمش {دينَهم الحقُّ} برفع القاف على أنه صفة للإسم الجليل. ويجوز الفصل بالمفعول بين الموصوف وصفته، ويصبح المعنى: يومئذ يوفيهم اللَّهُ الحقّ دينهم (١).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٢٩٩):ص٨/٢٥٥٨-٢٥٥٩.

(٢) أخرجه الطبري:١٩/١٤٠-١٤١.

(٣)صحيح مسلم برقم (٢٩٦٩)، وأخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٠١):ص٨/٢٥٥٩، وكما في تفسير ابن كثير:٦/٣٣.

(٤) تفسير الطبري:١٩/١٤٠.

(٥) انظر: السبعة في القراءات:٤٥٤.

(٦) معاني القرىن:١/٣٧٨.

(٧) التفسير الميسر:٣٥١.

(٨) غريب القرآن:٣٠٢.

(٩) تفسير الطبري:١٩/١٤١.

(١٠) معاني القرآن:٤/٣٧.

(١١) أخرجه الطبري:١٩/١٤١.

قوله تعالى:{وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ} [النور : ٢٥]، أي:" ويعلمون حينئذٍ أن الله هو العادل الذي لا يظلم أحداً، الظاهر عدله في تشريعه وحكمه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : وعده ووعيده وحسابه هو العدل ، الذي لا جور فيه"(٣).

قال الطبري:" يقول: ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي يبين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون"(٤).

القرآن

{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٢٦)} [النور : ٢٦]

التفسير:

كل خبيث من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للخبيث وموافق له، وكل طيِّب من الرجال والنساء والأقوال والأفعال مناسب للطيب وموافق له، والطيبون والطيبات مبرؤون مما يرميهم به الخبيثون من السوء، لهم من الله مغفرة تستغرق الذنوب، ورزق كريم في الجنة.

سبب النزول:

قال ابن زيد:" نزلت في عائشة حين رماها المنافقون بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك، وكان عبد الله بن أبي خبيثا، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها"(٥).

قوله تعالى:{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور : ٢٦]، أي:" الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء، وكذلك الطيبات من النساء للطيبين من الرجال والطيبون من الرجال للطيبات من النساء"(٦).

قال الصابوني:" وهذا كالدليل على براءة عائشة لأنها زوجة أشرف رسول وأكرم مخلوق على الله، وما كان الله ليجعلها زوجة لأحبِّ عباده لو لم تكن عفيفة طاهرة شريفة"(٧).

وفي قوله تعالى:{الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور : ٢٦]، ثلاثة أقوال:

أحدها : الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء ، والطيبات من النساء للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء ، قاله ابن زيد(٨).

قال ابن زيد:" نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك. وكان عبد الله بن أبي هو خبيث، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها، وكان رسول الله ﷺ طيبا، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكان أولى أن يكون لها الطيب {أولئك مبرءون مما يقولون}، قال: هاهنا برئت عائشة {لهم مغفرة ورزق كريم}"(٩).

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج:٣٧/٤، وروائع البيان في تفسير آيات القرآن:١٠٥/٢.

(٢) صفوة التفاسير:٣٠٥/٢.

(٣) تفسير ابن كثير:٣٤/٦.

(٤) تفسير الطبري:١٤١/١٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣١٤):ص٢٥٦٢/٨.

(٦) صفوة التفاسير:٣٠٥/٢.

(٧) صفوة التفاسير:٣٠٥/٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٩.

(٩) اخرجه الطبري:١٤٤/١٩.

الثاني : الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل. قاله قتادة[١]، وعطاء الخراساني[٢].

قال عطاء:" وأما «الخبيثات للخبيثين»: الأعمال الخبيثة والكلام الخبيث للخبيثين من الناس، وأما «الطيبات للطيبين»: فالأعمال الصالحة والكلام الطيب للطيبين. {وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ}[٣]"[٤].

الثالث : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من الكلام. قاله ابن عباس[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، ومجاهد[٧]، والضحاك[٨]، وابن ابي نجيح[٩]، وعطاء[١٠]، وبه قال وبه قال ابن قتيبة[١١].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية قول من قال: عنى بالخبيثات: الخبيثات من القول، وذلك قبيحه وسيئه للخبيثين من الرجال والنساء، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول، هم بها أولى؛ لأنهم أهلها. والطيبات من القول، وذلك حسنه وجميله للطيبين من الناس، والطيبون من الناس للطيبات من القول؛ لأنهم أهلها وأحق بها، وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية؛ لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للقائلين في عائشة الإفك، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات، وإخبارهم ما خصهم به على إفكهم، فكان ختم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمي به، أشبه من الخبر عن غيرهم"[١٢].

قال الماوردي:" وتأول بعض أصحاب الخواطر : الخبيثات الدنيا ، والطيبات الآخرة"[١٣].

وروي عن يحي بن الجزار، قال: "جاء أسير بن جابر إلى عبد الله فقال: لقد سمعت الوليد بن عقبة اليوم تكلم بكلام أعجبني فقال عبد الله: إن الرجل المؤمن تكون في قلبه الكلمة الطيبة تتجلجل في صدره حتى يخرجها، فيسمعها رجل عنده مثلها فيضمها إليه، وإن الرجل الفاجر ليكون في قلبه الكلمة غير الطيبة تتجلجل في قلبه ما يستقر حتى يلفظها فيسمعها الرجل الذي عنده مثلها فيضمها إليها، ثم قرأ عبد الله: {الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات}"[١٤].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} [النور : ٢٦]، أي:" أولئك الفضلاء منزهون ممَّا تقوَّله أهل الإفك في حقهم من الكذب والبهتان"[١٥].

قال ابن الجوزي:" يعني: عائشة وصفوان مبرؤن: منزهون مما يقولون من الفرية"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٤٣/١٩.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣١١):ص٢٥٦١/٨، و(١٤٣٢٣):ص٢٥٦٣/٨.
(٣)[الحج : ٢٤].
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٣١١):ص٢٥٦١/٨، و(١٤٣٢٣):ص٢٥٦٣/٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٤٢/١٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٣/١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٤٢/١٩-١٤٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٤٣/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٤٢/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٤٤/١٩.
(١١) انظر: غريب القرآن:٣٠٢.
(١٢) تفسير الطبري:١٤٤/١٩.
(١٣) النكت والعيون:٨٥/٤.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣١٣):ص٢٥٦١/٨.
(١٥) صفوة التفاسير:٣٠٥/٢-٣٠٦.
(١٦) زاد المسير:٢٨٧/٣.

قال الطبري:" يقول: الطيبون من الناس مبرءون من خبيثات القول، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها، ويغفرها لهم، وإن قيلت فيهم؛ ضرت قائلها ولم تضرهم، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به، لأن الله لا يتقبله،، ولو قيلت له لضرته؛ لأنه يلحقه عارها في الدنيا، وذلها في الآخرة"(١).

وفي قوله تعالى:{أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ} [النور : ٢٦]، أقوال:

أحدها : أن عائشة وصفوان بن المعطل مبرآن من الإفك المذكور فيهما، قاله الحسن(٢)، وسعيد بن جبير(٣)، وابن زيد(٤)، والفراء،(٥) وابن قتيبة(٦).

قال ابن زيد:" هاهنا برئت عائشة رضي الله عنها"(٧).

قال سعيد بن جبير:" يعني: مما يقولون هؤلاء القاذفون الذين قذفوا عائشة "(٨).

الثاني : أن أزواج النبي -ﷺ- مبرآت من الفواحش، قاله ابن عيسى(٩).

الثالث : معناه: فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث يقوله يغفره الله له، ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح يقوله، يرده الله عليه لا يقبله منه. وهذا قول مجاهد(١٠)، وبه قال الطبري(١١).

وقال مقاتل بن حيان:" يعنى: الطيبين والطيبات من الرجال والنساء"(١٢).

وحكي الماوردي عن ابن شجرة:" أن الطيبين والطيبات مبرؤون من الخبيثين والخبيثات"(١٣).

الرابع: يعني: الذين ظنوا بالمؤمنين والمؤمنات خيرا هم براء من الكلام السيئ . وهذا قول سعيد بن جبير(١٤).

قوله تعالى:{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور : ٢٦]، أي:" لهم على نالهم من الأذى مغفرة لذنوبهم، ورزقٌ كريم في جنات النعيم"(١٥).

قال يحيى:" {لهم مغفرة} لذنوبهم، {ورزق كريم}: الجنة."(١٦).

قال ابن كثير:" أي : عند الله في جنات النعيم. وفيه وعد بأن تكون زوجة النبيّ ﷺ في الجنة"(١٧).

قال سعيد بن جبير:" {لهم مغفرة}، يعني: لذنوبهم، {ورزق كريم}، يعني: حسن في الجنة. فلما أنزل الله عذر عائشة ضمها النبي ﷺ إلى نفسه، وهي من أزواجه في الجنة"(١٨).

فوائد الآيات:[٢٣-٢٦]:

---

(١) تفسير الطبري:١٩/١٤٤-١٤٥.
(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٣٣٧):ص٨/٢٥٦٥.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٣٣٦):ص٨/٢٥٦٥.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٣٣٤):ص٨/٢٥٦٤.
(٥) انظر: معاني القرآن:٢/٢٤٩.
(٦) انظر: غريب القرآن:٣٠٢.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٣٤):ص٨/٢٥٦٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٣٦):ص٨/٢٥٦٥.
(٩) انظر: النكت والعيون:٤/٨٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٤٥، و ابن أبي حاتم(١٤٣٣٨):ص٨/٢٥٦٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٤٤-١٤٥.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٣٣٣):ص٨/٢٥٦٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون:٤/٨٥.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٣٣٢):ص٨/٢٥٦٤.
(١٥) صفوة التفاسير:٢/٣٠٦.
(١٦) تفسير يحيى بن سلام:١/٤٣٦.
(١٧) تفسير ابن كثير:٦/٣٥.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٤٠):ص٨/٢٥٦٥.

١- عظم ذنب قذف المحصنات الغافلات المؤمنات وقد عده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السبع الموبقات، والعياذ بالله تعالى.
٢- تقرير الحساب وما يتم فيه من استنطاق واستجواب.
٣- تقرير التوحيد بأنه لا إله إلا الله.
٤- استحقاق الخبث أهله. فالخبيث هو الذي يناسبه القول الخبيث والفعل الخبيث.
٥- استحقاق الطيب أهله. فالطيب هو الذي يناسبه القول الطيب والفعل الطيب.
٦- براءة أم المؤمنين وصفوان مما رماهما به أهل الإفك.
٧- بشارة أم المؤمنين وصفوان بالجنة بعد مغفرة ذنوبهما.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٢٧)} [النور : ٢٧]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأذنوا أهلها في الدخول وتسلموا عليهم وصيغة ذلك من السنة: السلام عليكم أأدخل؟ ذلكم الاستئذان خير لكم؛ لعلكم تتذكرون -بفعلكم له- أوامر الله، فتطيعوه.

سبب النزول:

عن عدي بن ثابت: "أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها، والد ولا ولد، وأنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال؟ قال: فنزلت: {يأأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها} ... الآية"(١).

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [النور : ٢٧]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٢).

قوله تعالى:{لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا} [النور : ٢٧]، أي:" لا تدخلوا بيوتًا غير بيوتكم حتى تستأذنوا أهلها في الدخول وتسلموا عليهم"(٣).

وفي قوله تعالى:{حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا} [النور : ٢٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: حتى تستأذنوا. وهذا قول ابن عباس(٤)، وقتادة(٥)، وإبراهيم(٦)، والفراء(٧)، وابن وابن قتيبة(٨)، والزجاج(٩).

قال ابن عباس:" الاستئناس: الاستئذان"(١٠).

واختلف من قال بهذا الوجه من التفسير على قولين:

القول الأول: -وهو قول ابن عباس- أنه :"أخطأ الكاتب فيه فكتب تستأنسوا. وكان يقرأ: «حتى تستأذنوا»"(١١).

قال ابن عباس:" وإنما «تستأنسوا»: وهم من الكتاب"(١).

---

(١) أخرجه الطبري:١٤٧/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٢.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٢.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٤٥/١٩-١٤٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٤٧/١٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٧/١٩.
(٧) انظر: معاني القرآن:٢٤٩/٢.
(٨) انظر: غريب القرآن:٣٠٣.
(٩) انظر: معاني القرآن:٣٩/٤.
(١٠) أخرجه الطبري:١٤٦/١٩.
(١١) أخرجه الطبري عنه بطرق مختلفة، انظر: تفسير البري:١٤٥/١٩-١٤٦.

وفي مصحف ابن مسعود: «حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا»(٢).

القول الثاني: لأن الاستئذان مؤنس فعبر عنه بالاستئناس ، وليس فيه خطأ من كاتب ولا قارىء. حكاه الماوردي(٣) .

قال الزجاج:" معنى: {تستأنسوا} -في اللغة-: تستأذنوا، وكذلك هو في التفسير، والاستئذان: الاستعلام، تقول: آذنته بكذا أي أعلمته، وكذلك آنست منه كذا وكذا - علمت منه، وكذلك:{فإن آنستم منهم رشداً } [النساء : ٦]، أي: علمتم. فمعنى :«حتى تستأنسوا»: حتى تستعلموا أيريد أهلها أن يدخلوا أم لا، والدليل على أنه الإذن قوله: {فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ} [النور : ٢٨]"(٤).

وقال ابن الأعرابي:"الاستئناس الاستثمار، والإيناس اليقين. والإذن يكون بالقول والإشارة . فإن جاهر فسؤال"(٥).

الثاني : معناه: حتى تؤنسوا أهل البيت بالتنحنح والتنخم وما أشبهه، فيعلموا بقدومك عليهم ، قاله مجاهد(٦).

وقال مجاهد:" حتى تجرسوا وتسلموا"(٧).

الثالث : أن «الاستئناس»: أن يعلم من في الدار. تقول: استأنست فما رأيت أحدا؛ أي: استعلمت وتعرفت. ومنه: {فإن آنستم منهم رشداً } [النساء : ٦]، أي: علمتم. ذكره ابن قتيبة(٨)، وأنشد قول النابغة(٩):

كأن رحلي وقد زال النهار بنا ... بذي الجليل على مستأنس وحد

يعني: ثورا أبصر شيئا فهو فزع.

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبرا بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم"(١٠).

وفي السلام، قولان :

أحدهما : أنه مسنون بعد الإذن على ما تضمنته الآية من تقديم الإذن عليه .

الثاني : مسنون قبل الإذن وإن تأخر في التلاوة فهو مقدم في الحكم. وتقدير الكلام: حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا. قاله ابن عباس(١١)، وإبراهيم(١٢)، ويحيى بن سلام(١٣)، ويعضده قراءة ابن مسعود:«حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا»(١٤).

---

(١) أخرجه الطبري:١٤٦/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:١٤٦/١٩.
(٣) النكت والعيون:٨٥/٤-٨٦.
(٤) معاني القرآن:٣٩/٤.
(٥) نقلا عن النكت والعيون:٨٦/٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٤٧/١٩.
(٧) اخرجه الطبري:١٤٧/١٩.
(٨) انظر: غريب القرآن:٣٠٣.
(٩)عجزه له في اللسان ٣١٢/٧ وبعده
"أي على ثور وحشي أحس بما
رابه، فهو يستأنس، أي يتبصر ويتلفت هل يرى أحدا؛ أراد أنه مذعور فهو أجد لعدوه وفراره وسرعته، وانظر ديوانه ٢٦، والبحر المحيط ٤٤٦/٦، وشرح القصائد العشر ٢٩٣.
(١٠) تفسير الطبري:١٤٩/١٩.
(١١) رواه عنه الفراء في معاني القرآن:٢٤٩/٢. من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٤٧/١٩.
(١٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٣٧/١.
(١٤) أخرجه الطبري:١٤٦/١٩.

قال الطبري:" معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير، إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا"(١).

روى محمد بن سيرين أن رجلاً استأذن على رسول الله-ﷺ- فقال : أأدخل ؟ فقال النبي -ﷺ- لرجل عنده : «قم فعلم هذا كيف يستأذن فإنه لم يحسن يستأذن»، فسمعها الرجل فسلم واستأذن"(٢).

قال الماوردي:" وأولى من إطلاق هذين القولين أن ينظر فإن وقعت العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم السلام ، وإن لم تقع العين على العين قبل الإذن فالأولى تقديم الاستئذان على السلام .

فأما الاستئذان على منازل الأهل فإن كانوا غير ذي محارم لزم الاستئذان عليهم كالأجانب وإن كانوا ذوي محارم وكان المنزل مشتركاً هو فيه وهم ساكنون لزم في دخوله إنذارهم إما بوطءٍ . أو نحنحة مفهمة إلا الزوجة فلا يلزم ذلك في حقها بحال لارتفاع العودة بينهما"(٣).

وإن لم يكن المنزل مشتركاً ففي الاستئذان عليهم وجهان(٤):

أحدهما : القول كالأجانب

الثاني : أنها النحنحة والحركة .

قال ابن زيد:" الاستئناس: التنحنح والتجرس، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد، قال: والتجرس: كلامه وتنحنحه"(٥).

ورى صفوان عن عطاء بن يسار :" أن رجلا قال للنبي ﷺ: أستأذن على أمي؟ قال: «نعم»، قال: إنها ليس لها خادم غيري، أفأستأذن عليها كلما دخلت؟ قال: «أتحب أن تراها عريانة؟». قال الرجل: لا. قال: «فاستأذن عليها»"(٦).

قال ابن مسعود: "عليكم الإذن على أمهاتكم"(٧).

عن ابن جريج، قال: "قلت لعطاء: أيستأذن الرجل على امرأته؟ قال: لا"(٨).

عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود، عن زينب قالت: "كان عبد الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب، تنحنح وبزق كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه"(٩).

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ} [النور : ٢٧]، أي:" ذلكم الاستئذان خير لكم"(١٠).

قال الطبري:" يقول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم، لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم في الاستئذان والسلام"(١١).

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [النور : ٢٧]، أي:" لعلكم تتذكرون -بفعلكم له- أوامر الله، فتطيعوه"(١٢).

---

(١) تفسير الطبري:١٤٩/١٩ .
(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٣٧/١ .
(٣) انظر: النكت والعيون:٨٧/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون:٨٧/٤.
(٥) أخرجه الطبري:١٤٨/١٩ .
(٦) أخرجه الطبري:١٤٨/١٩ .
(٧) أخرجه الطبري:١٤٨/١٩ .
(٨) أخرجه الطبري:١٤٨/١٩ .
(٩) أخرجه الطبري:١٤٨/١٩ .
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٢.
(١١) تفسير الطبري:١٤٩/١٩.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٢.

قال الطبري:" يقول: لتتذكروا بفعلكم ذلك أوامر الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فتطيعوه"[١].

قال ابن كثير:" يعني : الاستئذان خير لكم ، بمعنى : هو خير للطرفين: للمستأذن ولأهل البيت"[٢].

القرآن

{فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨)} [النور : ٢٨]

التفسير:

فإن لم تجدوا في بيوت الآخرين أحدًا فلا تدخلوها حتى يوجد مَن يأذن لكم، فإن لم يأذن، بل قال لكم: ارجعوا فارجعوا، ولا تُلحُّوا، فإن الرجوع عندئذ أطهر لكم؛ لأن للإنسان أحوالا يكره اطلاع أحد عليها. والله بما تعملون عليم، فيجازي كل عامل بعمله.

قوله تعالى:{فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ} [النور : ٢٨]، أي:" فإن لم تجدوا في بيوت الآخرين أحدًا فلا تدخلوها حتى يوجد مَن يأذن لكم"[٣].

قال ابن كثير:" وذلك لما فيه من التصرف في ملك الغير بغير إذنه ، فإن شاء أذن ، وإن شاء لم يأذن "[٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا} [النور : ٢٨]، أي:" فإن لم يأذن، بل قال لكم: ارجعوا فارجعوا، ولا تُلحُّوا"[٥].

قال الطبري:" يقول: وإن قال لكم أهل البيوت التي تستأذنون فيها: ارجعوا فلا تدخلوها، وارجعوا عنها ولا تدخلوها"[٦].

قال ابن كثير:" أي : إذا رَدُّوكم من الباب قبل الإذن أو بعده { فَارْجِعُوا}"[٧].

قوله تعالى:{هُوَ أَزْكَى لَكُمْ} [النور : ٢٨]، أي:" فإن الرجوع عندئذ أطهر لكم"[٨].

قال الطبري:" يقول: رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها، أطهر لكم عند الله"[٩].

قال ابن كثير:" أي : رجوعكم أزكى لكم وأطهر "[١٠].

قال قتادة:"قال رجل من المهاجرين: لقد طلبت عمري كله هذه الآية، فما أدركتها، أن أستأذن على بعض إخواني، فيقول لي ارجع، فأرجع وأنا مغتبط، لقوله :{وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم}"[١١].

قال الطبري:" وهذا قول بعيد من مفهوم كلام العرب؛ لأن العرب لا تكاد تقول: ليس بمكان كذا أحد، إلا وهي تعني ليس بها أحد من بني آدم، وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بني آدم، ومن كان سبيله سبيلهم، فلا تقول ذلك فيها"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري:١٤٩/١٩.
(٢)تفسير ابن كثير:٤١/٦ .
(٣) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٤)تفسير ابن كثير:٤١/٦ .
(٥) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٦) تفسير الطبري:١٤٩/١٩-١٥٠.
(٧)تفسير ابن كثير:٤١/٦ .
(٨) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٩) تفسير الطبري:١٥٠/١٩.
(١٠)تفسير ابن كثير:٤١/٦ .
(١١) أخرجه الطبري:١٥٠/١٩.
(١٢) تفسير الطبري:١٥٠/١٩.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [النور : ٢٨]، أي:" والله بما تعملون عليم، فيجازي كل عامل بعمله"(١).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: والله بما تعملون من رجوعكم بعد استئذانكم في بيوت غيركم إذا قيل لكم ارجعوا، وترك رجوعكم عنها وطاعتكم الله فيما أمركم ونهاكم في ذلك وغيره من أمره ونهيه- ذو علم محيط بذلك كله، محص جميعه عليكم، حتى يجازيكم على جميع ذلك"(٢).

القرآن

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٢٩)} [النور : ٢٩]

التفسير:

لكن لا حرج عليكم أن تدخلوا بغير استئذان بيوتًا ليست مخصصة لسكنى أناس بذاتهم، بل ليتمتع بها مَن يحتاج إليها كالبيوت المُعَدَّة صدقة لابن السبيل في طرق المسافرين وغيرها من المرافق، ففيها منافع وحاجة لمن يدخلها، وفي الاستئذان مشقة. والله يعلم أحوالكم الظاهرة والخفية.

سبب النزول:

عن مقاتل بن حيان قال: "فلما نزلت آية التسليم والإيذان في البيوت، قال أبو بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه يا رسول الله: فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة، والشام وبيت المقدس ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون وليس فيها سكان، فرخص الله في ذلك، فقال: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ} بغير إذن"(٣).

قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ} [النور : ٢٩]، أي:" ليس عليكم إثمٌ وحرج أن تدخلوا بغير استئذان بيوتاً لا تختص بسكنى أحد"(٤).

قال الطبري:يقول:" ليس عليكم أيها الناس إثم وحرج أن تدخلوا بيوتا لا ساكن بها بغير استئذان"(٥).

وفي قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ} [النور : ٢٩]، خمسة وجوه من التفسير:

أحدها : أنها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون، وإنما بنيت لمارة الطريق والسابلة، ليأووا إليها، ويؤوا إليها أمتعتهم، قاله محمد بن الحنفية(٦)، وسعيد بن جبير(٧)، ومجاهد(٨)، وقتادة(٩)، والضحاك(١٠).

قال محمد بن حنيفة:" هي الخانات التي تكون في الطرق"(١١).

قال الضحاك:" هي البيوت التي تكون بالطرق والخربة"(١٢).

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٢) تفسير الطبري:١٥٠/١٩.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٦٧):٢٥٧٠/٨.
(٤) صفوة التفاسير:٣٠٦/٢.
(٥) تفسير الطبري:١٥١/١٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٥١/١٩.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٣٦٥):ص٢٥٦٩/٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٥١/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٥١/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٥١/١٩-١٥٢.
(١١) أخرجه الطبري:١٥١/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:١٥١/١٩-١٥٢.

قال قتادة:" هي الخانات تكون لأهل الأسفار"[١].

قال سفيان:" هي الخانات والمنازل ما بين مكة والكوفة ونحوها"[٢].

قال يحيى:" يعني الخانات، وهي الفنادق، ينزلها الرجل في سفره فيجعل فيها متاعه، فليس عليه أن يستأذن في ذلك البيت لأنه ليس له أهل يسكنونه"[٣].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: ليس بها مساكن، وهي الخانات التي على طرق الناس، للمسافر ليس فيها ساكن، قال: لا جناح عليكم أن تدخلوها بغير استئذان ولا تسليم فيها يعنى: في البيوت التي في طرق الناس"[٤].

قال مجاهد:" هي البيوت التي ينزلها السفر، لا يسكنها أحد"[٥].

قال مجاهد:" كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا، فرخص لهم أن يدخلوها"[٦].

الثاني : أنها حوانيت التجار في الأسواق، قاله ابن زيد[٧]، الشعبي[٨].

قال ابن زيد:" بيوت التجار، ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن، الحوانيت التي بالقيساريات والأسواق"[٩].

وروي عن ابن حنيفة، قال:" هي بيوتكم التي في السوق"[١٠].

الثالث : أنها الخرابات العاطلات ، قاله قتادة[١١]، وعكرمة[١٢].

الرابع : أنها بيوت مكة ، قاله محمد بن الحنفية –أيضا-[١٣]، ويشبه أن يكون قول مالك[١٤].

الخامس: أنها جميع البيوت التي لا ساكن لها، لأن الاستئذان إنما جعل لأجل الساكن، قاله ابن جريج[١٥].

قوله تعالى:{فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ} [النور : ٢٩]، أي:" فيها منفعة لكم أو حاجة من الحاجات"[١٦].

وفي قوله تعالى:{فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ} [النور : ٢٩]، أربعة وجوه:

أحدها : أنها الأمتعة التي تباع وتشترى، قاله ابن زيد[١٧].

الثاني : أنها الخلاء والبول، سمي متاعاً لأنه إمتاع لهم، قاله عطاء[١٨].

الثالث : الانتفاع بالبيوت لاتقاء الحر والبرد. قاله سعيد بن جبير[١٩]، والضحاك[٢٠]، والسدي[١].
والسدي[١].

---

(١) أخرجه الطبري:١٥١/١٩.

(٢) تفسير سفيان الثوري(٧٢٥: ١٩: ٢٣):ص٢٢٤.

(٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٣٩/١.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٦٥):ص٢٥٦٩/٨.

(٥) أخرجه الطبري:١٥١/١٩.

(٦) أخرجه الطبري:١٥١/١٩.

(٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٩.

(٨) انظر: النكت والعيون:٨٨/٤.

(٩) أخرجه الطبري:١٥٢/١٩.

(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٦٣):ص٢٥٦٩/٨.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٣٦٨):ص٢٥٧٠/٨.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٥٧٠/٨. ذدره دون إسناد.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٩.

(١٤) انظر: النكت والعيون:٨٨/٤.

(١٥) انظر: زاد المسير:٢٨٩/٣.

(١٦) صفوة التفاسير:٣٠٦/٢.

(١٧) أخرجه الطبري:١٥٢/١٩.

(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٥٢/١٩.

(١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٣٦٨):ص٢٥٧٠/٨. هكذا الترقيم بالمطبوع!

(٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٣٦٤):ص٢٥٦٩/٨.

قال الضحاك:" البيوت التي ينزلها ابن السبيل مأوى من الحر والبرد وكن من المطر وحرز لأنفسكم"[٢].

الرابع : أي: منفعة لكم وبلغة . وهذا مروي عن قتادة[٣].

وقال السدي:" بلاغ لكم إلى حاجتكم"[٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله عم بقوله: {ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم} كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع ندخله بغير إذن؛ لأن الإذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول، أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا، أو كان فيه ساكنا. فأما إن كان لا مالك له فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه فيحتاج الداخل إلى إيناسه والتسليم عليه، لئلا يهجم على ما لا يحب رؤيته منه، فلا معنى للاستئذان فيه. فإذا كان ذلك، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض، فكل بيت لا مالك له، ولا ساكن، من بيت مبني ببعض الطرق للمارة والسابلة؛ ليأووا إليه، أو بيت خراب، قد باد أهله ولا ساكن فيه، حيث كان ذلك، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان، لمتاع له يؤويه إليه، أو للاستمتاع به لقضاء حقه من بول أو غائط أو غير ذلك وأما بيوت التجار، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها فإن ظن ظان أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظن، وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره بغير ضرورة ألجأته إليه، أو بغير سبب أباح له دخوله إلا بإذن ربه، لا سيما إذا كان فيه متاع، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول، فذلك بعد راجع إلى ما قلنا من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه. وإذا كان ذلك كذلك، لم يكن من معنى قوله: {ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم} في شيء، وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت، هي ما لم يكن مسكونا، إذ حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه، وهو مع ذلك مسكون، فتبين أنه مما عنى الله من هذه الآية بمعزل"[٥].

قال ابن كثير:" هذه الآية الكريمة أخصُّ من التي قبلها ، وذلك أنها تقتضي جواز الدخول إلى البيوت التي ليس فيها أحد ، إذا كان له فيها متاع ، بغير إذن ، كالبيت المعد للضيف ، إذا أذن له فيه أول مرة ، كفى"[٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [النور : ٢٩]، أي:"والله يعلم ما تظهرون وما تُسرون في نفوسكم فيجازيكم عليه"[٧].

قال الطبري:يقول:" والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة، وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به إطاعة الله، والانتهاء إلى أمره، أم غير ذلك"[٨].

قال ابو السعود:"وهذا وعيد لمن يدخل مدخلا من هذه المداخل لفساد أو اطلاع على عورات"[٩].

وفي حكم هذه الآية، قولان:

---

(١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٣٩/١، وحكاه في زاد المسير:٢٨٩/٣. دون نسبة.
(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٦٤):ص٢٥٦٩/٨.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٣٦٩):ص٢٥٧٠/٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٧٠):ص٢٥٧٠/٨.
(٥) تفسير الطبري:١٥٣/١٩.
(٦) تفسير ابن كثير:٤١/٦.
(٧) صفوة التفاسير:٣٠٦/٢.
(٨) تفسير الطبري:١٥٤/١٩.
(٩) تفسير أبي السعود:٣٠٥/٢.

أحدهما: أن حكمها عام في جميع البيوت، ثم نسخت منها البيوت التي ليس لها أهل يستأذنون بقوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ [النور: ٢٩]، هذا مروي عن ابن عباس(١)، والحسن(٢)، وعكرمة(٣)، والضحاك(٤).

قال ابن الجوزي:" وليس هذا نسخ، إنما هو تخصيص"(٥).

الثاني: أن الآيتين محكمتان، فالاستئذان شرط في الأولى إذا كان للدار أهل، والثانية وردت في بيوت لا ساكن لها، والإذن لا يتصور من غير آذن، فاذا بطل الاستئذان، لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى(٦).

قال ابن الجوزي:"وهذا أصح"(٧).

قال النحاس ومكي: "إن الآيتين محكمتان عند أكثر أهل التأويل"(٨).

فوائد الآيات:[٢٧-٢٩]:

١ مشروعية الاستئذان ووجوبه على كل من أراد أن يدخل بيتاً مسكوناً غير بيته.

٢- الرخصة في عدم الاستئذان من دخول البيوت والمحلات غير المسكونة للعبد فيها غرض.

٣- من آداب الاستئذان أن يقف بجانب الباب فلا يعترضه، وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً وأن يقول السلام عليكم أأدخل ثلاث مرات.

٤-في كل طاعة خير وبركة وإن كانت كلمة طيبة.

القرآن

{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠)} [النور : ٣٠]

التفسير:

قل - أيها النبي - للمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبصارهم عمَّا لا يحلُّ لهم من النساء والعورات، ويحفظوا فروجهم عمَّا حَرَّم الله من الزنى واللواط، وكشف العورات، ونحو ذلك، ذلك أطهر لهم. إن الله خبير بما يصنعون فيما يأمرهم به وينهاهم عنه.

قوله تعالى:{قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور : ٣٠]، أي:" قل - أيها النبي - للمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبصارهم عمَّا لا يحلُّ لهم من النساء والعورات"(٩).

قال الطبري:" يقول: يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه"(١٠).

قال الشافعي:" فرض الله على العينين أن لا ينظر بهما إلى ما حرم الله، وأن يغضيهما عما نهاه"(١١).

قال أبو الليث:" يعني: يكفوا أبصارهم"(١٢).

قال مقاتل بن حيان:" يقول: يحفظوا من أبصارهم"(١٣).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٤٧/١٩. سنده ضعيف. ووذكره مكي بن أبي طالب في الإيضاح:٣١٦، عن ابن عباس بدون إسناد.

(٢) ذكره النحاس، في الناسخ والمنسوخ:١٩٥، وابن الجوزي في نواسخ القرآن:٥١٩/٢..

(٣) ذكره النحاس، في الناسخ والمنسوخ:١٩٥، وابن الجوزي في نواسخ القرآن:٥١٩/٢..

(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرن:٥١٩/٢.

(٥) نواسخ القرن:٥١٩/٢.

(٦) انظر: زاد المسير:٢٨٩/٣.

(٧)زاد المسير:٢٨٩/٣.

(٨) انظر: الناسخ والمنسوخ ص: ١٩٥؛ والإيضاح ص: ٣١٦.

(٩) التفسير الميسر:٣٥٣.

(١٠) تفسير الطبري:١٥٤/١٩.

(١١) تفسير الإمام الشافعي:١١٣٦/٣.

(١٢) بحر العلوم:٥٠٨/٢.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٧٧):ص٢٥٧١/٨.

قال ابن عباس:" من شهواتهم مما يكره الله"[١].
قال السدي:" يعني: يغضوا أبصارهم عن جميع المعاصي"[٢].
قال ابن زيد:" يغض من بصره: أن ينظر إلى ما لا يحل له، إذا رأى ما لا يحل له غض من بصره لا ينظر إليه، ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله، إنما قال الله: {قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}"[٣].
قال سعيد بن جبير:" يعنى: يحفظوا من أبصارهم، فـ«من» -هنا- صلة في الكلام، يعنى: قل للمؤمنين يحفظوا أبصارهم عما لا يحل لهم النظر إليه"[٤].
عن الربيع في قوله: "{قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}، قال: لا ينظر إلى عورة أحد"[٥].
عاصم الأحول، عن الشعبي قال: "قلت له: أرأيت قول الله عز وجل:{قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم}، أرأيت الرجل ينظر إلى المرأة لا يرى منها محرما، قال: والله ما لك أن تنقبها بعينيك"[٦].
قوله تعالى:{وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} [النور : ٣٠]، أي:" ويحفظوا فروجهم عمَّا حَرَّم الله من الزنى واللواط، وكشف العورات"[٧].
قال ابن عباس:" يغضوا أبصارهم عما يكره الله"[٨].
قال أبو الليث:" عما لا يحل لهم"[٩].
قال الطبري:" أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم"[١٠].
قال الشافعي:من " أن ينظر أحدهم إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه من أن ينظر إليه"[١١].
وفي قوله تعالى:{وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} [النور : ٣٠]، وجهان من التفسير:
أحدهما : أنه يعني بحفظ الفرج عفافه، والعفاف يكون عن الحرام دون المباح ولذلك لم يدخل فيه حرف التبعيض كما دخل غض البصر.
عن سعيد بن جبير، قوله: "{ويحفظوا فروجهم}، يعني: عن الفواحش"[١٢].
وروي عن مقاتل بن حيان قوله: "{ويحفظوا فروجهم}، يقول: من الزنا"[١٣].
عن قتادة، قوله: "{ويحفظوا فروجهم}، عما لا يحل لهم"[١٤].
الثاني : أن المراد بحفظ الفروج في هذا الموضع، سترها عن الأبصار حتى لا ترى، وكل موضع في القرآن ذكر فيه الفرج فالمراد به الزنى إلا في هذا الموضع فإن المراد به الستر ، وسميت فروجاً لأنها منافذ الأجواف ومسالك الخارجات . قاله أبو العالية[١٥]، والشافعي[١٦].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٧٣):ص٢٥٧٠/٨.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٣٩/١.
(٣) أخرجه الطبري:١٥٥/١٩.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٧٤):ص٢٥٧١/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٧٦):ص٢٥٧١/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٣٧٥):ص٢٥٧١/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٨) أخرجه الطبري:١٥٥/١٩.
(٩) بحر العلوم:٥٠٨/٢.
(١٠) تفسير الطبري:١٥٤/١٩.
(١١) تفسير الإمام الشافعي:١١٣٦/٣.
(١٢)أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٨٠):ص٢٥٧١/٨ .
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٨٢):ص٢٥٧٢/٨.
(١٤)أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٨١):ص٢٥٧٢/٨ .
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٥٤/١٩.
(١٦) انظر: تفسير الإمام الشافعي:١١٣٦/٣.

قال الشافعي: "كل شيء من حفظ الفرج في كتاب الله، فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر، فذلك ما فرض الله على العينين من غض البصر، وهو عملهما، وهو من الإيمان"[١].
الإيمان"[١].

قوله تعالى:{ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ} [النور : ٣٠]، أي:" ما ذكر من غض البصر وحفظ الفرج أطهر لهم"[٢].

قال الطبري:" يقول: فإن غضها من النظر عما لا يحل النظر إليه، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين؛ أطهر لهم عند الله وأفضل"[٣].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: غض البصر وحفظ الفرج خير لهم"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [النور : ٣٠]، أي:" إن الله خبير بما يصنعون فيما يأمرهم به وينهاهم عنه"[٥].

قال الطبري:" يقول: إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له"[٦].

القرآن

{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)} [النور : ٣١]

التفسير:

وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عمَّا لا يحلُّ لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عمَّا حَرَّم الله، ولا يُظهرن زينتهن للرجال، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلُبْسها، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات أعلى ثيابهن من جهة صدورهن مغطيات وجوههن؛ ليكمل سترهن، ولا يُظْهِرْنَ الزينة الخفية إلا لأزواجهن؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم. وبعضها، كالوجه، والعنق، واليدين، والساعدين يباح رؤيته لآبائهن أو آباء أزواجهن أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أبناء أخواتهن أو نسائهن المسلمات دون الكافرات، أو ما ملكن مِنَ العبيد، أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء، مثل البُلْه الذين يتبعون غيرهم للطعام والشراب فحسب، أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد، ولا يضرب النساء عند سَيْرهن بأرجلهن ليُسْمِعْن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه، وارجعوا -أيها المؤمنون- إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة.

سبب النزول:

---

(١) تفسير الإمام الشافعي:١١٣٦/٣.
(٢) انظر: تفسير المراغي:٩٨/١٨.
(٣) تفسير الطبري:١٥٤/١٩.
(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٣٨٣):ص٢٥٧٢/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٦) تفسير الطبري:١٥٤/١٩.

عن المعتمر، عن أبيه، قال: "زعم حضرمي أن امرأة اتخذت برتين[١] من فضة، واتخذت جزعا، فمرت على قوم، فضربت برجلها، فوقع الخلخال على الجزع، فصوت، فأنزل الله {ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن}"[٢].

قوله تعالى:{وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ} [النور : ٣١]، أي:" وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن عمَّا لا يحلُّ لهن من العورات، ويحفظن فروجهن عمَّا حَرَّم الله"[٣].

قال أبو الليث:" يعني: يحفظن أبصارهن عن الحرام، ويحفظن فروجهن عن الفواحش"[٤].

قال الطبري:يقول: "{وقل} يا محمد {للمؤمنات} من أمتك {يغضضن من أبصارهن} عما يكره الله النظر إليه مما نهاكم عن النظر إليه، ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم"[٥].

قوله تعالى:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} [النور : ٣١]، أي:" ولا يكشفن زينتهن للأجانب إلا ما ظهر منها بدون قصدٍ ولا نية سيئة"[٦].

قال الطبري:يقول: " ولا يظهرن للناس الذين ليسوا لهن بمحرم زينتهن، وهما زينتان: إحداهما: ما خفي وذلك كالخلخال والسوارين والقرطين والقلائد، والأخرى: ما ظهر منها"[٧].

واختلف في تفسير «الزينة الظاهرة» في الآية على أقوال:

أحدها : أن الظاهر من الزينة التي أبيح لها أن تبديه: الثياب الظاهرة، قاله ابن مسعود[٨]، وإبراهيم[٩].

قال ابن مسعود:" الزينة زينتان: فالظاهرة منها الثياب، وما خفي: الخلخالان والقرطان والسواران"[١٠].

الثاني : أنها الكحل، والخاتم. قاله ابن عباس[١١]،أنس بن مالك[١٢]، وسعيد بن جبير[١٣]، وأبو صالح[١٤]، وعكرمة[١٥].

الثالث : الكحل، والخضاب، والثياب. قاله عامر[١٦].

الرابع : الكحل، والخدان. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٧].

---

(١)مثنى برة، بتخفيف الراء، وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها. قال: * وقعقعن الخلاخل والبرينا *.

(٢) أخرجه الطبري:١٦٤/١٩.

(٣) التفسير الميسر:٣٥٣.

(٤) بحر العلوم:٥٠٨/٢.

(٥) تفسير الطبري:١٥٥/١٩.

(٦) صفوة التفاسير:٣٠٧/٢.

(٧) تفسير الطبري:١٥٥/١٩.

(٨) انظر: تفسير الطبري:١٥٥/١٩-١٥٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٩.

(١٠) اخرجه الطبري:١٥٥/١٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٩.

(١٢)روى ابن المنذر في "تفسيره" كما في "الدر المنثور" للسيوطي ٦/ ١٧٩. وقال البيهقي في "السنن الكبرى" ٧/ ٨٦ بعد ذكره لقول ابن عباس أنه الكحل والخاتم: وروى ذلك أيضًا عن أنس ابن مالك.

(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٩.

(١٤) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط:٢٠٥/١٦، وروى ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٤/ ٨٣ أبي صالح {وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} قالا: ما فوق الدرع إلا ما ظهر منها.

(١٥)حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط:٢٠٥/١٦، وروى ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٤/ ٨٣ عن عكرمة :{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ} قالا: ما فوق الدرع إلا ما ظهر منها.

(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٥٨/١٩.

(١٧) انظر: تفسير الطبري:١٥٦/١٩-١٥٧.

الخامس : الخضاب والكحل. قاله مجاهد[١].
السادس : الكحل والخضاب والخاتم. قاله مجاهد أيضا[٢]، وابن زيد[٣].
السابع : الخاتم والمسكة. وهذا مروي عن ابن عباس[٤].
الثامن : الكحل، والسوران، والخاتم. قاله قتادة[٥]، والمسور بن مخرمة[٦].

قال قتادة: "المسكتان[٧]، والخاتم والكحل، وبلغني أن النبي ﷺ قال: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر، أن تخرج يدها إلا إلى هاهنا». وقبض نصف الذراع"[٨].

وعن أم شبيب قالت: "سألت عائشة رضي الله عنها عن الزينة الظاهرة، فقالت:«القلب والفتخة، وضمت طرف كمها»"[٩].

قال ابن جريج، وقالت عائشة: "القلب والفتخة، قالت عائشة: دخلت علي ابنة أخي لأمي عبد الله بن الطفيل مزينة، فدخل النبي ﷺ، فأعرض، فقالت عائشة: يا رسول الله إنها ابنة أخي وجارية، فقال: «إذا عركت المرأة لم يحل لها أن تظهر إلا وجهها، وإلا ما دون هذا»، وقبض على ذراع نفسه، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى. وأشار به أبو علي"[١٠].

التاسع : الوجه والكفان، وابن جبير[١١]، والضحاك[١٢]، وعطاء[١٣]، والأوزاعي[١٤].
العاشر : الوجه والثياب. قاله الحسن[١٥].
الحادي عشر : أن الزينة الظاهرة: الوجه، وكحل العين، وخضاب الكف، والخاتم، فهذه تظهر في بيتها لمن دخل من الناس عليها. وهذا مروي عن ابن عباس أيضا[١٦].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: قول من قال: عنى بذلك: الوجه والكفان، يدخل في ذلك إذا كان كذلك: الكحل، والخاتم، والسوار، والخضاب، وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل؛ لإجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته في صلاته، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها، إلا ما روي عن النبي ﷺ أنه أباح لها أن تبديه من ذراعها إلى قدر النصف. فإذا كان ذلك من جميعهم إجماعا، كان معلوما بذلك أن لها أن تبدي من بدنها ما لم يكن عورة، كما ذلك

---

(١)رواه ابن أبي شيبة في "المصنف" ٤/ ٢٨٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٥٨/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٨/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٩.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٩.
(٧)المسكتان: واحدهما مسكة، وهي سوار من عاج أو نحوه. انظر: "لسان العرب" ١٠/ ٤٨٦ - ٤٨٧ (مسك). (مسك).
(٨) أخرجه الطبري:١٥٧/١٩.
(٩) أخرجه البيهقي في الكبرى(١٣٤٩٥):ص١٣٨/٧، وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ١٨٠ وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر. ورواه ابن أبي شيبة في "مصنفه" ٤/ ٢٨٣ مختصرًا.
القُلْب: -بالضم-: سوار المرأة. "القاموس المحيط" ١/ ١١٩.
والفَتْخة: بفتح وسكون ويحرّك:- خاتم كبير يكون في اليد والرجل، وقيل: حلقة من فضة تلبس في الإصبع كالخاتم. "تاج العروس" للزبيدي ٧/ ٣٠٧ (فتخ).
(١٠) أخرجه الطبري:١٥٧/١٩-١٥٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٥٨/١٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٥٨/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٥٨/١٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٥٧/١٩.

للرجال؛ لأن ما لم يكن عورة فغير حرام إظهاره؛ وإذا كان لها إظهار ذلك، كان معلوما أنه مما استثناه الله تعالى ذكره، بقوله: {إلا ما ظهر منها} لأن كل ذلك ظاهر منها"(١).

قال الماوردي:" الزينة زينتان : ظاهرة وباطنة ، فالظاهرة لا يجب سترها ولا يحرم النظر إليها لقوله تعالى :{وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا}، وأما «الباطنة» فيجب سترها عن الأجانب ويحرم عليها تعمد النظر إليها فأما ذوو المحارم فالزوج منهم يجوز له النظر والالتذاذ ، وغيره من الآباء والأبناء والإخوة يجوز لهم النظر ويحرم عليهم الالتذاذ "(٢).

قوله تعالى:{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور : ٣١]، أي:" وليغطين بخمرهن على فتحات صدورهن"(٣).

قال الطبري:" وليلقين خمرهن، وهي جمع خمار، على جيوبهن، ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن"(٤).

قال سعيد بن جبير:" يعنى: النحر والصدر ولا يرى منه شيء"(٥).

وروي عن مقاتل بن حيان أنه قال: "على صدورهن"(٦).

عن سعيد بن جبير، قوله :"{وليضربن}، يعنى: وليشددن"(٧).

قالت عائشة:" لما نزلت هذه الآية: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن}، قال شققن البرد مما يلي الحواشي، فاختمرن به"(٨).

وفي رواية:" يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن}، شققن أكثف مروطهن، فاختمرن به"(٩).

وفي رواية:" فلما نزلت: {وليضربن بخمرهن}، انقلب رجال من الأنصار إلى نسائهم يتلونها عليهن، فقامت كل مرأة منهن إلى مرطها فصدعت منه صدعة فاختمرت بها فأصبحن من الصبح وكأن على رؤسهن الغربان"(١٠).

عن صفية بنت شيبة قالت: "بينما نحن عند عائشة قالت: وذكرت نساء قريش وفضلهن، فقالت عائشة: إن لنساء قريش لفضلا، وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقا بكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل لقد أنزلت سورة النور: {وليضربن بخمرهن على جيوبهن}، انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل إليهن فيها، ويتلوا الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرحل فاعتجرت به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتابه، فأصبحن يصلين وراء رسول الله ﷺ الصبح معتجرات كأن على رؤسهن الغربان"(١١).

قوله تعالى:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ} [النور : ٣١]، أي:" ولا يظهرن زينتهن الخفية التي حرم الله كشفها إلا لأزواجهن"(١٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {ولا يبدين زينتهن} التي هي غير ظاهرة، بل الخفية منها، وذلك الخلخال والقرط والدملج، وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الجيب، وما وراء ما

---

(١) .تفسير الطبري:١٩/١٥٨-١٥٩
(٢) النكت والعيون:٤/٩٠.
(٣) سلسلة التفسير لمصطفى عدوي:١٠/٣٥.[مرقم آليا]
(٤) تفسير الطبري:١٩/١٥٩.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٠٧):ص٨/٢٥٧٦.
(٦) تفسير ابن ابي حاتم:٨/٢٥٧٦. حكاه دون إسناد.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٠٤):ص٨/٢٥٧٥.
(٨) أخرجه الطبري:١٩/١٥٩.
(٩) أخرجه الطبري:١٩/١٥٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٠٥):ص٨/٢٥٧٥.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٠٦):ص٨/٢٥٧٥، وأبو داود كتاب اللباس رقم (٤١٠٠).
(١٢) صفوة التفاسير:٢/٣٠٧.

أبيح لها كشفه، وإبرازه في الصلاة وللأجنبيين من الناس، والذراعين إلى فوق ذلك، إلا لبعولتهن"(١).

قال ابن عباس:" تبدي خلاخلها ومعضداتها ونحرها وشعرها إلا لزوجها"(٢).

عن سعيد بن جبير:{ولا يبدين زينتهن}، قال:" ولا يضعن الجلباب وهو القناع من فوق الخمار"(٣).

قوله تعالى:{أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ} [النور : ٣١]، أي:" أو لآبائهن أو آباء أزواجهن"(٤).

قال قتادة:" تبدي لهؤلاء الرأس"(٥).

عن إبراهيم: "{ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن}، قال: هذه ما فوق الذراع"(٦).

قال ابن مسعود:" الطوق والقرطين"(٧).

قال الضحاك:" النحر والقرط"(٨).

عن أيوب السختياني قال: "قلت لسعيد بن جبير، أيرى الرجل رأس ختنته فتلى علي ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن قال: لا أراها فيهم"(٩).

قوله تعالى:{أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ} [النور : ٣١]، أي:" أو أبنائهن أو أبناء أزواجهن أو إخوانهن أو أبناء إخوانهن أو أبناء أخواتهن"(١٠).

قال ابن عباس:" الزينة التي يبدينها لهؤلاء: قرطاها، وقلادتها، وسوارها، فأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها، فإنه لا تبديه إلا لزوجها"(١١).

قال سعيد بن جبير:" يعنى: ولا يضعن الجلباب وهو القناع من فوق الخمار، فقال: إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن، فهو محرم وكذلك العم والخال"(١٢).

قوله تعالى:{أَوْ نِسَائِهِنَّ} [النور : ٣١]، أي:" أو نسائهن المسلمات دون الكافرات"(١٣).

وفي قوله تعالى:{أَوْ نِسَائِهِنَّ} [النور : ٣١]، قولان:

أحدهما: أنه عام في جميع النساء. حكاه الماوردي(١٤).

قال عطاء:"لما قدم أصحاب النبي ﷺ بيت المقدس كان قوابل نسائهم اليهوديات والنصرانيات"(١٥).

قال ابن كثير:" إن صح - مَحمولٌ على حال الضرورة ، أو أن ذلك من باب الامتهان ، ثم إنه ليس فيه كشف عورة ولا بد ، والله أعلم"(١٦).

---

(١) تفسير الطبري:١٥٩/١٩.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٠٨): ٢٥٧٦/٨.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٠٩): ٢٥٧٦/٨.
(٤) صفوة التفاسير:٣٠٧/٢.
(٥) أخرجه الطبري:١٥٩/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٥٩/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:١٥٩/١٩.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٤١١):ص٢٥٧٦/٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٤١٢):ص٢٥٧٦/٨.
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٣.
(١١) أخرجه الطبري:١٦٠/١٩.
(١٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٤١٤):ص٢٥٧٧/٨.
(١٣) التفسير الميسر:٣٥٣.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٩٤/٤.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٤١٧):ص٢٥٧٧/٨.
(١٦) تفسير ابن كثير:٤٨/٦.

الثاني : أنهن المسلمات لا يجوز لمسلمة أن تكشف جسدها عند كافرة ، قاله سعيد بن جبير[١]، ومجاهد[٢]، وابن جريج[٣]، والكلبي[٤].

قال مجاهد:" ليس للمرأة المسلمة أن تكشف بين يدي المشركين"[٥].

روي عن عبادة بن نسي: "أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة، أو ترى عورتها، ويتأول: {أو نسائهن}"[٦].

قال عبادة: "كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما: أما بعد، فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات، ومعهن نساء أهل الكتاب، فامنع ذلك، وحل دونه. قال: ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلا اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم، تريد البياض لوجهها، فسود وجهها يوم تبيض الوجوه"[٧].

قوله تعالى:{أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ} [النور : ٣١]، أي:" أو ما ملكن مِنَ العبيد"[٨].

قال مقاتل:"من العبيد"[٩].

قال ابن جريج:" بلغني أنهن نساء المسلمين، لا يحل لمسلمة أن ترى مشركة عريتها، إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله: {أو ما ملكت أيمانهن}"[١٠].

قال الماوردي:" فلا يحل للحرة عبدها ، وإن حل للرجل أمته ، لأن البضع إنما يستحقه مالكه ، وبضع الحرة لا يكون ملكاً لعبدها ، وبضع الأمة ملك لسيدها"[١١].

واختلف في تحريم ما بطن من زينة الحرة على عبدها، على ثلاثة وجوه :

أحدها : أنها تحرم ولا تحل وتكون عورتها معه كعورتها مع الرجال والأجانب وهو ما عدا الزينة الظاهرة من جميع البدن إلا الوجه والكفين ، وتأول قائل هذا الوجه قوله تعالى:{ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ}، على الإماء دون العبيد ، وتأوله كذلك سعيد بن المسيب[١٢]، وسعيد بن جبير[١٣]، والشعبي[١٤].

قال سعيد بن جبير:" لا يحل لها أن تضع جلبابها عند عبد زوجها"[١٥].

قال الشعبي:"لا تضع المرأة خمارها عند مملوكها فإن فجأها فلا شيء"[١٦].

الثاني : أنه يجوز أن ينظر إليها فضلاء ، كما تكون المرأة في ثياب بيتها بارزة الذراعين والساقين والعنق اعتباراً بالعرف والعادة ، ورفعاً لما سبق ، وهو قول عبد الله بن عباس[١٧]، وأما غير عبدها فكالحر معها ، وإن كان عبداً لزوجها وأمها .

وروي عن ابن عباس، قال:" لا بأس أن يرى العبد شعر سيدته"[١٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٤١٥):ص٢٥٧٧/٨.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٤١٦):ص٢٥٧٧/٨.
(٣) انظر: الطبري:١٦٠/١٩.
(٤) انظر: النكت والعيون:٩٤/٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٤١٦):ص٢٥٧٧/٨.
(٦) أخرجه الطبري:١٦٠/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:١٦٠/١٩.
(٨) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٦/٣.
(١٠) أخرجه الطبري:١٦٠/١٩.
(١١) النكت والعيون:٩٤/٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٤١٨):ص٢٥٧٧/٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٤١٩):ص٢٥٧٧/٨.
(١٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٤٣/١.
(١٥) أخرجه ابن ابي خاتم(١٤٤١٩):ص٢٥٨٨/٨.
(١٦) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٣/١.
(١٧) انظر: النكت والعيون:٩٤/٤.
(١٨) أورجه السيوطي في الدر المنثور:١٨٣/٦، وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.

الثالث : أنها تحل ولا تحرم، وتكون عورتها معه كعورتها مع ذوي محرمها ، ما بين السرة والركبة لتحريمه عليها ولاستثناء الله تعالى له مع استثنائه من ذوي محرمها. وهو مروي عن عائشة(١)، وأم سلمة(٢).

قال مجاهد:" تضع المرأة الجلباب عند الملوك"(٣).

قال ابن كثير:" قال الأكثرون : بل يجوز لها أن تظهر على رقيقها من الرجال والنساء ، واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود : ..عن أنس ، أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد قد وهبه لها. قال : وعلى فاطمة ثوب إذا قنَّعت به رأسها لم يبلغ رجليها ، وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها ، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال : «إنه ليس عليك بأس، إنما هو أبوك وغلامك»(٤)(٥).

قوله تعالى:{أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ} [النور : ٣١]، أي:" أو التابعين من الرجال الذين لا غرض ولا حاجة لهم في النساء"(٦).

قال الطبري:يقول:" والذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لا أرب له في النساء من الرجال، ولا حاجة به إليهن، ولا يريدهن"(٧).

قال ابن كثير:" يعني : كالأجراء والأتباع الذين ليسوا بأكفاء ، وهم مع ذلك في عقولهم وَله وخَوَث، ولا همَّ لهم إلى النساء ولا يشتهونهن"(٨).

واختلف في قوله تعالى:{أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ} [النور : ٣١]، على وجوه:

أحدها : أنه الصغير لأنه لا إرب له في النساء لصغره ، وهذا قول الشعبي(٩)، وابن زيد(١٠)، وعلقمة(١١)، وعكرمة-في إحدى الروايات-(١٢).

قال الشعبي:" من تبع الرجل وحشمه، الذي لم يبلغ أربه أن يطلع على عورة النساء"(١٣).

قال ابن زيد:" هو الذي يتبع القوم، حتى كأنه كان منهم ونشأ فيهم، وليس يتبعهم لإربة نسائهم، وليس له في نسائهم إربة. وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه"(١٤).

وقال السدي:" هم الأتباع غير الأكفاء الذين لا يخاف لو مات أو طلق امرأته أن تتزوجه"(١٥).

الثاني : أنه العنين(المخنث) لأنه لا إرب له في النساء لعجزه ، وهذا قول عكرمة(١٦).

---

(١) انظر: النكت والعيون:٩٤/٤.

(٢) انظر: النكت والعيون:٩٤/٤.

(٣) أخرجه ابن ابي خاتم(١٤٤٢٠):ص٢٥٨٨/٨.

(٤)سنن أبي داود برقم (٤١٠٦).

"وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخه في ترجمة حُدَيْج الخَصِيّ - مولى معاوية - أن عبد الله بن مَسْعَدَة الفزاري كان أسود شديد الأدمة ، وأنه قد كان النبي ﷺ وهبه لابنته فاطمة ، فربته ثم أعتقته ، ثم قد كان بعد ذلك كله مع معاوية أيام صفين ، وكان من أشد الناس على عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه".
تاريخ دمشق (٢٧٨/٤ "المخطوط")

(٥) تفسير ابن كثير:٤٨/٦.

(٦) التفسير الميسر:٣٥٣.

(٧) تفسير الطبري:١٦١/١٩.

(٨) تفسير ابن كثير:٤٨/٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري:١٦٢/١٩، وتفسير ابن ابي حاتم:٢٥٨٧/٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٦٣/١٩.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٥٨٧/٨. حكاه دون إسناد.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٥٨٧/٨. حكاه دون إسناد.

(١٣) أخرجه الطبري:١٦٢/١٩.

(١٤) أخرجه الطبري:١٦٣/١٩.

(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٢٤):ص٢٥٧٨/٨.

(١٦)انظر: تفسير الطبري:١٦٣/١٩ . قال:« هو المخنث الذي لا يقوم زبه». وأخرجه ابن ابي

الثالث : أنه الأبله المعتوه، لأنه لا إرب له في النساء لجهالته ، وهذا قول الحسن[١]، مجاهد[٢]، والزهري[٣]، والحسن بن صالح[٤]، وعكرمة-في رواية-[٥].

قال مجاهد:" هو الأبله، الذي لا يعرف شيئا من النساء"[٦].

قال مجاهد:" الذي لا أرب له بالنساء، مثل فلان"[٧].

قال الزهري:" المعتوه"[٨].

قال الزهري:" هو الأحمق، الذي لا همة له بالنساء ولا أرب"[٩].

وقال طاوس:" الأحمق، الذي ليست له همة في النساء"[١٠].

وقال ابن عباس:" الذي لا حاجة له في النساء"[١١].

الرابع : أنه المجبوب لفقد إربه ، وهذا قول مأثور[١٢] .

الخامس : أنه الشيخ الهرم لذهاب إربه ، وهذا قول يزيد بن حبيب[١٣].

السادس : أنه الأحمق الذي لا تشتهيه المرأة ولا يغار عليه الرجل ، وهذا قول ابن عباس[١٤].

قال ابن عباس:" كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده، وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء"[١٥].

قال ابن عباس:" فهذا الرجل يتبع القوم، وهو مغفل في عقله، لا يكترث للنساء، ولا يشتهيهن، فالزينة التي تبديها لهؤلاء: قرطاها وقلادتها وسواراها، وأما خلخالاها ومعضداها ونحرها وشعرها، فإنها لا تبديه إلا لزوجها"[١٦].

السابع : أنه المستطعم الذي لا يهمه إلا بطنه ولايريد النساء، وهذا قول مجاهد[١٧].

وقال قتادة:" هو التابع يتبعك يصيب من طعامك"[١٨].

الثامن : أنه الذي لا تستحيي منه النساء. قاله ابن عباس أيضا[١٩].

التاسع: أنه تابع القوم يخدمهم بطعام بطنه ، فهو مصروف لا لشهوة ، وهو قول الحسن[٢٠].

وفيما أخذت منه «الإربة» قولان :

أحدها : أنها مأخوذة من «العقل»، من قولهم: رجل أريب، إذا كان عاقلاً. حكاه الماوردي[٢١].

حاتم(١٤٤٢٨):ص/٨/٢٥٧٩.

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٥٨٧/٨. حكاه دون إسناد. قال:« هو الأحمق الذي لا حاجة له بالنساء»

(٢) انظر: تفسير الطبري:١٦٢/١٩.

(٣) انظر: تفسير الطبري:١٦٢/١٩.

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٥٨٧/٨. حكاه دون إسناد. قال هو «الأبله».

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٥٨٧/٨. حكاه دون إسناد. قال:« هو الأحمق الذي لا حاجة له بالنساء»

(٦) اخرجه الطبري:١٦٢/١٩.

(٧) اخرجه الطبري:١٦٢/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:١٦٢/١٩.

(٩) أخرجه الطبري:١٦٢/١٩.

(١٠) أخرجه الطبري:١٦٢/١٩.

(١١) اخرجه الطبري:١٦٣/١٩.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٩٥/٤.

(١٣) انظر: النكت والعيون:٩٥/٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٦١/١٩.

(١٥) أخرجه الطبري:١٦١/١٩.

(١٦) أخرجه الطبري:١٦١/١٩.

(١٧) انظر: تفسير الطبري:١٦١/١٩-١٦٢.

(١٨) أخرجه الطبري:١٦١/١٩.

(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٦٢/١٩.

(٢٠) انظر: النكت والعيون:٩٥/٤.

(٢١) انظر: النكت والعيون:٩٥/٤.

والثاني : أنها مأخوذة من «الأرب»، وهو الحاجة ، قاله قطرب(١)، والزجاج(٢)، وأبو علي الفارسي(٣).

قال الزجاج:" «الإربة»: الحاجة، ومعناه -ههنا-: غير ذوي الحاجات إلى النساء"(٤).

قال السمعاني:" «الإربة»: هي الحاجة، مأخوذ من: الإرب، ومن هذا حديث عائشة -رضي الله عنها - «أن النبي كان يقبل وهو صائم، وكان أملككم لإربه»(٥)، ومن قال: لا، فقد أخطأ"(٦).

قال الماوردي:" إن الصغير والكبير والمجبوب من هذه التأويلات المذكورة في وجوب ستر الزينة الباطنة منهم ، وإباحة ما ظهر منها معهم كغيرهم ، فأما الصغير فإن لم يظهر على عورات النساء ولم يميز من أحوالهن شيئاً فلا عورة للمرأة معه، فإن كان مميزاً غير بالغ لزم أن تستر المرأة منه ما بين سرتها وركبتها وفي لزوم ستر ما عداه وجهان : أحدهما : لا يلزم لأن القلم غير جار عليه والتكليف له غير لازم . والثاني : يلزم كالرجل لأنه قد يشتهي ويشتهى"(٧).

قوله تعالى:{أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} [النور : ٣١]، أي:" أو الأطفال الصغار الذين ليس لهم علم بأمور عورات النساء، ولم توجد فيهم الشهوة بعد"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن فيظهروا عليهن لصغرهم"(٩).

قال ابن كثير:" يعني : لصغرهم لا يفهمون أحوال النساء وعوراتهنّ من كلامهن الرخيم ، وتعطفهن في المشية وحركاتهن ، فإذا كان الطفل صغيرًا لا يفهم ذلك ، فلا بأس بدخوله على النساء.فأما إن كان مراهقا أو قريبا منه ، بحيث يعرف ذلك ويدريه ، ويفرق بين الشوهاء والحسناء ، فلا يمكن من الدخول على النساء. وقد ثبت في الصحيحين ، عن رسول الله ﷺ أنه

---

(١) انظر: النكت والعيون:٩٥/٤.
(٢)انظر: معاني القرآن:٤٢/٤ .
(٣) انظر: الحجة للقراء السبعة:٣١٨/٥.
(٤) معاني القرآن:٤٢/٤ .
(٥) الحديث:« كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملككم لإربه».
أخرجه احمد(٢٤١٥٤):ص١٨٤/٤٠، ابن أبي شيبة ٥٩/٣ و٦٣، وابن راهوية (١٤٩٥) ، ومسلم (١١٠٦) (٦٥) ، وأبو داود (٢٣٨٢) ، والترمذي (٧٢٩) ، والنسائي في "الكبرى" (٣١٠١) ، وابن عبد البر في "التمهيد" ٢٦٦/٢٤، والبغوي في "شرح السنة" (١٧٤٨) و (١٧٤٩) ، من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وقال البغوي: هذا حديث متفق على صحته.
وقد اختلفوا فيه على الأعمش:
فرواه ابن نمير، كما سيرد في الرواية (٢٥٩٣٢) ، وشعبة كما عند النسائي في "الكبرى" (٣٠٩٩) ، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة.
ورواه شريك كما عند النسائي في "الكبرى" (٣١٠٠) ، ويحيي بن سعيد الأموي كما عند الدارقطني في "السنن" ١٨١/٢ عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عائشة.
ورواه يحيى بن أبي زائدة، كما عند مسلم (١١٠٦) (٦٥) ، والنسائي في "الكبرى" (٣٠٨١) ، عن الأعمش، عن أبي الضحى مسلم بن صبيح، عن مسروق، عن عائشة.
ورواه سفيان، كما عند النسائي (٣٠٨٢) ، عن الأعمش ومنصور، عن أبي الضحى، عن شتير بن شكل، عن حفصة. وسيرد ٢٨٦/٦.
وأخرجه النسائي في "الكبرى" (٣٠٨٦) من طريق المغيرة، عن إبراهيم، به، مختصرا.

انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ١: ٣٦.
(٦) تفسير السمعاني:٥٢٣/٣.
(٧) النكت والعيون:٩٥/٤.
(٨) التفسير الميسر:٣٥٣.
(٩) تفسير الطبري:١٦٣/١٩.

قال : «إياكم والدخول على النساء». قالوا : يا رسول الله ، أفرأيت الحَمْو ؟[1] قال : "الحَمْو الموت»[2]"[3].

عن مجاهد، قوله: "{على عورات النساء}، قال: لم يدروا ما ثم، من الصغر قبل الحلم"[4].

قال بسر بن سعيد:" الغلام الذي لم يحتلم"[5].

قال سعيد بن جبير:" يعني: الغلمان الصغار"[6].

وفي تفسير قوله تعالى:{أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ} [النور : ٣١]، ثلاثة وجوه[7]:

الأول : معناه: لم يبلغوا حد الشهوة.

الثاني : لم يعرفوا العورة من غير العورة فلم يميزوا.

قال ابن قتيبة:" أي: لم يعرفوها ولم يفهموها"[8].

الثالث : لم يطيقوا جماع النساء.

قال الزجاج:معناه:" لم يبلغوا أن يطيقوا النساء، كما تقول: قد ظهر فلان على فلان إذا قوي عليه. ويجوز أن يكون معناه: لم يدروا ما قباحة عورات النساء من غيرها"[9].

قال الفراء:" لم يبلغوا أن يطيقوا النساء. وهو كما تقول: ظهرت على القرآن أي أخذته وأطقته. وكما تقول للرجل: صارع فلان فلانا وظهر عليه أي أطاقه وغالبه"[10].

وأما الشيخ فإن بقيت فيه شهوة فهو كالشباب ، فإن فقدها ففيه وجهان[11]:

أحدهما : أن الزينة الباطنة معه مباحة والعورة معه ما بين السرة والركبة .

الثاني : أنها معه محرمة وجميع البدن معه عورة إلا الزينة الظاهرة ، استدامة لحاله المتقدمة .

وأما «المجبوب والخصي»، ففيهما ثلاثة وجوه[12]:

أحدها : استباحة الزينة الباطنة معهما .

الثاني : تحريمها عليهما .

الثالث : إباحتها للمجبوب وتحريمها على الخصي .

قال الماوردي: "و«العورة»: إنما سميت بذلك، لقبح ظهورها وغض البصر عنها، مأخوذ من: عور العين"[13].

قوله تعالى:{وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ} [النور : ٣١]، أي:" ولا يضرب النساء عند سَيْرهن بأرجلهن ليُسْمِعْن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه"[14].

---

(١)الحمو، والحم: أقارب الزوج، وإذا كان رأى النبي - ﷺ - ما ذكر في أبي الزوج وهو من المحارم فكيف يسمح بدخول غيره البيت ورؤيته نساءه؟..

(٢)أخرجه البخاري في النكاح باب ١١١، ومسلم في السلام حديث ٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير:٤٩/٦.

(٤) أخرجه الطبري:١٦٤/١٩.

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٣١):ص٢٥٧٩/٨

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٣٠):ص٢٥٧٩/٨

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء:٢٥٠/٢، ومعاني القرآن للزجاج: ٤٢/٤، والنكت والعيون:٩٦/٤، وتفسير السمعاني:٥٢٣/٣.

(٨) غريب القرآن:٣٠٤.

(٩) معاني القرآن:٤٢/٤ .

(١٠) معاني القرآن:٢٥٠/٢.

(١١) انظر: النكت والعيون:٩٦/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون:٩٦/٤.

(١٣) النكت والعيون:٩٦/٤.

(١٤) التفسير الميسر:٣٥٣.

قال ابن قتيبة:" أي: لا يضربن بإحدى الرجلين على الأخرى ليصيب الخلخال الخلخال، فيعلم أن عليها خلخالين"(١).

قال الطبري:يقول:" ولا يجعلن في أرجلهن من الحلي ما إذا مشين أو حركنهن، علم الناس الذين مشين بينهم ما يخفين من ذلك"(٢).

عن سعيد بن جبير، قوله:"{ ليعلم ما يخفين من زينتهن}، يعنى: ليعلم الغريب إذا دخل عليها ما تخفي من زينتها"(٣).

عن عبد الله: "{ليعلم ما يخفين من زينتهن}: الخلخال"(٤).

قال ابن عباس:" فهو أن تقرع الخلخال بالآخر عند الرجال، ويكون في رجليها خلاخل، فتحركهن عند الرجال، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك؛ لأنه من عمل الشيطان"(٥).

قال أبو مالك:" كان في أرجلهم خرز، فكن إذا مررن بالمجالس حركن أرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن"(٦).

قال سعيد بن جبير:" وذلك أن المرأة كان يكون في رجلها الخلخال فيه جلاجل فإذا دخل عليها غريب تحرك رجلها عمدا ليسمع صوت الخلخال فقال: ولا يضربن يعنى لا يحركن أرجلهن"(٧).

قال ابن زيد:" الأجراس من حليهن، يجعلنها في أرجلهن في مكان الخلاخل، فنهاهن الله أن يضربن بأرجلهن لتسمع تلك الأجراس"(٨).

قال قتادة:" هو الخلخال، لا تضرب امرأة برجلها ليسمع صوت خلخالها"(٩).

وقال مجاهد:" الخلخال على الخلخال"(١٠).

قال الماوردي:" ويحتمل فعلهن ذلك أمرين : فإما أن يفعلن ذلك فرحاً بزينتهن ومرحاً وإما تعرضاً للرجال وتبرجاً ، فإن كان الثاني فالمنع منه حتم ، وإن كان الأول فالمنع منه ندب"(١١).

قال ابن كثير:" كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت - لا يسمع صوته - ضربت برجلها الأرض ، فيعلم الرجال طنينه ، فنهى الله المؤمنات عن مثل ذلك. وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورًا ، فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي ، دخل في هذا النهي ؛ لقوله تعالى : {وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ } : ومن ذلك أيضا أنها تنهى عن التعطر والتطيب عند خروجها من بيتها لَيَشْتَمَّ الرجال طيبها ، فقد قال أبو عيسى الترمذي :... عن أبي موسى رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : "كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرَّت بالمجلس فهي كذا وكذا" يعني زانية»(١٢)"(١٣).

وعن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : «لقيتْه امرأة وجد منها ريح الطيب ، ولذيلها إعصار فقال : يا أمة الجبار ، جئت من المسجد ؟ قالت : نعم. قال لها : وله تَطَيَّبتِ ؟ قالت :

---

(١) غريب القرآن:٣٠٤.
(٢) تفسير الطبري:١٦٤/١٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٤٣٧):ص٢٥٨٠/٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٤٣٨):ص٢٥٨٠/٨.
(٥) أخرجه الطبري:١٦٤/١٩.
(٦) أخرجه الطبري:١٦٤/١٩.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٣٤):ص٢٥٨٠/٨
(٨) أخرجه الطبري:١٦٥/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:١٦٤/١٩-١٦٥.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٣٦):ص٢٥٨٠/٨.
(١١) النكت والعيون:٩٧/٤.
(١٢)سنن الترمذي برقم (٢٧٨٦)، وسنن أبي داود برقم (٤١٧٣) وسنن النسائي (١٥٣/٨).
(١٣) تفسير ابن كثير:٤٩/٦.

نعم. قال : إني سمعت حبي أبا القاسم ﷺ يقول : "لا يقبل الله صلاة امرأة تَطَيبت لهذا المسجد ، حتى ترجع فتغتسل غُسلها من الجنابة"»[(١)].

عن ميمونة بنت سعد ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "الرافلة في الزينة في غير أهلها ، كمثل ظلمة يوم القيامة لا نور لها"[(٢)].

أبي أسيد الأنصاري ، عن أبيه : «أنه سمع رسول الله ﷺ يقول وهو خارج من المسجد - وقد اختلط الرجال مع النساء في الطريق - فقال رسول الله ﷺ للنساء : "استأخرن ، فإنه ليس لكن أن تَحْققْن الطريق ، عليكن بحافات الطريق" ، فكانت المرأة تلصق بالجدار ، حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار ، من لصوقها به»[(٣)].

وفي قراءة عبد الله: « لِيُعْلَمَ مَا سُرّ مِنْ زِينَتِهِن»[(٤)].

قوله تعالى:{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور : ٣١]، أي:" وارجعوا أيها المؤمنون إلى ربكم بامتثال الطاعات، والكفّ عن الشهوات، رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة"[(٥)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم من غض البصر، وحفظ الفرج، وترك دخول بيوت غير بيوتكم، من غير استئذان ولا تسليم، وغير ذلك من أمره ونهيه؛ لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم"[(٦)].

قال ابن كثير:" افعلوا ما آمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة ، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ، فإن الفَلاح كل الفَلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله ، وترك ما نهيا عنه ، والله تعالى هو المستعان وعليه التكلان"[(٧)].

عن الضحاك، "{إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا}، قال: البر والفاجر"[(٨)].

عن سعيد بن جبير، قوله:" {المؤمنون}، يني المصدقين بتوحيد الله"[(٩)].

عن محمد بن كعب القرظي، قوله:" {لعلكم تفلحون}، يقول: لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني"[(١٠)].

قيل لسهل بن عبدالله:" ما التوبة؟ قال: أن تبدل بدل الجهل العلم وبدل النسيان الذكر وبدل المعصية الطاعة"[(١١)].

قال القشيري:" يقال أمر الكل بالتوبة، لئلا يخجل العاصي من الرجوع بانفراده، ويقال أحوج الناس إلى التوبة من توهم أنه ليس يحتاج إلى التوبة"[(١٢)].

فوائد الآيتين:[٣٠-٣١]:

١- وجوب غض البصر وحفظ الفرج.

٢- وجوب ستر المرأة زينتها ومواضع ذلك ما عدا ما يتعذر ستره للضرورة.

---

(١)سنن أبي داود برقم (٤١٧٤) وسنن ابن ماجه برقم (٤٠٠٢).

(٢)سنن الترمذي برقم (١١٦٧) وقال الترمذي : "وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة ، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث من قبل حفظه وهو صدوق ، وقد رواه بعضهم عن موسى بن عبيدة ولم يرفعه".

(٣)سنن أبي داود برقم (٥٢٧٢).

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء:٢/٢٥٠.

(٥) التفسير الميسر:٣٥٣، وصفوة التفاسير:٢/٣٠٨.

(٦) تفسير الطبري:١٩/١٦٥.

(٧) تفسير ابن كثير:٦/٥٠.

(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٣٨):ص٨/٢٥٨٠.

(٩)اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٣٩):ص٨/٢٥٨٠.

(١٠)اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٤٤٠):ص٨/٢٥٨١.

(١١) تفسير التستري:١١١.

(١٢) لطائف الإشارات:٢/٦٠٨.

٣- بيان المحارم الذين للمرأة المؤمنة أن تبدي زينتها عندهم بلا حرج.
٤-الرخصة في إظهار الزينة للهرم المخرف من الرجال والمعتوه والطفل الصغير الذي لم يعرف عن عورات النساء شيئاً.

القرآن

{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٣٢)} [النور : ٣٢]

التفسير:

وزوِّجوا -أيها المؤمنون- مَن لا زوج له من الأحرار والحرائر والصالحين مِن عبيدكم وجواريكم، إن يكن الراغب في الزواج للعفة فقيرًا يغنه الله من واسع رزقه. والله واسع كثير الخير عظيم الفضل، عليم بأحوال عباده.

قوله تعالى:{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ} [النور : ٣٢]، أي:" وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له من الرجال والنساء من أحرار رجالكم ونسائكم"[١].

قال الطبري:" وزوجوا أيها المؤمنون من لا زوج له، من أحرار رجالكم ونسائكم"[٢].

وفي «الأيم»، قولان :

أحدهما : أنها المتوفى عنها زوجها ، قاله محمد بن الحسن .

الثاني : أنها التي لا زوج لها بكراً كانت أو ثيباً. قاله يحيى بن سلام[٣]، وأبو عبيدة[٤]، والطبري[٥]، وحكاه الماوردي عن الجمهور[٦].

قال ابن كثير:" الأيامى : جمع أيِّم ، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها ، وللرجل الذي لا زوجة له. وسواء كان قد تزوج ثم فارق ، أو لم يتزوج واحد منهما ، حكاه الجوهري عن أهل اللغة"[٧].

يقال: رجل أيّم، إذا لم تكن له زوجة، وامرأة أيّم، إذا لم يكن لها زوج[٨] .

ومنه ما روي عن النبي -ﷺ- «أنه نهى عن الأيمة»[٩]، يعني: العزبة. قال الشاعر[١٠]:

الشاعر[١٠]:

فَإِن تَنْكَحِي أَنْكِحْ وإِن تَتَأَيَّمِي ... وإن كُنْتَ أَفْتَى منكُم أَتَأَيَّمُ

ومنه قول جميل[١١]:

أُحبُّ الأيامَى إذْ بُثَيْنَةُ أَيِّمٌ ... وأَحْبَبْتُ لمَّا أنْ غَنِيتِ الغَوَانِيا

وروى القاسم بن محمد، قال : "أمر بقتل الأيم"[١]. يعني: الحية .

---

(١) صفوة التفاسير:٣٠٨/٢.
(٢) تفسير الطبري:١٦٥/١٩.
(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٤٤/١.
(٤) انظر: مجاز القرآن:٦٥/٢.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٦٥/١٩.
(٦) انظر: النكت والعيون:٩٧/٤.
(٧) تفسيرابن كثير:٥١/٦.
(٨) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة:٦٥/٢، وتفسير الطبري:١٦٥/١٩.
(٩) ذكره الماوردي في النكت والعيون:٩٧/٤، والسمعاني في التفسير:٥٢٦/٣، والروياني في بحر المذهب:٤/٩، وابن عربي في احكام القرآن:٣٩٠/٣، وغيرهم.
ولم اجده بهذا اللفظ، لكن أخرج الترمذي(١٠٨٣)، وابن ماجة(١٨٤٩)، واحمد:(١٧٥/١)، وابن أبي شيبة(١٢٨/٤، حديثا بمعناه، وهو :«انه-ﷺ- نهى عن التبتل».
(١٠)البيت أنشده صاحب (اللسان) في "أيم"، والطبري في التفسير:١٦٥/١٩.
(١١)البيت لجميل العذري صاحب بثينة، كما في (اللسان: غنا)، وتفسير الطبري:١٦٥/١٩.
والغانية: التي غنيت بالزوج، وقال جميل: " أحب الأيامى ... " البيت وغنيت المرأة بزوجها غنيانًا. أي: استغنت.

وفي توجيه الخطاب في قوله تعالى:{وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ} [النور : ٣٢]،، وجهان[٢]:
أحدهما : أنه خطاب للأولياء أن ينكحوا آيامهم من أكفائهن إذا دعون إليه، لأنه خطاب خرج مخرج الأمر الحتم فلذلك يوجه إلى الولي دون الزوج.
قال الحسن:"هذه فريضة"[٣].
عن سليمان بن يسار، "أن قوما نزلوا منزلا ثم ارتحلوا، وبغت امرأة منهم فرفعت إلى عمر بن الخطاب فجلدها عمر الحد وقال: استوصوا بها خيرا وزوجوها فإنها من الأيامى"[٤].
الثاني : أنه خطاب للأزواج أن يتزوجوا الأيامى عند الحاجة .
قال الماوردي:" واختلف في وجوبه فذهب أهل الظاهر إليه تمسكاً بظاهر الأمر ، وذهب جمهور الفقهاء إلى استحبابه للمحتاج من غير إيجاب وكراهته لغير المحتاج"[٥].
قال ابن كثير:" هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه ، على كل من قَدَر عليه. واحتجوا بظاهر قوله ﷺ : «يا معشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٦].
وجاء في السنن - من غير وجه - أن رسول الله ﷺ قال : «تَزَوَّجوا ، توالدوا ، تناسلوا ، فإني مُبَاهٍ بكم الأمم يوم القيامة»[٧]. وفي رواية : «حتى بالسقط»"[٨].
وفي الحديث:«إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله فى النصف الباقى»[٩].
قال القرطبي:" هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح، أي زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء. وقيل: للأزواج. والصحيح الأول، إذ لو أراد الأزواج لقال: «وانكحوا» بغير همز، وكانت الألف للوصل. وفي هذا دليل على أن المرأة ليس لها أن تنكح نفسها بغير ولي، وهو قول أكثر العلماء. وقال أبو حنيفة: إذا زوجت الثيب أو البكر نفسها بغير ولى كفيا لها جاز"[١٠].
قوله تعالى:{وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} [النور : ٣٢]، أي:" وأنكحوا كذلك أهل التقى والصلاح من عبيدكم وجواريكم"[١١].
قال الطبري:يقول:" ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم"[١٢].
قال يحيى:" أي: وأنكحوا الصالحين من عبادكم، يعني المملوكين المسلمين، وأنكحوا الصالحين من إمائكم المسلمات. وهذه رخصة، وليس على الرجل بواجب أن يزوج أمته وعبده"[١٣].
وفي قوله تعالى:{وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} [النور : ٣٢]، وجهان من التفسير[١٤]:
أحدهما : أن معنى الكلام: وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من رجالكم وأنكحوا إماءَكم .

---

(١) النهاية في غريب الحديث:٨٦/١.
(٢) انظر: النكت والعيون:٩٧/٤-٩٨.
(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٤/١.
(٤) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٤/١-٤٤٥.
(٥) النكت والعيون:٩٨/٤.
(٦)صحيح البخاري برقم (٥٠٦٦) وصحيح مسلم برقم (١٤٠٠).
(٧)سنن أبي داود برقم (٢٠٥٠) وسنن النسائي (٦٥/٦).
(٨) تفسير ابن كثير:٥١/٦.
(٩)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٨٢/٤، رقم ٥٤٨٦).
(١٠) تفسيرالقرطبي:٢٣٩/١٢.
(١١) صفوة التفاسير:٣٠٨/٢.
(١٢) تفسير الطبري:١٦٥/١٩.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٤٥/١.
(١٤) انظر: النكت والعيون:٩٨/٤.

الثاني : -وهو الأظهر- أنه أمر بإنكاح العبيد والإيماء كما أمرنا بإنكاح الأيامى لاستحقاق السيد لولاية عبده وأمته فإن دعت الأمة سيدها أن يتزوجها لم يلزمه لأنها فراش له، وإن أراد تزويجها كان له خيراً وإن لم يختره ليكتسب رق ولدها ويسقط عنه نفقتها .

وإن أراد السيد تزويج عبد أو طلب العبد ذلك من سيده فهل للداعي إليه أن يجبر الممتنع فيهما عليه أم لا ؟ على قولين[١].

قال البيضاوي:" وتخصيص الصالحين [في قوله:{وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}]، لأن إحصان دينهم والاهتمام بشأنهم أهم، وقيل المراد الصالحون للنكاح والقيام بحقوقه"[٢].

قال السعدي:" يحتمل أن المراد بالصالحين، صلاح الدين، وأن الصالح من العبيد والإماء -وهو الذي لا يكون فاجرا زانيا- مأمور سيده بإنكاحه، جزاء له على صلاحه، وترغيبا له فيه، ولأن الفاسد بالزنا، منهي عن تزوجه، فيكون مؤيدا للمذكور في أول السورة، أن نكاح الزاني والزانية محرم حتى يتوب، ويكون التخصيص بالصلاح في العبيد والإماء دون الأحرار، لكثرة وجود ذلك في العبيد عادة، ويحتمل أن المراد بالصالحين الصالحون للتزوج المحتاجون إليه من العبيد والإماء، يؤيد هذا المعنى، أن السيد غير مأمور بتزويج مملوكه، قبل حاجته إلى الزواج. ولا يبعد إرادة المعنيين كليهما، والله أعلم"[٣].

قوله تعالى:{إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النور : ٣٢]، أي:" إن يكن الراغب في الزواج للعفة فقيرًا يغنه الله من واسع رزقه"[٤].

قال القرطبي:" أي: لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة،{إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}، وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلب رضا الله واعتصاما من معاصيه"[٥].

قال البيضاوي:هذا "رد لما عسى أن يمنع من النكاح، والمعنى: لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة فإن في فضل الله غنية عن المال فإنه غاد ورائح، أو وعد من الله بالإغناء، لقوله ﷺ «اطلبوا الغنى في هذه الآية»[٦]، لكن مشروط بالمشيئة كقوله تعالى: {إِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ } [التوبة : ٢٨]"[٧].

قال السعدي:أي:" فلا يمنعكم ما تتوهمون، من أنه إذا تزوج، افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، وفيه حث على التزوج، ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر"[٨].

قال عمر الفاروق-رضي الله عنه-:" ما رأيت مثل رجل لم يلتمس الغنى في الباءة والله يقول: {إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله}"[٩].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [النور : ٣٢]، أي:" والله واسع كثير الخير عظيم الفضل، عليم بأحوال عباده"[١٠].

قال البيضاوي:" {والله واسع}: ذو سعة لا تنفد نعمته إذ لا تنتهي قدرته. {عليم}: يبسط الرزق ويقدر على ما تقتضيه حكمته"[١١].

قال السعدي:" {والله واسع} كثير الخير عظيم الفضل {عليم} بمن يستحق فضله الديني والدنيوي أو أحدهما، ممن لا يستحق، فيعطي كلا ما علمه واقتضاه حكمه"[١٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون:٩٨/٤.
(٢) تفسير البيضاوي:١٠٥/٤.
(٣) تفسير السعدي:٥٦٧.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٥) تفسيرالقرطبي:٢٤١/١٢.
(٦) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٥/١.
(٧) تفسير البيضاوي:١٠٥/٤.
(٨) تفسير السعدي:٥٦٧.
(٩) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٥/١.
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٤.
(١١) تفسير البيضاوي:١٠٥/٤.
(١٢) تفسير السعدي:٥٦٧.

القرآن

{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣٣)} [النور : ٣٣]

التفسير:

والذين لا يستطيعون الزواج لفقرهم أو غيره فليطلبوا العفة عمَّا حَرَّمَ الله حتى يغنيهم الله من فضله، وييسر لهم الزواج. والذين يريدون أن يتحرروا من العبيد والإماء بمكاتبة أسيادهم على بعض المال يؤدونه إليهم، فعلى مالكيهم أن يكاتبوهم على ذلك إن علموا فيهم خيرًا: مِن رشد وقدرة على الكسب وصلاح في الدين، وعليهم أن يعطوهم شيئًا من المال أو أن يحطوا عنهم مما كُوتبوا عليه. ولا يجوز لكم إكراه جواريكم على الزنى طلبًا للمال، وكيف يقع منكم ذلك وهن يُرِدْن العفة وأنتم تأبونها؟ وفي هذا غاية التشنيع لفعلهم القبيح. ومن يكرههنَّ على الزنى فإن الله تعالى من بعد إكراههن غفور لهن رحيم بهن، والإثم على مَن أكْرههن.

سبب النزول:

أولا: قوله تعالى: {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور : ٣٣].

قال الكلبي: "وسبب نزول قوله تعالى :{ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُم فِيهِمْ خَيْراً}، الآية ؛ أن عبداً اسمه صبح لحويطب بن عبد العزى سأله أن يكاتبه فامتنع حويطب، فأنزل الله ذلك فيه"(١).

ثانيا:- قوله: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٣٣].

أ- عن جابر،" أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ} إلى قوله: {غَفُورٌ رَحِيمٌ}"(٢).

ب- عن الزهري، "أن رجلا من قريش أسر يوم بدر، وكان عبد الله بن أبي أسره، وكان لعبد الله جارية يقال: لها معاذة، فكان القرشي الأسير يريدها على نفسها، وكانت مسلمة، فكانت تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبي يكرهها على ذلك، ويضربها رجاء أن تحمل للقرشي، فيطلب فداء ولده، فقال الله: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا}، قال الزهري: {وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يقول: غفور لهن ما أكرهن عليه"(٣).

وقال السدي:" أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، كانت له جارية تدعى معاذة، فكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها إرادة الثوب منه والكرامة له، فأقبلت الجارية إلى أبي بكر، فشكت ذلك إليه، فذكره أبو بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي: من يعذرنا من محمد يغلبنا على مملوكينا فأنزل الله فيهم هذا"(٤).

وقال مقاتل بن حيان:" بلغنا والله أعلم: أنها نزلت في رجلين يكرهان أمتين لهما على الزنا، تسمى إحداهن مسيكة وكانت للأنصار، وكانت أميمة أم مسكة لعبد الله بن

---

(١) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:١٠٠/٤.

(٢)أخرجه مسلم ٣٠٢٩ وأبو داود ٢٣١١ والنسائي في «التفسير» ٣٨٥ والطبري: ١٧٤/١٩. والواحدي في «أسباب النزول» ٦٤٠ والحاكم، ٢/ ٣٩٧.

(٣) أخرجه الطبري:١٧٥/١٩. ومراسيل الزهري واهية لأنه حافظ ثبت لا يرسل إلا لعلة، والصحيح في هذا الباب ما ورد عن جابر. والله اعلم.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٢٨):ص٢٥٩٠/٨.

أبي، وكانت معاذة وأروى بتلك المنزلة، فأتت مسيكة وأمها النبي ﷺ فذكرتا ذلك له، فأنزل الله تعالى في ذلك: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ}، يعنى: الزنا"[١].

قوله تعالى:{وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} [النور : ٣٣]، أي:" وليجتهد في العفة وقمع الشهوة الذين لا تتيسر لهم سبل الزواج لأسباب مادية حتى يوسع الله عليهم ويسهل لهم أمر الزواج"[٢].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور : ٣٣]، أي:" والذين يريدون أن يتحرروا من رقِّ العبودية بمكاتبة أسيادهم من العبيد والأرقاء فكاتبوهم على قدر من المال إن عرفتم منهم الأمانة والرشد ليصيروا أحراراً"[٣].

قال الطبري:يقول:" والذين يلتمسون المكاتبة منكم من مماليككم، فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة "[٤].

قال الماوردي:" أما الكتاب المبتغى هنا: هو كتابة العبد والأمة على مال إذا أدياه عتقا به وكانا قبله مالكين للكسب ليؤدي في العتق ، فإن تراضى السيد والعبد عليها جاز ، وإن دعا السيد إليها لم يجبر العبد عليها .

واختلف إن دعا العبد إلى الكتابة، ففي إجبار السيد عليها إذ علم فيه خيراً مذهبان:

أحدهما: أنه يستحب له ولا يجبر عليه، فإذا انعقدت الكتابة لزمت من جهة السيد وكان المكاتب فيها مخيراً بين المقام والفسخ. وهو القول الجديد للشافعي[٥]؛ وحكاه الماوردي عن جمهور الفقهاء[٦].

وحجتهم: قوله عليه الصلاة والسلام : « لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه»[٧].

قال ابن كثير:" قد ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا الأمر أمرُ إرشاد واستحباب ، لا أمر تحتم وإيجاب ، بل السيد مخير ، إذا طلب منه عبده الكتابة إن شاء كاتبه ، وإن شاء لم يكاتبه"[٨].

قال ابن زيد:" ليس بواجب عليه أن يكاتبه، إنما هذا أمر أذن الله فيه، ودليل"[٩].

قال مالك بن أنس: "الأمر عندنا أن ليس على سيد العبد أن يكاتبه إذا سأله ذلك، ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكاتب عبده، وقد سمعت بعض أهل العلم إذا سئل عن ذلك، فقيل له: إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: {فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا}، يتلو هاتين الآيتين {وإذا حللتم فاصطادوا}، {فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله}، قال مالك: فإنما ذلك أمر أذن الله فيه للناس، وليس بواجب على الناس ولا يلزم أحداً. وقال الثوري: إذا أراد العبد من سيده أن يكاتبه، فإن شاء السيد أن يكاتبه كاتبه، ولا يجبر السيد على ذلك"[١٠].

الثاني : يجب على السيد مكاتبته ويجبر إن أبى. وهو قول ابن عباس[١١]، وعطاء[١]، وهو القول القول القديم من قولي الشافعي[٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٢٩):ص٢٥٩٠/٨.
(٢) صفوة التفاسير:٣٠٨/٢.
(٣) صفوة التفاسير:٣٠٨/٢.
(٤) تفسير الطبري:١٦٧/١٩، ١٧٠.
(٥) انظر: تفسير الإمام الشافعي:١١٤٠/٣.
(٦)حكاه الماوردي عن مالك والشافعي وأبي حنيفة وجمهور الفقهاء، انظر: النكت والعيون:٩٩/٤.
(٧)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (٣٨٧/٤، رقم ٥٤٩٢) . وأخرجه أيضا: فى السنن الكبرى (١٠٠/٦، رقم ١١٣٢٥). من حديث حنيفة الرقاشى.
(٨) تفسير ابن كثير:٥٢/٦.
(٩) أخرجه الطبري:١٧٧/١٩-١٧٨.
(١٠) أخرجه الطبري:١٦٧/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٦٧/١٩.

قال ابن عباس:" لا ينبغي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح، الذي له المال يريد إن يكاتب، ألا يكاتبه"[٣].

وري عن أنس بن مالك، "أن سيرين أراد أن يكاتبه، فتلكأ عليه، فقال له عمر: لتكاتبنه"[٤].

قال البخاري : "وقال روح ، عن ابن جُرَيْج قلت لعطاء : أواجب عليّ إذا علمت له مالا أن أكاتبه ؟ قال : ما أراه إلا واجبًا. وقال عمرو بن دينار : قلت لعطاء: أتأثُره عن أحد ؟ قال : لا. ثم أخبرني أن موسى بن أنس أخبره ، أن سيرين سأل أنسًا المكاتبةَ - وكان كثير المال ، فأبى. فانطلق إلى عمر بن الخطاب فقال : كاتبه. فأبى ، فضربه بالدّرة ، ويتلو عمر ، رضي الله عنه:{ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا }، فكاتبه"[٥].

قال ابن كثير:" أمر من الله تعالى للسادة إذا طلب منهم عبيدهم الكتابة أن يكاتبوا، بشرط أن يكون للعبد حيلة وكسب يؤدي إلى سيّده المال الذي شارطه على أدائه"[٦].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب، قول من قال: واجب على سيد العبد أن يكاتبه إذا علم فيه خيرا، وسأله العبد الكتابة، وذلك أن ظاهر قوله: {فكاتبوهم} ظاهر أمر، وأمر الله فرض الانتهاء إليه، ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة، على أنه ندب"[٧].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا} [النور : ٣٣]، على أقوال:

أحدها : أن الخير ، القدرة على الاحتراف والكسب ، قاله ابن عمر[٨]، وابن عباس[٩]، ومالك بن انس[١٠]، وابن زيد[١١]، ومقاتل[١٢].

قال ابن عباس:" يقول: إن علمتم لهم حيلة، ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين"[١٣].

قال مالك بن أنس:" إنه ليقال: الخير القوة على الأداء"[١٤].

عن نافع، عن ابن عمر، " أنه كره أن يكاتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة، قال: تطعمني أوساخ الناس"[١٥].

الثاني : أن الخير : المال ، قاله ابن عباس[١٦]، والحسن[١٧]، ومجاهد[١٨]، وعطاء بن أبي رباح[١٩].

قال مجاهد:" إن علمتم لهم مالا، كائنة أخلاقهم وأديانهم ما كانت"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٦٧/١٩.
(٢) نقلا عن ابن كثير:٥٣/٦.
(٣) أخرجه الطبري:١٦٧/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:١٦٧/١٩.
(٥)صحيح البخاري (١٨٤/٥) "فتح".
(٦) تفسير ابن كثير:٥٢/٦.
(٧) تفسير الطبري:١٧٨/١٩.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٧/٣.
(١٣) أخرجه الطبري:١٧٨/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:١٧٨/١٩.
(١٥) أخرجه الطبري:١٧٨/١٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٦٩/١٩.
(١٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٦/١.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:١٦٩/١٩-١٧٠.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٧٠/١٩.
(٢٠) أخرجه الطبري:١٧٩/١٩.

قال يحيى: "كان سفيان يكره أن يكاتب المملوك وليس له حيلة، يكون عيالا على الناس، قال يحيى: نكره أن نكاتبه وليست له حرفة ولا عمل إلا على مسألة الناس، فإن كانت له حرفة أو عمل ثم تصدق عليه من الفريضة أو التطوع فلا بأس على سيده في ذلك، فإن عجز فلم يؤد المكاتبة على نجومها كما اشترط سيده فهو رقيق إلا إن شاء سيده أن يؤخره، فإن رجع مملوكا وقد تصدق عليه جعل سيده ما أخذ منه من الصدقة في المكاتبين، وإذا كاتبه وعنده مال لم يعلم به سيده ثم أدى مكاتبته فذلك المال للسيد، وكل مال أصابه في كتابته فهو له إذا أدى كتابته وولاؤه لسيده الذي كاتبه، وإن كانت مملوكته فولدت في مكاتبتها فأولادها بمنزلتها، إذا أدت خرجوا أحرارا معها، وإن عجزت فرجعت مملوكة رجعوا مملوكين معها"[1].

الثالث: أنه الأمانة. قاله رواه ابن سيرين عن عبيدة[2].

الرابع : أنه الدين والأمانة ، قاله الحسن أيضا[3].

الخامس : أنه المال والامانة، قاله مجاهد[4]، وطاووس[5].

السادس : الأداء والأمانة. قاله أبو صالح[6].

السابع : العفاف والأمانة. قاله ابن قتيبة[7].

الثامن : الأداء والمال. قاله إبراهيم[8].

التاسع : أنه الكسب والأمانة ، قاله الشافعي[9].

قال الإمام الشافعي:" قوة على اكتساب المال، وأمانة؛ لأنه قد يكون قويا فيكسب، فلا يؤدي إذا لم يكن ذا أمانة، وأمينا فلا يكون قويا على الكسب فلا يؤدي، ولا يجوز عندي - والله تعالى أعلم - في قوله: {إن علمتم فيهم خيرا} إلا هذا"[10].

العاشر : المال والصلاح. قاله عمرو بن دينار[11].

الحادي عشر : أنه الصدق والوفاء، أو أحدهما. قاله إبراهيم[12].

وقال ابن زيد:" يؤدي إليك ويصدقك ما حدثك؛ فكاتبه"[13].

الثاني عشر: الصدق والوفاء والأمامة. وهذا قول سفيان[14].

الثالث عشر: أنه الصدق والوفاء والاداء والأمانة. قاله الحسن[15].

الرابع عشر: أن المعنى: إذا صلوا وأقاموا الصلاة. قاله محمد بن سيرين[16].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال في معنى ذلك عندي قول من قال: معناه فكاتبوهم إن علمتم فيهم قوة على الاحتراف والاكتساب، ووفاء بما أوجب على نفسه وألزمها وصدق لهجة. وذلك أن هذه المعاني هي الأسباب التي بمولى العبد الحاجة إليها إذا كاتب عبده مما يكون في العبد، فأما المال وإن كان من الخير، فإنه لا يكون في العبد وإنما يكون عنده أو له لا فيه، والله

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤٤٦/١.
(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٠٣٥):ص٤٣٨/٢.
(٣) انظر: النكت والعيون:٩٩/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩.
(٦) انظر: تفسيرالطبري:١٦٩/١٩.
(٧) انظر: غريب القرآن:٣٠٤.
(٨) انظر: تفسيرالطبري:١٦٩/١٩.
(٩) انظر: تفسير الغمام الشافعي:١١٤٠/٣.
(١٠) تفسير الغمام الشافعي:١١٤٠/٣.
(١١) انظر: تفسيرالطبري:١٦٩/١٩.
(١٢) انظر: تفسيرالطبري:١٦٩/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:١٦٩/١٩.
(١٤) انظر: تفسيرالطبري:١٦٩/١٩.
(١٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٦/١.
(١٦) .

إنما أوجب علينا مكاتبة العبد إذا علمنا فيه خيرا، لا إذا علمنا عنده أو له، فلذلك لم نقل: إن الخير في هذا الموضع معني به المال"[١].

قوله تعالى:{وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} [النور : ٣٣]، أي:" وأعطوهم مما أعطاكم الله من الرزق ليكون لهم عوناً على فكاك أنفسهم أحراراً"[٢].

قال قتادة:" يقول: أعطوهم من مال الله"[٣].

عن عطاء قوله: {وآتوهم من مال الله الذي آتاكم}، قال: بما أخرج الله لك"[٤].

قال مقاتل بن حيان:" يعنى: الذي أعطاكم"[٥].

قال بريدة:" حث الناس عليه"[٦].

قال إبراهيم:" حث الناس عليه مولاة غيره"[٧].

قال ابن عباس:" يعنى: ضعوا عنهم من مكاتبتهم"[٨].

قال ابن عباس:" أمر الله المؤمنين أن يعينوا في الرقاب"[٩].

قال علي –رضي الله عنه-:"أمر الله السيد أن يدع للمكاتب الربع من ثمنه، وهذا تعليم من الله ليس بفريضة ولكن فيه أجر"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ} [النور : ٣٣]، وجهان:

أحدهما : يعني: من مال الزكاة من سهم الرقاب يعطاه المكاتب ليستعين به في أداء ما عليه للسيد، ولا يكره للسيد أخذه وإن كان غنياً ، قاله الحسن[١١]، وابن زيد[١٢]، وبه قال الطبري[١٣].

قال الطبري:" عنى به: إيتاءهم سهمهم من الصدقة المفروضة لأن قوله: {وآتوهم من مال الله الذي آتاكم} أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الأموال، وأمر الله فرض على عباده الانتهاء إليه، ما لم يخبرهم أن مراده الندب، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا، فإذ كان ذلك كذلك ولم يكن أخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله ﷺ أنه ندب، ففرض واجب. وإذ كان ذلك كذلك، وكانت الحجة قد قامت أن لا حق لأحد في مال أحد غيره من المسلمين، إلا ما أوجبه الله لأهل سهمان الصدقة في أموال الأغنياء منهم، وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب، فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين أن يؤتوه من أموالهم، هو ما فرض على الأغنياء في أموالهم له من الصدقة المفروضة، إذ كان لا حق في أموالهم لأحد سواها"[١٤].

الثاني : يعني: من مال المكاتبة، معونة من السيد لمكاتبه كما أعانه غيره من الزكاة. وهذا قول مجاهد[١٥].

قال أبو سنان:" هو المكاتب إذا أدى إليك مكاتبته فأعطه منه شيئا، فإن لم تفعل فقد ظلمته"[١].

---

(١) تفسير الطبري:١٧٠/١٩.
(٢) صفوة التفاسير:٣٠٨/٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٠٢):ص٢٥٨٦/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٢٠):ص٢٥٨٨/٨.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٢١):ص٢٥٨٨/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٠٣):ص٢٥٨٦/٨.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٠٤):ص٢٥٨٦/٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥١١):ص٢٥٨٧/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٠٥):ص٢٥٨٦/٨.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٠٦):ص٢٥٨٦/٨.
(١١) انظر: النكت والعيون:١٠٠/٤.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٥٠٧)، (١٤٥١٨)، (١٤٥١٩):ص٢٥٨٦/٨-٢٥٨٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٧٣/١٩.
(١٤) تفسير الطبري:١٧٣/١٩-١٧٤.
(١٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٥١٢):ص٢٥٨٧/٨.

قال محمد بن سيرين:" كان يعجبهم أن يدع الرجل لمكاتبه طائفة من مكاتبته"[٢].

عبيد الله بن عمر، قال: "سألت عبد الكريم عن قول الله: {وآتوهم من مال الله الذي آتاكم}، يعنى: بذلك أن يضع عنه نصف ما عليه أو من سوى ذلك، قال: ليس يضع له مما عليه، ولكن تعطيه مما عندك من نجمه"[٣].

عن ابن عباس عن عمر، " أنه كاتب عبدا له يكنى أبا أمية، فجاء بنجمه حين حل فقال: يا أبا أمية اذهب فاستعن به على مكاتبتك، قال: يا أمير المؤمنين لو تركته حتى يكون في آخر نجم، قال: أخاف أن لا أدرك ذلك، ثم قرأ: {فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا وآتوهم من مال الله الذي آتاكم}، قال عكرمة: وكان أول نجم أدي في الإسلام"[٤].

واختلف من ذهب إلى هذا التفسير[٥] في وجوبه، على قولين:

أحدهما: أنه مستحب وليس بواجب. وهذا مذهب ابي حنيفة[٦]، وبه قال سفيان[٧].

قال سفيان:" أحب إلي أن يعطيه الربع، أو أقل منه شيئا، وليس بواجب، وأن يفعل ذلك حسن"[٨].

الثاني: وانه واجب. وهذا مذهب الشافعي[٩]، وبه قال عمر [١٠]، وعلي[١١]، وابن عباس[١٢]، وقتادة[١٣].

قال الشافعي:" يجبر سيد المكاتب على أن يضع عنه مما عقد عليه الكتابة شيئا، وإذا وضع عنه شيئا ما كان، لم يجبر على كثر منه"[١٤].

قال قتادة:" أمروا أن يدع طائفة من مكاتبيه أو يساغ له"[١٥].

واختلف من قال بوجوبه في هذا التفسير في تقديره:

فحكي عن علي[١٦] أنه قدره بالربع من مال الكتابة، وفي رواية ثلث مكاتبته[١٧].

وذهب الشافعي إلى أنه غير مقدر[١٨]، وبه قال ابن عباس[١٩]، وابن عمر[٢٠].

قال السدي:" كان ابن عمر يضع عن المكاتبين الربع، وكان غيره يضع العشر"[٢١].

---

(١) أخرجه الطبري(١٤٥١٦):ص٢٥٨٨/٨.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥١٤):ص٢٥٨٧/٨.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥١٥):ص٢٥٨٧/٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥١٠):ص٢٥٨٧/٨.

(٥) أي: القول الثاني: من مال المكاتبة.

(٦) انظر: النكت والعيون:١٠٠/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري:١٧٢/١٩.

(٨) أخرجه الطبري:١٧٢/١٩.

(٩) انظر: تفسير الغمام الشافعي:٤٢٢/١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٧١/١٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري:١٧١/١٩.

(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٧١/١٩.

(١٣) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٧/١.

(١٤) تفسير الغمام الشافعي:٤٢٢/١.

(١٥) أخرجه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٧/١.

(١٦) انظر: تفسير الطبري:١٧٠/١٩، وتفسير ابن ابي حاتم(١٤٥٠٩):ص٢٥٨٧/٨، وتفسير عبدالرزاق(٢٠٣٨):ص٤٣٨/٢، قال ابن كثير: هذا حديث غريب رفعه منكر ٦/ ٥٧.

(١٧) أخرجه عنه الفراء في معاني القرآن:٢٥١/٢، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن علي بن أبي طالب.

(١٨) انظر: النكت والعيون:١٠٠/٤.

(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٧١/١٩.

(٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٥١٧):ص٢٥٨٨/٨.

(٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥١٧):ص٢٥٨٨/٨.

قال مالك: "سمعت بعض أهل العلم يقول: إن ذلك أن يكاتب الرجل غلامه، ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمى، قال مالك: وذلك أحسن ما سمعت، وعلى ذلك أهل العلم، وعمل الناس عندنا"[١].

قال الماوردي:" وإن امتنع السيد منه طوعاً قضى الحاكم به عليه جبراً واجتهد رأيه في قدره ، وحكم به في تركته إن مات ، وحاص به الغرماء إن أفلس. والمكاتب عبد ما بقي عليه درهم في قول الشافعي وأصحابه ، وإذا عجز عن أداء نجم عند محله كان السيد بالخيار بين إنظاره وتعجيزه وإعادته رقاً ، ولا يرد ما أخذه منه أو من زكاة أعين بها أو مال كسبه"[٢].

قوله تعالى:{وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} [النور : ٣٣]، أي:" ولا تجبروا إماءكم على الزنى إن أردن التعفف عن مقارفة الفاحشة"[٣].

قال مقاتل بن حيان:" لا تكرهوهن على الزنا، {إن أردن تحصنا}، يستعففن عن الزنا"[٤].

عن قتادة قوله: إن أردن تحصنا أي عفة وأخلاقا"[٥].

قال الماوردي:" الفتيات الإماء ، البغاء الزنى ، والتحصن التعفف ، ولا يجوز أن يكرهها ولا يمكنها سواء أرادت تعففاً أو لم تُرِدْ"[٦].

قال الفراء:" البغاء: الزنى. كان أهل الجاهلية يكرهون الإماء ويلتمسون منهن الغلة فيفجرن، فنهي أهل الإسلام عن ذلك"[٧].

وفي ذكر الإكراه هنا وجوه[٨]:

أحدها: أنه إنما ذكر قوله: {إن أردن تحصنا}، لأن الإكراه إنما يوجد في هذه الحالة، فإذا لم ترد التحصن بغت بالطوع.

قال الماوردي:" لأن الإكراه لا يصح إلا فيمن أراد التعفف ، ومن لم يرد التعفف فهو مسارع إلى الزنى غير مكره عليه"[٩].

الثاني: أن قوله: {إن أردن تحصنا} منصرف إلى الآية السابقة، وهو قوله: {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُم} [النور : ٣٢] إن أردن تحصنا.

الثالث: أنه وارد على سبب فخرج النهي على صفة السبب وإن لم يكن شرطاً فيه ، وهذا ما روى جابر بن عبد الله حول «مسيكة» جارية عبد الله بن أبي بن سلول[١٠].

قال القشيري:" حامل العاصي على زلته، والداعي له إلى عثرته، والمعين له على مخالفته تتضاعف عليه العقوبة، وله من الوزر أكثر من غيره، وبعكسه لو كان الأمر فى الطاعة والإعانة على العبادة"[١١].

قوله تعالى:{لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [النور : ٣٣]، أي:" لأجل أن تنالوا حطام هذه الحياة الزائل، وتحصلوا على المال بطريق الفاحشة والرذيلة"[١٢].

قال عكرمة:" يعني: الخراج"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري:١٧٢/١٩.
(٢) انظر: النكت والعيون:١٠٠/٤.
(٣) صفوة التفاسير:٣٠٩/٢.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٢٩)، (١٤٥٣١):ص٢٥٩٠/٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٣٠):ص٢٥٩٠/٨.
(٦) النكت والعيون:١٠١/٤.
(٧) معاني القرآن:٢٥١/٢.
(٨) انظر: تفسير السمعاني:٥٢٨/٣-٥٢٩، والنكت والعيون:١٠١/٤.
(٩) النكت والعيون:١٠١/٤.
(١٠) كما سبق في سبب النزول.
(١١) لطائف الإشارات:٦١٠/٢.
(١٢) صفوة التفاسير:٣٠٩/٢.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٣٢):ص٢٥٩٠/٨.

قال سعيد بن جبير:" يعني: كسبهن وأولادهن من الزنا"[1].

قال السمعاني:" أي: لتطلبوا من أموال الدنيا، وفي بعض الآثار: «الدنيا عرض حاضر، يأكل منها البر والفاجر، والآخرة وعد صادق، يحكم فيها ملك قادر، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا »[2]"[3].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النور : ٣٣]، أي:" ومن يكرههنَّ على الزنى فإن الله تعالى من بعد إكراههن غفور لهن رحيم بهن، والإثم على مَن أكْرههن"[4].

قال ابن عباس:" يقول: لا تكرهوا إمائكم على الزنا، فإن فعلتم فإن الله سبحانه لهن غفور رحيم، وإثمهن على من أكرههن"[5].

عن سعيد بن جبير، قوله: {ومن يكرههن}، يعني: ومن يكره وليدته على الزنا"[6].

قال سعيد بن جبير:"وليس عليهن إثم"[7].

عن مجاهد، قوله: "{فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم}، قال: للمكرهات على الزنا ففي هذا نزلت هذه الآية"[8].

قال عطاء الخراساني: "يعني قوله: {فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم}، وعد الله المكرهات المغفرة إن تبن وأصلحن"[9].

عن قتادة، "{ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم}، وليست لهم"[10].

قال الأعمش:" كان لعبد الله بن أبي جارية فكان يأمرها أن تبغي، وكانت تكره ذلك، فأنزل الله: {ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء}، إلى قوله: {غفور رحيم}، قال: فكانت التوبة لها"[11].

وقرأ جابر، وابن مسعود:«ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم»[12].

القرآن

{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٣٤)} [النور : ٣٤]

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٣٣):ص٨/٢٥٩٠-٢٥٩١.

(٢) أخرجه الطبرانى (٢٨٨/٧، رقم ٧١٥٨) قال الهيثمى (١٨٩/٢) : فيه أبو مهدى سعيد بن سنان وهو ضعيف جدا. وأبو نعيم فى الحلية (٢٦٤/١) . وأخرجه أيضا: البيهقى (٢١٦/٣، رقم ٥٥٩٨) .
والحديث نصفه:
عن شداد بن اوس، قال:" سمعت رسول الله - ﷺ - يقول: « أيها الناس إنما الدنيا عرض حاضر يصيب منها البر والفاجر وإن الآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قادر يحق بها الحق ويبطل الباطل أيها الناس فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل أم يتبعها ولدها اعملوا وأنتم من الله على حذر واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم وإنكم ملاقو الله لا بد منه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره».

(٣) تفسير السمعاني:٥٢٩/٣.

(٤) التفسير الميسر:٣٥٤.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٣٧):ص٨/٢٥٩١.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٣٤):ص٨/٢٥٩١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٣٦):ص٨/٢٥٩١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٣٨):ص٨/٢٥٩١.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٣٩):ص٨/٢٥٩١-٢٥٩٢.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤١):ص٨/٢٥٩٢.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٠):ص٨/٢٥٩٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٣٥)، (١٤٥٣٦):ص٨/٢٥٩١.

التفسير:

ولقد أنزلنا إليكم -أيها الناس- آيات القرآن دلالات واضحات على الحق، ومثلا من أخبار الأمم السابقة المؤمنين منهم والكافرين، وما جرى لهم وعليهم ما يكون مثلا وعبرة لكم، وموعظة يتعظ بها من يتقي الله ويَحْذَرُ عذابه.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ} [النور : ٣٤]، أي:" ولقد أنزلنا إليكم -أيها الناس- آيات القرآن دلالات واضحات على الحق"(١).

قال الطبري: يقول: " ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات: يقول مفصلات الحق من الباطل، وموضحات ذلك"(٢).

قال مقاتل:" يعني: الحلال والحرام والحدود وأمره ونهيه مما ذكر فى هذه السورة إلى هذه الآية"(٣).

قال يحيى:" الحلال، والحرام، والأمر، والنهي والأحكام"(٤).

قال مقاتل بن حيان:" يعنى: ما فرض عليهم في هذه السورة من أولها إلى آخرها"(٥).

قال قتادة:" وهو هذا القرآن فيه حلال الله وحرام الله، وموعظة الله"(٦).

قرأته عامة قراء المدينة، وبعض الكوفيين والبصريين :«مبينات»، بفتح الياء، بمعنى مفصلات، وأن الله فصلهن وبينهن لعباده، فهن مفصلات مبينات. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة: {مبينات}، بكسر الياء، بمعنى: أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس وتهديهم إلى الحق(٧).

قوله تعالى:{وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ} [النور : ٣٤]، أي:" وضربنا لكم الأمثال بمن سبقكم من الأمم لتتعظوا وتعتبروا"(٨).

قال السدي، ومقاتل:" يعني: سنن العذاب في الأمم الخالية حين كذبوا رسلهم"(٩).

قال يحيى:" أخبار الأمم السالفة"(١٠).

عن أبي مالك، قوله: "{ومثلا من الذين خلوا}، يعنى: مضوا"(١١).

قوله تعالى:{وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} [النور : ٣٤]، أي:" وموعظة يتعظ بها من يتقي الله ويَحْذَرُ عذابه"(١٢).

قال الطبري:أي:" لمن اتقى الله، فخاف عقابه وخشي عذابه"(١٣).

عن الشعبي، قوله: "{وموعظة}، قال: موعظة من الجهل"(١٤).

قال قتادة:" هو موعظة الله لمن اتعظ به"(١٥).

عن محمد ابن إسحاق: "{وموعظة للمتقين}، قال: لمن أطاعني وعرف أمري"(١٦).

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٢) تفسير الطبري:١٧٦/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:١٩٨/٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٤٨/١.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٣):ص٢٥٩٢/٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٢):ص٢٥٩٢/٨.
(٧) انظر: معاني القرىن للفراء:٢٥١/٢، وتفسير الطبري:١٧٦/١٩-١٧٧.
(٨) صفوة التافاسير:٣٠٩/٢.
(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٤٨/١، حكاه عن السدي، وانظر: قول مقاتل بن سليمان في تفسيره:١٩٨/٣-تفسيره:١٩٨/٣-١٩٩.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام:٤٤٨/١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٤):ص٢٥٩٢/٨.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٤.
(١٣) تفسير الطبري:١٧٧/١٩.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٥):ص٢٥٩٢/٨.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٩):ص٢٥٩٣/٨.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٨):ص٢٥٩٣/٨.

قال أبو العالية:" موعظة للمتقين خاصة"[1]. وروي عن قتادة نحوه[2].
عن ابن عباس: "{وموعظة للمتقين}، الذين من بعدهم إلى يوم القيامة"[3].
عن أبي الدرداء قال: "نزل القرآن على ست آيات: آية مبشرة، وآية منذرة، وآية فريضة، وآية قصص وإخبار، وآية تأمرك، وآية تنهاك"[4].
فوائد الآيات:[٣٢-٣٤]:
١- انتداب المسلمين حاكمين ومحكومين للمساعدة على تزويج الأيامى من المسلمين أحراراً وعبيداً.
٢- وجوب الاستعفاف على من لم يجد نكاحاً والصبر حتى ييسر الله أمره.
٣- عدة الله للفقير إذا تزوج بالغنى.
٤- تعين مكاتبة العبد إذا توفّرت فيه شروط المكاتبة.
٥- حرمة الزنا بالإكراه أو بالاختيار ومنع ذلك بإقامة الحدود.
٦- صيغة المكاتبة أن يقول السيد للعبد لقد كاتبتك على ثلاثة آلاف دينار منجمة أي مقسطة على ستة نجوم تدفع في كل شهر نجماً أي قسطاً. على أنك إذا وفيتها في آجالها فأنت حر، وعليه أشهدنا وحرر بتاريخ كذا وكذا.
٧- بيان فضل سورة النور لما احتوته من أحكام في غاية الأهمية.
القرآن
{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣٥)} [النور : ٣٥]
التفسير:
الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما ويهدي أهلهما، فهو -سبحانه- نور، وحجابه نور، به استنارت السموات والأرض وما فيهما، وكتاب الله وهدايته نور منه سبحانه، فلولا نوره تعالى لتراكمت الظلمات بعضها فوق بعض. مثل نوره الذي يهدي إليه، وهو الإيمان والقرآن في قلب المؤمن كمشكاة، وهي الكُوَّة في الحائط غير النافذة، فيها مصباح، حيث تجمع الكوَّة نور المصباح فلا يتفرق، وذلك المصباح في زجاجة، كأنها -لصفائها- كوكب مضيء كالدُّر، يوقَد المصباح من زيت شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض لا إلى الشرق ولا إلى الغرب، يكاد زيتها -لصفائه- يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مَسَّتْه النار أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، فهو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار، فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن. والله يهدي ويوفق لاتباع القرآن مَن يشاء، ويضرب الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه. والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء.
سبب النزول:
عن ابن عباس :" أن اليهود قالوا لمحمد: كيف يخلص نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مثل ذلك لنوره، فقال: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ}، قال: وهو مثل ضربه الله لطاعته، فسمى طاعته نورا، ثم سماها أنوارا شتى"[5].

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٧):ص٢٥٩٣/٨.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٥٩٣/٨. حكاه دون إسناد.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٤٦):ص٢٥٩٢/٨-٢٥٩٣.
(٤) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٨/١.
(٥) أخرجه الطبري:١٨٠/١٩.

قوله تعالى:{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٣٥]، أي:" الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما ويهدي أهلهما، فهو -سبحانه- نور، وحجابه نور، أنار السماواتِ بالكواكب المضيئة، والأرض بالشرائع والأحكام وبعثة الرسل الكرام"[١].

قال الطبري: المعنى:"الله هادي من في السماوات والأرض، فهم بنوره إلى الحق يهتدون، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون"[٢].

قال القرطبي:" «النور» في كلام العرب: الأضواء المدركة بالبصر. واستعمل مجازا فيما صح من المعاني ولاح فيقال منه: كلام له نور. ومنه: الكتاب المنير، ومنه قول الشاعر[٣]:

نَسَبٌ كأنّ عليه مِن شمسِ الضُّحى ... نُورًا ومِن فَلَقِ الصباحِ عَمُودا

والناس يقولون: فلان نور البلد، وشمس العصر وقمره. وقال[٤]:

فَإنَّك شمس والملوكُ كواكبُ ... [إذا طلعتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوْكَبُ]

وقال آخر[٥]:

هَلَّا قَصَدْتَ مِنَ الْبِلاَدِ لِمُفْضِلٍ ... قَمَرِ الْقَبَائِلِ خَالِدِ بْنِ يَزِيْدِ

وقال آخر[٦]:

إذا سار عبد الله من مرو ليلة ... فقد سار منها نورها وجمالها

فيجوز أن يقال: لله تعالى نور من جهة المدح لأنه أوجد الأشياء ونور جميع الأشياء منه ابتداؤها وعنه صدورها وهو سبحانه ليس من الأضواء المدركة جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا"[٧].

وفي قوله تعالى:{اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٣٥]، وجوه:

أحدها : معناه: الله هادي أهل السموات والأرض ، قاله ابن عباس[٨]، وأنس[٩].

الثاني : الله مدبر السموات والأرض، قاله ابن عباس أيضا[١٠]، ومجاهد[١١]، والزهري[١٢].

قال مجاهد وابن عباس:" يدبر الأمر فيهما، نجومهما وشمسهما وقمرهما"[١٣].

قال القرطبي:أي:" به وبقدرته أنارت أضواؤها، واستقامت أمورها، وقامت مصنوعاتها فالكلام على التقريب للذهن، كما يقال: الملك نور أهل البلد، أي: به قوام أمرها وصلاح جملتها، لجريان أموره على سنن السداد، فهو في الملك مجاز، وهو في صفة الله حقيقة محضة، إذ هو الذي أبدع الموجودات وخلق العقل نورا هاديا، لأن ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات، تبارك وتعالى لا رب غيره "[١٤].

الثالث : الله ضياء السموات والأرض ، قاله أُبيّ بن كعب[١٥].

الرابع : مزين السماوات والأرض بالأنوار. قاله سهل بن عبدالله[١].

---

(١) صفوة التافسير:٣١١/٢، والتفسير الميسر:٣٥٤.
(٢) تفسير الطبري:١٧٧/١٩.
(٣)البيت لأبي تمام (ديوانه: ٨١ ط. بيروت.
(٤)البيت للنابغة الذبياني في ديوانه، وفي الإيضاح ص ٢٣١، تحقيق د. هنداوي.
(٥) البيت لأبي تمام، انظر: اخبار ابي تمام:١٨/١، وزهر الآداب:٣٩٦/٢.
(٦) الشعر لعمار بن الحسن في تاريه بغداد:٤٠٠/١١، ومخاصر تاريخ دمشق:١٨/١٤، يمدح ابن المبارك، وهو غير منسوب في تفسير القرطبي:٢٥٦/١٢.
(٧) تفسير القرطبي:٢٥٦/١٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨٠/١٩.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٨٠/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٨٠/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٨٠/١٩.
(١٢) حكاه عنه القرطبي في التفسير:٢٥٧/١٢.
(١٣) أخرجه الطبري:١٨٠/١٩.
(١٤) تفسير القرطبي:٢٥٦/١٢-٢٥٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩-١٧٩.

قال سهل:" يعني: مزين السماوات والأرض بالأنوار"[٢].

وحكى الثعلبي والقرطبي عن أبي بن كعب، والحسن، وأبو العالية، قالوا:" مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين"[٣].

الخامس : منور السموات والأرض. قاله الضحاك[٤]، ومحمد بن كعب القرظي[٥]. وحكاه أبو الليث السمرقندي[٦].

قال الواحدي:"ففسر النور بالمنوّر وهذا على المبالغة؛ لأنَّه لما كان خالق الأنوار والشمس والقمر والنجوم التي بها نور السموات والأرض وصف بأنَّه النور كما يقال: فلان جُود وفلان كرم، ويقال في ضده: فلان لُوم وبُخل. إذا بالغوا في وصفه بهذه الأشياء، ويقال: فلان رحمة وسخطة، وهو لا يكون في نفسه رحمة ولا سخطة وإنَّما يكونان منه، وعلى هذا الوجه يتوجّه أيضًا قول من قال: مُزيِّن السموات بالشمس والقمر والنجوم، ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء؛ لأنَّ معنى المزيّن هنا: المنوِّر"[٧].

قال القرطبي: "والقول الأول أعم للمعاني وأصح مع التأويل. أي: صفة دلائله التي يقذفها في قلب المؤمن، والدلائل تسمى نورا. وقد سمى الله تعالى كتابه نورا فقال:{وأنزلنا إليكم نورا مبينا} [النساء: ١٧٤]، وسمى نبيه نورا فقال:{قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين} [المائدة: ١٥]. وهذا لأن الكتاب يهدي ويبين، وكذلك الرسول. ووجه الإضافة إلى الله تعالى أنه مثبت الدلالة ومبينها وواضعها"[٨].

قال الإمام ابن القيم: "وقد فُسِّر قوله تعالى {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} بكونه منوّر السموات والأرض، وهادي أهل السموات والأرض، فبنوره اهتدى أهل السموات والأرض. وهذا إنما هو فعله، وإلَّا فالنور الذي هو من أوصافه قائم منه، ومنه اشتق له اسم النور، الذي هو أحد أسمائه الحسنى. والنور يضاف إليه سبحانه على أحد وجهين: إضافة صفة إلى موصوفها، وإضافة مفعول إلى فاعله.

فالأول كقوله: {وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا} [الزمر: ٦٩].

فهذا إشراقها يوم القيامة بنوره تعالى إذا جاء لفصل القضاء، ومنه قول النبي -ﷺ- في الدعاء المشهور: «أعوذ بنور وجهك الكريم أن تضلّني، لا إله إلا أنت»[٩]، وفي الأثر الآخر: «أعوذ بوجهك، أو بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات»[١٠].

فأخبر -ﷺ- أن الظلمات أشرقت لنور وجه الله، كما أخبر تعالى أن الأرض تشرق يوم القيامة بنوره.

---

(١) انظر: تفسير التستري:١١١.

(٢)تفسير التستري:١١١.

(٣) انظر: الكشف والبيان:١٠٠/٧، وتفسير القرطبي:٢٥٧/١٢.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:١٠٠/٧، ووالبغوي في التفسير: ٦/ ٤٥.

(٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:١٠٠/٧.

(٦)انظر: بحر العلوم:٥١٢/٢ .

(٧) التفسير البسيط:٢٥٧/١٦.

(٨) تفسير القرطبي:٢٥٧/١٢.

(٩) .

(١٠) الحديث:« اللهم إليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا أرحم الراحمين إلى من تكلنى إلى عدو يتجهمنى أم إلى قريب ملكته أمرى إن لم تكن ساخطا على فلا أبالى غير أن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أضاءت له السموات وأشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل على غضبك أو ينزل بى سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك».

أخرجه الطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٣٥/٦) قال الهيثمى (٣٥/٦) : فيه ابن إسحاق، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات. وأخرجه أيضا: ابن عدى (١١١/٦، ترجمة ١٦٢٣ محمد بن إسحاق بن يسار) وقال: هذا حديث أبى صالح الراسبى لم نسمع أن أحدا حدث بهذا الحديث غيره ولم نكتبه إلا عنه. والضياء من طريق الطبرانى (١٧٩/٩، رقم ١٦٢)

وفي معجم الطبراني والسنَّة له، وكتاب عثمان بن سعيد الدارمي وغيرهما، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: «ليس عند ربكم ليل ولا نهار، نور السموات والأرض من نور وجهه»[1].

وهذا الذي قاله ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أقرب إلى تفسير الآية من قول من فسرها بأنه هادي أهل السموات والأرض، وأما من فسَّرها بأنه منور السموات والأرض فلا تنافي بينه وبين قول ابن مسعود. والحق أنُّه نور السموات والأرض بهذه الاعتبارات كلها.

وفي "صحيح مسلم" وغيره من حديث أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه- قال: قام فينا رسول الله -ﷺ- بخمس كلمات، فقال: «إنَّ الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النَّهار وعمل النَّهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[2].

وفي "صحيح مسلم" عن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «هل رأيت ربك؟ قال: "نور، أنَّى أراه"»[3].

-قال ابن القيم-: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يقول: معناه: كان ثمَّ نور، أو حال دون رؤيته نور، فأنَّى أراه؟. قال: ويدل عليه: أنَّ في بعض الألفاظ الصحيحة: هل رأيت ربك؟ قال: «رأيت نورًا»[4].

ويدل على صحة ما قال شيخنا في معنى حديث أبي ذر -رضي الله عنه-: قوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الآخر: «حجابه النور»[5]، فهذا النور -والله أعلم- النور المذكور في في حديث أبي ذر -رضي الله عنه-: "رأيت نورًا"[6].

قال الشيخ السعدي:" "الله نور السموات والأرض" الحسي والمعنوي، وذلك أنه تعالى بذاته نور، وحجابه نور الذي لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، وبه استنار العرش والكرسي والشمس والقمر والنور، وبه استنارت الجنَّة. وكذلك المعنوي يرجع إلى الله، فكتابه نور، وشرعه نور، والإيمان والمعرفة في قلوب رسله وعباده المؤمن نور. فلولا نوره تعالى لتراكمت الظلمات، ولهذا كل محل يفقد نوره فثمَّ الظلمة"[7].

قوله تعالى:{مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} [النور : ٣٥]، أي:" مثل نور الله سبحانه في قلب عبده المؤمن ككوة في الحائط لا منفذ لها ليكون أجمع للضوء، وضع فيها سراج ثاقب ساطع"[8].

قال الزمخشري:" أي: صفة نوره العجيبة الشأن في الإضاءة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة، فيها سراج ضخم ثاقب"[9].

وفي عود الضمير في قوله تعالى:{مَثَلُ نُورِهِ} [النور : ٣٥]، قولان

---

(١)المأثور عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "نور السموات والأرض من نور وجهه".
أخرج له البيهقي في الأسماء والصفات ص"٣١١"، وقال: هذا موقوف وراويه غير معروف.

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه بترتيب وتبويب محمد فؤاد عبد الباقي/ كتاب الإيمان، باب قوله عليه السلام: "إن الله الله لا ينام" الأحاديث: ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ١٦١/١-١٦٢ بروايات مقاربة وفي بعضها: "حجابه النار".
وأخرجه الإمام أحمد في المسند بهامشه المنتخب ٣٩٥/٤، ٤٠١، ٤٠٥، وابن خزيمة في التوحيد/ مراجعة وتعليق محمد خليل هراس ص"١٩-٢٠".

(٣)أخرجه مسلم (١٧٨)، وأحمد ٥/ ١٥٧ و١٧١ و١٧٥، والترمذي (٣٢٨٢) وابن منده في " الإيمان " (٧٧٠) و (٧٧١)، والطيالسي (٤٧٤).

(٤)أخرجه مسلم (١٦١/١، رقم ١٧٨)، وأخرجه ابن منده (٧٧٢) و (٧٧٣).

(٥) سبق تخريجه.

(٦)اجتماع الجيوش الإسلامية" ص ٨ - ٩.

(٧) تفسير السعدي:٥٦٨.

(٨) صفوة التفاسير:٣١٢/٢.

(٩) الكشاف:٢٤١/٣.

أحدهما : أنه عائد إلى الله، عز وجل، أي : مثل هداه في قلب المؤمن، كمشكاة. قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وابن زيد[٣].
والثاني : أن الضمير عائد إلى المؤمن الذي دل عليه سياق الكلام، أي: مثل نور المؤمن الذي في قلبه، كمشكاة. قاله قاله أُبيّ بن كعب[٤]، وابن عباس أيضا[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، والضحاك[٧]، ويحيى بن سلام[٨].
قال ابن كثير:"فشبه قلب المؤمن وما هو مفطور عليه من الهدى ، وما يتلقاه من القرآن المطابق لما هو مفطور عليه ، كما قال تعالى : { أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ } [هود : ١٧] ، فشبه قلب المؤمن في صفائه في نفسه بالقنديل من الزجاج الشفاف الجوهري ، وما يستهديه من القرآن والشرع بالزيت الجيد الصافي المشرق المعتدل ، الذي لا كدر فيه ولا انحراف"[٩].
وكان أبي وابن مسعود يقرآن: «مثل نور المؤمنين»[١٠].
وروي أن في قراءته «نور المؤمن» ، وروي أن فيها «مثل نور من آمن به»[١١].
وفي قوله تعالى:{كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ} [النور : ٣٥]، أقوال:
أحدها : أن «المشكاة»: كوة لا منفذ لها، والمصباح السراج ، قاله كعب الأحبار[١٢]، وابن عمر[١٣]، والضحاك[١٤]، وأبو مالك[١٥]، وسعيد بن جبير[١٦]، وحكاه القرطبي عن الجمهور[١٧].
وقال مجاهد:" المشكاة الكوة بلغة الحبشة"[١٨].
قال الكلبي : "«المشكاة»: لفظ حبشي معرب"[١٩].
روي عن قال ابن عباس، قال:" المشكاة: الرَّزْوَنَةُ[٢٠] في البيت. قال يحيى: وهي بالفارسية"[٢١].
قال في الصحاح:" الرَّزْوَنَةُ: الكوة، وهي معربة"[٢٢].
الثاني : «المشكاة»: القنديل والمصباح الفتيلة ، قاله مجاهد[٢٣].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨٠/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩-١٧٩.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٥٦٠):ص٢٥٩٥/٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٤٩/١.
(٩) تفسير ابن كثير:٥٨/٦.
(١٠) انظر: المحرر الجيز:١٨٣/٤، وزاد المسير:٢٩٥/٣، وتفسيرالقرطبي:٢٦٠/١٢..
(١١) انظر: المحرر الوجيز:١٨٣/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٨٠/١٩.
(١٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٩/١.
(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٥٦٣):ص٢٥٩٥/٨.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٥٦٣):ص٢٥٩٥/٨.
(١٦) حكاه عنه القرطبي في التفسير:٢٥٧/١٢.
(١٧) انظر: تفسير القرطبي:٢٥٧/١٢.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٦٩):ص٢٥٩٥/٨.
(١٩) النكت والعيون:١٠٣/٤.
(٢٠) مختار الصحاح:١٢٢.
(٢١) اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٤٩/١.
(٢٢) مختار الصحاح:١٢٢.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري:١٨٣/١٩.

الثالث : «المشكاة»: موضع الفتيلة من القنديل الذي هو كالأُنبوب ، والمصباح الضوء قاله ابن عباس[١]، ومحمد بن كعب[٢]، واختاره ابن كثير[٣].

قال ابن كثير: وهذا " هذا هو المشهور؛ ولهذا قال بعده : { فِيهَا مِصْبَاحٌ } ، وهو الذُّبالة التي تضيء"[٤].

الرابع : «المشكاة»: الحديد الذي به القنديل وهي التي تسمى السلسلة والمصباح هو القنديل ، وهذا مروي عن مجاهد أيضاً[٥].

الخامس : أن «المشكاة»: صدر المؤمن والمصباح القرآن الذي فيه والزجاجة قلبه ، قاله أُبَي بن كعب[٦].

قال القرطبي:" «المشكاة»: الكوة في الحائط غير النافذة، قال ابن جبير وجمهور المفسرين، وهي أجمع للضوء، والمصباح فيها أكثر إنارة منه في غيرها، وأصلها الوعاء يجعل فيه الشيء. والمشكاة وعاء من أدم كالدلو يبرد فيها الماء، هو على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة. قال الشاعر[٧]:

كأن عينيه مشكاتان في حجر ... قيضا اقتياضا بأطراف المناقير "[٨].

قوله تعالى:{الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ} [النور : ٣٥]، أي:" وذلك المصباح في قنديل من الزجاج الصافي"[٩].

قال ابن كثير:" أي : هذا الضوء مشرق في زجاجة صافية"[١٠].

قال الزمخشري:" أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر"[١١].

قال أُبَي بن كعب:" «المصباح»: القرآن والإيمان الذي جعل في صدره"[١٢].

قال الربيع بن انس:" «مصباح»: القرآن"[١٣].

قال السدي:" «المصباح»: هو النور والإيمان والقرآن"[١٤]، "والزجاجة هي القلب"[١٥].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٨٠-١٨١.

(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٥٦٣):ص٨/٢٥٩٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير:٦/٥٨.

(٤) تفسير ابن كثير:٦/٥٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٨٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري:١٩/١٨١.

(٧)البيت بهذه الرواية عند الثعلبي في "الكشف والبيان٧/١٠٢، والقرطبي ١٢/ ٢٥٨ - ٢٥٨، ولم ينسباه لأحد. لأحد.

وورد هذا البيت برواية أخرى لصدره منسوبًا لأبي زبيد في كتابي: "الشعر والشعراء" لابن قتيبة ص ٥٤٢، "الصناعتين" لأبي هلال العسكري ص ١١٨.

ورواية ابن قتيبة:

كأنَّما عينه وقبان من حجر ... قيضا ...

ورواية العسكري:

كأن عينيه في وقْبَين من حجرٍ ... قيضا ...

وهو من قصيدة له يصف فيها الأسد.

والوَقْب: نُقرة يجتمع فيها الماء، وقيضا: حفرا. والمناقير: جمع "منقار" وهو حديدة كالفأس مشككة مستديرة لها خلف ويُقطع بها الحجار والأرض الصلبة.

انظر: "اللسان" ١/ ٨٠١ (وقب)، ٧/ ٢٢٥ (قيض)، و"تاج العروس" للزبيدي ١٤/ ٢٧٤ (نقر).

(٨) تفسير القرطبي:١٢/٢٥٧-٢٥٨.

(٩) صفوة التفاسير:٢/٣١٢.

(١٠) تفسير ابن كثير:٦/٥٩.

(١١) الكشاف:٣/٢٤١.

(١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٧٣):ص٨/٢٥٩٦.

(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٧٤):ص٨/٢٥٩٦.

(١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٧٥):ص٨/٢٥٩٦.

(١٥)أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٧٩):ص٨/٢٥٩٧ .

قال كعب الاحبار:" الزجاجة: صدره، يعنى: صدر محمد ﷺ"[1].

قال الماوردي: "يعني: أن نار المصباح في زجاجة القنديل لأنه فيها أضوأ ، وهو قول الأكثرين"[2].

قال القرطبي:" وقال: {في زجاجة}، لأنه جسم شفاف، والمصباح فيه أنور منه في غير الزجاج. والمصباح: الفتيل بناره أي في الإنارة والضوء. وذلك يحتمل معنيين: إما أن يريد أنها بالمصباح كذلك، وإما أن يريد أنها في نفسها لصفائها وجودة جوهرها كذلك. وهذا التأويل أبلغ في التعاون على النور"[3].

قوله تعالى:{الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} [النور : ٣٥]، أي:" الزجاجة تشبه الكوكب الدري في صفائها وحسنها"[4].

قال الزمخشري:" شبهه في زهرته بأحد الدراري من الكواكب وهي المشاهير، كالمشترى والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها"[5].

قال أبيّ بن كعب: " يعنى: صدر محمد ﷺ بالكوكب الدري"[6].

قال أبي بن كعب:" فقلبه لما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري"[7].

وفي قوله تعالى:{كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ} [النور : ٣٥]، ثلاثة أقوال:

أحدها : المراد: كوكب الزهرة خاصة، قاله الضحاك[8].

الثاني : أنه كوكب مضيء، من غير تعيين ، قاله أبيّ بن كعب[9]، وقتادة[10]، وحكاه الماوردي عن الأكثرين[11].

عن قتادة: "{كوكب دريّ}، قال: منير مضيء"[12]، " فهذا مثل ضربه الله لهذا"[13].

الثالث: معناه: كوكب ضخم. وهذا مروي عن قتادة أيضا[14].

وأما قوله: «درّي»، ففيه أربع قراءات[15]:

إحداها : «دُريّ»، بضم الدال وترك الهمز، وهي قراءة نافع، وتفسيرها: أنه مضيء يشبه الدر لضيائه ونقائه .

الثانية : بالضم والهمز، وهي قراءة عاصم في رواية أبي بكر ، وتفسيرها: أنه مضيء .

الثالثة : بكسر الدال وبالهمز، وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ، وتفسيرها: أنه متدافع لأنه بالتدافع يصير منقضاً فيكون أقوى لضوئه مأخوذ من درأ، أي: دفع يدفع .

الرابعة : بالكسر وترك الهمز، وهي قراءة المفضل بن عاصم ، ، وتفسيرها: أنه جار كالنجوم الدراري الجارية من: درّ الوادي، إذا جرى .

---

(١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٨٠):ص٢٥٩٧/٨ .
(٢) النكت والعيون:١٠٣/٤.
(٣) تفسير القرطبي:٢٥٨/١٣.
(٤) صفوة التفاسير:٣١٢/٢.
(٥) الكشاف:٢٤١/٣.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٨٣):ص٢٥٩٧/٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٨٢):ص٢٥٩٧/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٥٨٥):ص٢٥٩٨/٨.
(٩) انظر: ابن ابي حاتم(١٤٥٨٧):ص٢٥٩٨/٨.
(١٠) انظر: ابن ابي حاتم(١٤٥٨٨):ص٢٥٩٨/٨.
(١١) انظر: النكت العيون:٤/١-٣.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٨٨):ص٢٥٩٨/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٨٦):ص٢٥٩٨/٨.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٥٩٠):ص٢٥٩٨/٨.
(١٥) انظر: السبعة في القراءات:٤٥٥-٤٥٦، والحجة للقراء السبعة:٣٢٣/٥-٣٢٥، وتفسير الطبري:١٨٤/١٩-١٨٥، والنكت العيون:٤/١-٣.

قوله تعالى:{يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} [النور : ٣٥]، أي:" يوقَد المصباح من زيت شجرة مباركة، وهي شجرة الزيتون، لا شرقية فقط، فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي متوسطة في مكان من الأرض لا إلى الشرق ولا إلى الغرب"(١).

قال ابن كثير:" أي : يستمد من زيت زيتون شجرة مباركة { زيتونة } بدل أو عطف بيان{لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ}، أي : ليست في شرقي بقعتها فلا تصل إليها الشمس من أول النهار ، ولا في غربيها فيتقلّص عنها الفيء قبل الغروب ، بل هي في مكان وسط ، تَقْرَعه الشمس من أول النهار إلى آخره ، فيجيء زيتها معتدلا صافيا مشرقا"(٢).

قال الزمخشري:" يوقد هذا المصباح من شجرة، أى: ابتدأ ثقوبه من شجرة الزيتون، يعنى: زويت ذبالته بزيتها، {مباركة}: كثيرة المنافع"(٣).

وفي كون الزيتون شجرة مباركة، وجهان:

أحدهما : لأن الله بارك في زيتون الشام فهو أبرك من غيره. حكاه الماوردي(٤).

الثاني : لأن الزيتون يورق غصنه من أوله إلى آخره وليس له في الشجر مثيل إلا الرمان. قاله الزجاج(٥)، ومنه قول الشاعر(٦):

بُورِكَ الْمَيْتُ الغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ .... نَضْرُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُونِ

قال الثعلبي:" وإنما خص الزيتونة من بين سائر الأشجار، لأن دهنها أضوأ وأصفر.

وقيل: لأنه يورق غصنها من أوله الى آخره ولا يحتاج دهنه إلى عصار يستخرجه.

وقيل: لأنها أول شجرة نبتت من الدنيا، وقيل: بعد الطوفان.

وقيل: لأن منبتها منزل الأنبياء والأولياء والأرض المقدسة.

وقيل: لأنه بارك فيها سبعون نبيا منهم إبراهيم -عليه السلام- قال: لذلك قال مباركة"(٧).

مباركة"(٧).

وفي قوله تعالى:{زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ} [النور : ٣٥]، سبعة أقوال:

أحدها: أن هذه الشجرة الزيتونة هي في صحراء بحيث لا يسترها عن الشمس شيء لا في حال شروقها ولا في حال غروبها، وما كانت من الزيتون هكذا فثمرها أجود. وهذا معنى قول ابن

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٤.

(٢) تفسير ابن كثير:٥٩/٦.

(٣) الكشاف:٢٤١/٣.

(٤) انظر: النكت والعيون:١٠٤/٤.

(٥) معاني القرآن:٤٥/٤.

(٦)البيت لأبي طالب وهو منسوب له في: كتاب "النَّبات" للأصمعي ص ٢٦ حيث قال: ويقال: نَضَح الشَّجر ينضح نضحًا، إذا تفطَّر للتوريق، قال أبو طالب بن عبد المطلب:

بورك الميت الغريب كما بورك ... نضحُ الرمان والزيتون.

و"نسب قريش" لأبي عبد الله المصعب الزبيري ص ١٣٧ بمثل رواية: الأصمعي. وفي "ديوان شيخ الأباطح أبي طالب جمع أبي هفَّان المهزمي وشرح أبي الفتح ابن جني" ص ٢١ بمثل رواية الأصمعي.

و"الأغاني" للأصفهاني ٦/ ٥١ وعنده:

بورك .. .. نضر الريحان والزيتون

و"المحرر الوجيز" لابن عطية ١٠/ ٥١١، والقرطبي ١٢/ ٢٥٨ وعندهما (نبع) في موضع (نضح).

و"البحر المحيط" لأبي حيان ٦/ ٤٥٧ وعنده: "نَضْر" بمثل رواية الواحدي.

و"خزانة الأدب" للبغدادي ١٠/ ٤٦٣، ٤٦٧ وذكر رواية الديوان ورواية صاحب الأغاني، لكن رواية صاحب الأغاني عنده: .. كما بورك غُصنُ الريحان والزيتون. والبيت غير منسوب في "معاني القرآن" للزَّجَّاج ٤/ ٤٥ وفي المطبوع: .. كما بورك نظم .. ، و"أحكام القرآن" لابن العربي ٣/ ١٣٨٨ وعنده: (نضر).

أما معنى البيت فقد قال البغدادي في "الخزانة" ١٠/ ٤٧٠: "بورك الميت" إلخ جملة دعائية، والبركة: الزيادة، والنضح -بفتح النون وسكون الضّاد المعجمة بعدها حاء مهملة-: القليل .. نضح الشجر إذا تفطَّر، وأراد به اسم المفعول أي الفروع المنشقة عند ما يخرج. والزيتون معطوف على نضح.

(٧) الكشف والبيان:١٠٤/٧.

عباس[١]، ومجاهد[٢]، وقتادة[٣]، عكرمة[٤]، واختاره الفراء[٥]، وأبو عبيدة[٦]، والطبري[٧]، والزجاج[٨]، وابن كثير[٩].

قال الفراء:" هي شجرة الزيت تنبت على تلعة[١٠] من الأرض، فلا يسترها عن الشمس شيء. وهو أجود لزيتها فيما ذكر. والشرقية: التي تأخذها الشمس إذا شرقت، ولا تصيبها إذا غربت لأن لها سترا. والغربية التي تصيبها الشمس بالعشي ولا تصيبها بالغداة، فلذلك قال لا شرقية وحدها ولا غربية وحدها ولكنها شرقية غربية، وهو كما تقول في الكلام: فلان لا مسافر ولا مقيم إذا كان يسافر ويقيم، معناه: أنه ليس بمنفرد بإقامة ولا بسفر"[١١].

قال أبو عبيدة: المعنى:" لا بشرقية تضحى للشمس ولا تصيب ظلا ولا بغربية فى الظل ولا يصيبها الشرق ولكنها شرقية وغربية يصيبها الشرق والغرب وهو خير الشجر والنبات"[١٢].

قال الطبري:" أي: ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذي يلي الشرق، ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا هي غربية وحدها، فتصيبها الشمس بالعشيّ إذا مالت إلى جانب الغرب، ولا تصيبها بالغداة، ولكنها شرقية غربية، تطلع عليه الشمس بالغداة، وتغرب عليها، فيصيبها حرّ الشمس بالغداة والعشيّ، قالوا: إذا كانت كذلك، كان أجود لزيتها"[١٣].

قال الزجاج:" أكثر التفسير أنها ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها فقط أو عند الغروب، أي ليس يسترها في وقت من النهار شيء، أي فهي شرقية غربية، أي تصيبها الشمس بالغداة، والعشى، فهو أنضر لها وأجود لزيتها وزيتونها"[١٤].

قال قتادة: "هي شجرة لا يفي عليها ظل شرق ولا غرب، ضاحية للشمس، وزيتها أصفى الزيت"[١٥].

قال عكرمة:" نبت في فلاة من الأرض لا يظلها جبل ولا شجر ولا بنيان ولا شيء مما خلق الله"[١٦].

قال عكرمة:" الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء، تطلع عليها، وتغرب عليها"[١٧].

قال عكرمة:" تلك زيتونة بأرض فلاة، إذا أشرقت الشمس أشرقت عليها، وإذا غربت غربت عليها، فذاك أصفى ما يكون من الزيت"[١].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٩٩):ص٨/٢٦٠٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨٦/١٩.
(٣)رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٦٠. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٢٠٠ وعزاه أيضًا لعبد بن حميد والطبري. ولم أره في الطبري.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٠٠):ص٨/٢٦٠٠.
(٥) معاني القرآن:٢٥٣/٢.
(٦) مجاز القرآن:٦٦/٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري:١٨٧/١٩.
(٨) معاني القرآن:٤٥/٤.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير:٦٠/٦.
(١٠)التلعة هنا: ما ارتفع من الأرض.
(١١) معاني القرآن:٢٥٣/٢.
(١٢) مجاز القرآن:٦٦/٢.
(١٣) تفسير الطبري:١٨٦/١٩.
(١٤) معاني القرآن:٤٥/٤.
(١٥)رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٦٠. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" ٦/ ٢٠٠ وعزاه أيضًا لعبد بن حميد والطبري. ولم أره في الطبري.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٠٠):ص٨/٢٦٠٠.
(١٧) أخرجه الطبري:١٨٦/١٩.

وقال ابن عباس:" شجرة بالصحراء لا يظلها شجر ولا جبل ولا كهف ولا يواريها شيء هو أجود لزيتها"[٢].

قال مجاهد وابن عباس:" هي التي بشقّ الجبل، التي يصيبها شروق الشمس وغروبها، إذا طلعت أصابتها، وإذا غربت أصابتها"[٣].

وقال سعيد بن جبير:" فالشمس تصيبها بالغداة والعشي، فتلك لا تعد شرقية ولا غربية"[٤].

وقال السدي:" ليست بشرقية يجوزها المشرق دون المغرب، وليست بغربية يجوزها المغرب دون المشرق، ولكنها على رأس جبل أو صحراء تصيبها الشمس النهار كله"[٥].

وقال محمد بن كعب:" لو أن زيتونة كانت في وسط الزيتون لا تصيبها الشمس عند مطلعها حين تطلع ولا عند غروبها حين تغرب، فأصفى زيتها زيتونها ذلك لأشفى على أن يضيء"[٦].

وقال الكلبي:" {لا شرقية} :لا يسترها من الشرق شيء، {ولا غربية}: لا يسترها من الغرب شيء فهو أصفى للزيت "[٧].

الثاني: شجرة التفّ بها الشجر، فهي خضراء ناعمة، لا تصيبها الشمس على أيّ حال كانت، لا إذا طلعت ولا إذا غربت. قاله أبي بن كعب[٨]، ورواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٩].

الثالث : يعني: ليست في مقنوة لا تصيبها الشمس، ولا هي بارزة للشمس لا يصيبها الظل، فهي لم يضرها الشمس ولا الظل. وهذا قول السدي[١٠].

وقال ابن قتيبة:"أي: ليست في مشرقة أبدا، فلا يصيبها ظل. ولا في مقنأة أبدا، فلا تصيبها الشمس. ولكنها قد جمعت الأمرين فهي شرقية غربية: تصيبها الشمس في وقت، ويصيبها الظل في وقت"[١١].

الرابع: أنها معتدلة، ليست من شجر الشرق فيلحقها الحر، ولا في الغرب فيضر بها البرد وهي رواية ابن ظبيان عن ابن عباس[١٢].

الخامس: أنها شامية. لأن الشام لا شرقي ولا غربي. قاله زيد بن أسلم[١٣].

السادس : أنها القِبْلية. وهذا قول محمد بن كعب[١٤].

السابع : انها شجرة وسط الشجر، ليست من الشرق ولا من الغرب. قاله ابن عباس[١٥].

وقال ابن زيد:" متيامنة الشأم، لا شرقي ، ولا غربي"[١٦].

الثامن : أنها شجرة في وسط الشجر لا تصيبها الشمس في شرق ولا غرب وهي من وجوه الشجر. وهذا مروي عن سعيد بن جبير[١]، وأبو مالك[٢]، ومحمد بن كعب[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٠١):ص٨/٢٦٠٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٩٩):ص٨/٢٦٠٠.
(٣) أخرجه الطبري:١٨٦/١٩.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٠٦):ص٨/٢٦٠١.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٠٥):ص٨/٢٦٠١.
(٦) تفسير القرىن من الجامع لابن وهب(١٢٩):ص٢/٦٥.
(٧) تفسير عبدالرزاق(٢٠٤٩):ص٢/٤٤٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨١/١٩.
(٩) انظر: زاد المسير:٢٩٦/٣.
(١٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٠٣/٧، والزمخشري في الكشاف:١٠٣/٧.
(١١) غريب القرآن:٣٠٥.
(١٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٠٣/٧، والزمخشري في الكشاف:١٠٣/٧.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦١١):ص٨/٢٦٠١.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٠٧):ص٨/٢٦٠١.
(١٥) اخجره الطبري:١٨٦/١٩.
(١٦) اخجره الطبري:١٨٦/١٩.

وحكي عن عطية:" أنها وسط الشجر، لا تنالها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت، وذلك أجود لزيتها: قاله عطية"[٤].

قال ابن عطية:" قال ابن عباس فيما حكى عنه الطبري معناه: أنها شجرة في دوحة قد أحاطت بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب.

قال ابن عطية: وهذا قول لا يصح عندي عن ابن عباس، لأن الوجود يقتضي أن الشجرة التي تكون بهذه الصفة ينفسد جناها"[٥].

التاسع : أنها ليست من شجر الدنيا التي تكون شرقية أو غربية ، وإنما هي من شجر الجنة ، قاله الحسن[٦].

قال الحسن:" والله لو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية، ولكنما هو مثل ضربه الله لنوره"[٧].

قال الثعلبي:" وقد أفصح القرآن بأنها من شجر الدنيا لأنها بدل من الشجرة فقال زيتونة"[٨].

العاشر : أنها ليس في شجر الشرق ولا في شجر الغرب مثلها ، حكاه يحيى ابن سلام[٩].

الحادي عشر : أنه مثل، معناه: رجل صالح، لا يهودي ولا نصراني. قاله ابن عباس[١٠]، وابن عمر[١١]، وهو معنى قول مقاتل[١٢].

قال مقاتل:" يقول لم يكن إبراهيم- عليه السلام- يصلي قبل المشرق كفعل النصارى ولا قبل المغرب كفعل اليهود، ولكنه كان يصلي قبل الكعبة"[١٣].

وروي الثعلبي عن ابن عمر في هذه الآية قال: "المشكاة جوف محمد، والزجاجة قلبه، والمصباح النور الذي جعل الله فيه، لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني، توقد من شجرة مباركة إبراهيم، نور على نور النور الذي جعل الله في قلب إبراهيم كما جعل في قلب محمد ﷺ "[١٤].

وقال محمد بن كعب:" {لا شرقية ولا غربية}، يعني: إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وإنما قال ذلك لأن اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يعني تكاد محاسن محمد تظهر للناس قبل أن أوحي إليه نور على نور أي نبي من نسل نبي "[١٥].

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٦٠/٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور:٢٠١/٦، وعزاه إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٠١/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٣) أورده السيوطي في الدر المنثور:٢٠١/٦، وعزاه إلى عبد بن حميد.

(٤) انظر: النكت والعيون:١٠٥/٤، وأحكام القرآن لابن العربي:٤٠٤/٣.

وقال ابن كثير:٦٠/٦:" قال عطية العوفي : { لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ } قال : هي شجرة في موضع من الشجر ، يرى ظل ثمرها في ورقها ، وهذه من الشجر لا تطلع عليها الشمس ولا تغرب".

(٥) المحرر الوجيز:١٨٥/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨٧/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:١٨٧/١٩.

(٨) الكشف والبيان:١٠٤/٧، ونقله الزمخشري بتمامه في الكشاف:١٠٤/٧.

(٩) انظر: النكت والعيون:١٠٥/٤، واحكام القرن لابن العربي:٤٠٤/٣.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٠٩):ص٢٦٠١/٨.

(١١) انظر: الكشف والبيان:١٠٥/٧، والنكت والعيون:١٠٥/٤، وأحكام القرآن لابن العربي:٤٠٤/٣.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٠/٣.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٠/٣.

(١٤) الكشف والبيان:١٠٥/٧، وانظر: النكت والعيون:١٠٥/٤، وأحكام القرآن لابن العربي:٤٠٤/٣.

(١٥) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:١٠٥/٧.

الثاني عشر: المعنى: أن الإيمان ليس بشديد ولا لين لأن في أهل الشرق شدة ، وفي أهل الغرب لينٌ. حكاه الماوردي[١].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك، قول من قال: إنها شرقية غربية، وقال: ومعنى الكلام: ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشيّ دون الغداة، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب، فهي شرقية غربية، وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام؛ لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والجودة، فإذا كان شجره شرقيا غربيا، كان زيته لا شكّ أجود وأصفى وأضوأ"[٢].

قال ابن كثير:" وأولى هذه الأقوال القولُ الأول ، وهو أنها في مستوى من الأرض ، في مكان فسيح بارز ظاهر ضاح للشمس ، تَفْرعه من أول النهار إلى آخره ، ليكون ذلك أصفى لزينتها وألطف ، كما قال غير واحد ممن تقدم ؛ ولهذا قال : { يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ }"[٣].

قوله تعالى:{يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} [النور : ٣٥]، أي:" يكاد زيتها -لصفائه- يضيء من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مَسَّتْه النار أضاء إضاءة بليغة"[٤].

قال يحيى:" يكاد زيت الزجاجة يضيء ولو لم تمسسه نار وهو مثل قلب المؤمن يكاد أن يعرف الحق من قبل أن يبين له فيما يذهب إليه قلبه من موافقة الحق فيما أمر به وفيما يذهب إليه من كراهية ما نهي عنه"[٥].

قال الثعلبي:" يقول: تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم تقرأ، وقيل: تكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن فكر فيها وتدبرها ولو لم ينزل القرآن"[٦].

قال الطبري: يعني:" أن هذا القرآن من عند الله، وأنه كلامه، فجعل مثله ومثل كونه من عنده، مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة، التي وصفها جلّ ثناؤه في هذه الآية. وعنى بقوله: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ}: أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر أو أعرض عنها ولها {وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} يقول: ولو لم يزدها الله بيانا ووضوحا بإنزاله هذا القرآن إليهم؛ منبها لهم على توحيده، فكيف إذا نبههم به وذكَّرهم بآياته، فزادهم به حجة إلى حججه عليهم قبل ذلك، فذلك بيان من الله ونور على البيان، والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله"[٧].

قال الزمخشري:" وصف الزيت بالصفاء والوبيص[٨]، وأنه لتلألئه يكاد يضيء من غير غير نار"[٩].

عن ابن عباس قوله: "{يكاد زيتها يضيء}، يعنى: نارا"[١٠].

قال ابن زيد:" الضوء إشراق الزيت"[١١].

قال سعيد بن جبير:" هو أجود الزيت"[١٢].

عن عكرمة قوله: "{يكاد زيتها يضيء}، يقول: من شدة النور، ذلك مثل المؤمن"[١٣].

---

(١) انظر: النكت والعيون:١٠٥/٤.
(٢) تفسير الطبري:١٨٧/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٦٠/٦.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٠/١.
(٦) الكشف والبيان:١٠٦/٧.
(٧) تفسير الطبري:١٨٧/١٩-١٨٨.
(٨) قال المحقق: لم أجده.
(٩) الكشاف:٢٤١/٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦١٥):ص٢٦٠٢/٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦١٦):ص٢٦٠٢/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦١٧):ص٢٦٠٢/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦١٢):ص٢٦٠٢/٨.

قال سعيد بن جبير: قوله: "{يكاد زيتها يضيء}، قال: يكاد من رأى محمدا ﷺ يعلم أنه رسول الله وإن لم يتكلم"[١].

قال كعب الاحبار:" يكاد محمد بن عبد الله ﷺ يبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت أن يضيء"[٢].

قوله تعالى:{نُورٌ عَلَى نُورٍ} [النور : ٣٥]، أي:" نور فوق نور، فهو نور من إشراق الزيت على نور من إشعال النار"[٣].

قال الطبري:" يعني: النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ولو لم تمسسه النار"[٤].

قال ابن قتيبة:" يعني: نور المصباح على نور الزّجاجة والدّهن"[٥].

قال الثعلبي:" يعني: أن القرآن نور من الله يخلقه مع ما قد أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور"[٦].

قال الزمخشري:" أى: هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت، حتى لم تبق مما يقوى النور ويزيده إشراقا ويمده بإضاءة: بقية، وذلك أن المصباح إذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان أضوأ له وأجمع لنوره، بخلاف المكان الواسع فإن الضوء ينبث فيه وينتشر، والقنديل أعون شيء على زيادة الإنارة، وكذلك الزيت وصفاؤه"[٧].

وفي قوله تعالى:{نُورٌ عَلَى نُورٍ} [النور : ٣٥]، أقوال:

أحدها : يعني: ضوء النار على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة ، قاله مجاهد[٨].

الثاني: يعنى بذلك: إيمان العبد وعمله. قاله ابن عباس[٩].

وقال أبو الليث:" يعني: محمدا ﷺ كان عمله نورا وقوله نورا"[١٠].

الثالث : نور النبوة على نور الحكمة ، قاله الضحاك[١١].

الرابع : نور نبي من نسل نبي ، قاله يحيى بن سلام[١٢].

الخامس: نور القرآن ونور الإيمان. قاله السدي[١٣].

قال السدي:" نور الزيت ونور النار حين اجتمعا أضاءا، ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه"[١٤].

وقال ابن زيد:"نور القرآن. قاله ابن زيد[١٥].

وقال قتادة:" هذا مثل ضربه الله للقرآن، يقول: قد جاء مني نور وهدى متظاهر"[١٦].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦١٣):ص٨/٢٦٠٢.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم (١٤٦١٨):ص٨/٢٦٠٣.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٤، وصفوة التفاسير:٣١٢/٢.
(٤) تفسير الطبري:١٨٨/١٩.
(٥) تأويل مشكل القرآن:١٩٨.
(٦) الكشف والبيان:١٠٦/٧.
(٧) الكشاف:٢٤١/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨٨/١٩.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٢٠):ص٨/٢٦٠٣.
(١٠) بحر العلوم:٥١٤/٢.
(١١) انظر: النكت والعيون:١٠٥/٤.
(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٥٠/١.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٢١):ص٨/٢٦٠٣.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٢١):ص٨/٢٦٠٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٨٨/١٩.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٢٣):ص٨/٢٦٠٣.

وروي عن أبي بن كعب في هذه الآية: "{نور على نور}، فهو يتقلب في خمسة من النور فكلامه نور، وعمله نور ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلي النور يوم القيامة إلى الجنة"[١].

قال الطبري:" يعني بقوله: {نُورٌ عَلَى نُورٍ} هذا القرآن نور من عند الله، أنزله إلى خلقه يستضيئون به، {عَلَى نُورٍ} على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه، مما يدلّ على حقيقة وحدانيته، فذلك بيان من الله، ونور على البيان، والنور الذي كان وضعه لهم ونصبه قبل نزوله"[٢].

قوله تعالى:{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ} [النور : ٣٥]، أي:" يوفق الله لاتباع نوره - وهو القرآن - من يشاء من عباده"[٣].

قال مقاتل:" يهدي الله لدينه من يشاء من عباده"[٤].

قال أبو الليث:" يعني: يعطي النبوة لمن يشاء"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يوفق الله لاتباع نوره، وهو هذا القرآن، من يشاء من عباده"[٦].

قال الزمخشري:" يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء من عباده، أى: يوفق لإصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والإنصاف من نفسه، ولم يذهب عن الجادة الموصلة إليه يمينا وشمالا. ومن لم يتدبر فهو كالأعمى الذي سواء عليه جنح الليل الدامس وضحوة النهار الشامس"[٧].

قال الثعلبي:" ثم أخبر أن هذا النور المذكور عزيز فقال عز من قائل: {يهدي الله لنوره من يشاء}"[٨].

قوله تعالى:{وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ} [النور : ٣٥]، أي:" ويضرب الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله وحكمه"[٩].

قال أبو الليث:" يعني: الله عز وجل يبين الأشباه للناس لكي يفهموا، ويقال: المثل كالمرآة يظهر عنده الحق"[١٠].

قال الثعلبي:أي:" تقريبا للشيء الذي أراده إلى الأفهام وتسهيلا لسبل الإدراك على الأنام"[١١].

قال الطبري:" يقول: ويمثل الله الأمثال والأشباه للناس، كما مثَّل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن بالمصباح في المشكاة، وسائر ما في هذه الآية من الأمثالَ"[١٢].

قال القرطبي:" ذكر تفضله للعباد في ضرب الأمثال لتقع لهم العبرة والنظر المؤدي إلى الإيمان"[١٣].

واختلف العلماء في معنى هذا المثل في الآية الكريمة، على وجهين:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦١٩):ص٢٦٠٣/٨.
(٢) تفسير الطبري:١٨٨/١٩.
(٣) صفوة التفاسير:٣١٢/٢.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٠/٣.
(٥) بحر العلوم:٥١٤/٢.
(٦) تفسير الطبري:١٨٨/١٩.
(٧) الكشاف:٢٤١٠٢٤٢/٣.
(٨) الكشف والبيان:١٠٦/٧.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٤.
(١٠) بحر العلوم:٥١٤/٢.
(١١) الكشف والبيان:١٠٦/٧.
(١٢) تفسير الطبري:١٨٨/١٩.
(١٣) تفسير القرطبي:٢٥٩/١٢.

أحدهما: أنه مثل ضربه الله سبحانه لنبيه محمد ﷺ، وهذا قول كعب الأحبار[(١)]، وابن عمر[(٢)]، وسعيد بن جبير-في إحدى الروايات-[(٣)]، ومحمد بن كعب القرظي[(٤)]، والضحاك[(٥)].

قال كعب الاحبار:" فالمشكاة صدره، والزجاجة قلبه، والمصباح فيه النبوة، توقد من شجرة مباركة وهي شجرة النبوة، يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم أنه نبى كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار"[(٦)].

قال الزجاج:" جائز أن يكون النبي - ﷺ - هو النور الذي قال مثل نوره، لأن النبي - ﷺ - هو المرشد والمبين والناقل عن الله ما هو نير، بين"[(٧)].

الثاني: أنه مثل القرآن وهداه في قلب المؤمن. وهذا قول أبيّ بن كعب[(٨)]، وابن عباس[(٩)]، والحسن[(١٠)]، وابن زيد[(١١)]، وسليمان بن الاعمش[(١٢)]، وسعيد بن جبير-في رواية اخرى[(١٣)].

قال يحيى:" يقول: مثل نوره الذي أعطى المؤمن في قلبه كمشكاة"[(١٤)].

قال أُبيّ:" هو عبد جعل الله القرآن والإيمان في صدره"[(١٥)].

وقال سليمان بن الاعمش:" مثل نوره الذي جعل في قلب المؤمن وفي سمعه وبصره"[(١٦)].

وقال ابن عباس:" هي خطأ من الكاتب، هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة، قال: مثل نور المؤمن كمشكاة"[(١٧)].

قال الحسن البصري: "عنى بذلك قلب المؤمن وضياء التوحيد، لأن قلوب الأنبياء صلوات الله عليهم أنور من أن توصف بمثل هذه الأنوار"[(١٨)].

قال الطبري:" ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به، فقال: مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد، الذي أنزله إليهم فآمنوا به وصدقوا بما فيه في قلوب المؤمنين مثل مشكاة، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة، وذلك هو نظير الكوّة التي تكون في الحيطان التي لا منفذ لها، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة؛ لأنه غير نافذ، وهو أجوف مفتوح الأعلى، فهو كالكوّة التي في الحائط التي لا تنفذ، ثم قال: {فِيهَا مِصْبَاحٌ} وهو السراج، وجعل السراج وهو المصباح مثلا لما في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات، ثم قال: {الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ} يعني: أن السراج الذي في المشكاة: في القنديل، وهو الزجاجة، وذلك مثل للقرآن، يقول: القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار الله قلبه في صدره، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله

---

(١) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(٢) رواه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٠٥/٧.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(٤) انظر: الكشف والبيان:١٠٥/٧.
(٥) انظر: الكشف والبيان:١٠٥/٧.
(٦) ذكره الثعلبي في الكشف والبيان:١٠٥/٧، وأخرج بعضه ابن ابي حاتم (١٤٦١٨):ص٢٦٠٣/٨ .
(٧) معاني القرآن:٤٣/٤.
(٨)انظر: تفسير الطبري:١٧٨/١٩-١٧٩، وتفسير ابن ابي حاتم(١٤٥٩٦):ص٢٥٩٩/٨، والكشف والبيان:١٠٥/٧
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:١٨٠/١٩.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٥٥٦):ص٢٥٩٤/٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٧٩/١٩.
(١٤) تفسير يحيى بن سلام:٤٤٩/١.
(١٥) أخرجه الطبري:١٧٩/١٩.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٥٥٦):ص٢٥٩٤/٨.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٥٦٠):ص٢٥٩٥/٨.
(١٨) تفسير التستري:١١١-١١٢.

والشكّ فيه، واستنارته بنور القرآن، واستضاءته بآيات ربه المبينات، ومواعظه فيها بالكوكب الدرّيّ، فقال: {الزُّجَاجَةُ} وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه {كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ}"(١).

قال ابن العربي:" لا خلاف بين المحققين الذين ينزلون التفسير منازله، ويضعون التأويل مواضعه من غير إفراط ولا تفريط، أن هذا مثل ضربه الله لنوره، ولا يمكن أن يضرب لنوره المعظم مثلا تنبيها لخلقه إلا ببعض خلقه؛ لأن الخلق بقصورهم لا يفهمون إلا بأنفسهم ومن أنفسهم، ولولا ذلك ما عرف الله إلا الله وحده، وأنور المصابيح في الدنيا مصباح يوقد من دهن الزيتون، ولا سيما إذا كانت مفردة قد تباعد عنها الشجر فخلصت من الكل، وأخذتها الشمس من كل جانب، فذلك أصفى لنورها، وأطيب لزيتها، وأنضر لأغصانها، وذلك معنى بركة هذه الشجرة التي فهمها الناس حتى استعملوها في أشعارهم، فقالوا(٢):

بُورِكَ الْمَيْتُ الغَرِيبُ كَمَا بُورِكَ .... نَضْرُ الرُّمَّانِ والزَّيْتُونِ

وقد رأيت في المسجد الأقصى زيتونة كانت بين محراب زكريا وبين باب التوبة والرحمة الذي يقولون: إنه المراد بقوله: {باب باطنه فيه الرحمة}، يعني: المسجد الأقصى، {وظاهره من قبله العذاب}، بشرقيه دون السور، وادي جهنم، وفوقه أرض المحشر التي تسمى بالساهرة، فكانوا يقولون: إنها الشجرة المذكورة في هذه الآية. وربك أعلم"(٣).

قال ابن العربي:" ومن غريب الأثر أن بعض علمائنا الفقهاء قال: إن هذا مثل ضربه الله لإبراهيم، ومحمد، ولعبد المطلب، وابنه عبد الله، فـ«المشكاة»: هي الكوة بلغة الحبشة، فشبه عبد المطلب بالكوة فيها القنديل، وهو الزجاجة، وشبه عبد الله بالقنديل وهو الزجاجة، ومحمد كالمصباح، يعني: من أصلابهما، و{كأنه كوكب دري}، وهو المشترى، {يوقد من شجرة مباركة}، يعني: إرث النبوة، من إبراهيم، وهو الشجر المباركة، يعني: حنيفة {لا شرقية ولا غربية}: لا يهودية ولا نصرانية، {يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار}، يقول: يكاد إبراهيم يتكلم بالوحي من قبل أن يوحى إليه، {نور على نور}: إبراهيم ثم محمد.

-قال ابن العربي-: وهذا كله عدول عن الظاهر، وليس يمتنع في التمثيل أن يتوسع المرء فيه، ولكن على الطريقة التي شرعناها في قانون التأويل لا على الاسترسال المطلق الذي يخرج الأمر عن بابه، ويحمل على اللفظ ما لا يطيقه، فمن أراد الخبرة به والشفاء من دائه فلينظر هنالك"(٤).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [النور : ٣٥]، أي:" والله بكل شيء عليم، لا يخفى عليه شيء"(٥).

قال أبو الليث:" يعني: من ضرب الأمثال"(٦).

قال الطبري:" يقول: والله يضرب الأمثال، وغيرها من الأشياء كلها، ذو علم"(٧).

القرآن

{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦)} [النور : ٣٦]

التفسير:

هذا النور المضيء في مساجد أَمَرَ الله أن يُرْفع شأنها وبناؤها، ويُذْكر فيها اسمه بتلاوة كتابه والتسبيح والتهليل، وغير ذلك من أنواع الذكر، يُصلِّي فيها لله في الصباح والمساء.

---

(١)تفسير الطبري:١٨٤/١٩ .
(٢) سبق تخريجه في تفسير هذه الآية[النور:٣٥].
(٣) احكام القرآن:٤٠٤/٣.
(٤) أحكام القرآن:٤٠٥/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٦) بحر العلوم:٥١٤/٢.
(٧) تفسير الطبري:١٨٨/١٩.

قوله تعالى:{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ} [النور : ٣٦]، أي:" هذا النور المضيء في مساجد أَمَرَ الله أن يُرْفع شأنها وبناؤها"[١].

في هذه البيوت، قولان:

أحدهما : أنها المساجد ، قاله ابن عباس[٢]، والحسن[٣]، وأبو صالح[٤]، وسفيان بن الحسن[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧]، وسالم بن عمر[٨]، وابن زيد[٩].

قال عمرو بن ميمون: "أدركت أصحاب رسول الله وهم يقولون: المساجد بيوت الله، وإنه حق على الله أن يكرم من زاره فيها"[١٠].

وقال الحسن:" هو بيت المقدس، لأنه يسرج فيه كل ليلة عشرة آلاف قنديل"[١١].

قال الطبري: يدل قوله: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [النور : ٣٦ - ٣٧]، على أنها بيوت بنيت للصلاة، فلذلك قلنا هي المساجد"[١٢].

الثاني : أنها سائر البيوت ، قاله عكرمة[١٣].

قال عكرمة:" هي المساكن. المسكن يعمرونه ويذكرون الله فيها وليست بالمساجد التي سماها الله بأسمائها"[١٤].

وفي قوله تعالى:{أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ} [النور : ٣٦]، أربعة وجوه:

أحدها : أن تُبْنَى، كقوله :{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ}، أي: يبني. قاله مجاهد[١٥]، والفراء[١٦].

الثاني : أنها تطهر من الأنجاس والمعاصي ، حكاه ابن عيسى[١٧].

وروي عن قتادة، قوله:"{في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه}، وهي هذه المساجد، أذن الله في بنائها ورفعها، وأمر بعمارتها وتطهيرها"[١٨].

الثالث : أن تعظم لذكره، قاله الحسن[١٩]، والضحاك[٢٠].

الرابع : أن ترفع فيها الحوائج إلى الله. حكاه الماوردي[٢١].

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري:١٨٩/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٨٩/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٨٩/١٩.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٦٣٢):ص٢٦٠٥/٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٨٩/١٩.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٣٥):ص٢٥٦٠٥/٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٨٩/١٩-١٩٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٩٠/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:١٨٩/١٩.
(١١)أخرجه النب ابي حاتم(١٤٦٣٢):ص٢٦٠٥/٨ .
(١٢) تفسير الطبري:١٩٠/١٩. [بتصرف]
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٩٠/١٩.
(١٤)أخرجه النب ابي حاتم(١٤٦٣١):ص٢٦٠٥/٨ .
(١٥) انظر: تفسير الطبري:١٩٠/١٩.
(١٦) انظر: معاني القرآن:٢٥٤/٢.
(١٧) انظر: النكت والعيون:١٠٦/٤.
(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٣٥):ص٢٦٠٥/٨.
(١٩) انظر: تفسير الطبري:١٩٠/١٩.
(٢٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٣٤):ص٢٥٦٠٥/٨.
(٢١) انظر: النكت والعيون:١٠٦/٤.

قال الطبري:" الصواب، القول الذي قاله مجاهد، وهو أن معناه: أذن الله أن ترفع بناء، كما قال جل ثناؤه: {وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت}، وذلك أن ذلك هو الأغلب من معنى الرفع في البيوت والأبنية"[١].

قال ابن أبي حاتم:" وقد ذكر لنا أن كعبا كان يقول: إن في التوراة مكتوبا: «ألا إن بيوتي في الأرض المساجد، وأنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم زارني في بيتي أكرمته وحق على المزور كرامة الزائر»"[٢].

قوله تعالى:{وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} [النور : ٣٦]، أي:" ويُذْكر فيها اسمه بتلاوة كتابه والتسبيح والتهليل، وغير ذلك من أنواع الذكر"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ} [النور : ٣٦]، أربعة أقوال:

أحدها : يتلى فيها كتابه ، قاله ابن عباس[٤].

الثاني : تذكر فيها أسماؤه الحسنى، قاله ابن جرير الطبري[٥].

الثالث : يعنى الصلاة. قاله أبو روق[٦].

الرابع : توحيده بأن لا إله غيره ، قاله الكلبي[٧].

قال الطبري: المعنى: "وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها، وقول ابن عباس قريب المعنى مما قلناه في ذلك؛ لأن تلاوة كتاب الله من معاني ذكر الله، غير أن الذي قلنا به أظهر معنييه، فلذلك اخترنا القول به"[٨].

قوله تعالى:{يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [النور : ٣٦]، أي:" ، يُصلِّي فيها لله في الصباح والمساء"[٩].

قال الحسن:" أذن الله أن تبنى، فيصلي فيها بالغدو والآصال"[١٠].

قال مقاتل بن حيان:" يقول: يصلى لله فيها بالغداة والعشي"[١١].

قال ابن عباس:" يقول: يصلي له فيها بالغداة والعشي"[١٢].

قال أبو معاذ:" يعني: الصلاة المفروضة"[١٣].

عن ابن عباس قوله: "{بالغداة}، صلاة الغداة، {والآصال}، يعنى: بالآصال صلاة العصر، وهما أول ما فرض الله من الصلاة فأحب أن يذكرهما، ويذكر بهما عباده"[١٤].

قال أبو روق:" {بالغدو}، يعنى: صلاة الغداة، {والآصال}: حين تميل الشمس إلى صلاة المغرب"[١٥].

قال يحيى:" الغدو: صلاة الصبح، والآصال: العشي، الظهر والعصر. وقد ذكر في غير هذه الآية المغرب والعشاء وجميع الصلوات الخمس في غير آية"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري:١٩٠/١٩.
(٢) تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٣٦):ص٢٦٠٥/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٩١/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:١٩٠/١٩-١٩١.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٣٨):ص٢٦٠٦/٨.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٠٧/٤.
(٨) تفسير الطبري:١٩٠/١٩-١٩١.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٤.
(١٠)أخرجه الطبري:١٩٢/١٩ .
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٤٠):ص٢٦٠٦/٨.
(١٢)أخرجه الطبري:١٩١/١٩-١٩٢ .
(١٣)أخرجه الطبري:١٩٢/١٩ .
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٤١)، (١٤٦٤٢):ص٢٦٠٦/٨.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٤٤):ص٢٦٠٦/٨.
(١٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٥١/١.

قال ابن عباس:" كل تسبيح في القرآن فهو صلاة"[١].
وقرأ عاصم: «يسبح»، بفتح الباء[٢].

القرآن
{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (٣٧)} [النور : ٣٧]
التفسير:
رجال لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذِكْرِ الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة لمستحقيها، يخافون يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب بين الرجاء في النجاة والخوف من الهلاك، وتتقلب فيه الأبصار تنظر إلى أي مصير تكون؟
سبب النزول:
قال القرطبي:" قيل: إن رجلين كانا في عهد النبي ﷺ، أحدهما بياعا فإذا سمع النداء بالصلاة فإن كان الميزان بيده طرحه ولا يضعه وضعا، وإن كان بالأرض لم يرفعه. وكان الآخر قينا يعمل السيوف للتجارة، فكان إذا كانت مطرقته على السندان أبقاها موضوعة، وإن كان قد رفعها ألقاها من وراء ظهره إذا سمع الأذان، فأنزل الله تعالى هذا ثناء عليهما وعلى كل من افتدى بهما"[٣].
قوله تعالى:{رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} [النور : ٣٧]، أي:" رجال لا تشغلهم تجارة ولا بيع عن ذِكْرِ الله وطاعته"[٤].
قال الطبري: يقول:" لا يشغل هؤلاء الرجال الذين يصلون في هذه المساجد، التي أذن الله أن ترفع، عن ذكر الله فيها وإقام الصلاة - تجارة ولا بيع"[٥].
قال الزجاج:" أي: لا يشغلهم أمر عن ذلك"[٦].
قال ابن كثير:" يقول تعالى : لا تشغلهم الدنيا وزخرفها وزينتها ومَلاذ بَيعها وريحها ، عن ذكر ربهم الذي هو خالقهم ورازقهم ، والذين يعلمون أن الذي عنده هو خير لهم وأنفع مما بأيديهم ؛ لأن ما عندهم ينفد وما عند الله باق"[٧].
قال يحيى:" التجارة: الجالب، والبيع: الذي يبيع على يديه"[٨].
قال الزمخشري:" التجارة: صناعة التاجر، وهو الذي يبيع ويشترى للربح، فإما أن يريد: لا يشغلهم نوع من هذه الصناعة، ثم خص البيع لأنه في الإلهاء أدخل، من قبل أن التاجر إذا اتجهت له بيعة رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته: ألهته ما لا يلهيه شراء شيء يتوقع فيه الريح في الوقت الثاني، لأن هذا يقين وذاك مظنون. وإما أن يسمى الشراء تجارة، إطلاقا لاسم الجنس على النوع، كما تقول: رزق فلان تجارة رابحة إذا اتجه له بيع صالح أو شراء. وقيل: التجارة لأهل الجلب، اتجر فلان في كذا: إذا جلبه"[٩].
قال القرطبي:" خص التجارة بالذكر، لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة"[١٠].
وفي «ذكر الله»، هنا وجوه:

---

(١)أخرجه الطبري:١٩١/١٩ .
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء:٢٥٣/٢.
(٣) تفسير القرطبي:٢٧٩/١٢.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٥، وصفوة التفاسير:٣١٣/٢.
(٥) تفسير الطبري:١٨٢/١٩.
(٦) معاني القرآن:٤٦/٤.
(٧) تفسير ابن كثير:٦٨/٦.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٥١/١.
(٩) الكشاف:٢٤٢/٣-٢٤٣.
(١٠) تفسير القرطبي:٢٧٩/١٢.

أحدها : عن ذكره تعالى باللسان. قاله أبو سليمان الدمشقي[١].

وقال الشوكاني:"أي: لا تشغلهم تجارة في السفر، ولا بيع في الحضر، عن ذكر الله باللسان والقلب"[٢].

الثاني : أن «ذكر الله» -في هذا الموضع-: الأذان والصلاة، والصلوات الخمس. قاله يحيى بن سلام[٣].

الثالث : عن صلاتهم المفروضة عليهم، قاله ابن عباس[٤]، والربيع بن أنس[٥]، ومقاتل بن حيان[٦]، والسدي[٧]، ويحيى بن سلام أيضا[٨]، ومقاتل[٩].

قال الضحاك:" هم في أسواقهم يبيعون ويشترون، فإذا جاء وقت الصلاة لم يلههم البيع والشراء عن الصلاة"[١٠].

قال مطر:" أما إنهم قد كانوا يشترون ويبيعون، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء وميزانه في يده خفضه وأقبل إلى الصلاة"[١١].

قال سعيد بن أبي الحسن:" قوم في تجارتهم وبيوعهم لا تلهيهم تجارتهم ولا بيوعهم عن ذكر الله أن يأتوها لوقتها"[١٢].

عن ابن عمر، "أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر: فيهم نزلت :{رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}"[١٣].

قال سيار: "حدثت عن ابن مسعود أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة، تركوا بياعاتهم، ونهضوا إلى الصلاة، فقال عبد الله: هؤلاء من الذين ذكر الله في كتابه {لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}"[١٤].

عن عمرو بن دينار الأعور، قال: "كنت مع سالم بن عبد الله، ونحن نريد المسجد فمررنا بسوق المدينة وقد قاموا إلى الصلاة وخمروا متاعهم، فنظر سالم إلى أمتعتهم ليس معها أحد فتلا هذه الآية: {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}، ثم قال: هم هؤلاء" [١٥].

وعن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ في قوله: "{رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}، قال :«هم الذين يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله»[١٦].

قال أبو الدرداء: "إني أقمت على هذا الدرج أبايع عليه أربح كل يوم ثلاثمائة دينار، وأشهد الصلاة في كل يوم في المسجد، أما إني لا أقول: إن ذلك ليس بحلال، ولكني أحب أن أكون من الذين قال الله: {رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله}"[١٧].

---

(١) انظر: زاد المسير:٢٩٨/٣.
(٢) فتح القدير:٤٥/٤.
(٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٥١/١.
(٤) انظر: تفسير الطبري:١٩٣/١٩.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٠٨/٨. ذكره بدون سند.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٠٨/٨. ذكره بدون سند.
(٧) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٤٥١/١.
(٨) انظر: التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه:١٦٣.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٦٤٤/٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٤٩):ص٢٦٠٧/٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٥٣):ص٢٦٠٨/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٥٠):ص٢٦٠٧/٨.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٤٧):ص٢٦٠٧/٨.
(١٤) أخرجه الطبري:١٩٢/١٩.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٥١):ص٢٥٠٨/٨، والطبري:١٩٢/١٩.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٤٥):ص٢٦٠٧/٨.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٤٨):ص٢٦٠٧/٨.

قال عطاء:" كانوا لا يلهيهم الشراء والبيع عن مواضع حقوق الله التي افترضها عليهم أن يؤدوها لأوقاتها"(١).

وقال ابن عباس:" ضرب الله هذا المثل، قوله: مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة لأولئك القوم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله(٢).

قوله تعالى:{وَإِقَامِ الصَّلَاةِ} [النور : ٣٧]، أي:" ولا تشغلهم الدنيا عن إقامة الصلاة في أوقاتها"(٣).

قال أبو العالية:" يعني الصلاة المفروضة"(٤).

قال السدي:" إقامة الصلاة في جماعة"(٥).

قال مقاتل بن حيان:" يعنى: لا يلهيهم ذلك عن حضور الصلاة أن يقيمونها كما أمرهم الله، وأن يحافظوا على مواقيتها وما استحفظهم الله فيها"(٦).

عن زيد بن اسلم، "{وَإِقَامِ الصَّلَاةِ}، قال: إقامة الدين"(٧).

قوله تعالى:{وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ} [النور : ٣٧]، أي:" ولا تشغلهم الدنيا عن دفع الزكاة للفقراء والمستحقين بحدودها وشروطها"(٨).

قال يحيى بن سلام:" الزكاة المفروضة"(٩).

قال ابن عباس:" يعني: بالزكاة، طاعة الله والإخلاص"(١٠).

قال السمعاني:" منهم من قال: هي الزكاة المفروضة، ومنهم من قال: الأعمال الصالحة"(١١).

قوله تعالى:{يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} [النور : ٣٧]، أي:" يخافون يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب بين الرجاء في النجاة والخوف من الهلاك، وتتقلب فيه الأبصار تنظر إلى أي مصير تكون؟"(١٢).

قال الفراء:" يقول: من كان في دنياه شاكا أبصر ذلك في أمر آخرته، ومن كان لا يشك ازداد قلبه بصرا لأنه لم يره في دنياه: فذلك تقلبها"(١٣).

قال السمعاني:" أي: تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك والكفر، وتنفتح فيه الأبصار من الأغطية، ويقال: يتقلب القلب [بين الخوف] والرجاء، فإنه يخاف الهلاك، ويطمع النجاة، وأما تقلب البصر حتى من أين يؤتى كتابه؛ من شماله أو من يمينه، وقال: تتقلب القلوب في الجوف، وترتفع إلى الحنجرة فلا تزول ولا تخرج، وأما تقلب البصر شخوصه من هول الأمر وشدته"(١٤).

قال ابن كثير:"أي: يوم القيامة الذي تتقلب فيه القلوب والأبصار ، أي : من شدة الفزع وعظمة الأهوال ، كما قال تعالى { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ } [غافر : ١٨] ، وقال تعالى : { إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأبْصَارُ } [إبراهيم : ٤٢] ، وقال تعالى

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٥٢):ص٢٦٠٨/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٤٦):ص٢٦٠٧/٨.
(٣) صفوة التفاسير:٣١٣/٢.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٥٦):ص٢٦٠٨/٨-٢٦٠٩.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٥٧):ص٢٦٠٩/٨.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٥٨):ص٢٦٠٩/٨.
(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٥٥):ص٢٦٠٨/٨.
(٨) صفوة التفاسير:٣١٣/٢.
(٩) تفسير يحيى بن سلام:٤٥١/١.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٥٩):ص٢٦٠٩/٨.
(١١) تفسير السمعاني:٥٣٥/٣.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٥.
(١٣) معاني القرآن:٢٥٣/٢.
(١٤) تفسير السمعاني:٥٣٥/٣.

: { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا } [الإنسان : ٨ - ١٢]"[١].

قال الزمخشري:" وتقلب القلوب والأبصار: إما أن تتقلب وتتغير في أنفسها: وهو أن تضطرب من الهول والفزع وتشخص، كقوله وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر. وإما أن تتقلب أحوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد أن كانت مطبوعا عليها لا تفقه، وتبصر الأبصار بعد أن كانت عميا لا تبصر"[٢].

عن زيد بن اسلم، قوله:" {يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار}، قال: يوم القيامة"[٣].

قال الضحاك:" تتقلب القلوب في الجوف ولا تقدر تخرج حتى تقع في الحنجرة فهو قوله: {إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ}[٤]"[٥].

قال مقاتل:" {يخافون يوما تتقلب فيه القلوب}، حين زالت من أماكنها من الصدور فنشبت في حلوقهم عند الحناجر، قال: {والأبصار}، يعني: تقلب أبصارهم فتكون زرقا"[٦].

قال سهل بن عبدالله:" يعني: يوم البعث تتقلب فيه القلوب والأبصار حالا بعد حال لا يدومون على حال، فالمؤمن الذي يخاف هذا اليوم"[٧].

عن مسروق، قال :"أتي عبد الله بشراب فقال: أعط علقمة، فقال: إني صائم، فقال: أعط مسروقا، فقال: إني صائم، قال فأخذ عبد الله فشرب، ثم قرأ: {يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار}"[٨].

حكي عن الحسن أنه قال: "ذكر عنده أن رجلا يخرج من النار بعد ألف عام، فقال الحسن: يا ليتني أنا هو"[٩].

وحكي عن عون بن عبد الله «٢» أنه قال: أوصى لقمان ابنه قال: يا بني ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره، وخف الله تعالى خوفا لا تيأس فيه من رحمته. فقال: كيف أستطيع ذلك ولي قلب واحد؟ فقال: يا بني إن المؤمن لذو قلبين: قلب يرجو الله به، وقلب يخافه به"[١٠].

القرآن

{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٨)} [النور : ٣٨]

التفسير:

ليعطيهم الله ثواب أحسن أعمالهم، ويزيدهم من فضله بمضاعفة حسناتهم. والله يرزق مَن يشاء بغير حساب، بل يعطيه مِنَ الأجر ما لا يبلغه عمله، وبلا عدٍّ ولا كيل.

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا} [النور : ٣٨]، أي:" ليعطيهم الله ثواب أحسن أعمالهم"[١١].

قال مقاتل:" يعني: الذي عملوا من الخير ولهم مساوئ فلا يجزيهم بها"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير:٦٩/٦.
(٢) الكشاف:٢٤٣/٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٦١):ص٢٦٠٩/٨.
(٤)[غافر : ١٨].
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٦٢):ص٢٦٠٩/٨.
(٦)تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠١/٣ .
(٧) تفسير التستري:١١٢.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٦٠):ص٢٦٠٩/٨.
(٩)تفسير التستري:١١٢، وقوت القلوب: ١/ ٤٠١.
(١٠) تفسير التستري:١١٢، وقوت القلوب: ١/ ٣٨١، ٤٢٣، وشعب الإيمان: ٢/ ١٨.
(١١) التفسير الميسر:٣٥٥.

قال الزمخشري:" أى: أحسن جزاء أعمالهم، كقوله {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى} [يونس : ٢٦] ، والمعنى: يسبحون ويخافون، ليجزيهم ثوابهم مضاعفا "[٢].

قال ابن كثير:" أي : هؤلاء من الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيئاتهم"[٣].

عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الناس»[٤].

قوله تعالى:{وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [النور : ٣٨]، أي:" ويزيدهم من فضله بمضاعفة حسناتهم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : يتقبل منهم الحسن ويضاعفه لهم ، كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء : ٤٠] ، وقال تعالى : { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا } [الأنعام : ١٦٠] ، وقال { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً } [البقرة : ٢٤٥] ، وقال { وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ } [البقرة : ٢٦١]"[٦].

قال الزمخشري:" ويزيدهم على الثواب تفضلا، وعطاء الله تعالى: إما تفضل، وإما ثواب، وإما عوض"[٧].

عن الأعمش قوله: "{ويزيدهم من فضله}، قال: الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا[٨].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور : ٣٨]، أي:" والله يعطي من شاء من خلقه عطاءً واسعاً بدون حدٍّ ولا عد"[٩].

قال مقاتل:" يقول الله- تعالى- ليس فوقي ملك يحاسبني أنا الملك أعطي من شئت بغير حساب لا أخاف من أحد يحاسبني"[١٠].

قال الزمخشري:" والله يرزق ما يتفضل به بغير حساب، فأما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [النور : ٣٨]، وجهان:

أحدها: {بغير حساب}، يعني: غدقا، قاله ميمون بن مهران[١٢]، والوليد بن قيس[١٣].

الثاني: لا يخرجه بحساب يخاف أن ينقص ما عنده، إن الله لا ينقص ما عنده. قاله الربيع بن أنس[١٤].

فوائد الآيات:[٣٥-٣٨]:

١- كل خير وكل نور وكل هداية مصدرها الله تعالى فهو الذي يطلب منه ذلك.

---

(١)تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠١/٣ .
(٢) الكشاف:٢٤٣/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٦٩/٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٦٣):ص٢٦١٠/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٦) تفسير ابن كثير:٦٩/٦.
(٧) الكشاف:٢٤٣/٣.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٦٦٤):ص٢٦١٠/٨.
(٩) صفوة التفاسير:٣١٣/٢.
(١٠)تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠١/٣ .
(١١) الكشاف:٢٤٣/٣.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٦٥):ص٢٦١٠/٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٢٦١٠/٨. ذكره دون سند.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٦٦٦):ص٢٦١٠/٨.

٢- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان والفهوم.
٣- الإشارة إلى أن ملة الإسلام لا يهودية ولا نصرانية، لا اشتراكية ولا رأسمالية. بل هي الملة الحنيفية من دان بها هدى ومن كفرها ضل.
٤- وجوب تعظيم بيوت الله تعالى "المساجد" بتطهيرها ورفع بنيانها وإخلائها إلا من ذكر الله والصلاة وطلب العلم فيها.
٥- ثناء الله تعالى على من لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٣٩)} [النور : ٣٩]

التفسير:

والذين كفروا بربهم وكذَّبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهَد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة، يظنه العطشان ماء، فإذا أتاه لم يجده ماء. فالكافر يظن أن أعماله تنفعه، فإذا كان يوم القيامة لم يجد لها ثوابًا، ووجد الله سبحانه وتعالى له بالمرصاد فوفَّاه جزاء عمله كاملا. والله سريع الحساب، فلا يستبطئ الجاهلون ذلك الوعد، فإنه لا بدَّ مِن إتيانه.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ} [النور : ٣٩]، أي:" والذين كفروا بربهم وكذَّبوا رسله، أعمالهم التي ظنوها نافعة لهم في الآخرة، كصلة الأرحام وفك الأسرى وغيرها، كسراب، وهو ما يشاهَد كالماء على الأرض المستوية في الظهيرة"(١).

قال الفراء:" «القيعة»: جماع «القاع»، و«القاع» من الأرض: المنبسط الذي لا نبت فيه، وفيه يكون السراب. والسراب ما لصق بالأرض، والآل الذي يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض"(٢).

قال أبو عبيدة:" السراب يكون نصف النهار وإذا اشتدّ الحرّ والآل يكون أول النهار يرفع كل شخص. و «القيعة» والقاع واحد"(٣).

قال الطبري:" وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به مثل أعمالهم التي عملوها مثل سراب، والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار، وحين يشتد الحر والآل، ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أول النهار، يرفع كل شيء ضحى"(٤).

قال الثعلبي:" ضرب لأعمال الكافرين مثلا فقال عز من قائل والذين كفروا أعمالهم كسراب وهو الشعاع الذي تراه نصف النهار في البراري عند شدة الحر كأنه ماء فإذا قرب منه الإنسان انفش فلم ير شيئا، وسمي سرابا لأنه ينسرب أي يجري كالماء"(٥).

قال ابن كثير: هذا مثل" للكفار الدعاة إلى كفرهم ، الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات ، وليسوا في نفس الأمر على شيء ، فمثلهم في ذلك كالسراب الذي يرى في القيعان من الأرض عن بعد كأنه بحر طام"(٦).

قال قتادة:" هو مثل ضربه الله لعمل الكافر، يقول: يحسب أنه في شيء، كما يحسب هذا السراب ماء"(٧).

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٢) معاني القرآن:٢/٢٥٤.
(٣) مجاز القرآن:٢/٦٦.
(٤) تفسير الطبري:١٩/١٩٥.
(٥) الكشف والبيان:٧/١١٠.
(٦) تفسير ابن كثير:٦/٧٠.
(٧) أخرجه الطبري:١٩/١٩٦.

عن مجاهد، قوله :"{كسراب بقيعة}، قال: بقاع من الأرض، والسراب: عمله"[١].
عن ابن عباس، قوله: "{أعمالهم كسراب بقيعة}، يقول: الأرض المستوية"[٢].
قوله تعالى:{يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً} [النور : ٣٩]، أي:" يظنه العطشان ماء"[٣].
قال ابن كثير:" فإذا رأى السراب من هو محتاج إلى الماء ، حسبه ماءً فقصده ليشرب منه"[٤].

قال الطبري:يقول:" حتى إذا جاء الظمآن السراب ملتمسا ماء، يستغيث به من عطشه لم يجد السراب شيئا، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله، لم يجده ينفعه شيئا؛ لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله، هذا الكافر عند هلاكه بالمرصاد، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه"[٥].

قال يحيى:"العطشان مثل الكافر، والسراب مثل عمله، يحسب أنه يغني عنه شيئا حتى يأتيه الموت، فإذا جاءه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئا إلا كما ينفع السراب العطشان"[٦].
قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا} [النور : ٣٩]، أي:" فإذا أتاه لم يجده ماء"[٧].
قال الطبري:" يقول: يظن العطشان من الناس السراب ماء"[٨].
قال الثعلبي:" كذلك الكافر يحسب أن عمله مغنى عنه أو نافعه شيئا فإذا أتاه الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولا نفعه"[٩].

قال ابن كثير:" فكذلك الكافر يحسب أنه قد عمل عملا وأنه قد حَصَّل شيئًا ، فإذا وافى الله يوم القيامة وحاسبه عليها ، ونوقش على أفعاله ، لم يجد له شيئًا بالكلية قد قُبل ، إما لعدم الإخلاص ، وإما لعدم سلوك الشرع ، كما قال تعالى : { وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا } [الفرقان : ٢٣]"[١٠].
قال مجاهد:" إتيانه إياه: موته، وفراقه الدنيا"[١١].
قال قتادة:" وكذلك الكافر إذا مات لم يجد عمله شيئا"[١٢].
قال أبيّ بن كعب:" وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة، وهو يحسب أن له عند الله خيرا فلا يجد، فيدخله النار"[١٣].

قال ابن زيد:" هذا مثل ضربه الله للذين كفروا {أعمالهم كسراب بقيعة} قد رأى السراب، ووثق بنفسه أنه ماء، فلما جاءه لم يجده شيئا، قال: وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة، وأنهم سيرجعون منها إلى خير، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب، فهذا مثل ضربه الله جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري:١٩٦/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:١٩٦/١٩.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٤) تفسير ابن كثير:٧١/٦.
(٥) تفسير الطبري:١٩٥/١٩.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٣/١.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٨) تفسير الطبري:١٩٥/١٩.
(٩) الكشف والبيان:١١٠/٧.
(١٠) تفسير ابن كثير:٧١/٦.
(١١) أخرجه الطبري:١٩٦/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩٦/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري:١٩٦/١٩.
(١٤) أخرجه الطبري:١٩٧/١٩.

قال ابن عباس:" هو مثل ضربه الله لرجل عطش فاشتد عطشه، فرأى سرابا فحسبه ماء، فطلبه وظن أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئا، وقبض عند ذلك، يقول الكافر كذلك، يحسب أن عمله مغن عنه، أو نافعه شيئا، ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئا، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب"(١).

قوله تعالى:{وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ} [النور : ٣٩]، أي:" ووجد الله سبحانه وتعالى له بالمرصاد فوفَّاه جزاء عمله كاملا"(٢).

قال الثعلبي:" أي: وجد الله بالمرصاد عند ذلك {فوفاه حسابه}: جزاء عمله"(٣).

قال مجاهد:" {ووجد الله} عند فراقه الدنيا، {فوفاه حسابه}"(٤).

قال الزمخشري:" شبه أعمالهم -في فوات نفعها وحضور ضررها- بسراب لم يجده من خدعه من بعيد شيئا، ولم يكفه خيبة وكمدا أن لم يجد شيئا كغيره من السراب، حتى وجد عنده الزبانية تعتله إلى النار، ولا يقتل ظمأه بالماء"(٥).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور : ٣٩]، أي:" والله سريع الحساب، فلا يشغله حساب عبد عن حساب آخر"(٦).

القرآن

{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ (٤٠)} [النور : ٤٠]

التفسير:

أو تكون أعمالهم مثل ظلمات في بحر عميق يعلوه موج، من فوق الموج موج آخر، ومِن فوقه سحاب كثيف، ظلمات شديدة بعضها فوق بعض، إذا أخرج الناظر يده لم يقارب رؤيتها من شدة الظلمات، فالكفار تراكمت عليهم ظلمات الشرك والضلال وفساد الأعمال. ومن لم يجعل الله له نورًا من كتابه وسنة نبيه يهتدي به فما له مِن هاد.

قوله تعالى:{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ} [النور : ٤٠]، أي:" أو تكون أعمالهم مثل ظلماتٍ متكاثفة في بحرٍ عميقٍ لا يدرك قعره"(٧).

قال الطبري:" وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار، يقول تعالى ذكره: ومثل أعمال هؤلاء الكفار، في أنها عملت على خطأ وفساد وضلالة وحيرة من عمالها فيها، وعلى غير هدى، مثل ظلمات في بحر لجي، ونسب البحر إلى اللجة وصفا له بأنه عميق كثير الماء، ولجة البحر معظمه"(٨).

عن قتادة قوله: "{أو كظلمات في بحر لجي}، عميق، وهو مثل ضربه الله للكافر، يعمل في ضلالة وحيرة"(٩).

قال ابن عباس:" يعني بالظلمات: الأعمال، وبالبحر اللجي: قلب الإنسان"(١٠).

---

(١) أخرجه الطبري:١٩٦/١٩.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٣) الكشف والبيان:١١٠/٧.
(٤) أخرجه الطبري:١٩٦/١٩.
(٥) الكشاف:٢٤٤/٣.
(٦) تفسير المراغي:١١٣/١٨.
(٧) صفوة التفاسير:٣١٣/٢.
(٨) تفسير الطبري:١٩٧/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:١٩٨/١٩.
(١٠) أخرجه الطبري:١٩٨/١٩.

قال الزمخشري:" اللجى: العميق الكثير الماء، منسوب إلى اللج وهو معظم ماء البحر"[١].

قوله تعالى:{يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ} [النور : ٤٠]، أي:" يغطي ذلك البحر ويعلوه موج، من فوق الموج موج آخر، ومِن فوقه سحاب كثيف"[٢].

قال الطبري:" يقول: يغشى البحر موج من فوق الموج موج آخر يغشاه، من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب، فجعل الظلمات مثلا لأعمالهم، والبحر اللجي مثلا لقلب الكافر، يقول: عمل بنية قلب قد غمره الجهل، وتغشته الضلال والحيرة، كما يغشى هذا البحر اللجي موج من فوقه موج من فوقه سحاب، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات، يغشاه الجهل بالله، بأن الله ختم عليه، فلا يعقل عن الله، وعلى سمعه، فلا يسمع مواعظ الله، وجعل على بصره غشاوة فلا يبصر به حجج الله، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض"[٣].

ووجود السحاب فوق الموج، أعظم للخوف من وجهين[٤]:

أحدهما : أنه قد يغطي النجوم التي يهتدى بها .

الثاني : الريح التي تنشأ مع السحاب والمطر الذي ينزل منه .

وقرئ: «سحاب ظلمات»، على الإضافة. و«سحاب ظلمات»، برفع «سحاب» وتنوينه وجر «كظلمات» بدلا من ظلمات الأولى[٥].

قوله تعالى:{ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ} [النور : ٤٠]، أي:" ظلمات شديدة بعضها فوق بعض"[٦].

قال ابن زيد:" شر بعضه فوق بعض"[٧].

قال ابن عباس:" يعني بذلك :الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر، وهو كقوله: {خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِم}[٨] ... الآية، وكقوله: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاه}[٩] ... إلى قوله: {أَفَلَا تَذَكَّرُونَ}[١٠] "[١١].

قال أبيّ بن كعب:" ضرب مثلا آخر للكافر، فقال: {أو كظلمات في بحر لجي} ... الآية، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار"[١٢].

قوله تعالى:{إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} [النور : ٤٠]، أي:" إذا أخرج الناظر يده لم يقارب رؤيتها من شدة الظلمات"[١٣].

قال الطبري:" يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات لم يكد يراها"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : لم يقارب رؤيتها من شدة الظلام ، فهذا مثل قلب الكافر الجاهل البسيط المقلد الذي لا يدري أين يذهب ، ولا هو يعرف حال من يقوده ، بل كما يقال في المثل للجاهل : أين تذهب ؟ قال : معهم. قيل : فإلى أين يذهبون ؟ قال : لا أدري"[١].

---

(١) الكشاف:٢٤٤/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٣) تفسير الطبري:١٩٧/١٩.
(٤) انظر: النكت والعيون:١١٠/٤.
(٥) انظر: الكشاف:٢٤٤/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٧) أخرجه الطبري:١٩٨/١٩.
(٨)[البقرة : ٧].
(٩)[الجاثية : ٢٣].
(١٠)[الجاثية : ٢٣].
(١١) أخرجه الطبري:١٩٨/١٩.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩٨/١٩.
(١٣) التفسير الميسر:٣٥٤.
(١٤) تفسير الطبري:١٩٨/١٩.

قال الزمخشري:" أي: لم يقرب أن يراها، فضلا عن أن يراها. ومثله قول ذى الرمة[٢]:
إِذَا غَيَّرَ النَّأيُ المُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ ... رَسِيسُ الهَوى مِنْ حُبِّ مَيَّةَ يَبْرَح
أي: لم يقرب من البراح فما باله يبرح؟"[٣].

وفي قوله تعالى:{إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} [النور : ٤٠]، وجوه:

أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده رائيا لها لم يكد يراها: أي لم يعرف من أين يراها، فيكون من المقدم الذي معناه التأخير، ومعنى الكلام: إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها.

الثاني: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها ويكون قوله: (لم يكد) في دخوله في الكلام نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام، كقوله: {وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ} [فصلت : ٤٨] ونحو ذلك.

الثالث: أن يكون قد رآها بعد بطء وجهد، كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه، ولكن بعد إياس وشدة.

قال الطبري:"وهذا القول الثالث أظهر معاني الكلمة من جهة ما تستعمل العرب أكاد في كلامها، والقول الآخر الذي قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها، قول أوضح من جهة التفسير، وهو أخفى معانيه. وإنما حسن ذلك في هذا الموضع، أعني أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر؛ لأن ذلك مثل لا خبر عن كائن كان"[٤].

قال ابن كثير:" وهذا المثال لأصحاب الجهل البسيط، وهم الطَّماطم الأغشام المقلدون لأئمة الكفر ، الصم البكم الذين لا يعقلون "[٥].

قال الزمخشري:" شبه أعمالهم -في ظلمتها وسوادها لكونها باطلة، وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والأمواج والسحاب "[٦].

قوله تعالى:{وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} [النور : ٤٠]، أي:" ومن لم يجعل الله له نورًا من كتابه وسنة نبيه يهتدي به فما له مِن هاد"[٧].

قال الطبري: "يقول: من لم يرزقه الله إيمانا وهدى من الضلالة ومعرفة بكتابه، فما له من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه"[٨].

قال الزمخشري:" ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه، فهو في ظلمة الباطل لا نور له"[٩].

قال ابن كثير:" أي : من لم يهده الله فهو هالك جاهل حائر بائر كافر ، كما قال تعالى : { مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ } [الأعراف : ١٨٦] وهذا في مُقابلة ما قال في مثل المؤمنين : { يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ } فنسأل الله العظيم أن يجعل في قلوبنا نورًا ، وعن أيماننا نورًا ، وعن شمائلنا نورًا ، وأن يعظم لنا نورًا "[١٠].

القرآن

---

(١) تفسير ابن كثير:٧١/٦.

(٢)هذا البيت من حائية ذي الرمة المشهورة (ديوان طبعة كيمبردج سنة ١٩١٩ ص ٧٨ ، وفيه (لم أجد) وفي (أمالي المرتضى) ١/ ٣٣٢، "زاد المسير" ١/ ٤٥، "الدر المصون" ١/ ١٧٦، "الخزانة" ٩/ ٣٠٩، "شرح المفصل" لابن يعيش ٧/ ١٢٤.
قوله (النأي): البعد، (رسيس الهوى): مسه.

(٣) الكشاف:٢٤٤/٣.

(٤) تفسير الطبري:١٩٩/١٩.

(٥) تفسير ابن كثير:٧١/٦.[بتصرف بسيط]

(٦) الكشاف:٢٤٤/٣.

(٧) التفسير الميسر:٣٥٤.

(٨) تفسير الطبري:١٩٩/١٩.

(٩) الكشاف:٢٤٤/٣.

(١٠) تفسير ابن كثير:٧١/٦-٧٢.

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (٤١)} [النور : ٤١]

التفسير:

ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يُسَبِّح له مَن في السموات والأرض من المخلوقات، والطير صافات أجنحتها في السماء تسبح ربها؟ كل مخلوق قد أرشده الله كيف يصلي له ويسبحه. وهو سبحانه عليم، مُطَّلِع على ما يفعله كل عابد ومسبِّح، لا يخفى عليه منها شيء، وسيجازيهم بذلك.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٤١]، أي:" ألم تعلم - أيها الرسول - أن الله يُسَبِّح له مَن في السموات والأرض من المخلوقات"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تنظر يا محمد بعين قلبك، فتعلم أن الله يصلي له من في السماوات والأرض من ملك وإنس وجن"(٢).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه يُسَبِّحه من في السموات والأرض ، أي : من الملائكة والأناسي ، والجان والحيوان ، حتى الجماد ، كما قال تعالى : { تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا } [الإسراء : ٤٤]"(٣).

عن ابن عباس، قوله: {يسبح له}، يقول: يصلي له"(٤).

قال قتادة:" المؤمن يسجد طائعا والكافر يسجد كارها"(٥).

قال قتادة:" لم يدع شيئا من خلقه إلا عبده له طائعا وكارها"(٦).

قوله تعالى:{وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ} [النور : ٤١]، أي:" والطير صافات أجنحتها في السماء تسبح ربها"(٧).

قال مجاهد:" بسط أجنحتهن"(٨).

قال قتادة:" صافات بأجنحتها"(٩).

قال الطبري:" {والطير صافات} في الهواء أيضا تسبح له"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : في حال طيرانها تسبح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدها إليه ، وهو يعلم ما هي فاعلة"(١١).

قوله تعالى:{كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} [النور : ٤١]، أي:" كل مخلوق قد أرشده الله كيف يصلي له ويسبحه"(١٢).

قال الطبري:" قيل: إن الصلاة لبني آدم، والتسبيح لغيرهم من الخلق، ولذلك فصل فيما بين ذلك"(١٣).

قال ابن كثير:" أي : كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله ، عز وجل"(١٤).

وفي قوله تعالى:{كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} [النور : ٤١]، وجوه:

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٢) تفسير الطبري:١٩٩/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٧٢/٦.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٩٧):ص٢٦١٥/٨.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٩٨):ص٢٦١٥/٨-٢٦١٦.
(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٦٩٩):ص٢٦١٦/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠٠):ص٢٦١٦/٨.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠١):ص٢٦١٦/٨.
(١٠) تفسير الطبري:١٩٩/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:٧٢/٦.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٤.
(١٣) تفسير الطبري:١٩٩/١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير:٧٢/٦.

أحدها : أن الصلاة للإنسان والتسبيح لما سواه من سائر الخلق ، قاله مجاهد[(١)]، والزجاج[(٢)].
قال مجاهد:" الصلاة للإنسان، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق"[(٣)].
قال مسعر:" فهذه الطير لا تركع ولا تسجد"[(٤)].
الثاني : أن هذا في الطير وإن ضرب أجنحتها صلاة وأن أصواتها تسبيح ، حكاه النقاش[(٥)].
الثالث : أن للطير صلاة ليس فيها ركوع ولا سجود ، قاله سفيان.
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} [النور : ٤١]، أي:" وهو سبحانه عليم، مُطَّلِع على ما يفعله كل عابد ومسبِّح، لا يخفى عليه منها شيء"[(٦)].
قال الطبري: يقول:" والله ذو علم بما يفعل كل مصل ومسبح منهم، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم، طاعتها ومعصيتها، محيط بذلك كله، وهو مجازيهم على ذلك كله"[(٧)].

القرآن
{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٤٢)} [النور : ٤٢]
التفسير:
ولله وحده ملك السموات والأرض، له السلطان فيهما، وإليه المرجع يوم القيامة.
قوله تعالى:{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور : ٤٢]، أي:" ولله وحده ملك السموات والأرض، له السلطان فيهما"[(٨)].
قال الطبري: يقول:" ولله سلطان السماوات والأرض وملكها دون كل من هو دونه من سلطان وملك، فإياه فارهبوا أيها الناس، وإليه فارغبوا لا إلى غيره، فإن بيده خزائن السماوات والأرض، لا يخشى بعطاياكم منها فقرا"[(٩)].
قال ابن كثير:" أخبر تعالى : أن له ملك السموات والأرض ، فهو الحاكم المتصرف الذي لا معقب لحكمه ، وهو الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له "[(١٠)].
قال أبو الجلد: "الأرض أربعة وعشرون ألف فرسخ، فالسودان اثنا عشر، والروم ثمانية، والفارسي ثلاثة، وللعرب ألف"[(١١)].
قوله تعالى:{وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [النور : ٤٢]، أي:" وإليه المرجع يوم القيامة"[(١٢)].
قال الطبري: " يقول: وأنتم إليه بعد وفاتكم، مصيركم ومعادكم، فيوفيكم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا، فأحسنوا عبادته، واجتهدوا في طاعته، وقدموا لأنفسكم الصالحات من الأعمال"[(١٣)].
قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، فيحكم فيه بما يشاء ؛ { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } [النجم : ٣١] ، فهو الخالق المالك ، ألا له الحكم في الدنيا والأخرى ، وله الحمد في الأولى والآخرة"[(١٤)].

---
(١) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٠٠.
(٢) انظر: معاني القرآن:٤/٤٨.
(٣) أخرجه الطبري:١٩/٢٠٠.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠٣):ص٨/٢٦١٦.
(٥) انظر النكت والعيون:٤/١١٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٧) تفسير الطبري:١٩/٢٠٠.
(٨) التفسير الميسر:٣٥٤.
(٩) تفسير الطبري:١٩/٢٠٠.
(١٠) تفسير ابن كثير:٦/٧٢.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠٤):ص٨/٢٦١٦.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٤.
(١٣) تفسير الطبري:١٩/٢٠٠-٢٠١.
(١٤) تفسير ابن كثير:٦/٧٢.

فوائد الآيات:[٣٩-٤٢]:
١- استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعاني البعيدة إلى الأذهان.
٢- بيان خسران الكافرين في أعمالهم وحياتهم كلها.
٣- بيان حال الكافرين في هذه الدنيا وأنهم يعيشون في ظلمات الجهل والكفر والظلم.
٤- تقرير حقيقة وهي أن من لم يجعل الله له نوراً في قلبه لن يكن له نور في حياته كلها.
٥- بيان أن الكون كله يسبح الله كقوله تعالى: {يسبح له ما في السموات وما في الأرض} وقوله: {وإن من شيء إلا يسبح بحمده} .

القرآن
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)} [النور : ٤٣]
التفسير:
ألم تشاهد أن الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب إلى حيث يشاء، ثم يجمعه بعد تفرقه، ثم يجعله متراكمًا، فينزل مِن بينه المطر؟ وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في عظمته بَرَدًا، فيصيب به مَن يشاء من عباده ويصرفه عمَّن يشاء منهم بحسب حكمته وتقديره، يكاد ضوء ذلك البرق في السحاب مِن شدته يذهب بأبصار الناظرين إليه.
قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا} [النور : ٤٣]، أي:" ألم تشاهد أن الله سبحانه وتعالى يسوق السحاب إلى حيث يشاء"(١).
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: {ألم تر} يا محمد {أن الله يزجي} يعني: يسوق {سحابا} حيث يريد"(٢).
وفي قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا} [النور : ٤٣]، وجوه من التفسير:
أحدهما : ينزله قليلاً بعد قليل ، ومنه البضاعة المزجاة لقلتها. حكاه الماوردي(٣).
الثاني : ينشئ سحابا. قاله يحيى بن سلام(٤).
الثالث: أنه يسوقه إلى حيث شاء، ومنه: زجا الخراج، إذا انساق إلى أهله. وهذا قول مقاتل(٥)، والفراء(٦)، وأبي عبيدة(٧)، وابن قتيبة(٨)، والزجاج(٩)، قال الشاعر(١٠):
إِنِّي أَتَيْتُكَ من أَهْلِي ومنْ وَطَنِي ... أُزْجِي حُشَاشَةَ نَفْسٍ ما بِها رَمَقٌ
وروي عن ابن عباس، في قوله، {رَبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ } [الإسراء : ٦٦]، يقول: يجري الفلك"(١١).

---
(١) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٢) تفسير الطبري:٢٠١/١٩
.
(٣) انظر: النكت والعيون:١١٢/٤.
(٤) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٥٤/١.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٣/٣.
(٦) انظر: معاني القرآن:٢٥٦/٢.
(٧) انظر: مجاز القرآن:٦٧/٢.
(٨) انظر: غريب القرآن:٣٠٦.
(٩) انظر: معاني القرآن:٤٩/٤.
(١٠) البيت للنابغة في النكت والعيون:١١٢/٤، وتفسير السمعاني:٥٣٨/٣، وتفسير القرطبي:٢٨٨/١٢، ولم أجده في ديوانه، ولعله من المنحول له.
(١١) اخرجه الطبري:٤٩٧/١٧.
وأخرج ابن ابي حاتم(١٤٧٠٥):ص٢٦١٧/٨ بسنده عن ابن عباس، قوله:"{ يزجي سحابا}، يقول: يجري الفلك".

عن عطاء قال: "السحاب يخرج من الأرض، ثم تلا: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا}[1]"[2].

عن أم عبد الله بنت خالد بن معدان، عن أبيها قال: "إن في الجنة شجرة تثمر السحاب، فأما السوداء منها فالثمرة التي قد نضجت فهي التي تحمل المطر، وأما البيضاء فهي التي لم تنضج، لم تحمل المطر"[3].

قال معاذ بن عبد الله بن خبيب الجهني: "رأيت ابن عباس مر به تبيع ابن امرأة كعب فسلم عليه فسأله ابن عباس هل سمعت كعبا يقول في السحاب شيئا؟ قال: نعم سمعته يقول: إن السحاب غربال المطر، لولا السحاب حين ينزل الماء من السماء لفسد ما يقع عليه، قال: سمعت كعبا يقول: في الأرض تنبت العام نبات، وعام قابل غيره، قال: نعم سمعته يقول: إن البذر ينزل من السماء، قال ابن عباس: وسمعت ذلك من كعب يقوله"[4].

قوله تعالى:{ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ} [النور : ٤٣]، أي:" ثم يجمعه بعد تفرقه"[5].

قال يحيى:" يجمع بعضه إلى بعض"[6].

قال مقاتل:" يعني: يضم بعضه إلى بعض"[7].

قال الطبري:" يقول: ثم يؤلف بين السحاب"[8].

قال الزجاج:" أي: يجعل القطع المتفرقة من السحاب قطعة واحدة"[9].

قال عبيد بن عمير: "يبعث الله المثيرة فتقم الأرض قما، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فيؤلف بينه، ثم يبعث اللواقح فتلقم السحاب أو الشجر، -شك أبو يحي-"[10].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا} [النور : ٤٣]، أي:" يجعله كثيفاً متراكما، بعضه فوق بعض"[11].

قال الطبري:" يقول: ثم يجعل السحاب الذي يزجيه، ويؤلف بعضه إلى بعض ركاما، يعني: متراكما بعضه على بعض"[12].

قال الزجاج:" أي: يجعل بعض السحاب يركب بعضا"[13].

قال مقاتل:" يعني: قطعا يحمل بعضها على إثر بعض"[14].

قال عبيد بن عمير الليثي: "الرياح أربع: يبعث الله الريح الأولى فتقم الأرض قما، ثم يبعث الثانية فتنشئ سحابا، ثم يبعث الثالثة فتؤلف بينه فتجعله ركاما، ثم يبعث الرابعة فتمطره"[15].

قوله تعالى:{فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [النور : ٤٣]، أي:" فترى المطر يخرج من بين السحاب الكثيف"[1].

---

(١)[الروم : ٤٨].
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠٧):ص٢٦١٧/٨.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠٨):ص٢٦١٧/٨.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠٦):ص٢٦١٧/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٤/١.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٣/٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٠١/١٩.
(٩) معاني القرآن:٤٩/٤.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٠٩):ص٢٦١٧/٨.
(١١) صفوة التفاسير:٣١٤/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٢٠١/١٩.
(١٣) معاني القرآن:٤٩/٤.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٣/٣.
(١٥) أخرجه الطبري:٢٠١/١٩.

قال الطبري:" يقول: فترى المطر يخرج من بين السحاب"[٢].
قال ابن زيد:" الودق: القطر، والخلال: السحاب"[٣].
وقرأ ابن عباس، والضحاك: «من خلله»، بفتح الخاء، من غير ألف[٤].
قال هارون: "فذكرت ذلك لأبي عمرو، فقال: إنها لحسنة، ولكن خلاله أعم"[٥].
قال الزجاج:" «خلاله»، أعم وأجود في القراءة"[٦].
وفي قوله تعالى:{فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ} [النور : ٤٣]، وجهان:
أحدهما : أن «الودق»: البرق يخرج من خلال السحاب. رواه أبو الأشهب، عن أبي تميلة -رجل من بني جمان- عن أبيه[٧].
ومنه قول الشاعر[٨]:
أَثَرْنَ عَجاجةً وخَرَجْنَ منها ... خُروج الوَدْقِ مِنْ خَلَلِ السَّحابِ
الثاني : أنه المطر يخرج من خلال السحاب ، قاله الضحاك[٩]، وابن زيد[١٠]، الفراء[١١]،أبي عبيدة[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، وهو قول الجمهور[١٤] ، ومنه قول الشاعر[١٥]:
فلا مزنة ودقت ودقها ... ولا أرض أبقل أبقالها
قوله تعالى:{وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ} [النور : ٤٣]، أي:" وينزل من السحاب الذي يشبه الجبال في عظمته بَرَدًا"[١٦].
وفي قوله تعالى:{وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ} [النور : ٤٣]، ثلاثة وجوه[١٧]:
أحدها : أن في السماء جبال برد فينزل من تلك الجبال ما يشاء فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء .
الثاني : أنه ينزل من السماء برداً يكون كالجبال.
الثالث : أن السماء السحاب ، سماه لعلوه ، والجبال صفة السحاب أيضاً سمي جبالاً لعِظمه فينزل منه برداً يصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء فتكون إصابته نقمة وصرفه نعمة .
قوله تعالى:{فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ} [النور : ٤٣]، أي:" فيصيب بذلك البرد مَن يشاء من عباده ويصرفه عمَّن يشاء منهم بحسب حكمته وتقديره"[١٨].

---

(١) صفوة التفاسير:٣١٤/٢.
(٢) تفسير الطبري:٢٠١/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٢٠٢/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٠٢/١٩.
(٥) أخرجه الطبري:٢٠٢/١٩.
(٦) معاني القرآن:٤٩/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٧١١):ص٢٦١٨/٨.
(٨) البيت لبشر بن أبي خازم، كما في المفضليات:٣٣٦، والاختيارين:٦١٧/١.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧١٠):ص٢٦١٧/٨-٢٦١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٠٢/١٩.
(١١) انظر: معاني القرآن:٢٥٦/٢.
(١٢) انظر: مجاز القرآن:٦٧/٢.
(١٣) انظر: غريب القرآن:٣٠٦.
(١٤) انظر: النكت والعوين:١١٣/٤.
(١٥) البيت لعامر بن جوين: وهو شاعر جاهلى كان خليعا فاتكا وشريفا وفيا انظر حياته فى المعمرين رقم ٤٠ والشعراء ص ٥٤ والأغانى ٨/ ٦٦- والبيت من الأبيات المختلف فى عزوها وقال بعضهم إنه للخنساء ولم أجده فى ديوانها: وانظر الاختلاف فى الخزانة ١/ ٢١، ٣/ ٣٣٠ وهو فى الكتاب ١/ ٢٠٥ والطبري ١٨/ ١٠٦ والشنتمرى ١/ ٢٤٠ والقرطبي ١٢/ ٢٨٩ والعيني ٢/ ٤٦٤ وشواهد المغني ص ٣١٣.
(١٦) التفسير الميسر:٣٥٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٢٠٢/١٩، ومعاني القرآن للزجاج:٤٩/٤، والنكت والعيون:١١٣/٤.
(١٨) التفسير الميسر:٣٥٥.

قال الفراء:" يعذب به من يشاء"[1].

قال ابن كثير:" يحتمل أن يكون المراد بقوله : { فَيُصِيبُ بِهِ } أي : بما ينزل من السماء من نوعي البرد والمطر فيكون قوله : { فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ } رحمة لهم ، { وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ } أي : يؤخر عنهم الغيث. ويحتمل أن يكون المراد بقوله : { فَيُصِيبُ بِهِ } أي : بالبرد نقمة على من يشاء لما فيه من نثر ثمارهم وإتلاف زروعهم وأشجارهم. ويصرفه عمن يشاء أي : رحمة بهم"[2].

قوله تعالى:{يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} [النور : ٤٣]، أي:" يكاد ضوء ذلك البرق في السحاب مِن شدته يذهب بأبصار الناظرين إليه"[3].

قال عمرو بن دينار:" لم أر أحدا ذهب البرق ببصره ولكن يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء"[4].

وقرئ:« يذهب بالأبصار»، بضم الياء[5].

وفي قوله تعالى:{يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ} [النور : ٤٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها : صوت برقه. حكاه الماوردي[6].

الثاني : ضوء برقه ، قاله ابن عباس[7]، وقتادة[8]، وعطاء[9]، والسدي[10]، وابن زيد[11]، ومقاتل[12]، وأبو عبيدة[13]، وابن قتيبة[14]. ومنه قول الشماخ[15]:

وما كادت إذا رفعت سناها ... ليبصر ضوءها إلاّ البصير

وقال السدي:" يقول: فضوء برقه يلمع البصر منه"[16].

الثالث : لمعان برقه ، قاله قتادة[17]، والصوت حادث عن اللمعان، كما قال امرؤ القيس[18]:

يُضيءُ سَناهُ أو مَصابيحُ راهِبٍ ... أمالَ السَّليطَ بالذُّبالِ الْمُفَتَّلِ

قال الماوردي:"فيكون البرق دليلاً على تكاثف السحاب ، ونذيراً بقوة المطر ، ومحذراً من نزول الصواعق"[19].

---

(١) معاني القرآن:٢٥٦/٢.
(٢) تفسير ابن كثير:٧٣/٦.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٥.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٢١):ص٢٦١٩/٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(٦) انظر: النكت والعيون:١١٣/٤.
(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧١٨):ص٢٦١٩/٨.
(٨) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير:٢٦١٩/٨.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧١٩):ص٢٦١٩/٨.
(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧٢٢):ص٢٦١٩/٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٤/٣.
(١٣) انظر: مجاز القرآن:٦٨/٢.
(١٤) انظر: غريب القرآن:٣٠٦.
(١٥) البيت له في امالي القالي:٢٠٥/٢، ومحاسن الشعر:١٢٧/٢، والنكت والعيون:١١٣/٤، وتفسير القرطبي:٢٩٠/١٢.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٢٢):ص٢٦١٩/٨.
(١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٢٠):ص٢٦١٩/٨.
(١٨)ديوانه ص ٢٤؛ ولسان العرب ٧/ ٣٢٠ (سلط)؛ وتهذيب اللغة ١٢/ ٣٣٦؛ وتاج العروس ١٩/ ٣٧٢ (سلط)، (ذبل)؛ وبلا نسبة في المخصص١١/ ٢١٦.
السنا: الضوء. السليط: الزيت. الذبال: الفتيل. المعنى: أن هذا البرق يتلألأ ضوؤه وهو شبيه في لمعانه بمصابيح الراهب إذا أفعم صب الزيت عليها فتكون أشد إضاءة.
(١٩) انظر: النكت والعيون:١١٤/٤.

عن عروة بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم البرق أو الودق فلا يشر إليه ولينعت»[١].

عن مكحول قال: قال رسول الله: «اطلبوا استجابة الدعاء عند التقاء الجيوش، وإقامة الصلاة، وعند نزول الغيث»[٢].

القرآن

{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (٤٤)} [النور : ٤٤]

التفسير:

ومن دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى أنه يقلب الليل والنهار بمجيء أحدهما بعد الآخر، واختلافهما طولا وقِصَرًا، إن في ذلك لَدلالة يعتبر بها كل مَن له بصيرة.

قول تعالى:{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [النور : ٤٤]، أي:" ومن دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى أنه يقلب الليل والنهار بمجيء أحدهما بعد الآخر، واختلافهما طولا وقِصَرًا"[٣].

قال الطبري:" يقول: يعقب الله بين الليل والنهار ويصرفهما، إذا أذهب هذا جاء هذا، وإذا أذهب هذا جاء هذا"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يتصرف فيهما ، فيأخذ من طول هذا في قصر هذا حتى يعتدلا ثم يأخذ من هذا في هذا ، فيطول الذي كان قصيرًا ، ويقصر الذي كان طويلا. والله هو المتصرف في ذلك بأمره وقهره وعزته وعلمه "[٥].

وفي قول تعالى:{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [النور : ٤٤]، أربعة وجوه:

أحدها : هو أن يأتي بالليل بعد النهار ويأتي بالنهار بعد الليل ، قاله السدي[٦].

قال السدي:" أما يقلب الله الليل والنهار فإنه يأتي بالليل ويذهب بالنهار ويأتي بالنهار ويذهب بالليل"[٧].

الثاني : هو أخذ كل واحد منهما من صاحبه كقوله: {يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل} [الحديد: ٦]. قاله يحيى بن سلام[٨].

الثالث : أنه يغير النهار بظلمة السحاب تارة وبضوء الشمس أخرى ، ويغير الليل بظلمة السحاب مرة وبضوء القمر مرة ، حكاه النقاش[٩].

الرابع : أن يقلبها باختلاف ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر.. أفاده الماوردي[١٠].

قول تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [النور : ٤٤]، أي:" إن في ذلك لَدلالة يعتبر بها كل مَن له بصيرة"[١١].

قال ابن كثير:" أي : لدليلا على عظمته تعالى ، كما قال الله تعالى : { إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأولِي الألْبَابِ } [آل عمران : ١٩٠]. وما بعدها من الآيات الكريمات"[١٢].

قال الربيع:" يقول: لقد كان في هؤلاء عبرة ومتفكر"[١].

---

(١)اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٥٥/١ .
(٢)اخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٥٥/١ .
(٣) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٤) تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(٥) تفسير ابن كثير:٧٣/٦.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧٢٣):ص٢٦١٩/٨.
(٧) أخرجه تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧٢٣):ص٢٦١٩/٨.
(٨) انظر: تفسير يحيى بن سلام:٤٥٥/١.
(٩) انظر: النكت والعيون:١١٤/٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون:١١٤/٤.
(١١) التفسير الميسر:٣٥٦.
(١٢) تفسير ابن كثير:٧٣/٦.

قال يحيى:" لذوي، {الأبصار}، وهم المؤمنون أبصروا الهدى"[٢].
قال الطبري:" يقول: إن في إنشاء الله السحاب، وإنزاله منه الودق، ومن السماء البرد، وفي تقليبه الليل والنهار لعبرة لمن اعتبر به، وعظة لمن اتعظ به. ممن له فهم وعقل؛ لأن ذلك ينبئ ويدل على أنه له مدبرا ومصرفا ومقلبا لا يشبهه شيء"[٣].

القرآن
{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤٥)} [النور : ٤٥]
التفسير:
والله تعالى خلق كل ما يدِب على الأرض مِن ماء، فالماء أصل خلقه، فمن هذه الدواب: مَن يمشي زحفًا على بطنه كالحيَّات ونحوها، ومنهم مَن يمشي على رجلين كالإنسان، ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم ونحوها. والله سبحانه وتعالى يخلق ما يشاء، وهو قادر على كل شيء.
قوله تعالى:{وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ} [النور : ٤٥]، أي:" والله تعالى خلق كل ما يدِب على الأرض مِن ماء"[٤].
قال الطبري:" يعني: من نطفة"[٥].
قال ابن زيد:" الماء: النطفة من الفحول"[٦].
قال الزجاج:" «دابة»: اسم لكل حيوان مميز وغيره، فلما كان لما يعقل ولما لا يعقل قال {فمنهم}، ولوكان لما لا يعقل لقيل: فمنها أو منهن"[٧].
قال ابن كثير:" يذكر تعالى قدرته التامة وسلطانه العظيم ، في خلقه أنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها ، وحركاتها وسكناتها ، من ماء واحد "[٨].
قوله تعالى:{فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ} [النور : ٤٥]، أي:" فمن هذه الدواب: مَن يمشي زحفًا على بطنه كالحيَّات ونحوها"[٩].
قال الطبري:" كالحيات وما أشبهها"[١٠].
قال الواحدي:" كالحيات والهوام والحيتان"[١١].
قال أبو عبيدة:" فهذا من التشبيه لأن المشي لا يكون على البطن إنما يكون لمن له قوائم فإذا خلطوا ماله قوائم بما لا قوائم له جاز ذلك كما يقولون: أكلت خبزا ولبنا ولا يقال: أكلت لبنا، ولكن يقال: أكلت الخبز قال الشاعر[١٢]:
يا ليت زوجك قد غدا ... متقلّدا سيفا ورمحا"[١٣].

---
(١) أخرجه تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧٢٤):ص٢٦١٩/٨.
(٢) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٦/١.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٥) تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٢٥):ص٢٦٢٠/٨.
(٧) معاني القرآن:٥٠/٤.
(٨) تفسير ابن كثير:٧٣/٦.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٦.
(١٠) تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(١١) التفسير الوسيط:٣٢٤/٣.
(١٢)الشاعر هو: عبد الله بن الزبعرى، والبيت فى الكامل ص ١٨٣ والشنتمرى ١/ ٣٠٧، وابن يعيش ١/ ٢٢٤ وشواهد الكشاف ص ٦٨
(١٣) مجاز القرآن:٦٨/٢.

قال الزجاج:" قيل: «يمشي على بطنه»، لأن كل سائر كان له رجلان أو أربع أو لم تكن له قوائم، يقال له ماش وقد مشى، ويقال لكل مستمر: ماش، وإن لم يكن من الحيوان حتى يقال" قد مشى هذا الأمر"[١].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ} [النور : ٤٥]، أي:" ومنهم مَن يمشي على رجلين كالإنسان"[٢].

قال الطبري:" كالطير"[٣].

قال الواحدي:" كالإنسان والطير"[٤].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ} [النور : ٤٥]، أي:" ومنهم من يمشي على أربع كالبهائم ونحوها"[٥].

قال الطبري:" كالبهائم"[٦].

قال الواحدي:" كالبهائم والأنعام"[٧].

قال ابن كثير:" كالأنعام وسائر الحيوانات"[٨].

قال الماوردي:" ولم يذكر ما يمشى على أكثر من أربع لأنه كالذي يمشي على أربع لأنه يعتمد في المشي على أربع"[٩].

قال وهب بن منبه:" يقول عزير: يا رب خلقت من الماء دواب الماء وطير السماء فخلقت منها أعمى أعين أبصرته، ومنها أصم أذان أسمعته، ومنها ميت نفس أحييته، خلقت ذلك كله بكلمة واحدة، منه ما عيشه الماء، ومنها ما لا صبر له على الماء، خلقا مختلفا في الأجسام والألوان، جنسته أجناسا، وزوجته أزواجا وخلقت أصنافا، وألهمته الذي له خلقته، ثم خلقت من التراب والماء دواب الأرض وماشيتها وسباعها، فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع، ومنهم العظيم والصغير"[١٠].

قوله تعالى:{يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} [النور : ٤٥]، أي:" والله سبحانه وتعالى يخلق بقدرته ما يشاء من المخلوقات"[١١].

قال الطبري:" يقول: يحدث الله ما يشاء من الخلق"[١٢]

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [النور : ٤٥]، أي:" وهو سبحانه قادر على ما يشاء لا يمنعه مانع، ولا يدفعه دافع"[١٣].

قال محمد بن إسحاق:" أي: أن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير"[١٤].

قال الفخر:" واعلم أن العقول قاصرة عن الإحاطة بأحوال أصغر الحيوانات على سبيل الكمال، ووجه الاستدلال بها على الصانع ظاهر لأنه لو كان الأمر بتركيب الطبائع الأربع فذلك بالنسبة إلى الكل على السوية فاختصاص كل واحد من هذه الحيوانات بأعضائها وقواها ومقادير

---

(١) معاني القرآن:٥٠/٤.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(٤) التفسير الوسيط:٣٢٤/٣.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٦) تفسير الطبري:٢٠٣/١٩.
(٧) التفسير الوسيط:٣٢٤/٣.
(٨) تفسير ابن كثير:٧٣/٦.
(٩) النكت والعيون:١١٥/٤.
(١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٢٦):ص٢٦٢٠/٨.
(١١) صفوة التفاسير:٣١٥/٢.
(١٢) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(١٣) صفوة التفاسير:٣١٥/٢.
(١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٢٨):ص٢٦٢٠/٨.

أبدانها وأعمارها وأخلاقها لا بد وأن يكون بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون"[١].

قال وهب بن منبه:" قال عزير: يا رب اللهم بكلمتك خلقت جميع خلقك، فأتى على مشيئتك لم تأت فيه مؤنة ولم تنصب فيه نصبا، كان عرشك على الماء والظلمة على الهواء، والملائكة يحملون عرشك ويسبحون بحمدك، والخلق مطيع لك خاشع من خوفك، لا يرى في نور إلا نورك، ولا يسمع فيه صوت إلا سمعك، ثم فتحت خزانة النور وطريق الظلمة فكانا ليلا ونهارا يختلفان بأمرك"[٢].

القرآن

{لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤٦)} [النور : ٤٦]

التفسير:

لقد أنزلنا في القرآن علامات واضحات مرشدات إلى الحق. والله يهدي ويوفق مَن يشاء مِن عباده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ} [النور : ٤٦]، أي:" لقد أنزلنا في القرآن علامات واضحات مرشدات إلى الحق"[٣].

قال الطبري:يقول:" لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات دالات على طريق الحق وسبيل الرشاد"[٤].

قال الواحدي:" يعني، القرآن، أي: هو المبين للهدى والأحكام"[٥].

قال مقاتل:" لما فيه من أمره ونهيه"[٦].

قال يحيى:" القرآن، ما يبين الله فيه"[٧].

قال قتادة:" هو هذا القرآن فيه حلاله وحرامه"[٨].

قال مقاتل بن حيان:" يقرر تعالى أنه أنزل في هذا القرآن من الحكم والأمثال البينة المحكمة ، كثيرًا جدًا ، وأنه يرشد إلى تفهمها وتعقلها أولي الألباب والبصائر والنهى "[٩].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [النور : ٤٦]، أي:" والله يهدي ويوفق مَن يشاء مِن عباده إلى الطريق المستقيم، وهو الإسلام"[١٠].

قال الطبري: " يقول: والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه، فيهديه إلى دين الإسلام، وهو الصراط المستقيم والطريق القاصد الذي لا اعوجاج فيه"[١١].

قال الواحدي:" يعني: الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه وجنته"[١٢].

قال مقاتل:" يعني: إلى دين مستقيم، يعني: الإسلام، وغيره من الأديان ليس بمستقيم"[١٣].

قال يحيى:" الصراط: الطريق المستقيم إلى الجنة"[١].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٤٠٩/٢٤.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٢٧):ص٢٦٢٠/٨.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٤) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(٥) التفسير الوسيط:٣٢٤/٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٤/٣.
(٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٦/١.
(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٢٩):ص٢٦٢١/٨.
(٩) تفسير ابن كثير:٧٣/٦.
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٦.
(١١) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(١٢) التفسير الوسيط:٣٢٤/٣.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٤/٣.

قال القشيري:" الآيات بينة ولكن الله يهدى إليها قوما ويلبس على آخرين، والذي سد بصره أنى ينفعه طلوع الشمس والنجوم؟ وكذلك الذي سدت بصيرته أنى تنفعه شواهد العلوم ودلائل الفهوم؟ وقالوا فى معناه:
وما انتفاع أخي الدنيا بمقلته ... إذا استوت عنده الأنوار والظلم"[٢].
فوائد الآيات:[٤٣-٤٦]:
١- مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي موجبات الإيمان والتقوى.
٢- بيان كيفية نزول المطر والبرد.
٣- مظاهر لطف الله بعباده في صرف البرد عن الزرع والماشية وبعض عباده.
٤- مظاهر القدرة والعلم في تقليب الليل والنهار على بعضهما بعضاً.
٥- بيان أصناف المخلوقات في مشيها على الأرض بعد خلقها من ماء وهو مظهر العلم والقدرة.
٦- امتنان الله تعالى على العباد بإنزاله الآيات المبينات للهدى وطريق السعادة والكمال.

القرآن
{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (٤٧)} [النور : ٤٧]
التفسير:
ويقول المنافقون: صَدَّقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرهما، ثم تُعْرِضُ طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول، وما أولئك بالمؤمنين.
سبب النزول:
قال مقاتل:" نزلت في بشر المنافق"[٣].
قوله تعالى:{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا} [النور : ٤٧]، أي:" ويقول المنافقون: صَدَّقنا بالله وبما جاء به الرسول، وأطعنا أمرهما"[٤].
قال الطبري: يقول:" ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول، وأطعنا الله وأطعنا الرسول"[٥].
قال أبو العالية:" هؤلاء المنافقين"[٦].
عن سعيد بن جبير قوله: "{آمنا بالله}، يعنى: يصدقون بتوحيد الله"[٧].
عن مقاتل بن حيان، قوله:"{وأطعنا}، قال: أقروا لله أن يطيعوه في أمره ونهيه"[٨].
قوله تعالى:{ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} [النور : ٤٧]، أي:" ثم تُعْرِضُ طوائف منهم من بعد ذلك فلا تقبل حكم الرسول"[٩].
قال الطبري: "يقول: ثم تدبر كل طائفة منهم من بعد ما قالوا هذا القول عن رسول الله ﷺ، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : يخالفون أقوالهم بأعمالهم ، فيقولون ما لا يفعلون"[١١].

---
(١) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٦/١.
(٢) لطائف الإشارات:٦١٨/٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٤/٣-٢٠٥.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٥) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣١):ص٢٦٢١/٨.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٢):ص٢٦٢١/٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٣):ص٢٦٢١/٨.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٦.
(١٠) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.

قال قتادة:" أناس من المنافقين أظهروا الإيمان والطاعة وهم في ذلك يصدون عن سبيل الله وطاعته وجهاد في سبيله"[١].

قوله تعالى:{وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} [النور : ٤٧]، أي:" وليس أولئك الذين يدعون الإيمان والطاعة بمؤمنين على الحقيقة"[٢].

قال الطبري:" يقول: وليس قائلو هذه المقالة، يعني قوله: (آمنا بالله وبالرسول وأطعنا) بالمؤمنين؛ لتركهم الاحتكام إلى رسول الله ﷺ وإعراضهم عنه إذا دعوا إليه"[٣].

عن سعيد بن جبير، قوله:"{بالمؤمنين}، يعنى: بالمصدقين"[٤].

القرآن

{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨)} [النور : ٤٨]

التفسير:

وإذا دُعوا في خصوماتهم إلى ما في كتاب الله وإلى رسوله؛ ليَحكُم بينهم، إذا فريق منهم معرض لا يقبل حكم الله وحكم رسوله، مع أنه الحق الذي لا شك فيه.

في سبب نزول الآيات:[٤٨-٥٠]، قولان:

أحدها: قال الحسن:"كان الرجل إذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ، أعرض وقال: انطلق إلى فلان فأنزل الله: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} إلى قوله: {هُمُ الظَّالِمُونَ}[٥]"[٦].

الثاني: وقال الضحاك:" نزلت في المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن أبي طالب أرض فتقاسما فوقع إلى علي منها ما لا يصيبه الماء إلا بمشقة، فقال المغيرة: بمعني أرضك، فباعها إياه وتقابضا، فقيل للمغيرة: أخذت سبخة لا ينالها الماء. فقال لعلي: اقبض أرضك فإنما اشتريتها إن رضيتها ولم أرضها، فلا ينالها الماء. فقال علي: بل اشتريتها ورضيتها وقبضتها وعرفت حالها لا أقبلها منك، ودعاه إلى أن يخاصمه إلى رسول الله ﷺ فقال المغيرة: أما محمد فلست آتيه ولا أحاكم إليه فإنه يبغضني وأنا أخاف أن يحيف علي. فنزلت هذه الآية"[٧].

الثالث: وقال مقاتل:" نزلت في بشر المنافق، وذلك أن رجلا من اليهود كان بينه وبين بشر خصومة وأن اليهودي دعا بشرا إلى النبي- ﷺ- ودعاه بشر إلى كعب فقال بشر: إن محمدا يحيف علينا"[٨].

قال الثعلبي:" نزلت هذه الآيات في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في أرض فجعل اليهودي يجره الى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره الى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمدا يحيف علينا"[٩].

قال الواحدي:" قال المفسرون: هذه الآية[١٠] والتي بعدها نزلتا في بشر المنافق وخصمه اليهودي، حين اختصما في أرض، فجعل اليهودي يجره إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجره إلى كعب بن الأشرف ويقول: إن محمدا يحيف علينا. وقد مضت هذه القصة عند قوله: يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت في سورة النساء"[١١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٤):ص٢٦٢١/٨.
(٢) صفوة التفاسير:٣١٥/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٥):ص٢٦٢٢/٨.
(٥)[النور : ٥٠].
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٧):ص٢٦٢٢/٨.
(٧) ذكره الرازي في مفاتيح الغيب:٤١٠/٢٤. بدون سند.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٤/٣-٢٠٥.
(٩) الكشف والبيان:١١٣/٧.
(١٠) الآيتان:[٤٨، و٤٩].
(١١) اسباب النزول:٣٢٧.

قوله تعالى:{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ} [النور : ٤٨]، أي:" وإذا دُعوا في خصوماتهم إلى ما في كتاب الله وإلى رسوله؛ ليَحكُم بينهم"(١).

قال الطبري:" يقول: وإذا دعي هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسوله {ليحكم بينهم} فيما اختصموا فيه بحكم الله"(٢).

قال ابن كثير:" أي : إذا طلبوا إلى اتباع الهدى ، فيما أنزل الله على رسوله ، أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه. وهذه كقوله : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا } [النساء : ٦٠ ، ٦١]"(٣).

عن ابن عباس قال: "{وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم}، قالوا: بل نحاكمكم إلى كعب بن الأشرف"(٤).

قوله تعالى:{إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ} [النور : ٤٨]، أي:" إذا فريق منهم معرض لا يقبل حكم الله وحكم رسوله، مع أنه الحق الذي لا شك فيه"(٥).

قال الطبري:يقول:" {إذا فريق منهم معرضون} عن قبول الحق، والرضا بحكم رسول الله ﷺ"(٦).

عن سعيد بن جبير، قوله: {فريق منهم}، يعني: طائفة"(٧).

عن قتادة قوله: "{معرضون}، قال: عن كتاب الله"(٨).

قال الشافعي:" فأعلم الله الناس في هذه الآية أن دعاءهم إلى رسول الله ليحكم بينهم، دعاء إلى حكم الله - عز وجل - لأن الحاكم بينهم رسول الله، وإذا سلموا لحكم رسول الله، فإنما سلموا لحكمه بفرض الله"(٩).

القرآن

{وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ (٤٩)} [النور : ٤٩]

التفسير:

وإن يكن الحق في جانبهم فإنهم يأتون إلى النبي عليه الصلاة والسلام طائعين منقادين لحكمه؛ لعلمهم أنه يقضي بالحق.

قال الطبري: يقول: "وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم فيأبون ويعرضون عن الإجابة إلى ذلك، قبل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله - يأتوا إلى رسول الله مذعنين، يقول: مذعنين منقادين لحكمه، مقرين به طائعين غير مكرهين"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم ، جاؤوا سامعين مطيعين وهو معنى قوله :{مُذْعِنِينَ} وإذا كانت الحكومة عليه أعرض ودعا إلى غير الحق ، وأحب أن يتحاكم إلى غير النبي ﷺ ليروج باطله ثَمّ. فإذعانه أولا لم يكن عن اعتقاد منه أن ذلك هو الحق ، بل لأنه موافق لهواه ؛ ولهذا لما خالف الحقّ قصده ، عدل عنه إلى غيره"(١١).

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٢) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(٣) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٦):ص٢٦٢٢/٨.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٦) تفسير الطبري:٢٠٤/١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٨):ص٢٦٢٢/٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٣٩):ص٢٦٢٢/٨.
(٩) تفسير الإمام الشافعي:١١٤٤/٣.
(١٠) تفسير الطبري:٢٠٥/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.

قال الزمخشري: المعنى:" أنهم لمعرفتهم أنه ليس معك إلا الحق المر والعدل البحت. يزورون عن المحاكمة إليك إذا ركبهم الحق، لئلا تنتزعه من أحداقهم بقضائك عليهم لخصومهم، وإن ثبت لهم حق على خصم أسرعوا إليك ولم يرضوا إلا بحكومتك، لتأخذ لهم ما ذاب[١] لهم في ذمة الخصم"[٢].

قال الحسن:" كان الرجل إذا كان بينه وبين الرجل منازعة فدعي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو محق أذعن وعلم أن رسول الله ﷺ سيقضي له بالحق"[٣].

عن الحسن، قوله: "{ وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين}، يقول: مطيعين"[٤].

عن مجاهد، قوله: "{يأتوا إليه مذعنين}، قال: سراعا"[٥].

قال ابن زيد:" يسرعون إليه"[٦].

القرآن

{أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠)} [النور : ٥٠]

التفسير:

أسَبَبُ الإعراض ما في قلوبهم من مرض النفاق، أم شكُّوا في نبوة محمد ﷺ، أم السبب خوفهم أن يكون حكم الله ورسوله جائرًا؟ كلا إنهم لا يخافون جورًا، بل السبب أنهم هم الظالمون الفجرة.

قوله تعالى:{أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا} [النور : ٥٠]، أي:" أسَبَبُ الإعراض ما في قلوبهم من مرض النفاق، أم شكُّوا في نبوة محمد ﷺ"[٧].

قال ابن عباس:" المرض: النفاق"[٨].

قال الطبري: يقول: " أفي قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، شك في رسول الله ﷺ، أنه لله رسول، فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه والرضا به"[٩].
به"[٩].

قال ابن كثير:" يعني : لا يخرج أمرهم عن أن يكون في القلوب مَرَض لازم لها ، أو قد عرض لها شك في الدين "[١٠].

قال الزمخشري: ثم قسم الأمر في صدودهم عن حكومته إذا كان الحق عليهم بين أن يكونوا مرضى القلوب منافقين، أو مرتابين في أمر نبوته"[١١].

قال الواحدي:" وهذا استفهام ذم وتوبيخ"[١٢].

قوله تعالى:{أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ} [النور : ٥٠]، أي:" أم السبب خوفهم أن يكون حكم الله ورسوله جائرًا"[١٣].

---

(١)في الصحاح: ذاب لي عليه من الحق كذا: إذا وجب وثبت.
(٢) الكشاف:٢٤٨/٣.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٤٠):ص٢٦٢٢/٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٤٢):ص٢٦٢٣/٨.
(٥) أخرجه الطبري:٢٠٥/١٩.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٤١):ص٢٦٢٢/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٤٣):ص٢٦٢٣/٨.
(٩) تفسير الطبري:٢٠٥/١٩.
(١٠) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.
(١١) الكشاف:٢٤٨/٣.
(١٢) التفسير الوسيط:٣٢٥/٣.
(١٣) التفسير الميسر:٣٥٦.

قال الطبري: " المعنى: أن يحيف رسول الله عليهم، فبدأ بالله تعالى ذكره تعظيما لله، كما يقال: ما شاء الله ثم شئت، بمعنى شئت. ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك قوله: {وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم}، فأفرد الرسول بالحكم، ولم يقل: ليحكما"[١].

قال الزمخشري: أي:"أو خائفين الحيف في قضائه"[٢].

قال ابن كثير:" أو يخافون أن يجور الله ورسوله عليهم في الحكم. وأيّا ما كان فهو كفر محض ، والله عليم بكل منهم ، وما هو عليه منطو من هذه الصفات"[٣].

قال الواحدي:" الحيف: الميل في الحكم، فيقال: حاف في قضيته، أي جار فيما حكم"[٤].
حكم"[٤].

قوله تعالى:{بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [النور : ٥٠]، أي:" بل هم الكاملون في الظلم والعناد لإعراضهم عن حكم رسول الله"[٥].

قال القرطبي:" أي: المعاندون الكافرون، لإعراضهم عن حكم الله تعالى"[٦].

قال الطبري: "يقول: ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك مما دعوا إليه، أن يحيف عليهم رسول الله، فيجور في حكمه عليهم، ولكنهم قوم أهل ظلم لأنفسهم بخلافهم أمر ربهم، ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله ﷺ فيما أحبوا وكرهوا، والتسليم له"[٧].

قال ابن كثير:" أي : بل هم الظالمون الفاجرون ، والله ورسوله مبرآن مما يظنون ويتوهمون من الحيف والجور، تعالى الله ورسوله عن ذلك"[٨].

قال الواحدي:" أي: لا يظلم الله ورسوله في الحكم بل هم الذين يظلمون أنفسهم بالكفر والإعراض عن حكم الرسول"[٩].

قال الزمخشري:" أى لا يخافون أن يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله، وإنما هم ظالمون يريدون أن يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده، وذلك شيء لا يستطيعونه في مجلس رسول الله ﷺ، فمن ثمة يأبون المحاكمة إليه"[١٠].

قال الحسن:" كان الرجل إذا أراد أن يظلم فدعي إلى النبي ﷺ أعرض وقال: انطلق إلى فلان فأنزل الله: {بل أولئك هم الظالمون}، فقال رسول الله ﷺ: من كان بينه وبين أخيه شيء يدعى إلى حكم من حكام المسلمين فأبى أن يجيب فهو ظالم لا حق له"[١١].

وعن الحسن، عن سَمُرَة مرفوعًا :"من دُعي إلى سلطان فلم يجب ، فهو ظالم لا حق له"[١٢].

قال القرطبي:" هذه الآية دليل على وجوب إجابة الداعي إلى الحاكم لأن الله سبحانه ذم من دعي إلى رسوله ليحكم بينه وبين خصمه بأقبح الذم فقال: {أفي قلوبهم مرض} الآية"[١٣].

---

(١) تفسير الطبري:٢٠٥/١٩.
(٢) الكشاف:٢٤٨/٣.
(٣) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.
(٤) التفسير الوسيط:٣٢٥/٣.
(٥) صفوة التفاسير:٣١٥/٢.
(٦) تفسير القرطبي:٢٩٤/١٢.
(٧) تفسير الطبري:٢٠٥/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.
(٩) التفسير الوسيط:٣٢٥/٣.
(١٠) الكشاف:٢٤٨/٣.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٤٤):ص٢٦٢٣/٨، ورواه عبد بن حميد وابن المنذر عن الحسن مرسلا كما في الدر المنثور (٢١٣/٦).
(١٢)المعجم الكبير للطبراني (٢٢٥/٧) وقال الهيثمي في المجمع (١٩٨/٤) : "فيه روح بن عطاء ، وثقه ابن عدي وضعفه الأئمة".
(١٣) تفسير القرطبي:٢٩٤/١٢.

قال ابن خويز منداد: "واجب على كل من دعي إلى مجلس الحاكم أن يجيب، ما لم يعلم أن الحاكم فاسق، أو عداوة بين المدعي والمدعى عليه"(١).

القرآن

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١)} [النور : ٥١]

التفسير:

أما المؤمنون حقا فدأبهم إذا دعوا إلى التحاكم في خصوماتهم إلى كتاب الله وحكم رسوله، أن يقبلوا الحكم ويقولوا: سمعنا ما قيل لنا وأطعنا مَن دعانا إلى ذلك، وأولئك هم المفلحون الفائزون بمطلوبهم في جنات النعيم.

قوله تعالى:{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} [النور : ٥١]، أي:" أما المؤمنون حقا فدأبهم إذا دعوا إلى التحاكم في خصوماتهم إلى كتاب الله وحكم رسوله، أن يقبلوا الحكم ويقولوا: سمعنا ما قيل لنا وأطعنا مَن دعانا إلى ذلك"(٢).

قال الطبري: يقول:" إنما كان ينبغي أن يكون قول المؤمنين إذا دعوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله، {ليحكم بينهم} وبين خصومهم، {أن يقولوا سمعنا} ما قيل لنا {وأطعنا} من دعانا إلى ذلك"(٣).

عن مقاتل بن حيان قوله: "{سمعنا وأطعنا}، قال: سمعنا للقرآن الذي جاء من عند الله وأطعنا أقروا لله أن يطيعوه في أمره ونهيه"(٤).

قال السمعاني:" {أن يقولوا سمعنا وأطعنا} أي: سمعنا الدعاء، وأطعنا بالإجابة، وهذا ليس على طريق الخبر، ولكنه تعليم أدب من الشرع، على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا"(٥).

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [النور : ٥١]، أي:" وأولئك هم المفلحون الفائزون بمطلوبهم في جنات النعيم"(٦).

قال السمعاني:" أي: الفائزون"(٧).

قال الطبري:" يقول: هم المنجحون المدركون طلباتهم، بفعلهم ذلك، المخلدون في جنات الله"(٨).

قال قتادة:" ذكر لنا أن عبادة بن الصامت كان عقيبا بدريا أحد نقباء الأنصار، وذكر لنا أنه بايع رسول الله ﷺ على أن لا يخاف في الله لومة لائم وأنه لما حضره الموت دعى ابن أخته جنادة بن أبي أمية فقال: ألا أنبئك ماذا عليك وماذا لك؟ قال: بلى، قال: فإن عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وأن لا تنازع الأمر أهله إلا أن يأمروك بمعصية الله بواحا، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله، وذكر لنا أن أبا الدرداء قال: لا إسلام إلا بطاعة الله ولا خير إلا في جماعة، والنصيحة لله ولرسوله وللخليفة وللمؤمنين عامة. قال: وقد ذكر لنا أن عمر بن الخطاب كان

---

(١) نقلا عن: تفسير القرطبي:٢٩٤/١٢.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٣) تفسير الطبري:٢٠٥/١٩-٢٠٦.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٤٦):ص٢٦٢٤/٨.
(٥) تفسير السمعاني:٥٤٢/٣.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٧) تفسير السمعاني:٥٤٢/٣.
(٨) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.

يقول: عروة الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والطاعة لمن ولاه الله أمر المسلمين"[١].

القرآن

{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٥٢)} [النور : ٥٢]

التفسير:

ومن يطع الله ورسوله في الأمر والنهي، ويَخَفْ عواقب العصيان، ويحْذَر عذاب الله، فهؤلاء هم الفائزون بالنعيم في الجنة.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [النور : ٥٢]، أي:" ومن يطع الله ورسوله في الأمر والنهي"[٢].

قال ابن كثير:" أي : فيما أمراه به وترك ما نهياه عنه"[٣].

قال الطبري:يقول:" {ومن يطع الله ورسوله} فيما أمره ونهاه، ويسلم لحكمهما له وعليه"[٤].

قال السمعاني:" أي: من يطع الله فيما أمر، ويطع رسوله فيما سنّ"[٥].

قال قتادة:" من يطع الله فيما أمر به ورسوله قال فيما أمر به"[٦].

قوله تعالى:{وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ} [النور : ٥٢]، أي:" ويَخَفْ عواقب العصيان، ويحْذَر عذاب الله"[٧].

قال ابن كثير:" { وَيَخْشَ اللَّهَ } فيما مضى من ذنوبه ، { وَيَتَقِهِ } فيما يستقبل"[٨].

قال الطبري:يقول:" ويخف عاقبة معصية الله ويحذره، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه"[٩].

عن قتادة، "{ويخش الله}، قال: فيما مضى من ذنوبه. {ويتقه}، قال: يخشاه فيما يستقبل"[١٠].

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى ونافع فى رواية ورش وقالون وابن سعدان عن إسحق المسيبى عن نافع :{ويتقه} موصولة بياء، وقال قالون عن نافع: {ويتقه} بكسر الهاء ولا يبلغ بها الياء، وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم فى رواية أبى بكر: {ويتقه} جزما بكسر القاف[١١].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [النور : ٥٢]، أي:" فهؤلاء هم الفائزون بالنعيم في الجنة"[١٢].

قال السدي:" إلى نعيم مقيم"[١٣].

قال الطبري:" يقول: فالذين يفعلون ذلك {هم الفائزون} برضا الله عنهم يوم القيامة، وأمنهم من عذابه"[١٤].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٤٥):ص٢٦٢٣/٨.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٣) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.
(٤) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.
(٥) تفسير السمعاني:٥٤٢/٣.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٤٧):ص٢٦٢٤/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٨) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.
(٩) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٤٧):ص٢٦٢٤/٨.
(١١) انظر: السبعة في القراءات:٤٥٧.
(١٢) التفسير الميسر:٣٥٦.
(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٤٨):ص٢٦٢٤/٨.
(١٤) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.

قال ابن كثير:" يعني : الذين فازوا بكل خير ، وأمنُوا من كل شر في الدنيا والآخرة"(١). والآخرة"(١).

قال الزمخشري:" لقد جمع الله في هذه الآية أسباب الفوز.. وعن بعض الملوك أنه سأل عن آية كافية، فتليت: له هذه الآية"(٢).

فوائد الآيات:[٤٧-٥٢]:

١- وجوب التحاكم إلى الكتاب والسنة.

٢- من دعي إلى الكتاب والسنة فأعرض فهو منافق معلوم النفاق.

٣- اتخاذ قوانين وضعية للتحاكم إليها دون كتاب الله وسنة رسوله آية الكفر والنفاق.

٤- فضل طاعة الله ورسوله وتقوى الله عز وجل وأن أهلها هم الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنان.

القرآن

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (٥٣)} [النور : ٥٣]

التفسير:

وأقسم المنافقون بالله تعالى غاية اجتهادهم في الأيمان المغلَّظة: لئن أمرتنا - أيها الرسول - بالخروج للجهاد معك لنخرجن، قل لهم: لا تحلفوا كذبًا، فطاعتكم معروفة بأنها باللسان فحسب، إن الله خبير بما تعملونه، وسيجازيكم عليه.

قوله تعالى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ} [النور : ٥٣]، أي:" وأقسم المنافقون بالله تعالى غاية اجتهادهم في الأيمان المغلَّظة: لئن أمرتنا - أيها الرسول - بالخروج للجهاد معك لنخرجن"(٣).

قال الطبري: يقول:" وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله، إذ دعوا إليه {بالله جهد أيمانهم}، يقول: أغلظ أيمانهم وأشدها {لئن أمرتهم} يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين {ليخرجن}"(٤).

قال مقاتل بن حيان:" وذلك في شأن الجهاد أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم بالخروج معك إلى الجهاد ليخرجن معك"(٥).

عن مجاهد، قوله:"{وأقسموا بالله جهد أيمانهم}، قال: هي يمين"(٦).

قوله تعالى:{قُلْ لَا تُقْسِمُوا} [النور : ٥٣]، أي:" قل لهم: لا تحلفوا كذبًا"(٧).

قال الطبري: يقول:" لا تحلفوا"(٨).

قال مقاتل بن حيان:" يأمرهم أن لا يحلفوا على شيء"(٩).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا عن أهل النفاق ، الذين كانوا يحلفون للرسول ﷺ لئن أمرهم بالخروج في الغزو، قال الله تعالى : { قُلْ لا تُقْسِمُوا } أي : لا تحلفوا"(١٠).

---

(١) تفسير ابن كثير:٧٤/٦.
(٢) الكشاف:٢٤٩/٣-٢٥٠.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٤) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥١):ص٢٦٢٥/٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٤٩):ص٢٦٢٤/٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٨) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥١):ص٢٦٢٥/٨.
(١٠) تفسير ابن كثير:٧٦/٦.

قوله تعالى:{طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ} [النور : ٥٣]، أي:" طاعتكم معروفة بأنها باللسان فحسب"[١].

قال الطبري: يقول:" فإن هذه {طاعة معروفة} منكم فيها التكذيب"[٢].

وفي قوله تعالى:{طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ} [النور : ٥٣]، وجهان:

أحدهما : طاعة صادقة خير من أيمان كاذبة. وهذا معنى قول مقاتل بن حيان[٣].

قال مقاتل بن حيان:" أمرهم أن تكون منهم طاعة معروفة للنبي ﷺ من غير أن يقسموا"[٤].

قال ابن كثير:" ليكن أمركم طاعة معروفة ، أي : بالمعروف من غير حَلف ولا إقسام ، كما يطيع الله ورسوله المؤمنون بغير حلف ، فكونوا أنتم مثلهم"[٥].

الثاني : قد عرف نفاقكم في الطاعة فلا تتجملوا بالأيمان الكاذبة. وهذا معنى قول مجاهد[٦].

قال مجاهد:" قد عرفت طاعتكم إلي أنكم تكذبون"[٧].

قال ابن كثير:" أي : قد عُلمت طاعتكم ، إنما هي قول لا فعل معه ، وكلما حلفتم كذبتم ، كما قال تعالى : { يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [التوبة : ٩٦] ، وقال تعالى : { اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [المنافقون : ٢] ، فهم من سجيتهم الكذب حتى فيما يختارونه ، كما قال تعالى : { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ } [الحشر : ١١ ، ١٢]"[٨].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} [النور : ٥٣]، أي:" إن الله خبير بما تعملونه، وسيجازيكم عليه"[٩].

قال الطبري: " يقول: إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله، أو خلافكم أمرهما، أو غير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم بكل ذلك"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : هو خبير بكم وبمن يطيع ممن يعصي ، فالحلف وإظهار الطاعة -والباطن بخلافه ، وإن راج على المخلوق- فالخالق ، تعالى ، يعلم السر وأخفى ، لا يروج عليه شيء من التدليس ، بل هو خبير بضمائر عباده ، وإن أظهروا خلافها"[١١].

عن قتادة: قوله: "{خبير}: خبير بخلقه"[١٢].

القرآن

{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)} [النور : ٥٤]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٦.
(٢) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٧٥١):ص٢٦٢٥/٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥١):ص٢٦٢٥/٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٧٦/٦.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.
(٧) أخرجه الطبري:٢٠٦/١٩.
(٨) تفسير ابن كثير:٧٦/٦.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٦.
(١٠) تفسير الطبري:٢٠٦/١٩.
(١١) تفسير ابن كثير:٧٦/٦.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥٢):ص٢٦٢٥/٨.

قل - أيها الرسول - للناس: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فإن تعرضوا فإنما على الرسول فِعْلُ ما أُمر به من تبليغ الرسالة، وعلى الجميع فِعْلُ ما كُلِّفوه من الامتثال، وإن تطيعوه ترشدوا إلى الحق، وليس على الرسول إلا أن يبلغ رسالة ربه بلاغًا بينًا.

قوله تعالى:{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} [النور : ٥٤]، أي:" قل - أيها الرسول - للناس: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول"[١].

قال الطبري: يقول:" {قل} يا محمد لهؤلاء المقسمين بالله {جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن}، وغيرهم من أمتك، {أطيعوا الله} أيها القوم فيما أمركم به، ونهاكم عنه، {وأطيعوا الرسول}، فإن طاعته لله طاعة"[٢].

قال ابن كثير:" أي : اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله "[٣].

قال عطاء:" طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"[٤].

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّوْا} [النور : ٥٤]، أي:" فإن تعرضوا"[٥].

قال الطبري: " يقول:فإن تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو نهاكم عنه، وتأبوا أن تذعنوا لحكمه لكم وعليكم"[٦].

قال ابن كثير:" أي : تتولوا عنه وتتركوا ما جاءكم به "[٧].

قال ابن عباس:" يعني: الكفار تولوا عن النبي ﷺ"[٨].

قال الزمخشري:" صرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب على طريقة الالتفات وهو أبلغ في تبكيتهم. يريد: فإن تتولوا فما ضررتموه"[٩].

قوله تعالى:{فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ} [النور : ٥٤]، أي:" فإن تعرضوا فإنما على الرسول فِعْلُ ما أُمر به من تبليغ الرسالة، وعلى الجميع فِعْلُ ما كُلِّفوه من الامتثال"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فإنما عليه فعل ما أمر بفعله من تبليغ رسالة الله إليكم على ما كلفه من التبليغ، وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما ألزمكم، وأوجب عليكم من اتباع رسوله ﷺ، والانتهاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم"[١١].

قال ابن كثير:" { فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ } أي : إبلاغ الرسالة وأداء الأمانة ، { وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ } أي : من ذلك وتعظيمه والقيام بمقتضاه"[١٢].

قال الزمخشري:أي:" وإنما ضررتم أنفسكم، فإن الرسول ليس عليه إلا ما حمله الله وكلفه من أداء الرسالة، فإذا أدى فقد خرج عن عهدة تكليفه. وأما أنتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والإذعان، فإن لم تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه"[١٣].

عن السدي قوله: "{فإنما عليه ما حمل}، قال: يبلغ ما أرسل به إليكم،{وعليكم ما حملتم}، قال: أن تطيعوه وتعلموا بما أمركم"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٧.
(٢) تفسير الطبري١٩/٢٠٧.
(٣) تفسير ابن كثير:٦/٧٧.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥٣):ص٨/٢٦٢٥.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٧.
(٦) تفسير الطبري١٩/٢٠٧.
(٧) تفسير ابن كثير:٦/٧٦.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥٤):ص٨/٢٦٢٥.
(٩) الكشاف:٣/٢٥٠.
(١٠) التفسير الميسر:٣٥٧.
(١١) تفسير الطبري١٩/٢٠٧.
(١٢) تفسير ابن كثير:٦/٧٦.
(١٣) الكشاف:٣/٢٥٠.
(١٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٥٥)، (١٤٧٥٧):ص٨/٢٦٢٥، ٢٦٢٦.

عن أبي الزبير، عن جابر، "أنه سأل إن كان علي إمام فاجر فلقيت معه أهل ضلالة أقاتل أم ؟ ليس بي حبه ولا مظاهرته، قال: قاتل أهل الضلالة أينما وجدتهم وعلى الإمام ما حمل وعليك ما حملت"(١).

قوله تعالى:{وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا} [النور : ٥٤]، أي:" وإن تطيعوه ترشدوا إلى الحق"(٢).

قال الطبري: يقول: "وإن تطيعوا - أيها الناس - رسول الله - فيما يأمركم وينهاكم - ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم"(٣).

قال الزمخشري:" وإن أطعتموه فقد أحرزتم نصيبكم من الخروج عن الضلالة إلى الهدى، فالنفع والضرر عائدان إليكم"(٤).

قال ابن كثير:" وذلك لأنه يدعو إلى صراط مستقيم { صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ } [الشورى : ٥٣]"(٥).

قال وهب بن منبه:" إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له أشعيا، أن قم في قومك بني إسرائيل فإني مطلق لسانك بوحي فقال: يا سماء اسمعي ويا أرض أنصتي، فإن الله عز وجل يريد أن يقص شأن بني إسرائيل، إن قومك يسألون، عن غيبي الكهان والأسرار، وإني أريد أن أحدث حدثا أنا منفذه، فليخبروني متى هو وفي أي زمان يكون، أريد أن أحول الريف إلى الفلاة، والآجام في الغيطان، والأنهار في الصحاري والنعمة في الفقراء، والملك في الرعاة، وأبعث أعمى من عميان أبعثه ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، لو يمر إلى جنب السراج لم يطفئه من سكينته، ولو يمشي على القصب اليابس لم يسمع من تحت قدميه، أبعثه مبشرا ونذيرا لا يقول الخنا أفتح به أعينا كما، وآذانا صما، وقلوبا غلفا أسدده لكل أمر جميل، وأهب له كل خلق كريم، وأجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والهدى إمامه والإسلام ملته، وأحمد اسمه، أهدي به بعد الضلالة، وأعلم به بعد الجهالة، وأرفع به بعد الخمالة، وأعرف به بعد الذكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغني به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين أمم متفرقة وقلوب مختلفة، وأهواء متشتتة، وأستنقذ به فئاما من الناس عظيما من الهلكة، وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون، عن المنكر، موحدين مؤمنين مخلصين، مصدقين بما جاءت به رسلي"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [النور : ٥٤]، أي:" وليس على الرسول إلا أن يبلغ رسالة ربه بلاغًا بينًا"(٧).

قال الطبري: "يقول: وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته بلاغا يبين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به، فليس على محمد - أيها الناس - إلا أداء رسالة الله إليكم، وعليكم الطاعة، وإن أطعتموهلحظوظ أنفسكم تصيبون، وإن عصيتموه بأنفسكم فتوبقون"(٨).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٥٦):ص٢٦٢٥/٨-٢٦٢٦.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٧.
(٣) تفسير الطبري٢٠٧/١٩.
(٤) الكشاف:٢٥٠/٣.
(٥) تفسير ابن كثير:٧٦/٦.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥٨):ص٢٦٢٦/٨. وروي عن عبد الله بن سلام وكعب الأحبار كما في الشفا للقاضي عياض (١٥/١).
(٧) التفسير الميسر:٣٥٧.
(٨) تفسير الطبري٢٠٧/١٩.

قال الزمخشري:أي:" وما الرسول إلا ناصح وهاد، وما عليه إلا أن يبلغ ما له نفع في قبولكم، ولا عليه ضرر في توليكم، و«البلاغ»: بمعنى التبليغ، كالأداء: بمعنى التأدية. ومعنى «المبين»: كونه مقرونا بالآيات والمعجزات"(١).

القرآن

{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)} [النور : ٥٥]

التفسير:

وعد الله بالنصر الذين آمنوا منكم وعملوا الأعمال الصالحة، بأن يورثهم أرض المشركين، ويجعلهم خلفاء فيها، مثلما فعل مع أسلافهم من المؤمنين بالله ورسله، وأن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم -وهو الإسلام- دينًا عزيزًا مكينًا، وأن يبدل حالهم من الخوف إلى الأمن، إذا عبدوا الله وحده، واستقاموا على طاعته، ولم يشركوا معه شيئًا، ومن كفر بعد ذلك الاستخلاف والأمن والتمكين والسلطنة التامة، وجحد نِعَم الله، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

سبب النزول:

عن أبي العالية، قوله: "{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات} ... الآية، قال: فمكث النبي ﷺ عشر سنين خائفا يدعو إلى الله سرا وعلانية، قال: ثم أمر بالهجرة إلى المدينة. قال: فمكث بها هو وأصحابه خائفون، يصبحون في السلاح، ويمسون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه، ونضع عنا السلاح، فقال النبي ﷺ: "لا تغبرون إلا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملإ العظيم محتبيا فيه، ليس فيه حديدة". فأنزل الله هذه الآية {وعد الله الذين آمنوا منكم} ... إلى قوله: {فمن كفر بعد ذلك}، "قال: يقول: من كفر بهذه النعمة {فأولئك هم الفاسقون} وليس يعني: الكفر بالله. قال: فأظهره الله على جزيرة العرب فآمنوا، ثم تجبروا، فغير الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم، قال القاسم: قال أبو علي: بقتلهم عثمان بن عفان رضي الله عنه"(٢).

وقال مقاتل بن حيان:" قال بعض المؤمنين: متى يفتح الله على نبيه ﷺ مكة ونأمن في الأرض. ويذهب عنا الجهد، سمع الله قوله فأنزل الله عند ذلك: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، يعنى: أصحاب النبي ﷺ"(٣).

وقال البراء :"فينا نزلت ونحن في خوف شديد"(٤).

وقال محمد بن كعب:" نزلت في الولاة"(٥).

قوله تعالى:{وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور : ٥٥]، أي:" وعد الله بالنصر الذين آمنوا منكم وعملوا الأعمال الصالحة، بأن يورثهم أرض المشركين، ويجعلهم خلفاء فيها، مثلما فعل مع أسلافهم من المؤمنين بالله ورسله"(٦).

قال الطبري: يقول:" {وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم} أيها الناس، وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه، ليورثنهم الله أرض المشركين من العرب والعجم، فيجعلهم ملوكها

---

(١) الكشاف:٢٥٠/٣.
(٢) أخرجه الطبري:٢٠٩/١٩.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦١):ص٢٦٢٧/٨.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦٧):ص٢٦٢٨/٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦٨):ص٢٦٢٨/٨.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٧.

وساستها، كما فعل من قبلهم ذلك ببني إسرائيل، إذ أهلك الجبابرة بالشأم، وجعلهم ملوكها وسكانها"(١).

قال الزمخشري:" الخطاب لرسول الله ﷺ ولمن معه. ومنكم: للبيان، كالتي في آخر سورة الفتح: وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء، كما فعل ببني إسرائيل، حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة"(٢).

قال ابن كثير:" هذا وعد من الله لرسوله ﷺ ، بأنه سيجعل أمته خلفاء الأرض ، أي : أئمةَ الناس والولاةَ عليهم ، وبهم تصلح البلاد ، وتخضع لهم العباد"(٣).

عن مقاتل بن حيان قوله: "{ليستخلفنهم في الأرض}، يعنى: أرض المدينة"(٤).

قال السدي:" لما صدهم المشركون، عن العمرة يوم الحديبية وعدهم الله عز وجل أن يظهرهم"(٥).

قال السدي:" هم أصحاب محمد ﷺ استخلفهم في الأرض"(٦).

قال أبو العالية:" هم أصحاب محمد ﷺ"(٧).

قال عبد الرحمن بن عبد الحميد المصري: "أرى ولاية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في كتاب الله عز وجل، يقول الله تبارك وتعالى: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض}، الآية"(٨).

عن عطية في قوله :"{وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض}، قال: أهل بيت هاهنا، وأشار بيده إلى القبلة"(٩).

عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ : "بشر هذه الأمة بالسَّناء والرفعة ، والدين والنصر والتمكين في الأرض ، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة نصيب"(١٠).

عن ميمون بن مهران الجزري، "أن عمر بن عبد العزيز قال: الله أجل وأعظم من أن يتخذ في الأرض خليفة واحدا والله يقول: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض}، ولكني أثقلكم حملا"(١١).

وقرئ: «كما استخلف»، على البناء للمفعول(١٢).

قوله تعالى:{وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} [النور : ٥٥]، أي:" وأن يجعل دينهم الذي ارتضاه لهم -وهو الإسلام- دينًا عزيزًا مكينًا"(١٣).

قال الطبري: "يقول: وليوطئن لهم دينهم، يعني: ملتهم التي ارتضاها لهم، فأمرهم بها"(١٤).

قال قتادة:" هو الإسلام"(١٥).

---

(١) تفسير الطبري١٩/٢٠٨.
(٢) الكشاف:٣/٢٥١.
(٣) تفسير ابن كثير:٦/٧٧.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٦٦):ص٨/٢٦٢٨.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٥٩):ص٨/٢٦٢٧.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦٣):ص٨/٢٦٢٧.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦٠):ص٨/٢٦٢٧.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦٤):ص٨/٢٦٢٧-٢٦٢٨.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٦٥):ص٨/٢٦٢٨.
(١٠)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٩٥).
(١١) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:١/٤٥٩.
(١٢) انظر: الكشاف:٣/٢٥١.
(١٣) التفسير الميسر:٣٥٧.
(١٤) تفسير الطبري١٩/٢٠٨.
(١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٧٠):ص٨/٢٦٢٨-٢٦٢٩.

قال يحيى:" أي: سينصرهم بالإسلام حتى يظهرهم على الدين كله، فيكونوا الحكام على أهل الأديان"[١].

قال الزمخشري:" هو دين الإسلام. وتمكينه: تثبيته وتوطيده، وأن يؤمن سربهم"[٢].

عن المقداد بن الأسود ، قال: سمعت رسول الله يقول: «لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل، إما يعزهم الله فيجعلهم من أهلها وإما يذلهم الله فيدينون لها»[٣].

عن عدي بن حاتم، قال: "بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «يا عدي، هل رأيت الحيرة؟» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال «فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله، - قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيئ الذين قد سعروا البلاد -، ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى»، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: " كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولا فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالا وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم " قال عدي: سمعت النبي ﷺ، يقول: «اتقوا النار ولو بشقة تمرة فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز .."[٤].

قوله تعالى:{وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور : ٥٥]، أي:" وأن يبدل حالهم من الخوف إلى الأمن"[٥].

قال الطبري: يقول: وليغيرن حالهم عما هي عليه من الخوف إلى الأمن"[٦].

قال الزمخشري:أي:" ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكثوا بمكة عشر سنين خائفين، ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون في السلاح ويمسون فيه، حتى قال رجل: ما يأتى علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح؟ فقال ﷺ: «لا تغبرون إلا يسيرا[٧] حتى يجلس الرجل منكم في الملأ العظيم محتبيا ليس معه حديدة»[٨]، فأنجز الله وعده وأظهرهم على جزيرة العرب، وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب، ومزقوا ملك الأكاسرة وملكوا خزائنهم، واستولوا على الدنيا، ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا بتلك الأنعم وفسقوا، وذلك قوله ﷺ «الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يملك الله من يشاء فتصير ملكا، ثم تصير بزيزى[٩]، قطع سبيل، وسفك دماء، وأخذ أموال بغير حقها»[١٠]"[١١].

قال ابن كثير:أي:"ولَيُبدلَنّ بعد خوفهم من الناس أمنا وحكما فيهم، وقد فعل تبارك وتعالى ذلك. وله الحمد والمنة ، فإنه لم يمت رسول الله ﷺ حتى فتح الله عليه مكة وخيبر

---

(١) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٩/١.
(٢) الكشاف:٢٥١/٣.
(٣) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٥٨/١-٤٥٩.
(٤)رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٩٥):١٩٧/٤.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٧.
(٦) تفسير الطبري٢٠٨/١٩.
(٧)أى: لا تبقون، أفاده الصحاح .
(٨)أخرجه الطبري ٢٠٩/١٩، . وعزاه فى الدر المنثور (٢١٥/٦) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، عن أبى العالية. وانظر أسباب النزول للواحدى (٣٣٨).
(٩)«تصير بزيزى» في الصحاح: بزه يبزه بزا: سلبه. والاسم البزيزى مثل الخصيصى.
(١٠). لم أجده. وأوله في السنن وابن ماجة والحاكم وأحمد والطبراني والبيهقي والثعلبي كلهم من حديث سفينة. كما في
(١١) الكشاف:٢٥١/٣.

والبحرين ، وسائر جزيرة العرب وأرض اليمن بكمالها. وأخذ الجزية من مَجُوس هَجَر ، ومن بعض أطراف الشام ، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية - وهو المقوقس - وملوك عمان والنجاشي ملك الحبشة ، الذي تَمَلَّك بعد أصْحَمة ، رحمه الله وأكرمه. ثم لما مات رسول الله ﷺ واختار الله له ما عنده من الكرامة ، قام بالأمر بعده خليفته أبو بكر الصديق ، فَلَمّ شَعَث ما وَهَى عند موته ، عليه الصلاة والسلام وأطَّدَ جزيرة العرب ومهدها ، وبعث الجيوش الإسلامية إلى بلاد فارس صحبة خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ، ففتحوا طرفا منها ، وقتلوا خلقا من أهلها. وجيشا آخر صحبة أبي عبيدة ، رضي الله عنه ، ومن معه من الأمراء إلى أرض الشام ، وثالثًا صحبة عمرو بن العاص ، رضي الله عنه ، إلى بلاد مصر ، ففتح الله للجيش الشامي في أيامه بُصرى ودمشق ومَخَاليفهما من بلاد حَوران وما والاها ، وتوفاه الله عز وجل ، واختار له ما عنده من الكرامة. ومَنّ على الإسلام وأهله بأن ألهم الصديق أن استخلف عمر الفاروق ، فقام في الأمر بعده قياما تاما ، لم يَدُر الفلك بعد الأنبياء عليهم السلام على مثله ، في قوة سيرته وكمال عدله. وتم في أيامه فتح البلاد الشامية بكمالها ، وديار مصر إلى آخرها ، وأكثر إقليم فارس ، وكَسَّر كسرى وأهانه غاية الهوان ، وتقهقر إلى أقصى مملكته ، وقَصَّر قيصر ، وانتزع يده عن بلاد الشام فانحاز إلى قسطنطينة ، وأنفق أموالهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك ووعد به رسول الله ، عليه من ربه أتم سلام وأزكى صلاة.

ثم لما كانت الدولة العثمانية ، امتدت المماليك الإسلامية إلى أقصى مشارق الأرض ومغاربها ، ففتحت بلاد المغرب إلى أقصى ما هنالك : الأندلس ، وقبرص ، وبلاد القيروان ، وبلاد سَبْتَةَ مما يلي البحر المحيط ، ومن ناحية المشرق إلى أقصى بلاد الصين ، وقتل كسرى ، وباد ملكه بالكلية. وفتحت مدائن العراق ، وخراسان ، والأهواز ، وقتل المسلمون من الترك مقتلة عظيمة جدا ، وخذل الله ملكهم الأعظم خاقان ، وجُبي الخراج من المشارق والمغارب إلى حضرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه. وذلك ببركة تلاوته ودراسته وجمعه الأمة على حفظ القرآن ؛ ولهذا ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال : «إن الله زَوَى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زُوي لي منها»(١) فها نحن نتقلب فيما وعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، فنسأل الله الإيمان به ، وبرسوله ، والقيام بشكره على الوجه الذي يرضيه عنا"(٢).

عن جابر بن سَمُرَة قال : «سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : "لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا(٣)". ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت عني فسألت أبي : ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ فقال : "كلهم من قريش"»(٤).

قال ابن كثير:" وهذا الحديث فيه دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلا وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر فإن كثيرًا من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء ، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش ، يَلُون فيعدلون. وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة ، ثم لا يشترط أن يكون متتابعين ، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعا ومتفرقا ، وقد وُجِد منهم أربعة على الولاء ، وهم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، رضي الله عنهم. ثم كانت بعدهم فترة ، ثم وُجِد منهم ما شاء الله ، ثم قد يُوجَد منهم مَن بقي في وقت يعلمه الله. ومنهم المهدي الذي يطابق اسمه اسم رسول الله ﷺ ، وكنيته كنيته ، يملأ الأرض عدلا وقسطا ، كما ملئت جورًا وظلما"(٥).

---

(١)صحيح مسلم برقم (٢٨٨٩) من حديث ثوبان ، رضي الله عنه.

(٢) تفسير ابن كثير:٦/٧٧-٧٨.

(٣)وأخرج ابن ابي حاتم(١٤٧٦٩):ص٨/٢٦٢٨، ع كعب الأحبار: "هم اثنا عشر، فإذا كان عند انقضائهم فيجعل مكان اثني عشر اثنا عشر مثلهم، وكذلك وعد الله هذه الأمة، فقرأ: {وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم}، وكذلك فعل ببني إسرائيل"..

(٤)صحيح مسلم برقم (١٨٢١) وصحيح البخاري برقم (٧٢٢٢).

(٥) تفسير ابن كثير:٦/٧٨.

روي عن سَفِينة - مولى رسول الله ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ: "الخلافة بعدي ثلاثون سنة ، ثم يكون ملكا عَضُوضا"(١).

قوله تعالى:{يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور : ٥٥]، أي:" إذا عبدوا الله وحده، واستقاموا على طاعته، ولم يشركوا معه شيئًا"(٢).

قال الطبري: " يقول: يخضعون لي بالطاعة ويتذللون لأمري ونهيي، ولا يشركون في عبادتهم إياي الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها، بل يخلصون لي العبادة فيفردونها إلي دون كل ما عبد من شيء غيري"(٣).

قال الزمخشري:" فإن قلت: ما محل يعبدونني؟

قلت:إن جعلته استئنافا لم يكن له محل، كأن قائلا قال: ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال: يعبدونني.

وإن جعلته حالا عن وعدهم، أى: وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم، فمحله النصب"(٤).

قال الصابوني:" استئنافٌ بطريق الثناء عليهم كالتعليل للاستخلاف في الأرض، أي: يوحدونني ويخلصون لي العبادة، لا يعبدون إلهاً غيري"(٥).

عن مجاهد: "{أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا}، قال: لا يخافون غيري"(٦).

قال مجاهد:" تلك أمة محمد ﷺ"(٧).

قال مقاتل بن حيان:" فقد فعل الله بهم ذلك وبمن كان بعدهم حتى هذه الأمة فمكن لهم في الأرض وأبدلهم أمنا بعد خوفهم وبسط لهم في الرزق ونصرهم على الأعداء فقد أنجز الله موعده وبقي دين الله في رقابهم"(٨).

عن معاذ رضي الله عنه، قال: "كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير، فقال: «يا معاذ بن جبل هل تدرى ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا»"(٩).

قوله تعالى:{وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور : ٥٥]، أي:" ومن كفر بعد ذلك الاستخلاف والأمن والتمكين والسلطنة التامة، وجحد نِعَم الله، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله"(١٠).

قال يحيى:" يقول: من أقام على كفره بعد هذا الذي أنزلت: {فأولئك هم الفاسقون} [النور: ٥٥]، يعني: فسق الشرك"(١١).

---

(١)المسند (٢٢٠/٥) وسنن أبي داود برقم (٤٦٤٦) وسنن الترمذي برقم (٢٢٢٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨١٥٥) وقال الترمذي : "حديث حسن لا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان" ولم ترد لفظة : "عضوض" في هذه المصادر ، وإنما وردت في حديث آخر عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل عن النبي ﷺ قال : "إن الله تعالى بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة ، وكائنا خلافة ورحمة ، وكائنا ملكا عضوضا ، وكائنا عنوة وجبرية وفسادا في الأمة... الحديث" أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (١٥٩/٨).

(٢) التفسير الميسر:٣٥٧.

(٣) تفسير الطبري:٢٠٨/١٩.[بتصرف بسيط]

(٤) الكشاف:٢٥٢/٣.

(٥) صفوة التافسير:٣١٩/٢.

(٦) أخرجه الطبري:٢١٠/١٩.

(٧) أخرجه الطبري:٢١٠/١٩.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٧٣):ص٢٦٢٩-٢٦٣٠.

(٩)أخرجه أحمد (٢٤٢/٥، رقم ٢٢١٤٩) ، والبخارى (٢٢٢٤/٥، رقم ٥٦٢٢) ، ومسلم (٥٨/١، رقم ٣٠) ، والترمذى (٢٦/٥، رقم ٢٦٤٣) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (١٤٣٥/٢، رقم ٤٢٩٦) ، وابن حبان (٨٢/٢، رقم ٣٦٢) . وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٥٥/٦، رقم ١٠٠١٤).

(١٠) التفسير الميسر:٣٥٧.

(١١) تفسير يحيى بن سلام:٤٥٩/١.

عن مجاهد :"{فأولئك هم الفاسقون}: العاصون"[1].

واختلف أهل العلم في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله:{وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور : ٥٥]، على قولين:

أحدهما: أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله. قاله أبو العالية[2]، ومقاتل بن حيان[3].

قال مقاتل بن حيان:" بلغنا والله أعلم أنه يعنى بمن كفر يقول: من كفر هذه النعمة التي ذكرها وفعلها بهم فأنعم بها عليهم فأولئك هم الفاسقون"[4].

قال الزمخشري:" يريد كفران النعمة: كقوله {فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ} [النحل : ١١٢]، {فأولئك هم الفاسقون}، أى: هم الكاملون في فسقهم. حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها"[5].

الثاني: أنه كفر بعد الإيمان. وهذا قول حذيفة[6].

قال أبو الشعثاء: "قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة، فقال حذيفة: ذهب النفاق فلا نفاق، وإنما هو الكفر بعد الإيمان، فقال عبد الله: تعلم ما تقول؟ قال: فتلا هذه الآية {إنما كان قول المؤمنين} ... حتى بلغ: {فأولئك هم الفاسقون}، قال: فضحك عبد الله، قال: فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام، فقلت: من أي شيء ضحك عبد الله؟ قال: لا أدري، إن الرجل ربما ضحك من الشيء الذي يعجبه، وربما ضحك من الشيء الذي لا يعجبه، فمن أي شيء ضحك؟ لا أدري"[7].

قال الطبري:" والذي قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية، وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية، أنه منعم به عليهم، ثم قال عقيب ذلك: فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك {فأولئك هم الفاسقون}"[8].

قال الزمخشري:" فإن قلت: هل في هذه الآية دليل على أمر الخلفاء الراشدين؟

قلت: أوضح دليل وأبينه ،لأن المستخلفين الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم هم"[9].

فوائد الآيات:[٥٣-٥٥]:

١- مشروعية الإقسام بالله تعالى وحرمة الحلف بغيره تعالى.

٢- عدم الثقة في المنافقين لخلوهم من موجب الصدق في القول والعمل وهو الإيمان.

٣- طاعة رسول الله موجبة للهداية لما فيه من سعادة الدارين ومعصيته موجبة للضلال والخسران.

٤- صدق وعد الله تعالى لأهل الإيمان وصالح الأعمال من أصحاب رسول الله.

٥- وجوب الشكر على النعم بعبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات.

٦- الوعيد الشديد لمن أنعم الله عليه بنعمة أمن ورخاء وسيادة وكرامة فكفر تلك النعم ولم يشكرها فعرضها للزوال.

القرآن

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٥٦)} [النور : ٥٦]

التفسير:

وأقيموا الصلاة تامة، وآتوا الزكاة لمستحقيها، وأطيعوا الرسول ﷺ؛ رجاء أن يرحمكم الله.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٧٩):ص٢٦٣١/٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١٩.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧٧٨):ص٢٦٣٠/٨-٢٦٣١.
(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٧٨):ص٢٦٣٠/٨-٢٦٣١.
(٥) الكشاف:٢٥٢/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٠٩/١٩-٢١٠.
(٧) أخرجه الطبري:٢٠٩/١٩-٢١٠.
(٨) تفسير الطبري:ذ٢١٠/٩.
(٩) الكشاف:٢٥٢/٣.

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [النور : ٥٦]، أي:" وأقيموا أيها المؤمنون الصلاة تامة، وآتوا الزكاة لمستحقيها"(١).

قال الطبري: يقول:" {وأقيموا} أيها الناس {الصلاة} بحدودها، فلا تضيعوها، {وآتوا الزكاة} التي فرضها الله عليكم أهلها"(٢).

قال يحيى:" الصلوات الخمس، وإقامتها أن تحافظ على وضوئها، ومواقيتها، وركوعها، وسجودها، {وآتوا الزكاة}، يعني: الزكاة المفروضة"(٣).

قال السعدي:" يأمر تعالى بإقامة الصلاة، بأركانها وشروطها وآدابها، ظاهرا وباطنا، وبإيتاء الزكاة من الأموال التي استخلف الله عليها العباد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهم، ممن ذكرهم الله لمصرف الزكاة، فهذان أكبر الطاعات وأجلهما، جامعتان لحقه وحق خلقه، للإخلاص للمعبود، وللإحسان إلى العبيد"(٤).

قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [النور : ٥٦]، أي:" أطيعوا الرسول في سائر ما أمركم به رجاء أن يرحمكم الله"(٥).

قال الطبري: يقول:" وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم، كي يرحمكم ربكم، فينجيكم من عذابه"(٦).

قال يحيى:" لكي ترحموا، فإنكم إذا فعلتم ذلك رحمتم"(٧).

قال السمعاني:" أي: افعلوا ما تفعلوا على رجاء الرحمة"(٨).

قال السعدي:" ثم عطف على[الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة] الأمر العام، فقال: {وأطيعوا الرسول} وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه {من يطع الرسول فقد أطاع الله} {لعلكم} حين تقومون بذلك {ترحمون}، فمن أراد الرحمة، فهذا طريقها، ومن رجاها من دون إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الرسول، فهو متمن كاذب، وقد منته نفسه الأماني الكاذبة"(٩).

قال عطاء:" طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"(١٠).

عن سعيد بن جبير، قوله: "{لعلكم}، يعني: لكي"(١١).

قال الزمخشري:" كررت طاعة الرسول: تأكيدا لوجوبها"(١٢).

القرآن

{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٥٧)} [النور : ٥٧]

التفسير:

لا تظننَّ الذين كفروا معجزين الله في الأرض، بل هو قادر على إهلاكهم، ومرجعهم في الآخرة إلى النار، وقبُح هذا المرجع والمصير.

---

(١) صفوة التفاسير:٣١٩/٢، والتفسير الميسر:٣٥٧.
(٢) تفسير الطبري:٢١٠/١٩.
(٣) تفسير يحيى لن سلام:٤٥٩/١.
(٤) تفسير السعدي:٥٧٣.
(٥) صفوة التفاسير:٣١٩/٢، والتفسير الميسر:٣٥٧.
(٦) تفسير الطبري:٢١٠/١٩.
(٧) تفسير يحيى لن سلام:٤٥٩/١.
(٨) تفسير السمعاني:٥٤٦/٣.
(٩) تفسير السعدي:٥٧٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٨٠):ص٢٦٣١/٨.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٨١):ص٢٦٣١/٨.
(١٢) الكشاف:٢٥٢/٣.

قوله تعالى:{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ} [النور : ٥٧]، أي:" لا تظننَّ يا محمد الكافرين الذين عاندوك وكذبوك معجزين لله في هذه الحياة بل الله قادرٌ عليهم في كل حين"(١).

قال النسفي:" أى: فائنين الله بأن لا يقدر عليهم فيها"(٢).

قال الطبري: يقول:" لا تحسبن يا محمد، الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض إذا أراد إهلاكهم"(٣).

قال السعدي:أي:" فلا يغررك ما متعوا به في الحياة الدنيا، فإن الله، وإن أمهلهم فإنه لا يهملهم : {نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤]"(٤).

قال ابن إسحاق: "{لا تحسبن}، أي: لا تظنن"(٥).

عن ابن عباس، قوله: "{معجزين}، قال: سابقين"(٦).

قال عكرمة، قوله:" {لا تحسبن الذين كفروا معاجزين}، يقول: مغالبين، وإذا قرأت: «معجزين»، يقول: مبطئين"(٧).

قال الصابوني:" تسليةٌ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووعدٌ له بالنُّصرة"(٨).

وقرئ: «لا يحسبن»، بالياء. وفيه وجهان(٩):

أحدها: أن يكون «معجزين في الأرض» هما المفعولان.

قال الزمخشري:"والمعنى: لا يحسبن الذين كفروا أحدا يعجز الله في الأرض حتى يطمعوا هم في مثل ذلك. وهذا معنى قوى جيد"(١٠).

الثاني: وأن يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله: {وأطيعوا الرسول} وأن يكون الأصل: لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين.

قوله تعالى:{وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [النور : ٥٧]، أي:" ومرجعهم في الآخرة إلى النار، وقبُح هذا المرجع والمصير"(١١).

قال الطبري: يقول:" {ومأواهم} بعد هلاكهم {النار ولبئس المصير} الذي يصيرون إليه ذلك المأوى"(١٢).

قال السعدي:أي:" أي: بئس المآل، مآل الكافرين، مآل الشر والحسرة والعقوبة الأبدية"(١٣).

قال محمد بن إسحاق:" أي: فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بي واتبعتم أمري"(١٤).

قال الزمخشري:" عطف قوله: {ومأواهم النار} على {لا يحسبن الذين كفروا معجزين}، كأنه قيل: الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار. والمراد بهم: المقسمون جهد أيمانهم"(١٥).

---

(١) صفوة لتفاسير:٣١٩/٢.
(٢) تفسير النسفي:٥١٧/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢١٠/١٩.
(٤) تفسير السعدي:٥٧٣.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٨٢):ص٢٦٣١/٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٨٣):ص٢٦٣١/٨.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٨٤):ص٢٦٣١/٨.
(٨) صفوة لتفاسير:٣١٩/٢.
(٩) الكشاف:٢٥٢/٣.
(١٠) الكشاف:٢٥٢/٣.
(١١) التفسير الميسر:٣٥٧.
(١٢) تفسير الطبري:٢١٠/١٩-٢١١.
(١٣) تفسير السعدي:٥٧٣.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٨٥):ص٢٦٣١/٨.
(١٥) الكشاف:٢٥٢/٣.

فوائد الآيتين:[٥٦-٥٧]:
١- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للحصول على رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة في الدنيا بالنصر والتمكين والأمن والسيادة وفي الآخرة بدخول الجنة.
٢- تقرير عجز الكافرين وأنهم لن يفوتوا الله تعالى مهما كانت، قوتهم وسينزل بهم نقمته ويحل عليهم عذابه.
٣- بيان مصير أهل الكفر وأنه النار والعياذ بالله تعالى.
القرآن
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨)} [النور : ٥٨]
التفسير:
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه مُروا عبيدكم وإماءكم، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة، ووقت خلع الثياب للقيلولة في الظهيرة، ومن بعد صلاة العشاء؛ لأنه وقت للنوم، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم، يقل فيها التستر، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن؛ لحاجتهم في الدخول عليكم، فهم طوافون عليكم للخدمة، ولأن العادة جرت بتردد بعضكم إلى بعض فيها لقضاء المصالح. كما بيَّن الله لكم أحكام الاستئذان يبيِّن لكم آياته وأحكامه وحججه وشرائع دينه. والله عليم بما يصلح خلقه، حكيم في تدبيره أمورهم.
في سبب نزول الآية قولان:
أحدهما: قال ابن عباس: "وجه رسول الله - ﷺ - غلاما من الأنصار يقال له مدلج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وقت الظهيرة ليدعوه، فدخل فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك، فقال: يا رسول الله وددت لو أن الله تعالى أمرنا ونهانا في حال الاستئذان، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[(١)].
الثاني: قال مقاتل بن حيان:" بلغنا والله أعلم أن رجلا من الأنصار وامرأته أسماء بنت مرشدة صنعا للنبي ﷺ طعاما فجعل الناس يدخلون بغير إذن، فقالت أسماء: يا رسول الله ما أقبح هذا! إنه ليدخل على المرأة وزوجها في ثوب واحد غلامهما بغير إذن. فأنزل الله في ذلك:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينُ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ}، في العبيد والإماء"[(٢)].
وقال مقاتل: " نزلت في أسماء بنت أبي مرشد، قالت: إنه ليدخل على الرجل والمرأة ولعلهما أن يكونا في لحاف واحد لا علم لهما، فنزلت هذه"[(٣)].
قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [النور : ٥٨]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[(٤)].
قال ابن عباس: "ما أنزل الله آية في القرآن، يقول فيها: {يا أيها الذين آمنوا}، إلا كان على شريفها وأميرها"[(٥)].

---
(١) أسباب النزول للواحدي:٣٢٩، أسنده ابن منده (الإصابة: ٣٩٥/٣) من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما به، وهو حديث باطل إسناده مظلم.
(٢) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٩٥):ص٢٦٣٣/٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٠٧/٣.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٧.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٥):ص١٩٦/١.

قال ابن مسعود:" إذا سمعت الله يقول: يا أيها الذين آمنوا فأرعها سمعك فإنه خير يأمره أو شر ينهى عنه"[١].

قوله تعالى:{لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النور : ٥٨]، أي:" ليستأذنكم في الدخول عليكم العبيدُ والإماء الذين تملكونهم ملك اليمين"[٢].

قال سعيد بن جبير:" يعني: في بيوتكم"[٣].

وفي قوله تعالى:{لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} [النور : ٥٨]، قولان:

أحدهما : أنهم النساء يستأذنَّ في هذه الأوقات خاصة ويستأذن الرجال في جميع الأوقات ، قاله ابن عمر[٤].

الثاني : أنهم العبيد والإماء. وهذا قول أبو عبدالرحمن السلمي[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، ومقاتل بن حيان[٧]، والفراء[٨]، وابن قتيبة[٩].

قال أبو عبدالرحمن السلمي:" هي في الرجال والنساء، يستأذنون على كل حال، بالليل والنهار"[١٠].

قال يحيى:" هم المملكون، الرجال والنساء الذين يخدمون الرجل في بيته ومن كان من الأطفال من المملوكين"[١١].

قال الطبري:" وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: عني به الذكور والإناث؛ لأن الله عم بقوله: {الذين ملكت أيمانكم} جميع أملاك أيماننا، ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل"[١٢].

قال القاضي أبو يعلى: "والأظهر أن يكون المراد: العبيد الصغار والإماء الصغار، لأن العبد البالغ بمنزلة الحر البالغ في تحريم النظر إلى مولاته، فكيف يضاف إلى الصبيان الذين هم غير مكلفين؟!"[١٣].

قال السدي:" كان أناس من أصحاب رسول الله ﷺ يعجبهم أن يواقعوا نساءهم في هذه الساعات، ليغتسلوا ثم يخرجوا إلى الصلاة، فأمرهم الله أن يأمروا المملوكين والغلمان أن لا يدخلوا عليهم في تلك الساعات إلا بإذن"[١٤].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ} [النور : ٥٨]، أي:"والأطفال الذين لم يبلغوا مبلغ الرجال الأحرار ليستأذنوا أيضاً"[١٥].

قال مجاهد:" لم يحتلموا من أحراركم"[١٦].

قال يحيى:" يعني: الأطفال الذين يحسنون الوصف إذا رأوا شيئا"[١٧].

---

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٠٣٧):ص١٩٦/١.
(٢) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٨٦):ص٢٦٣٢/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢١١/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢١١/١٩.
(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٧٩٤):ص٢٦٣٣/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٧٩٥):ص٢٦٣٣/٨.
(٨) انظر: معاني القرآن:٢٦٠/٢.
(٩) انظر: غريب القرآن:٣٠٦.
(١٠) أخرجه الطبري:٢١١/١٩.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٤٦٠/١.
(١٢) تفسير الطبري:٢١١/١٩.
(١٣) نقلا عن زاد المسير:٣٠٥/٣.
(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٧٩٦):ص٢٦٣٣/٨-٢٦٣٤.
(١٥) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(١٦) أخرجه الطبري:٢١٢/١٩.
(١٧) تفسير يحيى بن سلام:٤٦٠/١.

قال عطاء بن ابي رباح:" فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن"[١].
قوله تعالى:{ثَلَاثَ مَرَّاتٍ} [النور : ٥٨]، أي:" في ثلاثة أوقات"[٢].
قال الطبري:" يعني: ثلاث مرات في ثلاثة أوقات، من ساعات ليلكم ونهاركم"[٣].
قوله تعالى:{مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ} [النور : ٥٨]، أي:" في الليل وقت نومك وخلودكم إلى الراحة"[٤].
قال الزمخشري:" لأنه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب ولبس ثياب اليقظة"[٥].
قوله تعالى:{وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ} [النور : ٥٨]، أي:" ووقت الظهر حين تخلعون ثيابكم للقيلولة"[٦].
قال الزمخشري:أي:"وبالظهيرة، لأنها وقت وضع الثياب للقائلة"[٧].
قوله تعالى:{وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ} [النور : ٥٨]، أي:" ووقت إرادتكم النوم واستعدادكم له"[٨].
قال الفراء:أي:" عند النوم"[٩].
قال الزجاج:" يعنى به: العتمة عشاء الآخرة"[١٠].
قال الزمخشري:" لأنه وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم"[١١].
قال ابن عباس:" يقول: إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء، فلا يدخل عليه خادم ولا صبي إلا بإذن حتى يصلي الغداة، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك"[١٢].
قال الماوردي:" وإنما خص هذه الأوقات الثلاثة لأنها أوقات خلوات الرجل مع أهله ولأنه ربما بدا فيها عند خلوته ما يكره أن يرى من جسده"[١٣].
قوله تعالى:{ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ} [النور : ٥٨]، أي:" هي ثلاثة أوقات يختل فيها تستركم، العوراتُ فيها بادية والتكشف فيها غالب، فعلِّموا عبيدكم وخدمكم وصبيانكم ألاّ يدخلوا عليكم في هذه الأوقات إلا بعد الاستئذان"[١٤].
قال الماوردي:" يعني: هذه الساعات الثلاث هي أوقات العورات فصارت من عورات الزمان فجرت مجرى عورات الأبدان فلذلك خصت بالإذن"[١٥].
قال الزمخشري:" وسمى كل واحدة من هذه الأحوال عورة، لأن الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها. والعورة: الخلل. ومنها: أعور الفارس[١٦]، وأعور المكان، والأعور: المختل العين"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري:٢١٢/١٩.
(٢) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٣) تفسير الطبري:٢١٢/١٩.
(٤) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٥) الكشاف:٢٥٣/٣.
(٦) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٧) الكشاف:٢٥٣/٣.
(٨) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٩) معاني القرآن:٢٦٠/٢.
(١٠) معاني القرآن:٥٢/٤.
(١١) الكشاف:٢٥٣/٣.
(١٢) أخرجه الطبري:٢١٢/١٩.
(١٣) النكت والعيون:١٢٠/٤.
(١٤) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(١٥) النكت والعيون:١٢٠/٤.
(١٦)في الصحاح: أعور الفارس، إذا بدا فيه موضع خلل للضرب.
(١٧) الكشاف:٢٥٣/٣.

عن ابن جريج، عن صالح بن كيسان ويعقوب بن عتبة وإسماعيل بن محمد، قالوا: "لا استئذان على خدم الرجل عليه إلا في العورات الثلاث"(١).

عن حنظلة، أنه سمع القاسم بن محمد يسأل عن الإذن، فقال: "يستأذن عند كل عورة، ثم هو طواف، يعني الرجل على أمه"(٢).

وقال الحسن:" إذا أبات الرجل خادمه معه فهو إذنه، وإن لم يبته معه استأذن في هذه الساعات"(٣).

وقرأ عاصم، والأعمش:« ثَلَاث»، بالنصب(٤).

قال الفراء: والرفع في العربية أحب إلي. وكذلك أقرأ"(٥).

قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} [النور : ٥٨]، أي:" ليس عليكم ولا على المماليك والصبيان حرجٌ في الدخول عليكم بغير استئذان بعد هذه الأوقات الثلاثة"(٦).

قال الزجاج:" أي: ليس عليكم جناح ولا عليهم في أن لا يستأذنوا بعد أن يمضي كل وقت من هذه"(٧).

قال الطبري: يقول:" {ليس عليكم} معشر أرباب البيوت والمساكن، ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء، والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار، حرج ولا إثم بعدهن، يعني بعد العورات الثلاث"(٨).

قال ابن عباس:" ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير إذن، يعني فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء، أنه رخص لخادم الرجل والصبي أن يدخل عليه منزله بغير إذن، قال: وهو قوله: {ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن}، فأما من بلغ الحلم فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال"(٩).

قوله تعالى:{طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} [النور : ٥٨]، أي:" لأنهم خدمكم يطوفون عليكم للخدمة وغير ذلك"(١٠).

قال الطبري:" يقول: هؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس، ويعني بالطوافين: أنهم يدخلون ويخرجون على مواليهم وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير إذن يطوفون عليهم، بعضكم على بعض في غير الأوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن"(١١).

قال السمعاني:" أي: هؤلاء الخدم والولائد طوافون عليكم، يطوفون عليكم ليخدموكم، ومن هذا قوله في الهرة:«إنها من الطوافين عليكم والطوافات»(١٢)، {بعضكم على بعض}، أي: يطوف بعضكم على بعض "(١٣).

قال الزمخشري:" عذرهم في ترك الاستئذان وراء هذه المرات، وبين وجه العذر في قوله :{طوافون عليكم}، يعنى: أن بكم وبهم حاجة إلى المخالطة والمداخلة: يطوفون عليكم

---

(١) أخرجه الطبري:٢١٢/١٩.
(٢) اخرجه الطبري:٢١٣/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٢١٣/١٩.
(٤) انظر: معاني القرآن:٢٦٠/٢.
(٥) معاني القرآن:٢٦٠/٢.
(٦) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٧) معاني القرآن:٥٢/٤.
(٨) تفسير الطبري:٢١٤/١٩.
(٩) أخرجه الطبري:٢١٤/١٩.
(١٠) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(١١) تفسير الطبري:٢١٤/١٩.
(١٢) مسند احمد(٢٢٦٣٦):ص٣١٦/٣٧.
(١٣) تفسير السمعاني:٥٤٧/٣.

للخدمة، وتطوفون عليهم للاستخدام، فلو جزم الأمر بالاستئذان في كل وقت، لأدى إلى الحرج"[١].

روي عن عبيد الله بن أبي يزيد قال:" دخلت على ابن عباس فأراني وصيفة له خماسية، -وقال نصر: نحو الخماسية أو أصغر-. فقال: ما تدخل علي هذه في هذه الثلاث الساعات إلا بإذن"[٢].

قال الحسن بن دينار: "قال رجل للحسن: إنا قوم تجار نسافر ونشتري الجواري فننزل في الخباء، فنكون جميعا، أفيغشى الرجل منا جارية من جواريه في الخباء وهن فيه فغضب وقال: لا"[٣].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} [النور : ٥٨]، أي:" مثل ذلك التوضيح والبيان يبيّن الله لكم الأحكام الشرعية لتتأدبوا بها"[٤].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية، كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه"[٥].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور : ٥٨]، أي:" عالمٌ بأمور خلقه، حكيمٌ في تدبيره لهم"[٦].

قال الطبري:" يقول: والله ذو علم بما يصلح عباده، حكيم في تدبيره إياهم، وغير ذلك من أموره"[٧].

وفي حكم هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله:{وَإِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا} [النور: ٥٩]. قاله ابن المسيب[٨].

قال ابن الجوزي:" وهذا ليس بشيء، لأن معنى الآية: {وَإِذا بَلَغَ الْأَطْفالُ مِنْكُمُ} أي: من الأحرار الحلم فليستأذنوا، أي: في جميع الأوقات في الدخول عليكم {كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}، يعني: كما استأذن الأحرار الكبار الذين بلغوا قبلهم، فالبالغ يستأذن في كل وقت، والطفل والمملوك يستأذن في العورات الثلاث"[٩].

الثاني: أنها محكمة. حكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[١٠].

عن ابن عباس، "أن رجلين سألاه، عن الاستئذان في الثلاث عورات التي أمر الله بها في القرآن، فقال لهم ابن عباس: إن الله ستير يحب الستر، كان الناس ليس لهم ستور على أبوابهم ولا حجال في بيوتهم فربما فاجأ الرجل خادمه أو ولده أو يتيمه في حجره وهو على أهله، فأمرهم الله أن يستأذنوا في تلك العورات التي سمى الله، ثم جاء الله عز وجل بعد بالستور فبسط عليهم في الرزق فاتخذوا الستور واتخذوا الحجال، فرأى الناس أن ذلك قد كفاهم من الاستئذان الذي أمروا به"[١١].

قال ابن عباس:" ترك الناس ثلاث آيات فلم يعملوا بها: {يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم}.. إلى آخر الآية. والآية التي في سورة النساء:

---

(١) الكشاف:٢٥٣/٣.
(٢) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٦٠/١.
(٣) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٦٠/١.
(٤) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٥) تفسير الطبري:٢١٤/١٩.
(٦) صفوة التفاسير:٣١٩/٢.
(٧) تفسير الطبري:٢١٤/١٩.
(٨) أخرجه عنه ابن الجوزي في نواسخ القران:١٧٦.
(٩) نواسخ القرآن:١٧٦.
(١٠) انظر: نواسخ القرآن:١٧٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٨٧):ص٢٦٣٢/٨.

{وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فأرزقوهم منه}، والآية التي في الحجرات: {إن أكرمكم عند الله أتقاكم}"[١].

عن موسى بن أبي عائشة قال: "سألت الشعبي، عن قوله: ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم قال: لم تنسخ فقلت: فإن الناس لا يعملون بها، فقال: الله المستعان"[٢].

قال سعيد بن جبير:" إن ناسا يقولون نسخت، ولكنها مما يتهاون الناس به"[٣].

وقال سعيد:" لا يعمل بها اليوم"[٤].

القرآن

{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)} [النور : ٥٩]

التفسير:

وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار، وكما يبيِّن الله آداب الاستئذان يبيِّن الله تعالى لكم آياته. والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه.

قوله تعالى:{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ} [النور : ٥٩]، أي:" وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية"[٥].

قال يحيى:" يعني من احتلم"[٦].

قال الزمخشري:" أى: من الأحرار دون المماليك"[٧].

قوله تعالى:{فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [النور : ٥٩]، أي:" فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار"[٨].

قال الزمخشري:" {الذين من قبلهم}، يريد: الذين بلغوا الحلم من قبلهم، وهم الرجال. أو الذين ذكروا من قبلهم في قوله: {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا}، الآية، والمعنى: أن الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثم خرجوا عن حد الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ، وجب أن يفطموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن: وهذا مما الناس منه في غفلة، وهو عندهم كالشريعة المنسوخة"[٩].

واختلف في السن التي يحكم فيها بالبلوغ؟

فقال أبو حنيفة: ثماني عشرة سنة في الغلام. وسبع عشرة في الجارية.

قال الزمخشري:" وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما"[١٠].

وعن علي رضى الله عنه أنه كان يعتبر القامة ويقدره بخمسة أشبار، فإذا بلغ الغلام خمسة أشبار فقد وقعت عليه الحدود ويقتص له ويقتص منه [١١]

وهذا المذهب أخذ به الفرزدق في قوله[١]:

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٨٩):ص٢٦٣٢/٨.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٩٠):ص٢٦٣٣/٨.
(٣) اخرجه الطبري:٢١٣/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٢١٣/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٦) تفسير يحيى بن سلام:٤٦٠/١.
(٧) الكشاف:٢٥٣/٣.
(٨) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٩) الكشاف:٢٥٣/٣.
(١٠) الكشاف:٢٥٣/٣.
(١١) نقلا عن: الكشاف:٢٥٣/٣، ومفاتيح الغيب:٤١٧/٢٤

ما زالَ مُذْ عَقَدَتْ يداهُ إِزَارَهُ ... فَسَما فأَدْرَكَ خَمْسَةَ الأَشْبَار
وعن ابن سيرين عن أنس، قال:" أتي أبو بكر بغلام قد سرق فأمر به فشبر فنقص أنملة فخلى عنه"[٢].
قال الفخر:" وأكثر الفقهاء لا يقولون بهذا المذهب، لأن الإنسان قد يكون دون البلوغ ويكون طويلا، وفوق البلوغ ويكون قصيرا فلا عبرة به"[٣].
واعتبر آخرون الإنبات. وعن عثمان رضى الله عنه. أنه سئل عن غلام، فقال: هل اخضر إزاره؟[٤].
قال الشربيني:" أي: نبت شعر عانته؟ فأسند الاخضرار إلى الإزار على المجاز، ولأنه مما اشتمل عليه الإزار، ونبات العانة الخشن عندنا علامة على بلوغ ولد الكافر فقط أما إذا رأى المني في وقت إمكانه وهو استكمال تسع سنين قمرية فإنا نحكم ببلوغه سواء كان ذكراً أم أنثى مسلماً أم كافرا"[٥]
قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ} [النور : ٥٩]، أي:" وكما يبيِّن الله آداب الاستئذان يبيِّن الله تعالى لكم آياته"[٦].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور : ٥٩]، أي:" والله عليم بما يصلح عباده، حكيم في تشريعه"[٧].
قال يحيى:" {عليم} بخلقه. {حكيم} في أمره"[٨].

القرآن
{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٦٠)} [النور : ٦٠]
التفسير:
والعجائز من النساء اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة لكبرهن، فلا يطمعن في الرجال للزواج، ولا يطمع فيهن الرجال كذلك، فهؤلاء لا حرج عليهن أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء الذي يكون فوق الثياب غير مظهرات ولا متعرضات للزينة، ولُبْسهن هذه الثياب -سترًا وتعففًا- أحسن لهن. والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم.
قوله تعالى:{وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا} [النور : ٦٠]، أي:" والعجائز من النساء اللاتي قعدن عن الاستمتاع والشهوة لكبرهن، فلا يطمعن في الرجال للزواج، ولا يطمع فيهن الرجال كذلك"[٩].
قال الطبري: يقول:" واللواتي قد قعدن عن الولد من الكبر من النساء، فلا يحضن ولا يلدن، واللاتي قد يئسن من البعولة، فلا يطمعن في الأزواج"[١٠].
قال الزمخشري:" القاعد: التي قعدت عن الحيض والولد لكبرها، {لا يرجون نكاحا}، لا يطمعن فيه"[١١].
قال ابن جريج، قوله: "{والقواعد من النساء}، التي قعدت من الولد وكبرت"[١].

---

(١)في اللسان (مادة: خمس).
(٢) نقلا عن مفاتيح الغيب:٤١٧/٢٤.
(٣) مفاتيح الغيب:٤١٧/٢٤.
(٤) انظر: الكشاف:٢٥٥/٣.
(٥)السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير:٦٣٩/٢.
(٦) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٨) تفسير يحيى بن سلام:٤٦١/١.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٨.
(١٠) تفسير الطبري:٢١٦/١٩.
(١١) الكشاف:٢٥٥/٣.

قال مجاهد: "{اللاتي لا يرجون نكاحا}: لا يردنه"(٢).
قال يحيى:" {وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ}، قد قعدت من المحيض والولد، {لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا} قد كبرن عن ذلك"(٣).
قوله تعالى:{فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} [النور : ٦٠]، أي:" فهؤلاء لا حرج عليهن أن يضعن بعض ثيابهن كالرداء الذي يكون فوق الثياب غير مظهرات ولا متعرضات للزينة"(٤).
قال الطبري: " يقول: فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن، يعني جلابيبهن، وهي القناع الذي يكون فوق الخمار، والرداء الذي يكون فوق الثياب، لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال، وغير المحارم من الغرباء غير متبرجات بزينة"(٥).
عن مجاهد: "{فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن}، قال: جلابيبهن"(٦).
قال ابن زيد:"وضع الخمار"(٧).
قال ابن زيد:" التي لا ترجو نكاحا، التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة. ولا للرجال فيها حاجة، فإذا بلغن ذلك وضعن الخمار. غير متبرجات بزينة"(٨).
قال ابن عباس:" هي المرأة لا جناح عليها أن تجلس في بيتها بدرع وخمار، وتضع عنها الجلباب ما لم تتبرج لما يكره الله"(٩).
عن الضحاك، قوله: "{يضعن ثيابهن} يعني: الجلباب، وهو القناع؛ وهذا للكبيرة التي قد قعدت عن الولد، فلا يضرها أن لا تجلبب فوق الخمار. وأما كل امرأة مسلمة حرة، فعليها إذا بلغت المحيض أن تدني الجلباب على الخمار. وقال الله في سورة الأحزاب: {يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين} [الأحزاب: ٥٩] ، وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزي، حسب المنافقون أنها مزنية وأنها من بغيتهم، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث، ولا يعلمون الحرة من الأمة؛ فأنزل الله في ذلك: {يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين} [الأحزاب: ٥٩] يقول: إذا كان زيهن حسنا لم يطمع فيهن المنافقون"(١٠).
قال الزمخشري:" التبرج: تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه من قولهم: سفينة بارج، لا غطاء عليها. والبرج: سعة العين، يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء، إلا أنه اختص بأن تتكشف المرأة للرجال بإبداء زينتها وإظهار محاسنها"(١١).
قال الماوردي:" التبرج: أن تظهر من زينتها ما يستدعي النظر إليها فإنه في القواعد وغيرهن محظور، وإنما خص القواعد بوضع الجلباب لانصراف النفوس عنهن ما لم يبد شيء من عوراتهن، والشابات المشتهيات يمنعن من وضع الجلباب أو الخمار ويؤمرن بلبس أكثف الجلابيب لئلا تصفهن ثيابهن"(١٢).

---

(١) اخرجه الطبري:٢١٦/١٩.
(٢) اخرجه الطبري:٢١٦/١٩.
(٣) تفسير يحيى بن سلام:٤٦١/١.
(٤) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٥) تفسير الطبري:٢١٦/١٩.
(٦) اخرجه الطبري:٢١٦/١٩.
(٧) اخرجه الطبري:٢١٦/١٩-٢١٧.
(٨) اخرجه الطبري:٢١٦/١٩-٢١٧.
(٩) اخرجه الطبري:٢١٦/١٩.
(١٠) اخرجه الطبري:٢١٦/١٩.
(١١) الكشاف:٢٥٥/٣.
(١٢) النكت والعيون:١٢٢/٤.

روى مجاهد عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "للزوج ما تحت الدرع ، وللإبن والأخ ما فوق الدرع ، ولغير ذي محرم أربعة أثواب: درع وخمار وجلباب وإزار"[١].

وفي قوله تعالى:{فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ} [النور : ٦٠]، وجهان:

أحدهما : جلبابها، وهو الرداء الذي فوق خمارها فتضعه عنها إذا سترها باقي ثيابها قاله ابن مسعود[٢]، وابن عباس[٣]، وابن جبير[٤]، والحسن[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧]، والزهري[٨]، وابن والزهري[٨]، وابن أبي نجيح[٩]، والأوزاعي[١٠]، مقاتل بن حيان[١١].

قال الشعبي:" تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج"[١٢].

قال أبو صالح:" تضع الجلباب وتقوم بين يدي الرجل في الدرع والخمار"[١٣].

وفي قراء أبيّ بن كعب:«أن يضعن من ثيابهن»[١٤].

الثاني : جلبابها وخمارها، قاله ابن عمر[١٥]، وعكرمة[١٦]، وسليمان بن يسار[١٧].

وقال الحسن -في رواية-:" لا جناح على المرأة إذا قعدت، عن النكاح أن تضع الجلباب والمنطق"[١٨].

قال الزمخشري:" المراد بالثياب: الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات بزينة غير مظهرات زينة، يريد: الزينة الخفيفة التي أرادها في قوله: {ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن}، أو غير قاصدات بالوضع التبرج، ولكن التخفف إذا احتجن إليه"[١٩].

قوله تعالى:{وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ} [النور : ٦٠]، أي:" ولُبْسهن هذه الثياب -سترًا وتعففًا- أحسن لهن"[٢٠].

قال الطبري:" يقول: وإن تعففن عن وضع جلابيبهن وأرديتهن، فيلبسنها خير لهن من أن يضعنها"[٢١].

قال ابن كثير:" أي : وترك وضعهن لثيابهن - وإن كان جائزًا - خير وأفضل لهن"[٢٢].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون:١٢٢/٤، والسمعاني في التفسير:٥٤٩/٣، وهو برقم(٤٩٧٧):ص٣٢٦/٣، في الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي.

(٢) انظر: تفسير الطبري:٢١٧/١٩.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٤٣):ص٢٦٤١/٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري:٢١٧/١٩.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٤١/٨. ذكره دون سند.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٢١٨/١٩.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٤١/٨. ذكره دون سند.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٤١/٨. ذكره دون سند.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٢١٨/١٩.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٢٦٤١/٨. ذكره دون سند.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٤١):ص٢٦٤١/٨.

(١٢) اخرجه الطبري:٢١٧/١٩.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٤٢):ص٢٦٤١/٨.

(١٤) اخرجه الطبري:٢١٧/١٩.

(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٤٧):ص٢٦٤١/٨.

(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٤٦):ص٢٦٤١/٨.

(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٤٧):ص٢٦٤١/٨.

(١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٤٨):ص٢٦٤١/٨-٢٦٤٢.

(١٩) الكشاف:٢٥٥/٣.

(٢٠) التفسير الميسر:٣٥٨.

(٢١)تفسير الطبري:٢١٨/١٩ .

(٢٢) تفسير ابن كثير:٨٤/٦.

قال الزمخشري:" الاستعفاف من الوضع خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب، بعثا منه عن اختيار أفضل الأعمال وأحسنها، كقوله {وأن تعفوا أقرب للتقوى}، {وأن تصدقوا خير لكم}"(١).

عن مجاهد، قوله:"{وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ}، قال: أن يلبسن جلابيبهن"(٢).

قال الشعبي:" ترك ذلك، يعني: ترك وضع الثياب"(٣).

قال ابن زيد:" الاستعفاف: لبس الخمار على رأسها، كان أبي يقول هذا كله"(٤).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور : ٦٠]، أي:" والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم وأعمالكم"(٥).

قال الطبري:" {والله سميع} ما تنطقون بألسنتكم {عليم} بما تضمره صدوركم، فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها، أو تضمروا في صدوركم ما قد كرهه لكم، فتستوجبوا بذلك منه عقوبة"(٦).

فوائد الآيات:[٥٨-٦٠]:

١- وجوب تعليم الآباء والسادة والأطفال والخدم الاستئذان عليهم في الأوقات الثلاثة المذكورة والمعبر عنها بالعورات.

٢- وجوب استئذان الأولاد إذا احتلموا الاستئذان على من يريدون الدخول عليه في بيته لأنهم أصبحوا رجالاً مكلفين.

٣- بيان رخصة كشف الوجه لمن بلغت سناً لا تحيض فيها ولا تلد للرجال الأجانب ولو أبقت على سترها واحتجابها لكان خيراً لها كما قال تعالى: {وأن يستعففن خير لهن} .

القرآن

{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١)} [النور : ٦١]

التفسير:

ليس على أصحاب الأعذار من العُمْيان وذوي العرج والمرضى إثم في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدرون على القيام بها، كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض، وليس على أنفسكم -أيها المؤمنون- حرج في أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم، فيدخل فيها بيوت الأولاد، أو من بيوت آبائكم، أو أمهاتكم، أو إخوانكم، أو أخواتكم، أو أعمامكم، أو عماتكم، أو أخوالكم، أو خالاتكم، أو من البيوت التي وُكِّلْتم بحفظها في غيبة أصحابها بإذنهم، أو من بيوت الأصدقاء، ولا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، فإذا دخلتم بيوتًا مسكونة أو غير مسكونة فليسلِّم بعضكم على بعض بتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذا لم يوجد أحد، وهذه التحية شرعها الله، وهي مباركة تُنْمِي المودة والمحبة، طيبة محبوبة للسامع، وبمثل هذا التبيين يبيِّن الله لكم معالم دينه وآياته؛ لتعقلوها، وتعملوا بها.

سبب النزول:

---

(١) الكشاف:٢٥٥/٣.
(٢) أخرجه الطبري:٢١٨/١٩.
(٣) أخرجه الطبري:٢١٨/١٩.
(٤) أخرجه الطبري:٢١٨/١٩.
(٥) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٦) تفسير الطبري:٢١٨/١٩.

أ- سبب نزول قوله تعالى:{ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ...} [النور : ٦١]:
اختلف في سبب نزوله على أقوال:
أحدها: أنها أنزلت ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العميان والعرجان والمرضى وأهل الزمانة من طعامهم، من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم، خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم شيئًا مما نهاهم الله عنه بقوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُم}. وهذا قول ابن عباس[١]، والضحاك[٢].

قال ابن عباس:" لما أنزل الله {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}، فقال المسلمون: إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل، والطعام من أفضل الأموال، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد، فكف الناس عن ذلك، فأنزل الله بعد ذلك: {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ} ... إلى قوله: {أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَه}"[٣].

قال الضحاك:" كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبيّ ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض، فقال بعضهم: إنما كان بهم التقذّر والتقزّز. وقال بعضهم: المريض لا يستوفي الطعام، كما يستوفي الصحيح والأعرج المنحبس، لا يستطيع المزاحمة على الطعام، والأعمى لا يبصر طيب الطعام، فأنزل الله :{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} حرج في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج، فمعنى الكلام على تأويل هؤلاء: ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج أن تأكلوا منه ومعه، ولا في الأعرج حرج، ولا في المريض حرج، ولا في أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم"[٤].

الثاني: أنها نزلت ترخيصا لأهل الزمانة في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية، لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله ﷺ إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم، أو بعض من سمّى الله في هذه الآية، فكان أهل الزمانة يتخوّفون من أن يطعموا ذلك الطعام، لأنه أطعمهم غير ملكه. وهذا قول مجاهد[٥].

قال مجاهد:" كان رجال زمنى- قال ابن عمرو في حديثه: عميان وعرجان. وقال الحارث: عمي عرج- أولوا حاجة، يستتبعهم رجال إلى بيوتهم، فإن لم يجدوا طعاما ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم، ومن عدّد منهم من البيوت، فكره ذلك المستتبعون، فأنزل الله في ذلك {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ}، وأحلّ لهم الطعام حيث وجدوه"[٦].

وفي رواية أخرى عن مجاهد:" كان الرجل يذهب بالأعمى أو الأعرج أو المريض إلى بيت أبيه أو بيت أخيه أو بيت أخته أو بيت عمته أو بيت خالته، فكان الزمنى يتحرجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم"[٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢١٩/١٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢١٩/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٢١٩/١٩، وعزاه في الدر (٥/ ٥٨) لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي.
إسناده صحيح، ويشهد له:
ما أخرجه البزار وابن أبي حاتم وابن مردويه وابن النجار (فتح القدير: ٥٦/٤) عن عائشة رضي الله عنها بمعناه، وصححه الهيثمي (مجمع الزوائد: ٨٣/٧) والسيوطي (لباب النقول: ١٦١) . وهناك مراسيل كثيرة تشهد لهذا.
(٤) اخرجه الطبري:٢١٩/١٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري:٢٢٠/١٩.
(٦) اخرجه الطبري:٢٢٠/١٩.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٦٩):ص٢٦٤٥/٨.

الثالث: أنها نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية أن يأكلوا من بيوت من خلَّفهم في بيوته من الغزاة. وهذا قول عائشة-رضي الله عنها، وعبيدالله بن عبدالله(١)، وابن المسيب(٢).

قالت أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-:" كان المسلمون يرغبون في النفير مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى ضمنائهم ويقولون قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، وكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أذنوا عن غير طيب أنفسهم وإنما نحن أمناء، فأنزل الله عز وجل ليس عليكم جناح {أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ}، إلى قوله: { أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ}"(٣).

قال سعيد بن المسيب:" نزلت في أناس كانوا إذا خرجوا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض وعند أقاربهم، وكانوا يأمرونهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وكانوا يتقون أن يأكلوا منها ويقولون: نخشى أن لا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٤).

عن معمر، قال: "قلت للزهري، في قوله: {لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ} ما بال الأعمى ذكر هاهنا، والأعرج والمريض؟ فقال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم، يقولون: قد أحللنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا، وكانوا يتحرّجون من ذلك، يقولون: لا ندخلها وهم غُيَّب، فأنزلت هذه الآية رخصة لهم"(٥).

الخامس : وقال مقاتل بن حيان:" بلغنا والله أعلم أنه كان حي من الأنصار لا يأكل بعضهم عند بعض، ولا مع المريض من أجل قوله، ولا مع الضرير البصر ولا مع الأعرج، فانطلق رجل غازيا يدعى الحارث بن عمرو، واستخلف مالك بن زيد في أهله وخزائنه، فلما رجع الحارث من غزاته رأى مالكا مجهودا قد أصابه الضر فقال: ما أصابك؟ قال مالك: لم يكن عندي سعة، قال الحارث: أما تركتك في أهلي ومالي؟ قال: بلى ولكن لم يحل لي مالك ولم أكن لآكل مالا لا يحل لي، فأنزل الله عز وجل:{لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ}، الآية إلى قوله: {أَوْ صَدِيقِكُمْ}، يعنى الحارث بن عمرو حين خلف مالكا في أهله وماله ورحله، فجاءت الرخصة من الله والإذن لهم جميعا"(٦).

الرابع: أنها نزلت ترخيصا للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك. وهذا قول سعيد بن جبير(٧)، ومقسم(٨)، و سليمان بن موسى(٩)، والضحاك(١٠).

قال سعيد بن جبير:" قالت الأنصار: ما بالمدينة مال أعز من الطعام. وكانوا يتحرجون الأكل مع الأعرج، يقولون: الصحيح يسبقه إلى المكان ولا يستطيع أن يزاحم، فنزلت: { لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ}، يعنى: وليس على من أكل مع الأعرج حرج"(١١).

---

(١) انظر: تفسير الطبري:٢٢٠/١٩.

(٢) انظر: أخرجه الواحدي في «أسباب النزول» ٣٤٠، من طريق مالك عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلا، ومراسيل سعيد جياد.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٧٥):ص٢٦٤٦/٨.

(٤)مرسل، أخرجه الواحدي في اسباب النزول: ٣٤٠، وعزاه في الدر (٥/ ٥٨) لعبد بن حميد.

(٥) أخرجه الطبري:٢٢٠/١٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٨٨٥):ص٢٦٤٨/٨.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٦٥)، (١٤٨٦٨):ص٢٦٤٤/٨-٢٦٤٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري:٢٢١/١٩.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٦٢):ص٢٦٤٤/٨.

(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٦٠):ص٢٦٤٣/٨-٢٦٤٤.

(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٦٥):ص٢٦٤٤/٨-٢٦٤٥.

قال الضحاك:" كان أهل المدينة قبل أن يبعث النبي ﷺ لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا أعرج ولا مريض، فقال بعضهم: إنما كان بهم التقذر والتقزز، وقال بعضهم: قالوا المريض لا يستوفي الطعام كما يستوفي الصحيح، والأعرج المنحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام والأعمى لا يبصر الطعام"(١).

الخامس: أنها نزلت في الجهاد، أي : أنهم لا إثم عليهم في ترك الجهاد ؛ لضعفهم وعجزهم. وهذا قول عطاء(٢)، وابن زيد(٣).

قال عطاء:" وأما : {لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}، فيقال هذا في الجهاد"(٤).

روي عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد، في قوله: {لَيْسَ عَلَى الأعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} قال: هذا في الجهاد في سبيل الله، وفي قوله: {وَلا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} ... إلى قوله: {أَوْ صَدِيقِكُمْ} قال: هذا شيء قد انقطع، إنما كان هذا في الأوّل، لم يكن لهم أبواب، وكانت الستور مرخاة، فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد، فربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله. قال: وقد ذهب ذلك اليوم، البيوت اليوم فيها أهلها، وإذا خرجوا أغلقوها، فقد ذهب ذلك"(٥).

ب- سبب نزول قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا} [النور : ٦١]:

اختلف في سبب نزوله على أقوال:

أحدها : أنها نزلت في قوم، كانوا لا يأكل أحدهم وحده، ولا يأكل إلا مع غيره، فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده، ومن شاء منهم مع غيره. وهذا قول ابن عباس(٦)، وقتادة(٧)، والضحاك(٨)، وابن جريج(٩).

قال ابن عباس:" كانوا يأنفون ويتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده، حتى يكون معه غيره، فرخص الله لهم، فقال: (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا}"(١٠).

قال قتادة: "نزلت {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا} في حيّ من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده، كان يحمله بعض يوم حتى يجد من يأكله معه. قال: وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة"(١١).

قال ابن جريج:" كانت بنو كنانة يستحي الرجل منهم أن يأكل وحده، حتى نزلت هذه الآية"(١٢).

قال الضحاك:" كانوا لا يأكلون إلا جميعا، ولا يأكلون متفرّقين، وكان ذلك فيهم دينا، فأنزل الله: ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى، وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا"(١٣).

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٦٠):ص٨/٢٦٤٣-٢٦٤٤.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٦٤)، (١٤٨٦٧):ص٨/٢٦٤٤، ٢٦٤٥.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢١.
(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٦٤):ص٨/٢٦٤٤.
(٥) أخرجه الطبري:١٩/٢٢١.
(٦) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢٣-٢٢٤.
(٧) انظر: تتفسير الطبري:١٩/٢٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري:١٩/٢٢٣-٢٢٤.
(١١) أخرجه الطبري:١٩/٢٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري:١٩/٢٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري:١٩/٢٢٤.

قال السمعاني:" من المعروف في التفسير: أن الآية نزلت في بني بكر من كنانة، وكان لا يأكل أحد منهم وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه، وإذا لم يجد وأجهده الجوع نصب خشبة ولف عليها ثوبا وأكل عندها؛ ليظن الناس أنه إنسان يأكل معه، وروي أن واحدا منهم نزل بلقاحه واديا، فجاع فحلب لقحة منها، ونادى في الوادي: من كان ها هنا فليحضر ليأكل، وكان في الوادي رجل فاختفى ولم يجب، وأجهده الجوع، فجلس يأكل وحده، فخرج الرجل، وقال له: يا رضيع، أتأكل وحدك، فأخذ الرجل سيفه وعدى عليه وقتله مخافة أن ينشر في الناس ذلك الفعل منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأباح للقوم أن يأكلوا منفردين وجماعة"[١].

الثاني: كان الغنيّ يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه، فيدعوه إلى طعامه ليأكل معه، فيقول: والله إني لأجنح أن آكل معك، والجنح: الحرج وأنا غنيّ وأنت فقير،، فأمروا أن يأكلوا جميعا أو أشتاتا. وهذا قول ابن عباس[٢].

الثالث : أنها نزلت في قوم من العرب كان الرجل منهم إذا نزل به ضيف تحرج أن يتركه يأكل وحده حتى يأكل معه، فنزل ذلك فيهم ، قال أبو صالح[٣]، وعكرمة[٤].

وقال السدي:" كان الرجل يدخل بيت أبيه أو أخته أو ابنه فتتحفه المرأة بشيء من الطعام فلا يأكل من أجل رب البيت ليس ثم، فقال الله: ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا"[٥].

الرابع: أنها نزلت في قوم كانوا يتحرجون أن يأكلوا جميعاً ويعتقدون أنه ذنب ويأكل كل واحد منهم منفرداً ، فنزل ذلك فيهم ، حكاه النقاش[٦].

الخامس : أنها نزلت في قوم مسافرين اشتركوا في أزوادهم فكان إذا تأخر أحدهم أمسك الباقون عن الأكل حتى يحضر، فنزل ذلك فيهم ترخيصاً للأكل جماعة وفرادى. حكاه الماوردي[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله وضع الحرج عن المسلمين أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا، أو أشتاتا متفرّقين إذا أرادوا، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوّف من الأغنياء الأكل مع الفقير، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحدانا، وبسبب غير ذلك، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه، والصواب التسليم لما دلّ عليه ظاهر التنزيل، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل"[٨].

قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ} [النور : ٦١]، أي:" ليس على أصحاب الأعذار من العُمْيان وذوي العرج والمرضى إثم في ترك الأمور الواجبة التي لا يقدرون على القيام بها، كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى أو سلامة الأعرج أو صحة المريض"[٩].

اختلف أهل التفسير في المعنى الذي رفع من أجله الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض هاهنا، على قولين:

---

(١) تفسير السمعاني:٥٥٢/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢٣/١٩.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٩.
(٤) انظر: تفسير الطبري:٢٢٤/١٩.
(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٤٨٧٢):ص٢٦٤٦/٨.
(٦) انظر: النكت والعيون:١٢٥/٤.
(٧) انظر: النكت والعيون:١٢٥/٤.
(٨) تفسير الطبري:٢٢٤/١٩.
(٩) التفسير الميسر:٣٥٨.

أحدهما: أن المعنى: ليس عليهم حرج في القعود عن الغزو، لضعفهم وعجزهم. وهذا قول عطاء[١]، وابن زيد[٢]، وبه قال القاسمي[٣].

قال السعدي:" أي: ليس على هؤلاء جناح، في ترك الأمور الواجبة، التي تتوقف على واحد منها، وذلك كالجهاد ونحوه، مما يتوقف على بصر الأعمى، أو سلامة الأعرج، أو صحة للمريض، ولهذا المعنى العام الذي ذكرناه، أطلق الكلام في ذلك، ولم يقيد"[٤].

الثاني: أن المراد: نفي الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيوت أقاربهم، أو بيوت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو[٥].

قال النحاس: " وهذا القول من أجل ما روي في الآية لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف أن الآية نزلت في شيء بعينه، فيكون التقدير على هذا: ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ولا عليكم أن تأكلوا، ويكون هذا بعد الإذن"[٦].

قال مكي:" هذه الآية نزلت ترخيصاً للمسلمين أن يأكلوا مع العميان والعرج والمرضى، وأن يأكلوا في بيوت غيرهم"[٧].

قال الواحدي:" معنى الآية: نفي الحرج عن الزمنى في أكلهم من بيت أقاربهم، أو بيت من يدفع إليهم المفتاح إذا خرج للغزو"[٨].

قال الزمخشري:" كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوى العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم وإلى بيوت قراباتهم وأصدقائهم فيطعمونهم منها، فخالج قلوب المطعمين والمطعمين ريبة في ذلك، وخافوا أن يلحقهم فيه حرج، وكرهوا أن يكون أكلا بغير حق، لقوله تعالى: {ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل،} فقيل لهم: ليس على الضعفاء..حرج في ذلك"[٩].

قال الزجاج:" الحرج -في اللغة-: الضيق، ومعناه: في الدين الإثم"[١٠].

قوله تعالى:{وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} [النور : ٦١]، أي:" وليس على أنفسكم -أيها المؤمنون- حرج في أن تأكلوا من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم، فيدخل فيها بيوت الأولاد"[١١].

قال الواحدي:" أي: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من أموال عيالكم وأزواجكم"[١٢].

وفي قوله تعالى:{أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ} [النور : ٦١]، قولان:

أحدهما: أنه بيوت الأولاد، روي عن النبي أنه قال: "أنت ومالك لأبيك"[١٣].

قال السعدي:" أي: بيوت أولادكم، وهذا موافق للحديث الثابت: «أنت ومالك لأبيك»[١٤]، والحديث الآخر: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم»[١]"[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٦٤)، (١٤٨٦٧):ص٢٦٤٤/٨، ٢٦٤٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢١/١٩.
(٣) انظر: محاسن التأويل:٤٠٧/٧.
(٤) تفسير السعدي:٥٧٥.
(٥) راجع أقوال الصحابة والتابعين في سبب نزول الآية.
(٦) الناسخ والمنسوخ:٦٠٢، وانظر: اقوال الصحابة والتابعين في سبب نزول الآية.
(٧) الهداية إلى بلوغ النهاية:٥١٥٣/٨.
(٨) التفسير الوسيط:٣٢٩/٣.
(٩) الكشاف:٢٥٦/٣.
(١٠) معاني القرآن:٥٣/٤.
(١١) التفسير الميسر:٣٥٨.
(١٢) التفسير الوسيط:٣٢٩/٣.
(١٣)حديث ابن عمر: أخرجه أبو يعلى (٩٩/١٠، رقم ٥٧٣١) . قال الهيثمى (١٥٤/٤) : فيه أبو حريز وثقه أبو زرعة وأبو حاتم وابن حبان وضعفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات. وأخرجه البزار (٤٢٠/١، رقم ٢٩٥) . قال الهيثمى (١٥٤/٤) : فيه سعيد بن المسيب لم يسمع من عمر.
حديث سمرة: أخرجه الطبرانى (٢٣٠/٧، رقم ٦٩٦١) . قال الهيثمى (١٥٤/٤) : رواه البزار والطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه عبد الله بن إسماعيل الجودانى قال أبو حاتم لين وبقية رجال البزار ثقات.
(١٤) سبق تخريجه في القول الأول.

قال الزمخشري:" دخل ذكر الأولاد تحت قوله: {من بيوتكم}، لأن ولد الرجل بعضه، وحكمه حكم نفسه، ومعنى {من بيوتكم}: من البيوت التي فيها أزواجكم وعيالكم ولأن الولد أقرب ممن عدد من القرابات، فإذا كان سبب الرخصة هو القرابة: كان الذي هو أقرب منهم أولى"(٣).

قال يحيى:" لم يذكر الله في هذه الآية بيت الابن، فرأيت أن النبي عليه السلام إنما قال: «أنت ومالك لأبيك»(٤)"(٥).

الثاني: أن المراد بيوت الأزواج، ويقال: بيت كل إنسان في نفسه.

قال السمعاني:" الأولاد أظهر"(٦).

قال السعدي:" وليس المراد من قوله: {من بيوتكم} بيت الإنسان نفسه، فإن هذا من باب تحصيل الحاصل، الذي ينزه عنه كلام الله، ولأنه نفى الحرج عما يظن أو يتوهم فيه الإثم من هؤلاء المذكورين، وأما بيت الإنسان نفسه فليس فيه أدنى توهم"(٧).

قوله تعالى:{أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ} [النور : ٦١]، أي:" وليس على أنفسكم -أيها المؤمنون- حرج في أن تأكلوا من بيوت آبائكم، أو أمهاتكم، أو إخوانكم، أو أخواتكم، أو أعمامكم، أو عماتكم، أو أخوالكم، أو خالاتكم"(٨).

قال السعدي:" وهؤلاء معروفون"(٩).

قال الصابوني:"أي: لا حرج في الأكل من بيوت هؤلاء الأقارب ومن البيوت التي توكّلون عليه وتملكون مفاتيحها في غياب أهلها"(١٠).

قال الفخر:" لما علم بالعادة أن هؤلاء القوم تطيب أنفسهم بأكل من يدخل عليهم والعادة كالإذن في ذلك، فيجوز أن يقال خصهم الله بالذكر، لأن هذه العادة في الأغلب توجد فيهم ولذلك ضم إليهم الصديق"(١١).

قال أبو مسلم الأصفهاني: المراد من هؤلاء الأقارب إذا لم يكونوا مؤمنين، وذلك لأنه تعالى نهى من قبل عن مخالطتهم بقوله: {لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله} [المجادلة: ٢٢] ثم إنه سبحانه أباح في هذه الآية ما حظره هناك، ويدل عليه أن في هذه السورة أمر بالتسليم على أهل البيوت فقال: {حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها} [النور: ٢٧]، وفي بيوت هؤلاء المذكورين لم يأمر بذلك، بل أمر أن يسلموا على أنفسهم، والحاصل أن المقصود من هذه الآية إثبات الإباحة في الجملة، لا إثبات الإباحة في جميع الأوقات"(١٢).

---

(١) الحديث« أطيب ما أكل الرجل من كسبه وولده من كسبه».
أخرجه ابن أبى شيبة (٢٩٤/٧، رقم ٣٦٢١٢) . وأخرجه أيضا: إسحاق بن راهويه (٨٤٨/٣، رقم ١٥٠٨) .
وللحديث أطراف أخرى منها: "إن أطيب ما أكلتم".
ومنه:«إن أطيب ما أكلتم من كسبكم».
أخرجه ابن أبى شيبة (٢٩٤/٧، رقم ٣٦٢١٣) ، والبخارى فى التاريخ الكبير (٤٨/٨) ، والترمذى (٦٣٩/٣، رقم ١٣٥٨) وقال: حسن صحيح. والنسائى (٢٤١/٧، رقم ٤٤٥٠) ، وابن ماجه (٧٦٨/٢، رقم ٢٢٩٠) . وأخرجه أيضا: أحمد (١٦٢/٦، رقم ٢٥٣٣٥).
(٢) تفسير السعدي:٥٧٥.
(٣) الكشاف:٢٥٦/٣.
(٤) سبق تخريجه في المقطع السابق.
(٥) تفسير يحيى بن سلام:٤٦٣/١.
(٦) تفسير السمعاني:٥٥١/٣.
(٧) تفسير السعدي:٥٧٥.
(٨) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٩) تفسير السعدي:٥٧٥.
(١٠) صفوة التفاسير:٣٢٠/٢.
(١١) مفاتيح الغيب:٤٢٢/٢٤.
(١٢) نقلا عن مفاتيح الغيب:٤٢٢/٢٤.

قوله تعالى:{أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ} [النور : ٦١]، أي:" وليس على أنفسكم -أيها المؤمنون- حرج في أن تأكلوا من البيوت التي وُكِّلْتم بحفظها في غيبة أصحابها بإذنهم"[١].

قال الواحيد:أي:" ما خزنتموه لغيركم، والمفتاح معناها: الخزائن، كقوله: {وعنده مفاتح الغيب} [الأنعام: ٥٩]، أن تكون التي يفتح بها"[٢].

واختلف في قوله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ } [النور : ٦١]، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه عَنَى به وكيل الرجل وَقيّمه في ضيعته يجوز له أن يأكل مما يقوم عليه من ثمار ضيعته ، قاله ابن عباس[٣]، وسعيد بن جبير-في إحدى الروايات-[٤]، والسدي[٥].

قال ابن عباس:" وهو الرجل يوكل الرجل بضيعته، فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ويشرب اللبن"[٦].

عن سعيد بن جبير: "{أو ما ملكتم مفاتحه}، قال: قهرمان[٧]"[٨].

عن السدي قوله: "{أو ما ملكتم مفاتحه}، قال: الرجل يوليه رجل طعامه يقوم عليه ويحفظ له فلا بأس أن يأكل منه[٩].

قال السعدي:" أي: البيوت التي أنتم متصرفون فيها بوكالة، أو ولاية ونحو ذلك"[١٠].

قال الزمخشري:" معنى {أو ما ملكتم مفاتحه}: أموال الرجل إذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له: أن يأكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته. وملك المفاتح: كونها في يده وحفظه"[١١].

الثاني : أنه أراد منزل الرجل نفسه يأكل مما ادخره، قاله مجاهد[١٢]، وقتادة[١٣]، والضحاك[١٤].

قال مجاهد:" خزائن لأنفسهم، ليست لغيرهم"[١٥].

الثالث : أنه عني به أكل السيد من منزل عبده وماله لأن السيد يملك منزل عبده ، وهذا قول سعيد بن جبير[١٦]، ومقاتل[١٧]، وابن قتيبة[١٨].

عن سعيد بن جبير قوله: "{أو ما ملكتم مفاتحه}، يعنى: خزائنه وهو عبد الرجل"[١٩].

قال مقاتل:" يعني عبيدكم وإمائكم"[٢٠].

قال السعدي:" وأما تفسيرها بالمملوك، فليس بوجيه، لوجهين:

أحدهما: أن المملوك لا يقال فيه «ملكت مفاتحه» بل يقال: «ما ملكتموه» أو «ما ملكت أيمانكم»، لأنهم مالكون له جملة، لا لمفاتحه فقط.

---

(١) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٢) التفسير الوسيط:٣/٣٢٩-٣٣٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢١.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٧٧):ص٨/٢٦٤٧.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٨٨٠):ص٨/٢٦٤٧.
(٦) اخرجه الطبري:١٩/٢٢١.
(٧)القهرمان (بفتح القاف وتضم) كالخازن والوكيل، والحافظ. لما تحت يده والقائم بأمور الرجل، بلغة الفرس.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٧٧):ص٨/٢٦٤٧.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٨٠):ص٨/٢٦٤٧.
(١٠) تفسير السعدي:٥٧٥.
(١١) الكشاف:٣/٢٥٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢٢.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢١.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:١٩/٢٢١.
(١٥) أخرجه الطبري:١٩/٢٢٢.
(١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٤٨٧٦):ص٨/٢٦٤٧.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٠٩.
(١٨) انظر: غريب القرآن:٣٠٨.
(١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٨٧٦):ص٨/٢٦٤٧.
(٢٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٣/٢٠٩.

والثاني: أن بيوت المماليك، غير خارجة عن بيت الإنسان نفسه، لأن المملوك وما ملكه لسيده، فلا وجه لنفي الحرج عنه"[1].

قوله تعالى:{أَوْ صَدِيقِكُمْ} [النور : ٦١]، أي:" وليس على أنفسكم -أيها المؤمنون- حرج في أن تأكلوا من بيوت الأصدقاء"[2].

قال سعيد بن جبير:" يعنى: في بيوت أصدقائكم"[3].

قال قتادة:" فلو دخلت على صديق ثم أكلت من طعامه بغير إذنه لكان لك حلال"[4].

عن الحسن أنه سأله رجل فقال: "الرجل يدخل على الرجل، يعني صديقه، فيخرج الرجل من بيته ويرى الآخر الشيء من الطعام في البيت، أيأكل منه؟ فقال: كل من طعام أخيك"[5].

وقال الحسن بن دينار: "كنا في بيت قتادة فأتينا ببسر، فأخذ رجل منا بسرات ثم قال: يا أبا الخطاب، إني قد أخذت من هذا البسر. فقال: هو لك حلال وإن لم تذكره لي لأنك مؤاخي"[6]. مؤاخي"[6].

قال زرارة : "سألت أبا جعفر عن قوله: {ليس عليكم جناح أن تأكلوا من بيوتكم}.. إلى قوله: {أو صديقكم}، قال: يأكل ويشرب ويتصدق يعنى من الطعام"[7].

قال السعدي:" وهذا الحرج المنفي عن الأكل من هذه البيوت كل ذلك، إذا كان بدون إذن، والحكمة فيه معلومة من السياق، فإن هؤلاء المسمين قد جرت العادة والعرف، بالمسامحة في الأكل منها، لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التام، أو الصداقة، فلو قدر في أحد من هؤلاء عدم المسامحة والشح في الأكل المذكور، لم يجز الأكل، ولم يرتفع الحرج، نظرا للحكمة والمعنى"[8].

قال الواحدي:" وهذه الرخصة في أكل مال القرابات، وهم لا يعلمون ذلك كرخصة لمن دخل حائطا وهو جائع أن يصيب من ثمره، أو مر في سفره بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه ولطفا بعباده ورغبة عن دناءة الأخلاق وضيق النظر"[9].

يحكى عن الحسن:" أنه دخل داره وإذا حلقة من أصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص وأطايب الأطعمة وهم مكبون عليها يأكلون، فتهللت أسارير وجهه سرورا وضحك وقال: هكذا وجدناهم، هكذا وجدناهم"[10].

قال الزمخشري:" يريد كبراء الصحابة ومن لقيهم من البدريين رضى الله عنهم. وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسأل جاريته كيسه فيأخذ منه ما شاء، فإذا حضر مولاها فأخبرته أعتقها سرورا بذلك"[11].

وعن جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهما: "من عظم حرمة الصديق أن جعله الله من الأنس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة النفس والأب والأخ والابن"[12].

وعن ابن عباس رضى الله عنهما: "الصديق أكبر من الوالدين، إن الجهنميين لما استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات. فقالوا: فما لنا من شافعين ولا صديق حميم"[1].

---

(١) تفسير السعدي:٥٧٥.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٨٢):ص٢٦٤٧/٨.
(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٨٤):ص٢٦٤٨/٨.
(٥) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٦٣/١.
(٦) أخرجه يحيى بن سلام في التفسير:٤٦٣/١.
(٧) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٨٣):ص٢٦٤٧/٨.
(٨) تفسير السعدي:٥٧٥.
(٩) التفسير الوسيط:٣٢٩/٣.
(١٠) نقلا عن: الكشاف:٢٥٧/٣.
(١١) الكشاف:٢٥٧/٣.
(١٢) نقلا عن: الكشاف:٢٥٧/٣.

قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا} [النور : ٦١]، أي:" ولا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين"[٢].

قال الزجاج:" معنى {أشتاتا}: متفرقين متوحدين، ويروى أن حيا من العرب كان الرجل منهم لا يأكل وحده، وهم حي من كنانة، يمكث الرجل يومه فإن لم يجد من يؤاكله لم يأكل شيئا، وربما كانت معه الإبل الحفل، وهي التي ملء أخلافها اللبن فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه، فأعلم الله عز وجل أن الرجل منهم إن أكل وحده فلا إثم عليه"[٣].

قال ابن كثير:" فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ، ومع الجماعة ، وإن كان الأكل مع الجماعة أفضل وأبرك"[٤].

عن عمر ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : "كلوا جميعًا ولا تَفَرّقُوا ؛ فإن البركة مع الجماعة"[٥].

عن وَحْشيّ بن حَرْب ، عن أبيه ، عن جده ؛ أنّ رجلا قال للنبيّ ﷺ : إنا نأكلُ ولا نشبَع. قال : "فلعلكم تأكلون متفرقين ، اجتمعوا على طعامكم ، واذكروا اسم الله يُبَارِكْ لكم فيه"[٦].

قوله تعالى:{فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [النور : ٦١]، أي:" فإذا دخلتم بيوتًا مسكونة أو غير مسكونة فليسلِّم بعضكم على بعض بتحية الإسلام"[٧].

قال الزجاج:" معناه: فليسلم بعضكم على بعض، فالسلام قد أمر الله به"[٨].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} [النور : ٦١]، على وجوه:

أحدها: معناه: فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم، فسلموا على أهليكم وعيالكم. فجعلهم «أنفسهم» على التّشبيه[٩]، قاله جابر بن عبدالله[١٠]، وقتادة[١١]، والضحاك[١٢]، والزهري[١٣]، وعمرو بن دينار[١٤]، وعطاء بن ابي رباح[١٥]، وابن طاوس[١٦]، وابن جريج[١٧].

قال الزهري وقتادة:" بيتك، إذا دخلته فقل: سلام عليكم"[١٨].

قال الضحاك:" يقول: سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم، وعلى غير أهاليكم، فسلموا إذا دخلتم بيوتهم"[١٩].

قال أبو الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم {تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} قال: ما رأيته إلا يوجبه"[٢٠].

---

(١) نقلا عن: الكشاف:٢٥٧/٣.
(٢) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٣) معاني القرآن:٥٤/٤.
(٤) تفسير ابن كثير:٨٦/٦.
(٥)سنن ابن ماجه برقم (٣٢٨٧) وقال البوصيري في الزوائد (٧٧/٣) : "هذا إسناد ضعيف".
(٦)المسند (٥٠١/٣) وسنن أبي داود برقم (٣٧٦٤) وسنن ابن ماجه برقم (٣٢٨٦).
(٧) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٨) معاني القرآن:٥٤/٤.
(٩) انظر: تأويل مشكل القرآن:٩٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٩.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٩.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٢٦/١٩.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٩.
(١٦) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٩.
(١٧) انظر: تفسير الطبري:٢٢٥/١٩.
(١٨) أخرجه الطبري:٢٢٥/١٩.
(١٩) اخرجه الطبري:٢٢٦/١٩.
(٢٠) أخرجه الطبري:٢٢٥/١٩.

قال ابن جريج:" سلم على أهلك، قال ابن جريج: وسُئل عطاء بن أبي رباح: أحقّ على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم؟ قال: نعم. وقالها عمرو بن دينار، وتلوا: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً}، قال عطاء بن أبي رباح: ذلك غير مرّة"[١].

قال ابن جريج:" قلت لعطاء: إذا خرجت أواجب السلام، هل أسلم عليهم؟ فإنما قال: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا} ؟ قال: ما أعلمه واجبا، ولا آثِرُ عن أحد وجوبه ولكن أحبّ إليّ وما أدعه إلا ناسيا. قال ابن جُرَيج، وقال عمرو بن دينار: لا قال: قلت لعطاء: فإن لم يكن في البيت أحد؟ قال: سلم، قل: السلام على النبيّ ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله، قلت له: قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد عمن تأثره؟ قال: سمعته ولم يؤثر لي عن أحد.

قال ابن جُرَيج، وأخبرني عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: السلام علينا من ربنا، وقال عمرو بن دينار: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"[٢].

الثاني: معناه: فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها. وهذا قول ابن عباس[٣]، وإبراهيم[٤].

قال ابن عباس:" هي المساجد، يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"[٥].

قال إبراهيم:" إذا دخلت المسجد فقل: السلام على رسول الله، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وإذا دخلت بيتك فقل: السلام عليكم"[٦].

الثالث: معناه: إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم، فليسلم بعضكم على بعض. وهذا قول الحسن[٧]، وابن زيد[٨].

قال ابن زيد:" إذا دخل المسلم على المسلم سلم عليه مثل قوله: {ولا تقتلوا أنفسكم}، إنما هو: لا تقتل أخاك المسلم، وفي قول الله: {ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم}، قال: يقتل بعضكم بعضا قريظة والنضير، وفي قوله تعالى: {جعل لكم من أنفسكم أزواجا}، كيف يكون زوجي من نفسي، إنما هي جعل لكم أزواجا من بني آدم ولم يجعل من الإبل والبقر، وكل شيء في القرآن على هذا"[٩].

الرابع: معناه: فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد، فسلموا على أنفسكم، كقوله: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء : ٢٩] أي: "لا يقتل بعضكم بعضا"[١٠]، وهذا قول أبي مالك[١١]، وقتادة[١٢]، وماهان[١٣]، وإبراهيم[١٤].

قال أبو مالك:" إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين، فقل مثل ذلك"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري:٢٢٥/١٩.
(٢) أخرجه الطبري:٢٢٥/١٩.
(٣)انظر: تفسير الطبري:٢٢٦/١٩ .
(٤)انظر: تفسير الطبري:٢٢٦/١٩ .
(٥) اخرجه الطبري:٢٢٦/١٩.
(٦) اخرجه الطبري:٢٢٦/١٩.
(٧)انظر: تفسير الطبري:٢٢٦/١٩ .
(٨)انظر: تفسير الطبري:٢٢٦/١٩ .
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٠٤):ص٢٦٥١/٨.
(١٠) غريب القرآن لابن قتيبة:١٢٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٢٧/١٩.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٤٩٠٢):ص٢٦٥١/٨.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٢٧/١٩.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٢٧/١٩.
(١٥) اخرجه الطبري:٢٢٧/١٩.

قال قتادة:" إذا دخلت بيتا لا أحد فيه فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنه كان يؤمر بذلك. وحدثنا أن الملائكة ترد عليه"(١).
قال ماهان:" إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم، قال: تقولوا: السلام علينا من ربنا"(٢).
قال إبراهيم:" إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد، فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"(٣).
وقال إبراهيم:" إذا دخلت بيتا فيه يهود، فقل: السلام عليكم، وإن لم يكن فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"(٤).
عن نافع، "أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد، قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين"(٥).
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال معناه: فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين، فليسلم بعضكم على بعض، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن الله جلّ ثناؤه قال: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا} ولم يخصصْ من ذلك بيتا دون بيت، وقال: {فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ} يعني: بعضكم على بعض، فكان معلوما إذ لم يخصص ذلك على بعض البيوت دون بعض، أنه معنيّ به جميعها، مساجدها وغير مساجدها"(٦).
قوله تعالى:{تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} [النور : ٦١]، أي:" وهذه التحية شرعها الله، وهي مباركة تُنْمِي المودة والمحبة، طيبة محبوبة للسامع"(٧).
قال الطبري:أي: " تحيون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية، ووصف جلّ ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة لما فيها من الأجر الجزيل والثواب العظيم"(٨).
قال الزمخشري:" {تحية من عند الله}، أى: ثابتة بأمره، مشروعة من لدنه، أو لأن التسليم والتحية طلب سلامة وحياة للمسلم عليه والمحيا من عند الله. ووصفها بالبركة والطيب، لأنها دعوة مؤمن لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق"(٩).
قال القرطبي:" وصفها بالبركة، لأن فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه"(١٠).
قال سعيد بن جبير:" يعنى: من سلم على أخيه فهي تحية {مباركة طيبة}، يعنى: حسنة"(١١).
عن ابن عباس، قوله: "{تحية من عند الله}، وهو السلام، لأنه اسم الله وهو تحية أهل الجنة- "(١٢). وروى عن مقاتل بن حيان نحو ذلك"(١٣).
عن عكرمة عن ابن عباس: "كان يقول ما أخذت التشهد إلا من كتاب الله، سمعت الله يقول: {فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة}، فالتشهد في الصلاة: التحيات المباركات الطيبات لله أشهد إن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، السلام عليك

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٠٢):ص٢٦٥١/٨.
(٢) اخرجه الطبري:٢٢٧/١٩.
(٣) اخرجه الطبري:٢٢٧/١٩.
(٤) اخرجه الطبري:٢٢٧/١٩.
(٥) اخرجه الطبري:٢٢٧/١٩.
(٦) تفسير الطبري:٢٢٧/١٩.
(٧) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٨) تفسير الطبري:٢٢٧/١٩.
(٩) الكشاف:٢٥٨/٣.
(١٠) تفسير القرطبي:١٩٧/٤.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٠٧):ص٢٦٥٢/٨.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٠٥):ص٢٦٥١/٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:ص٢٦٥١/٨. ذكره دون سند.

أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ثم يدعوا لنفسه ويسلم"(١).

عن أنس بن مالك، قال: قال النبي ﷺ: " يا أنس، إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك يكثر خير بيتك، وإذا توضأت فأسبغ وضوءك يطل عمرك، ومن لقيت من أمتي فسلم عليهم تكثر حسناتك، ولا تبيتن إلا على وضوء تراك الحفظة وأنت طاهر، وصل بالليل والنهار، وصل الضحى فإنها صلاة الأوابين، ووقر الكبير، وارحم الصغير "(٢).

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [النور : ٦١]، أي:" وبمثل هذا التبيين يبيِّن الله لكم معالم دينه وآياته؛ لتعقلوها، وتعملوا بها"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم، فيبينها لكم، كما فصل لكم في هذه الآية ما أحلّ لكم فيها، وعرّفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه"(٤).

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى ما في السورة الكريمة من الأحكام المحكمة والشرائع المتقنة المبرمة ، نَبَّه تعالى على أنه يُبَيّن لعباده الآيات بيانًا شافيًا ، ليتدبروها ويتعقلوها"(٥).

عن سعيد بن جبير، قوله:"{كذلك يبين الله لكم الآيات}، يعني: ما ذكر في هذه الآية"(٦).

عن ابن زيد، قوله: "{تعقلون}، قال: تتفكرون"(٧).

قال القرطبي:" «الكاف» من قوله :{كذلك} كاف تشبيه، و«ذلك» إشارة إلى هذه السنن أي: كهذا الذي وصف يطرد تبيين الآيات لعلكم تعقلونها وتعملون بها"(٨).

قال السعدي:" فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد في العقل، وينمو به اللب، لكون معانيها أجل المعاني، وآدابها أجل الآداب، ولأن الجزاء من جنس العمل، فكما استعمل عقله للعقل عن ربه، وللتفكر في آياته التي دعاه إليها، زاده من ذلك"(٩).

وفي حكم هذه الآية قولان:

احدها: إنها منسوخة بآية الاستئذان الذي أمر به الناس وهي المقدمة في السورة، فإذا كان الإذن محجورا فالطعام أحرى.

قال ابن زيد:" هذا شيء قد انقطع إنما كان هذا في أوله لم يكن لهم أبواب وكانت الستور مرخاة، فربما دخل الرجل البيت وليس فيه أحد فربما وجد الطعام وهو جائع فسوغه الله أن يأكله، قال: وذهب ذلك، اليوم البيوت فيها أهلها فإذا خرجوا أغلقوا فقد ذهب ذلك"(١٠).

وقد ذكر دعوى النسخ النحاس عن ابن زيد ولم يعين الناسخ، كما ذكره مكي بن أبي طالب عنه، وقال: {ولا على أنفسكم} الآية منسوخة بقوله: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ} [البقرة: ١٨٨] (١١).

الثاني: أن الآية كلها محكمة، والحرج المرفوع عن أهل الضر مختلف فيه، كما سبق الإشارة إليه في سبب النزول، وأما البيوت المذكورة فيباح للإنسان الأكل منها لجريان العادة ببذل أهلها الطعام لأهلها، وكل ذلك محكم(١٢).

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٩٠٦):ص٨/٢٦٥١-٢٦٥٢.
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٨٣٨٦):ص١١/١٩٠.
(٣) التفسير الميسر:٣٥٨.
(٤) تفسير الطبري:١٩/٢٢٧-٢٢٨.
(٥) تفسير ابن كثير:٦/٨٨.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٠٨):ص٨/٢٦٥٢.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٠٩):ص٨/٢٦٥٢.
(٨) تفسير القرطبي:٤/١٩٧.
(٩) تفسير السعدي:٥٧٥.
(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٤٨٧٤):ص٨/٢٦٤٦.
(١١)انظر: الناسخ والمنسوخ ص: ١٩٩؛ والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص: ٣٢١.
(١٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:١٧٧.

قال القرطبي:" النسخ لا يتصور في شيء من هذه الآيات بل هي كلها محكمة، أما قوله: {وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ} [البقرة: ١٨٨]، ففي التعدي والخدع والإغرار واللهو والقمار ونحوه، وأما هذه الآية ففي إباحة هذه الأصناف التي يسرها استباحة طعامها على هذه الصفة، وأما آية الإذن فعلة إيجاب الاستئذان خوف الكشف فإذا استأذن الرجل خوف الكشفة ودخل المنزل بالوجه المباح صح له بعد ذلك أكل الطعام بهذه الإباحة وليس يكون في الآية نسخ فتأمله"(١).

فوائد الآية:[٦١]:

١- الإذن العام في الأكل مع ذوي العاهات بلا تحرج من الفريقين.

٢- الإذن في الأكل من بيوت من ذكر في الآية من الأقارب والأصدقاء.

قال الشيخ ابو زهرة:" هذه الآية الكريمة واضحة في بيان التعاون في الأسرة في المال وما توجبه النفقات، وكأن مال الأسرة شركة بينهم، وإنها شركة يفرضها التعاون، وسد حاجة المحتاج، بحيث يعطي الغني القادر من فضل ماله ما يسد حاجة الفقير العاجز، وكأنه يسد حاجة نفسه، وبذلك تكون القرابة والمودة هي الرابطة بين الناس لا النظم التي تسلب الغني ملكيته، والنبي - ﷺ - يقول: " لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفسه "(٢)، ولا يطمع الفقير في مال لم يكسبه، فيكون أخذه إياه اغتصابا.

وهذه الآية تقرر أمرين، هما ما يؤخذ بسبب القرابة من نفقة، وما يكون إباحة من ذي مال كصديق، أو رجل فاضل أعطاه مفاتحه، وعلى ذلك نقول: إن الآية اشتملت على أمرين:

أولهما: نفقة القريب.

والثاني: الأخذ من مال قد أبيح له.

وشرط الأمرين أن يكون فقيرا عاجزا عن الكسب؛ ولذلك ابتدأت بذكر ما يومئ عن العجز، والفقر، وقد كان الأمر بالأخذ لا جناح فيه ولا إثم إشارة إلى أن الإعطاء مودة ورحمة، وتبادل لها بين المعطي والآخذ، ونفي الجناح فيه إشارة إلى الاحتياج، بل الاضطرار"(٣).

٣- وفي هذه الآية دليل على قاعدة عامة كلية وهي: أن «العرف والعادة مخصص للألفاظ، كتخصيص اللفظ للفظ» فإن الأصل، أن الإنسان ممنوع من تناول طعام غيره، مع أن الله أباح الأكل من بيوت هؤلاء، للعرف والعادة، فكل مسألة تتوقف على الإذن من مالك الشيء، إذا علم إذنه بالقول أو العرف، جاز الإقدام عليه.

٤- وفيها دليل على أن الأب يجوز له أن يأخذ ويتملك من مال ولده ما لا يضره، لأن الله سمى بيته بيتا للإنسان.

٥- وفيها دليل على أن المتصرف في بيت الإنسان، كزوجته، وأخته ونحوهما، يجوز لهما الأكل عادة، وإطعام السائل المعتاد.

٦- وفيها دليل، على جواز المشاركة في الطعام، سواء أكلوا مجتمعين، أو متفرقين، ولو أفضى ذلك إلى أن يأكل بعضهم أكثر من بعض.

٧- ومن فوائد الآية الكريمة: جواز الأكل الجماعي والانفرادي بلا تحرج.

٨- ومنها: مشروعية التحية عند الدخول على البيوت وأن فيها خيراً وفضلاً.

---

(١) تفسير القرطبي:١٩٧/٤.

(٢) سنن الدراقطني(٢٨٨٥):ص٤٢٤/٣، من حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه-.
وأخرجه احمد في المسند(١٥٤٨٨):ص٢٣٩/٢٤، بلفظ:«ولا يحل لامرئ من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه». من حديث عمرو بن يثربي الضمري. [جزء من حديث حجة الوداع].

(٣) زهرة التفاسير:٥٢٣٠/١٠-٥٢٣١.

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

****

انتهى الجزء (الخامس والعشرون) من التفسير، ويليه الجزء (السادس والعشرون) بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٦٢) من سورة «النور».